أثر الشعر

في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي

الدكتور/ قيس كاظم الجنابي

دار الآفاق العربية

أثرَ الشِّعْر فى تَدْوينِ الأَحْداثِ التارِيخيَّةِ
خِلالَ العَصرِ الأمويِّ

الجنابى ، قيس كاظم
أثر الشعر فى تدوين الأحداث التاريخية خلال العصر الآموى
تأليف /د/ قيس كاظم الجنابى
ط1 – القاهرة : دار الآفاق العربية 2007
400 ص ، 24سم
تدمك : 4 – 200 – 344 – 977
1- الشعر – تاريخ – العصر الآموى
أ – العنوان
ديوى : 811/3
رقم الإيداع : 2006/20974

الطبعة الأولى
1428 هـ – 2007

دار الآفـــاق العربيـــة
نشر – توزيع – طباعة
55ش محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 22617339 تليفاكس : 22610164
EMIL: Daralafk@yahoo . com

أثر الشعر

في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي

الدكتور/ قيس كاظم الجنابي

دار الآفاق العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدمة

يعد البحث وسيلة من وسائل الكشف عن الحقيقة وبيان ما خالطها من شوائب ومؤثرات؛ فهو أداة بيد الباحث لدراسة ما غمض من أحداث ووقائع وما صاحبها من ملابسات وللتنقيب فى خفايا الأمور، ولابدَّ والحالة هذه من اتخاذه سبيلاً فى كشف أثر الشعر فى تدوين الأحداث التاريخية موضوع الدراسة، بما يميط اللثام عما غمض منها وما اعتراه من شوائب؛ لذا حاول البحث أن يرصد جانبًا مهمًا من التاريخ العربى الإسلامى، وهو العصر الأموى الذى كان موقع نقاش متواصل بين المؤرخين.

ولم تكن دراسة الأحداث التاريخية بعيدة عن تراث العرب المسلمين فى الشعر والنثر؛ وإنما غالبًا ما يسشهدون بهما لتوكيد صحة الحدث أو الكشف عن جوانب خفية فيه بوصف الشعر العربى سجلاً لمآثر العرب، فهو موضع علمهم وموطن بلاغتهم والمفصح عن بيانهم فى قوة الألفاظ ودلالات المعانى، وهو العصر الأموى الذى كان موقع نقاش متواصل بين المؤرخين.

ولم تكن دراسة الأحداث التاريخية بعيدة عن تراث العرب المسلمين فى الشعر والنثر؛ وإنما غالبًا ما يستشهدون بهما لتوكيد صحة الحدث أو الكشف عن جوانب خفية فيه بوصف الشعر العربى سجلا لمآثر العرب، فهو موضع علمهم ومواطن بلاغتهم والمفصح عن بيانهم فى قوة الألفاظ ودلالات المعانى، وهو جامع لعناصر ثقافتهم ولسمو أفكارهم، والمعبر عن قوة الحدس ورقى الشعور، والكاشف عن اتصال العقل بالعواطف. فلا غرو أن تحفل كتب التاريخ والأدب والفكر والتراجم والفرق بالشواهد الشعرية مما يعكس الأهمية الكبيرة للشعر فى حياة وسلوك العربى

فهو جزء لا يتجزأ من كيان إنسانى ينمو ويتطور فيغرس آثاره وأحساسيسه فى كل جانب من جوانب حياة العربى وفى كل رافد من روافد ثقافته وخبرته لأن الأحداث التاريخية شكلت مادة رئيسة فى قراءة الماضى وكشف أبعاده الحضارية فإن الشعر واكب هذه الأحداث وأثر فيها تأثيرًا واضحًا فكان ذلك مثار اهتمام الباحثين فلا يخلو مصدر من مصادر التاريخ من استشهاد بالشعر، و موقف لشاعر، أو رجز انطلق من حرارة الأحداث فأسهم فى تدوينها.

وإذا كان العصر الأموى الممتد تاريخيًا من سنة (٤٠-١٣٢هـ/ ٦٦٠-٧٤٩م) يعد عصرًا صخبًا فى توالى الأحداث، ومرحلة من مراحل تطول الدولة العربية الإسلامية بعد عصر صدر الإسلام. فلابد من أن يدرس دراسة خاصة تخضعه إلى نظرة تحليلية لغرض قراءة الأحداث ومتابعة تدوينها من زاوية أخرى هى الاستعانة بالشعر فى تفسيرها، بعد أن كان الباحث يركز على الروايات التاريخية ولا يلوى الشعر الأهمية المطلوبة فى تمثل الأحداث وكشف أبعادها الموضوعية وملابساتها التاريخية، وقد تنبه أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م) فى كتاب (نقائض جرير والفرزق) إلى ذلك حين اختط سبيلًا آخر هو بيان أثر الشعر فى تدوين أحداث هذا العصر، وكان الدكتور نورى حمودى الفيسى السبق حين اهتم بهذا الموضوع فى كتابه (الشعر والتاريخ)، كما درسه زميلى محمد حسين حاسب الطرفى فى رسالته للماجستير (دور الشعر فى تدوين الأحداث التارخية خلال القرن الثانى الهجرى فى العراق) وهى دراسة لم تفِ بالغرض المطلوب فى دراسة العصر الأموى لذا رأيت أن أدرس هذا العصر دراسةً شاملةً تستوعبه من الناحيتين التاريخية والجغرافية وهذا ما تطلب من الباحث إجراء مسح يكاد أن يكون تامًا على التراث الشعرى لهذا العصر وعلى المصادر التاريخية القريبة منه وذات الأهمية الخاصة فى عرض وفهم الأحداث التاريخية وهذا ما يشكل نوعًا من الازدواج ما تناول الحدث التاريخى، أى أن يمتلك الباحث نظرة متجانسة تجمع بين تثبيت الحدث التاريخى وتفسير وتحليل ما قيل فيه من شعر، وهى نظرة مهما تجردت من نوازع النقد الأدبى والبحث التاريخى فإنهاوليدة مزيج يحاول أن يصهر جانبين يتقاربان حينًا ويتباعدان حينًا آخر، من هنا بدأت صعوبة التوازن والتوفيق فرأى

الباحث أن يعرض الحدث التاريخى مشفوعًا بالأصداء الشعرية، وقد جابه البحث حساسية التحليل وجسامة الأحداث وغزارة النصوص الشعرية أحيانًا مما كشف عن حاجة ملحة إلى التسلح بالموضوعية والصبر ونفاذ البصيرة فى استجلاء الموقف الشعرى كى ينسجم مع الحدث وتوجهاته السياسية والاجتماعية والنفسية... وغيرها.

ولأن الشعر نص فضفاض مرتبط بهواجس النفس وباللغة التى تمنح الإحساس اهتمامًا خاصًا، فينطق من آفاق الحدس ورؤية الشعور وخفاياه ليكون نافذة ذات وجهين: أحدهما، مباشر واضح وضوح الحدث. وثانيهما: مراوغ يتبدى حينًا ويتوارى حينًا آخر. فمن هنا برزت أمام البحثِ إشكالية التعويل على تفسير الشعر للحدث وكيفية التأثير فيه، ولعل الملتقى سيلفظ ذلك وتبينه بعد قراءة البحث وتتبع الأحداث ومجرياتها العديدة؛ لذا فإن الباحث لا يدعى الكمال فى هذا الجانب، ولكنه يرى أنه حرث بأرض لم تشبعها معاول الباحثين المحدثين حرثًا، وإن الكثير من الأحداث كان للشعر أثره فى إماطة اللثام عن تفاصيلها بما ينسجم وقوة الحدس الشعرى ونفاذ رؤية الشاعر ذاته، فكان الشعر يفتح أفقًا عميقًا يبعث فى النفس إحساسًا ساميًا برقى العقل العربى ورفعة مداركه فى النظر إلى الأحداث وفى استلهام المواقف الحاسمة والخطيرة، فكان خير ما يقنع النفس ويدارى اعتدادها بتماسكها الداخلى فى الصمود وإيثار الموت على الهزيمة أو الخيانة أو الذل بيتًا من الشعر يجعل طعم الموت سائغًا ومستطابًا ولعل موقف مصعب بن الزبير (ت، ٧٢ هـ/ ٦٩١م) فى اللحظات الحاسمة بين المهادنة والموت خير دليل على قوة المبادئ الإنسانية الخلاقة وتوغلها فى نفس العربى وتمكنها من وجدانه.

لقد جابه الباحث صعوبات منها صعوبة الحصول على المصادر والمراجع موضوع البحث وندرة الدراسات المتخصصة التى تجمع بين التحليل التاريخى الخالص للأحداث والتحليل النقدى للشعر، فجابه بذلك إشكالية الجمع بين الجانبين، إذ دأب الباحثون على تناول جانب واحد وترك الآخر، فقد حفلت كتب الأدب بدراسات وافية عن الشعر فى العصر الأموى، كما دأب المؤرخون على دراسة

التاريخ السياسى لهذا العصر مع قلة الاهتمام بما قدمه الشعر من تأثير على الأحداث التاريخية، فلم تتوفر لدى الباحث المصادر أو المراجع التى تجمع بين الحدث التاريخى وما واكبه من أثر شعرى إذا استثنينا (نقائض جرير والفرزق) و(الشعر والتاريخ) مما يجعل الأمر أكثر تعقيدًا قد يدفع الباحث نحو مسالك غير محسوبة النتائج.

تحليل مصادر البحث:

لابد لكل بحث جديد يتناول الحقب التاريخية المنصرمة من مادة يتناولها فى الدراسة والتحليل، والعصر بهذه الحساسية والتشعب لابد وأن تعكس ذلك مصادر دراسته أيضًا، فكيف إذا جمع البحث بينها وبين المصادر الشعرية؟.

قام البحث على أساس عرض المادة فى مظانها التاريخية ثم بيان انعكاسها فى الشعر، فكانت حصيلة الشعر وافيةً ومتسعةً بما جعل من مهام الباحث أن يعتمد اعتمادًا مباشرًا على المصادر الشعرية، ثم المصادر التاريخية، ثم كتب التراجم، ويمكن ترتيب مصادر البحث كالآتي:

أولاً: الدواوين والأشعار:

يعد العصر الأموى عصرًا خصبًا أسهم فى نشاط حركة الشعر وتنامى قوته وازدياد أهميته بعد أن عانى تقلصًا واضحًا فى عصر صدر الإسلام (عصر الرسالة النبوية الشريفة وعصر الخلفاء الراشدين) نتيجة انشغال المسلمين بالدعوة الإسلامية وحركات التحرير والفتوح، فقد زالت هذه العوائق وعادت القبائل العربية تحتفل بشعرائها ونشطت أسواق العرب فأخذت تحتفل بالشعراء وترعى المباريات الشعرية بين عمالقة الشعر، فكان سوق المربد فى البصرة يؤجج النقائض بين جرر (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨م)، والفرزدق (ت، ١١٥هـ / ٧٣٣م)، والأخطل (ت، ٩٢هـ/ ٧١٠م)، حتى كان ذلك مسرحًا لتأليب الصراعات وانتشار القصائد وبروز ظاهرة استخدام الشعر كأداة بيد الخلفاء والولاة وبيد خصومهم فى الأحزاب السياسية التى ناهضت الحكم الأموى.

اعتمد الباحث على نتاج شعراء النقائض، والشعراء الذين واكبوا الأحداث ولقد بوصفهم أحد الجند أو الفرسان أو شعراء الفرق والثورات أو من مشاهير شعراء هذا العصر، أو من خلال دواوين أشعارهم التى نشرت بشكل مستقل والتى تولى تحقيقها محققون أكفاء، ودور نشر مشهود لها بالدقة والثقة، ومن هؤلاء الشعراء:

أبو الأسود الدؤلى، ظالم بن عمر بن سفيان (ت، ٦٧هـ / ٦٨٦م)، ويزيد بن المفرغ (ت، ٦٩هـ / ٦٨٨م)، وعبدالله بن الزَّبير الأسدى (ت، نحو ٧٥هـ / ٦٩٤ م)، وعبيد الله بن قيس الرّقيات (ت، ٧٥هـ ٦٩٤م)، وسراقة بن مرداس البارقى ت، ٧٩هـ / ٦٩٨م)، وأعشى همدان، عبد الرحمن بن عبدالله بن الحارى الهمدانى (ت، ٨٣هـ / ٧٠٢م)، والحارث المخزومى (ت، ٨٥هـ / ٧٠٤م)، ومسكين الدارمى، وربيعة بن عامر (ت، ٨٩هـ / ٧٠٧م)، والعجاج، عبدالله بن رؤية التميمى (ت. نحو ٩٠هـ / ٧٠٨م)، وعدى بن الرِّقاع العاملين (ت، ٩٥هـ / ٧١٤م)، والقطَّامى، عمير بن شييم (ت، نحو ١٠١هـ / ٧١٩م)، وكثير بن عبدالرحمن (ت، ١٠٥هـ / ٧٢٣م)، ونصيب بن رباح (ت، ١٠٨هـ / ٧٢٦م)، والأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصارى (ت، ١١٠هـ / ٧٢٨م)، وثابت بن كعب المعروف بثابت قطنة (ت، ١١٠هـ / ٧٢٨م)، والنابغة الجعدى، عبدالله بن المخارق (ت، نحو ١٢٥هـ / ٧٤٢م)، والطرماح بن حكيم (ت، ١٢٥هـ / ٧٤٢م)، وأبى دهيل، وهب بن زمعة (ت، نحو ١٢٦هـ / ٧٤٢م)، والكميت بن زيد الأسدى (ت، ١٢٦هـ / ٧٤٤م)، ونصر بن يسار (ت، ١٣١هـ / ٧٤٨م)، ورؤية بن العجاج (ت، ١٤٥هـ / ٧٦٢م)، وقد جمعت هذه الدواوين وحققت على وفق منهج متقارب من حيث ترتيب القصائد، وهو ترتيب القوافى على وفق تسلسل حروف المعجم، وقد شذَ بعض صناع الدواوين الذين حققوها على مخطوطات سابقة أو دواوين جمعها رواة متقدمون، فى إثبات ما جاء بالمخطوط ثم تقضى ما زاد على ذلك وترتيبه وجمعه فى حقل مستقل، أو جمع ما ثبتت صحة نسبته إلى الشاعر بصورة مستقلة ووضع ما نسب إليه فى حقل آخر.

كما استقصى الباحث ما جاء من شعر للخفاء الأمويين على وفق الطبعات الجديدة التى تولاها محققو أكفاء فاستفاد من ديوان معاوية بن أبى سفيان (ت، ٦٠ هـ/ ٦٦٩م)، وديوان ابنه يزيد (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٣م)، وديوان الوليد بن يزيد بن عبدالملك (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٣م).

واستفاد الباحث أيضًا مما جمعه المرحوم الدكتور نورى حمودى القيسى لجمهرة من شعراء العصر الأموى فى كتابه (شعراء أمويون) فيما يتعلق ببعض الشعراء المقلين الذين واكبوا الأحداث وأسهموا فى العديد منها من أمثال: مالك بن الريب (ت، ٤٤هـ/ ٦٦٦م)، وحارثة بن بدر الغدانى (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٣م)، وعبيدالله ابن الحر الجعفى (ت، ٦٨هـم٦٨٧م)، والمغيرة بن حبناء (ت، ٩١هـ/ ٧١٠م)، وكعب بن معدان الأشقرى (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م)، وقد افرد المحقق مقدمة وافية لكل شاعر ثم رتب القوافى على وفق حروف المعجم.

وكان يهم الباحث أن يطلع على التحقيق العلمى لكل شاعر أمكن الحصول على مجمع شعره فاستقصى ما نشر فى المجلات المتخصصة مثل مجلة المجمع العلمى العراقى، ومجلة المورد، ومجلة حوليات الجامعة التونسية، من خلال مجاميع أشعارهم من أمثال: زفر بن الحارث الكلابى (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٥م)، والأقيشر الأسدى (ت، ٨٠هـ/ ٦٩٩م)، وأرطأة بن سهية (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م)، وعبدالله بن هَمَّام السلولى (ت، ٩٥-١٠٠هـ/ ٧١٣-٧١٨م)، ونهار بن توسعة البكرى (ت، بعد ١٢٠هـ/ ٧٣٧م)، وأبى العطاء السندى، أفلح بن يسار (ت، نحو ١٨٥هـ/ ٦٩٧م).. وغيرهم. هذا فضلًا عن المجاميع التى اضطلع بإعدادها بعض المحققين مثل (شعر الخوارج) لإحسان عباس و(ديوان الخوارج) لنايف محمود معروف، و(شعراء ثقيف فى العصر الأموي) لعيضة الصَّواط، و(المستدرك فى صناع الدواوين) للدكتور نورى القيسى وهلال ناجى.

كما حاول الباحث الاستفادة من النصوص الشعرية المبثوثة فى كتب الاختيارات، وخصوصًا من الحماسة التى اشتملت على اختيارات مهمة فى متابعة الأحداث التاريخية وبالذات فى شعر من لم تحقق أو تجمع أشعارهم، كما فى

حماسة أبى تمام، حبيب بن أوس الطائى (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، وحماسة الشجرى، هبة الله بن على بن حمزة العلوى (ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، وحماسة البصرى، صدر الدين على بن أبى الفرج (ت، ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، هذا فضلاً عما احتفظت به من شعر الكتب الموسوعية وكتب الاختيارات التى جمعت بين الاختيارات الشعرية والاراء النقدية وسرد بعض الأحداث التاريخية كما هى الحال لدى الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت، ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) فى كتابيه: (البيان والتبيين) و(الحيوان)، وابن قتيبة، عبد الله بن مسلم)ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) فى كتابه (عيون الأخبار)، والمبدر، محمد بن يزيد (ت، ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) فى كتابه (الكامل فى اللغة والأدب)، وابن عبد ربه الأندلسى (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) فى كتابه)العقد الفريد)، والزجاجى، عبد الرحمن بن إسحاق (ت، ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) فى أماليه، والقالى، أبو على إسماعيل بن القاسم (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) فى أماليه أيضاً.. وغيرهم.

ويتفرد الأصفهانى، أبو الفرج على بن الحسين (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) فى كتابه (الأغاني) فى كونه موسوعة جامعة للأخبار والأنساب والأشعار والنقد الأدبى والموسيقا فقد رتبه على أساس ذكر الشاهد الشعرى ومن عناه ثم يسترسل فى مناسبة القصيدة وحياة الشاعر وجوانب أخرى من الأحداث التاريخية وما لها صلة بشعره وعصره.

ولم يكتف الباحث – فى غالب الأحيان – بالإشارة إلى الدواوين ومجموعات الشعر، وإنما رأى أن يشير إشارة مزدوجة تجمع بين المصدر الشعرى والمصدر التاريخى اللذين وردت فيهما الأبيات موضوع البحث توخيًا للفائدة العلمية المرجوة فى التأكيد على أهمية اقتران الشاهد الشعرى بالحدث التاريخى الذى واكبه وتفاعل معه، فاستشهد به المؤرخون بما يكشف عن تلازم الشعر بالأحداث التاريخية، وفى هذا دلالة واضحة على التواصل الحقيقى بين الشعر والتاريخ وتوكيد لتفاعلهما وقدرتهما على فهم الوقائع والمواقف بما يغنى البحث ويثريه ويبعث فيه

روح الجدة والأصالة ويكشف بشكل لا يقبل اللبس عن العلاقة الحميمة بين أحداث التاريخ الكبرى والأحاسيس الإنسانية التى جسدها الشعر وأضفى عليها نوعًا من الحيوية والابتكار.

ثانيًا: المصادر التاريخية

كانت الأحداث التاريخية هى سدى هذا البحث ولحمته الأشعار، وبتماسك هذين العنصرين استقام نسيجه وتماشج مزيجه، فلابد والحالة هذه من الاعتماد على المصادر التاريخية المناسبة فى مد هذا السَّدى لترتيب السياق العام للبحث ليغدو متماسكًا تستجيب فيه النصوص الشرعية لتحديات الأحداث التاريخية. وكان عماد هذا السَّدى تاريخ خليفة بن خياط (ت، ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) وهو مرتب تريبًا حوليًا، ويعد من الكتب التاريخية المبكرة التى لها أثرها فى توثيق الأحداث، فكان خير عون لكتاب (تاريخ الرسل والملوك) لأبى جعفر الطبرى، محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) وقد تركز ثقل البحث عليه وهو مرتب ترتيبًا حوليًا على وفق التاريخ الهجرى، ابتدأ فيه من بدء الخليقة وانتهى عند سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٤م) وقد كان هذان المصدران هما البساط التاريخى للأحداث من حيث جوهر البناء التاريخى للبحث، وقد اتبع الطبرى منهج المحدِّثين الذى اتبعه جمّاع الحديث النبوى الشريف، بأن يذكر الحوادث المروية بمقدار ما عنده من الطرق كما يذكر السند حتى يتصل بصاحبه ولا يبدى فى ذلك رأيًا فى معظم الأحيان.

أسهم فى إسناد الكتابين السابقين كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذرى، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ/ ٩٨٩م) الذى جمع بين الأنساب والتاريخ والذى تناول فيه التراجم والأحداث المتعلقة بالأسر القرشية كالعلويين والأمويين والزبيريين، فكان منهجه يجمع بين منهج علم الأنساب ومنهج المؤرخين فى دراسة الشخصيات وعلاقتها بأحداث عصرها، وما يلاحظ عليه أن ينتقى مادته بعد تصفيتها ونقدها، ويحاول أن يعطى صورة محايدة ومتوازنة للأحداث، متجنبًا تقديم روايات متعددة للحدث الواحد.

كما ساهم فى تدعيم المصادر التاريخية كتاب (المعارف) لابن قتيبة، والذى استهله من بدء الخليقة، ثم تناول به أنساب العرب، ثم نسب النبى (صلى الله عليه وسلم) ثم أخبار الخلفاء الراشدين، وأخبار الصحابة فالتابعين، ثم ما تيسر له من أخبار العباسيين، ثم افرد بابًا للأشراف المشهورين، وأصحاب الرأى، وأصحاب الحديث، ورواة الشعر، والمعلمين، والمهاجرين، والأوائل، والمساجد، وجزيرة العرب، وبلدان الفتوح، وأهل العاهات، والمنسوبين إلى غير عشائرهم، كما ذكر قصص الأقوام التى سبقت الإسلام. هذا فضلًا عما اعتمده الباحث من كتب تاريخية لابد من الاستفادة منها مثل كتاب (الأخبار الطوال) لأبى حنيفة الدينورى (ت، ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) والذى جعله من بدء الخليقة فتابع فيه تاريخ الدولة العربية الإسلامية حتى وفاة المعتصم سنة (٢٢٧هـ/ ٩٠٤م)، وتاريخ المسعودى، على بن الحسين (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٧٥م) المعنون (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وقد اقتصرت الاستفادة من اليعقوبى والمسعودى على الشواهد الشعرية فى غالب الأحيان.

كما استعان الباحث بكاتبى (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير، على بن محمد الشيبانى (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، و(البداية والنهاية) لابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت، ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) وهما كتابان مرتبان حوليًا.

ثالثًا: التراجم

يقتضى البحث على وفق المنهج التاريخى أن يعرّف الباحث أو يشير إلى مصادر ترجمة الشخصيات التى يتطرق إليها فى بحثه، ولأن مساحة البحث زمنيًا امتدت فى التمهيد منذ عصر ما قبل الإسلام حتى بدء نشأة الدولة الأموية، ثم تواصل البحث حتى نهايتها وظهور الدولة العباسية سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) فإن الباحث استفاد فى هذا الجانب من الكتب التى عنيت بتراجم الصحابة والتابعين ومن تلاهم من شخصيات تاريخية كان لها أثرها فى الأحداث مثل كتاب (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد (ت، ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) وهو منظم على المدن والنسب، وتميز بالسعة والشمول والدقة، وكتاب (الثقات) لأبى حاتم محمد بن حبان البستى (ت، ٣٥٤

هـ/ ٩٦٥م) وهو مؤلف ضخم تناول فيه الثقات الذين يجوز الاحتجاج بأخبارهم. وقد صدره بأخبار النبى (صلى الله عليه وسلم) ومن بعده أوجز أخبار الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين، والخلفاء العباسيين حتى أيامه، ثم ذكر بعد ذلك على المعجم أسماء الصحابة ثم التابعين وأتباع التابعين وتبع أتباع التابعين إلى زمانه، وقد اختص بتراجم الصحابة ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله النمرى القرطبى (ت، ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) فى كتابه (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب)، وابن الأثير (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) فى كتابه (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) وابن حجر، أحمد بن على العسقلانى (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) فى كتابه (الإصابة فى تميز الصحابة وقد رتب هذه المؤلفات على حروف المعجم وأفردت أبوابًا خاصة بالكنى والنساء وغيرهم، وقد كان كتاب (تهذيب التهذيب) لابن حجر معنيًا بتراجم الرجال، وهو واسع ومرتب على حروف المعجم مختصر عن (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) للمزى، يوسف بن عبدالرحمن (ت، ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م).

أما تراجم الشخصيات العامة الأخرى، فقد استعان الباحث بمؤلفات الذهبى، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) مثل (سير أعلام النبلاء) والذى ضم تراجم الرجال المهمة، ثم كتابه (العبر فى خبر من غبر) والذى تناول فيه تراجم الرجال على وفق الترتيب الزمنى للأحداث، تم كتابه (ميزان الاعتدال فى نقد الرجال) الذى رتب على وفق حروف المعجم.

ومن تراجم الشخصيات العامة كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان، أحمد بن محمد أبى بكر (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وهو مرتب على حروف المعجم تناول فيه التراجم الرئيسة. فضلاً عن التراجم العارضة الأخرى، وهو يعد موسوعة مهمة فى بابه، لكن ترجماته تختص بالشخصيات المشهورة، بينما يبقى العبء الأكبر والجهد الأضخم هو فى تراجم الشخصيات غير المشهورة وأكمله بكتاب (فوات الوفيات) للكتبى، محمد بن شاكر (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

كما استعان الباحث بموسوعة كبيرة ومهمة تعد الفريدة فى نوعها هى كتاب (تاريخ دمشق الكبير) لابن عساكر (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) بطبعة حديثة تكونت

من (٧٣) جزءًا ورتبت على حروف المعجم مع إفراد أبواب خاصة للكنى والألقاب والنساء المجهولات، مضيفًا إلى ذلك مما استدل به من كتب الأنساب التى ذكرت بعض الشخصيات التى لم يترجم لها معاصروها مثل (جمرة النسب) لابن الكبى، هشام بن محمد (ت، ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) و(جمهرة أنساب العرب) لابن حزم الأندلسى، على بن أحمد بن سعيد (ت، ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م). وفى تراجم رجال الأندلس رأى الباحث الاستفادة من كتاب (بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس) للضبّى، أحمد بن يحيى بن عميرة (ت، ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) وهو مرتب على حروف المعجم.

وفى نطاق تراجم الأدباء تمت الاستفادة من تراجم الشعراء والأدباء التى تنير الطريق وتوضح الالتباس بين الشخصيات\، فاستفاد من كتاب (طبقات فحول الشعراء) لمحمد بن سلام الجمحى (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) وقام على تقسيم الشعراء إلى عدة طبقات هي: الجاهليون، وأصحاب المرائى، وشعراء القرى، الإسلاميون، وطبقات الرجّاز. وقد تأثر بهذا المنهج ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء)، واقتفى اثر هذين الكتابين وأكمل ما لم يعاصراه عبدالله بن المعتز (ت، ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) فى كتابه (طبقات الشعراء). استهدفت أيضًا من تراجم ونصوص الآمدى، الحسن بن بشر (ت، ٣٧٠هـ/ ٩٨١م) فى كتابه (المؤتلف والمختلف) والمرزبانى، محمد بن عمران (ت، ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) فى كتابه (معجم الشعراء) فقد قام الأول على ترتيب الشعراء على وفق ألقابهم لبيان ما ائتلف واختلف منهم، ابتدأ بمن اسمه عمرو وانتهى عند حرف الياء وأفرد بابًا لمن غلبت عليه كنيته والكتاب وصل إلينا ناقصًا، كما استعان الباحث بكتاب المرزبانى (الموشح) الذى يعد كتابًا نقديًا بالدرجة الأساس.

وقد أسهمت كتب تراجم الشعراء فى إنارة بعض جوانب البحث والتعريف بالشعراء مثل كتاب (سمط اللآلى فى شرح أمالي القالي) لأبى عبيد البكرى، عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسى (ت، ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) و(شرح شواهد المغني)

للسيوطى، عبدالرحمن بن أبى بكر (ت، ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، وكتاب ياقوت الحموى (ت، ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) المعروف بـ (معجم الأدباء) الذى يعد موسوعة مهمة فى تراجم المؤلفين والأدباء وهو مرتب على وفق حروف المعجم.

واستعان الباحث بالتراجم المتخصصة بالأسماء والأسر مثل كتاب (من اسمه عمرو من الشعراء فى الجاهلية والإسلام) لابن الجراح، محمد بن داود (ت، ٢٩٦ هـ/ ٩٠٨م)، وكتاب (المحمدون من الشعراء وأشعارهم) للقفطى، على بن يوسف (ت، ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) وهما كتابان واضحان فى اهتمامهما بأسماء من اسمه عمرو أو محمد، أما كتب الأسر فمنها كتاب (مقاتل الطالبيين) لأبى الفرج الأصفهانى، و(نسب قريش) للزبيرى، مصعب بن عبدالله (ت، ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، و(نسب قريش وأخبارها) لزبير بن بكار (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) وهى التى تخصصت بتراجم آل الزبير وأخبارهم.

وفى الترجمة للبلدان اعتمد الباحث اعتمادًا مباشرًا على كتاب (معجم البلدان) لياقوت وهو مرتب على وفق حروف المعجم، كما استعان بكتاب (معجم ما استعجم) لأبى عبيد البكرى، وفى التمهيد استفاد البحث من كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمدانى، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت، ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) وبكتاب (آثار البلاد وأخبار العباد) للقزوينى، زكريا بن محمد بن محمود (ت، ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م).

أما فى التعريف بالجماعات والفرق فقد جرت الاستفادة من كتب الفرق التى تتشابه فى ترتيب موضوعاتها وتقترب بما يجعل تعريف بعض الفرق من كتاب إلى آخر يكاد يكون واحدًا، فقد بدأت من ظهور الخوارج وما تلا ذلك من فرق وجماعات كل حسب طريقته فى التعريف، ومن ذلك ما طرحه الأشعرى، على بن إسماعيل (ت، ٣٣٠هـ/ ٨٣٤م) فى كتابه (مقالات الإسلاميين)، والبغدادى، عبدالقاهر: بن ظاهر (ت، ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) فى كتابيه:(الفرق بين الفِرق) و(المِلل والنِحل)، والشهرستانى، محمد بن عبدالكريم (ت، ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) فى كتابه (المِلل والنِحل).

هذا فضلًا عن المصادر الأخرى التى اعتمد البحث فى فصوله المتعددة هذه، وهى مصادر كثيرة ومتشعبة سدت فراغًا كبيرًا كان البحث بحاجة إليه فى أكثر من جانب، من حيث التاريخ واللغة ونقد الشعر.

أسلوب عرض البحث:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وخمسة فصول، كان الفصل الأول بعنوان الشعر والتاريخ) وهو دراسة تمهيدية عن علاقة الشعر بالتاريخ بدأت بتوطئة عن أهمية الشعر عند العرب وأثره فى التدوين التاريخى، نتيجة الاتصال الروحى بين الشعر والتاريخ لأن الشعر يسد ثغرات كثيرة فى دراسة التاريخ ويعمل على كشف الأسباب التى أثرت فى معارك التاريخ الكبرى، لذا كان الشاعر لسان حال قبيلته والمتحدث باسمها، فكان للشعر أثره فى تدوين الوقائع والأيام فى تدوين الأخبار والسير والأنساب وتحديد المواقع والأمكنة، إبراز القيم الاجتماعية والأعراف والمعتقدات، وتفسير القرآن الكريم وشرح الحديث النبوى الشريف وأحد شواهد اللغة والنحو... وغيرها.

واستعرض البحث هذا الأثر بصورة موجزة فى عصر ما قبل الإسلام ثم عصر الرسالة الإسلامية، ثم عصر الخلفاء الراشدين.

تناول الفصل الثانى العهد السفيانى (٤٠/ ٦٤هـ/ ٦٦٠-٦٨٣م) والذى تضمن أيام معاوية بن أبى سفيان بن حرب (٤٠-٦٠هـ/ ٦٦٠-٦٧٩م) وابنه يزيد بن معاوية بن أبى سفيان (٦٠-٦٤هـ/ ٦٧٩-٦٨٣م)، ثم أيام معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤هـ/ ٦٨٣م) وهو عهد خصب ومشحون بالصِّراعات والأحداث الكثيرة وفيه بدا أثر الشعر واضحًا فى تدوين الأحداث، وفيه اتخذ الباحث سياقًا ظل ثابتًا هو عرض الحدث التاريخى بالتاريخين الهجرى وما يقابله بالتاريخ الميلادى وذلك بالتاريخ الميلادى وذلك بالاعتماد على تاريخ خليفة بن خياط وتاريخ الطبرى يساعدهما فى ذلك كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذرى وكتاب (المعارف) لابن قتيبة وكتاب (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير... وغيرهم.

بينما تناول الفصل الثالث عهد كل من مروان بن الحكم بن أبى العاص (٦٤-٦٥/ ٦٨٣-٦٨٤م)، وابنه عبدالملك بن مروان بن الحكم (٦٥/ ٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م)، والذى استقر الرأى أن يكون بعنوان (المروانيون المتقدمون) لأنه تناول انتقال السلطة من بنى سفيان إلى آل مروان فاستقر فى أيديهم، واستطاعوا القضاء على خصومهم فى كل الأمصار، وقد شهدت أحداثه تصاعدًا كبيرًا كان فيها الشعراء يواكبون الأحداث ويسهمون فيها إسهامًا مباشرًا، كما كان عبدالملك بن مروان يولى اهتمامًا خاصًا للشعر والشعراء ويرى فيهما وسيلة إعلامية مهمة.

أما الفصل الرابع فكان بعنوان (المروانيون المتوسطون) شمل الحقبة الزمنية (٨٦-١٠٥هـ/ ٧٠٥/ ٧٢٣م) وهو يتناول أيام الوليد بن عبدالملك بن مروان (٨٦-٩٩هـ/ ٧٠٥-٧١٤م)، وأخيه سليمان بن عبدالملك بن مروان (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٤-٧١٧م)، وابن عمهما عمر بن عبدالعزيز بن مروان (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م) وقد شهد متغيرًا مهمًا هو تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة ومحاولته إصلاح مؤسسات الدولة، ولكن مدة حكمه القصيرة حالت دون ذلك، وقد وثق الشعر هذه الأحداث ووصفها بوضوح فعبر عن أثر الشعر فيها بما ينسجم مع منطلقات البحث ونتائجه. وجاء بعده يزيد بن عبدالملك بن مروان (١٠١-١٠٥هـ/ ٧١٩-٧٢٣م) وفى عهده بدأ الضعف يسرى فى جسد الدولة واستعرت الصراعات القبلية.

أما الفصل الخامس والأخير فهو بعنوان (المروانيون المتأخرون) وشمل الحقبة التاريخية الأخيرة من آل مروان والتى امتدت من (١٠٥-١٣٢هـ/ ٧٢٣-٧٤٩م) وبنهايته كان أفول الدولة الأموية وظهور الدولة العباسية، وتناول البحث فيه عهد هشام بن عبدالملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م) آخر من تولى الخلافة من أبناء عبدالملك ثم انتقلت فيما بعد على حفيديه: الوليد بن يزيد بن عبدالملك (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٢-٧٤٣م)، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)، ثم انقَلَتْ بعد صراع دامٍ بين أبناء هذه الأسرة إلى يد مروان بن محمد بن مروان (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٤-٧٤٩م) وقد كان الشعراء وبالذات شعراء

خراسان يوثقون الأحداث بوصفهم شهودها وفرسانها، لهذا أعطى الشعر صورة واضحة عن الصراع المستديم بين سكان البلاد من السغد وبين العرب الفاتحين تجلت أبرز ملامحها فى تثبيت الوقائع والأماكن والشخصيات بما يجعل الشعور الإنسانى متواصلًا مع مواطن الصراع وأبعاده وخفاياه.

الفصل الأول

الشعر والتاريخ

دراسة تمهيدية

توطئة

لم تكن علاقة العرب بالشعر وليدة ظرفها الآتي؛ وإنما كانت علاقة كانت علاقة عميقة الصلات موغلة الجذور، فهو مادة معرفتهم وموطن علمهم، وتراث آبائهم وموئل سحرهم، وموضع حديثهم، به يتفاخرون، ومن خلاله يتحاورون ويتميزون ويتصدرون، فكان للشاعر عندهم منزلة رفيعة يسمو بها على غيره، لأن الشعر دليل التعبير عن الحسن الدافق والنبوغ المعرفى، فهو يؤنس الوحشة ويهذب الذوق ويثرى اللغة، ويعمق المدارك.

أما تعريفه، فهو: "كلام منظوم، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية"[(١)]. وقيل هو: "كلام موزون مقفى دال على معنى ويكون أكثر من بيت"[(٢)]. والدلالة على معنى عنى التعبير عن فهم جلى للحياة وتهذيب لجانب من جوانبها، فقد جاء فى الحديث: إن من الشعر لحكمة، وقيل حكمًا"[(٣)]. أي: "قولاً صادقًا مطابقًا للحق.. فالمعنى أن من الشعر كلامًا نافعًا يمنع السّفه"[(٤)]. فكان موعظة وعبرة تؤثران فى

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت، ٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، الجزء الثاني (دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٠م)، ٢٣٢ (شعر).

(٢) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس (ت، ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م): الصاحبي في فقه اللغة وسنن في كلامها، حققه وقدم له: مصطفى الشويمي. (مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م)، ٢٧٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): صحيح البخاري، الجزء الثامن (عالم الكتب، بيروت، د.ـ)، ٦٣؛ ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت، ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م): سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الجزء الثاني (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تأريخ)، ١٢٣٦.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): فتح الباري بشرح البخاري، الجزء ١٣ (مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٥٩م)، ١٥٦.

الحياة الاجتماعية ومادة ثقافية تنير الأحداث وتكشف عن خفايا الأشياء، فتشكل موقفًا تقترن به الفصاحة بالقوة[1]. فقد كان "الشعر ديوان العرب"[2]. لأن "به حفظت الأنساب وعرفت المآثر، ومنه تُعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله -جل شأنه- وغريب حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحديث صحابته والتابعين"[3]. فقد كانت العرب لا تعرف "أنسابها وتواريخها وأيامها ووقائعها، إلا من جملة أشعارها"[4] التى توثق بها أخبارها، لأن الشعر لدى العرب كان "ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون"[5]. وكان ابن عباس رضى الله عنه (ت، ٦٨هـ/ ٦٨٧م) يقول: "إذ قرأتم شيئًا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب؛ فإن الشعر ديوان العرب"[6]. والديوان فى اللغة: مجتمع الصحف، وهو الدفتر الذى يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء[7]. فالشعر بالتالى تاريخ وصحيفة توثق الأيام والأنساب واللغة والأحداث، لذا كانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر هنأتها القبائل لأن الشاعر يحمى

---

(١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت، نحو ٤٩٥هـ/ ١٠٠٤م): كتاب الصناعتين (طبعة مصر، القاهرة، ١٣٢٠هـ)، ١٠٤.

(٢) الجرهمي، عبيد بن شرية (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م): أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها، ملحق بكتاب التيجان (مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ)، ٣٦٦؛ الدنيوري، أحمد بن داود (ت، ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥م): الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م)، ٣٣٠.

(٣) ابن فارس: الصاحبي، ٢٧٥؛ السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت، ٩١١هـ/ ١٥٠٥م): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوي، الجزء الثاني (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م)، ٤٧٠.

(٤) ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني (ت، ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، الجزء الأول (دار الجيل، القاهرة، الطبعة لرابعة، ١٩٧٢ م)، ٢٧.

(٥) ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م): طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شارك، السفر الأول (مطبعة المدني، القاهرة، دون تأريخ)، ٢٤.

(٦) ابن رشيق: العمدة ١/ ٣.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، ١/ ١٠٣٩ (دون).

أعراضهم، ويذنب عن أحسابهم، ويخلد مآثرهم، ويشيد بذكرهم[1]. هذا فضلاً عن كون الشعر يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهوّل على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم[2]. فكان الشعر يخلد أبطالهم وأخبارهم، ومدار حديث نواديهم وشاهد صوابهم وخطئهم والأصل الذى يرجعون إليه فى الكثير من علومهم وحكمهم وأفكارهم[3].

ومما يروى عن حكيم بن معية، أنه أقبل مع بنى سليط ودون الموقف، أى وثقه شعرًا فقال:

لا يَتَّقــى حُــولا ولا حَــوامِلا   يَـترِكُ أَصـفَانَ الخِـصَىَ جلاجِـلا[4]

لقد صار الشعر أساسًا فى توثيق الأحداث التاريخية وحفظها وعدم نسيانها لأنه يثير فى السامع أو القارئ لذة المتابعة والمعايشة لتلك الأحداث، وبذلك برز الاعتماد على الشعر عند المدونين الأوائل فى تاريخ العرب والمسلمين الذين بدأوا بتدوين مختلف العلوم التى شعروا بضرورة تدوينها كالتفسير والحديث النبوى والمغازى والسير والأخبار، لأنه مورد من الموارد التى تساعد المؤرخ فى الوقوف على تاريخ العرب والاطلاع على أحوالها[5]. فهو العلم الذى "اختلت به عن سائر

(١) ابن رشيق: العمدة، ١/ ٦٥.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت، ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م*): البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الجزء الأول (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، ٢٤١.

(٣) القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب (ت، القرن الرابع الهجري/ القرن العاشر الميلادي): جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي، القسم الأول (دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة مطبعة لجنة البيان العبي، الطبعة الأولى، القاهرة، دون تأريخ)، ٢٩؛ ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد (ت، ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): المقدمة (دار القلم، بيروت، دون تأريخ)، ٤٧٣.

(٤) أحد بني المجر من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة: ينظر الترجمة والخبر: أبو عبيدة، معمر بن مثنى التيمي (ت، ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م): نقائض جرير والفرزدق، تحقيق د. أ شلي بيفان، الجزء الأول (مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٥م)، ٦، ٩.

(٥) علي، جواد: المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول (دار لعلم للملايين، مكتبة النهضة|، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م)، ٦٧.

الأمم"[1]، فجعلوه مصدرًا من مصادرهم وإلى ذلك يشير التنوخى فيقول: "واعتقدت إثبات كل ما أسمعه من هذا الجنس وتلميعه بها يحث على قراءته من شعر المتأخرين من المحدثين، أو مُجيد من الكتاب والمتأدبين"[2]. فأدى إلى حفظ الكثير من الأخبار والأحداث لأن تداوله وحفظه يعنى حفظ وتداول الأخبار المتعلقة بذلك الحدث وهو ما كون مادةً أساسية لدى الإخباريين أسهمت فى تدوين الأحداث وتبويبها، فاندفع المؤرخون نحو الإكثار من الاستشهاد بالشعر والاعتماد عليه بوصفه جزءًا مهمًا فى منهج كتابة التاريخ، وإن دراسته أفادت فى كشف الأبعاد الحقيقية للكثير من المواقف والأسرار المتصلة بحياة الناس.

وعندما وفد عبيد بن شرية الجرهمي[3] على معاوية بن أبى سفيان ت، ٦٠هـ/ ٦٩٧م) وهو خليفة فى دمشق "فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس فى البلاد وكان استحضره من صنعاء اليمن فأجابه بها أمر به معاوية أن يدون وينسب إلى عبيد بن شرية"[4] فكانت الأيام وأخبارها مادة من مواد المؤرخ العربى فى حفظ الأحداث التاريخية المتعلقة بها حتى جرى تدوين التاريخ وحساب السنين، فكان التاريخ السجل الحافل بما هو خاص وعام، وكان المؤرخ يبحث باستمرار عما يديم الصلة الحية بالوقائع عبر الصورة النقية، والكلمة العَذبة، والفِكرة الصادقة لغرض استنباط الحقيقة والوقوف على

---

(١) الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت، ٤٢٩ﻫ/ ١٠٣٧م): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الجزء الأول (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الألوى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ٣٠.

(٢) التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت، ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م): نشوار المحاشرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، الجزء الأول (بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ١٠.

(٣) عبيد بن شرية الجرهمي، إخباري (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) له كتاب (الأمثال)، وكتاب (الملوك، وأخبار الماضين). ينظر ترجمته: ابن النديم، محمد بن إسحق (ت، نحو ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م): الفهرست (المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، دون تأريخ)، ١٣٨؛ ياقوت، شهاب الدين بن عبدالله الحموي الرومي (ت، ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم الأدباء، نشر مير جليوث، الجزء ١٢ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تأريخ)، ٧٢-٧٨.

(٤) ابن النديم: الفهرست، ١٣٨؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٢/ ٧٨.

صحة الواقعة ومجرى الأحداث المهمة مع البحث عن الجوانب الثانوية التى تعوّض الباحث عن الوثيقة، فقد كان عبيد بن شرية الجرهمى يقول: "إن الشعر ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها والحاكم بينهم"(١) فى عصر ما قبل الإسلام، فأشار إلى الإسلام، وأشار إلى تاريخ عاد مستعينًا بالشعر فى قول الشاعر:

عَجِبتُ لعادٍ وأمثالِها تُحاوِلُ العِزَّ والمُكرَماتِ(٢)

كما غدت كتابات وهب بن منبه(٣) (ت، نحو ١١٦هـ/ ٧٣٤م) أكثر ميلاً للاتجاه الإخبارى فى التدوين التاريخي(٤)، الذى يدعم المورد الشعرى بوصفه شاهدًا يؤكد حقيقة الخبر ويوثق الأحداث التاريخية، ويحقق صحة الوقائع والأيام(٥)، فقد سأل الحجاج بن يوسف الثقفي(٦) (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م) أعرابيًا "فقال: فهل تروى الشعر؟ قال إنى لأروى المثل والشواهد، قال: المثل قد عرفناه فما الشاهد؟ قال: اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشعر، فإنى أروى ذلك الشاهد"(٧).

---

(١) الجرهمي: أخبار اليمن، ٣٦٦.

(٢) نفسه.

(٣) أبو عبدالله وهب بن منبه اليماني، صاحب الأخبار والقصص (ت، نحو ١١٦هـ/ ٧٣٤م)، ترجمته: ياقوت: معجم الأدباء، ١٩/ ١٢٨٢م): ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس الجزء السادس (دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ٣٥-٣٦.

(٤) حمادي، عبدالخضر جاسم: الحركة الفكرية في القرن الأول الهجري،| دراسة في بدء التدوين، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية (بغداد، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ١١١.

(٥) ينظر: الطبري، محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ/ ١٩٢٣م): تأريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الأول (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨)، ٣٧٨-٣٧٩. في استشهاده بشعر جرير في انتقال الملك عند الفرس من (أفريدون) إلى (منوشهر) وأن الفرس تنكر هذا النسب، ولا تعرف لها ملكا إلا في أولاد (أفريدون) ولا تقر بالملك لغيرهم.

(٦) أبو محمد، الحجاج بن يوسف الثقفي (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م). ترجمته: الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨+ـ/ ١٣٤٧م): ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، الجزء الأول (دار الفكر، بيروت، دون تأريخ)، ٤٦٦؛ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨ م): تهذيب التهذيب، الجزء الثاني (دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ٢١٠.

(٧) المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ضبطه يوسف أسعد داغر، الجزء الثالث (دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥م)، ١٣٦.

لذا وجد المؤرخون فى الشعر أهمية خاصة فى تدوين الأحداث ومادة فى الاستشهاد وركيزة من ركائز الاعتماد فى توثيق الأخبار[١]، كما رووا شعرًا يصف البلدان بلدًا بلدًا وواديًا واديًا وجبلاً جبلاً، فأحسنوا إحصاءها وجودوا وصفها فى الشعر[٢].

من هنا يمكن ملاحظة الصلة العميقة بين الشعر والتاريخ التى منحت التاريخ إمكانيات عديدة فى الاستفادة من خصائص الشعر، ومنها:

الاتصال الروحى بين الشعر والتاريخ، لأنهما ينطلقان من بؤرة معرفية واحدة، حتى أن أحد الباحثين الغربيين وصف الشعر بأنه "تاريخ مخلق"[٣] بينما رأى باحث غربى آخر استمرار وجود هذه الصلة بقوله: "لا يزال التاريخ بالنسبة لى شعرًا على حدٍّ كبير"[٤]، فقد استعان المؤرخ بالشعر فى فهم الأحداث التاريخية، فكان الشعر وثيقة يعود إليها فى توكيد الخبر ووقع الحدث[٥].

يسد الشعر ثغرات كبيرة فى دراسة التاريخ، لأنه دليل من أدلة تقوية الأخبار وتعميق المضامين بما يسهم فى كشف الجوانب الخفية من الأحداث وما واكبها من أخبار، لأن الشاعر بطبيعته ينظر إلى الحدث نظرةً فاحصةً بما ييسر للباحث فى أن يجعل الشعر وثيقة تاريخية، ومصدرًا من مصادر دراسة التاريخ[٦]. فقد عمل الشعر

---

(١) القيسي، نوري حمودي: الشعر والتاريخ (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ٣.

(٢) الهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت، ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م): صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع (مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ٣٣٣-٣٣٧.

(٣) روزنثال، فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة د. صالح أحمد العي، مراجعة د. محمد توفيق حسين (مكتبة المثنى ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بغداد – نيويورك، ١٩٦٣م)، ٢٤٥.

(٤) نف، إيمري: المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق اسكندر، مراجعة محمد شفيق غربال (مكتبة الأنجلو المصرية مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، ١٩٦١م)، ٢١٨.

(٥) القيسي: الشعر والتاريخ، ٤٠.

(٦) الطرفي، محمد حسين جاسب: دور الشعر في تدوين الأحداث التاريخية خلال القرن الثاني الهجري، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، قسم التراث الفكري (بغداد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٤٧.

على كشفِ الأسباب والمسببات حين صاحبَ معاركَ التاريخ الكبرى، ووفر للباحث مادةً غنيةً بالمعلومات، فكان الشعر المصدر الرئيس الذى حفظ به العرب الكثير من المعلومات المختزنة[١]. فوفر للباحثين رؤية شاملة ومتعددة الأطراف منحت المنهج التاريخى رافدًا إضافيًا شارك فى إنضاج المظاهر الحضارية للبحث التاريخى[٢].

يعد الشاعر لسان قبيلته والمتحدث باسمها، فإذا قال شعرًا تناقله أفرادها وأشاعوه، وخاصة عندما يتعلق هذا الشعر بالصراع مع القبائل الأخرى، فأصبح الشعر وسيلة لحفظ الوقائع والأيام والحروب، لما يثيره فى نفوس الشعراء من فخر وانتصار واعتزاز[٣]، فكان الشعر مصدرًا من مصادر تاريخ أيام العرب حتى غدت النقائض وثيقةً تاريخية مهمة فى فهم الكثير من الأيام على مدى التاريخ العربي[٤]. ذلك لأن الروايات القبلية كانت تتداول شفاهًا وبصورة نثرية، فأدى الشعر دورًا أساسيًا فى إيصالها وخصوصًا إذا كان الشاعر قد شارك فى الأحداث بما يعطيها حيوية وتأثيرًا بحيث أصبح الشعر بمرور الزمن الوثيقة التى تعزز صحة القصة، أو صحة الواقعة التاريخية، فقد تسابقت القبائل فى حفظ أيامها وأشعارها فحفظت تاريخًا حافلاً بالأحداث.

أثرَّ الشعر تأثيرًا واضحًا فى تدوين الأخبار والسير، وانتشار رواية القصص والوقائع فحفلت كتب التاريخ بالأشعار الكثيرة التى كانت شاهدًا حيًا له أهميته فى توثيق الأحداث، فقد شجع معاوية بن أبى سفيان (ت، ٦٠هـ/ ٦٩٧م) على تدوين سيرة تُبعَّ وأشعاره[٥]، بما يجعل الشعر دليلاً على صدق ما يروى، فهو كالشاهد

---

(١) حسين، عبدالله محمود: تدوين الحروب في الشعر الجاهلي (منشورات مكتبة النهضة، مطابع دار التضامن، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ٣٩-٤٠.

(٢) القيسي: الشعر والتاريخ، ١٦.

(٣) ضيف، شوقي: العسر الإسلامي (دار المعارف بمصر، ١٩٦٣م)، ٢٤٥.

(٤) الدوري، عبدالعزيز: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م)، ١٠٦.

(٥) ينظر الأصفهاني، علبي بن الحسين (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م): الأغاني، الجزء ١٨ (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ١٨٢؛ ياقوت: معجم الأدباء، ١٢/ ٧٨.

الذى يوضح الحدث ويفسر ما غمض منه. لذا صارت الكتابة فى الأحداث التاريخية بما فيها سيرة النبى صلى الله عليه وسلم، ومغازيه تعتمد على الشعر فى توثيق رواياتها والدليل على ذلك ما جاء عند ابن إسحاق (ت، ١٥١هـ/ ٧٦٨م) فى كتابه (السيرة) وعلى ما بذله ابن هشام (ت، ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) فى تهذيب هذا الكتاب وحذف الكثير من الشعر الذى ورد فى كتاب ابن إسحاق، إلا أن سيرة ابن هشام لا زالت تحوى الكثير من الشعر[١].

مما لا ريب فيه أن معرفة الأنساب صارت موردًا من موارد معرفة تاريخ العرب، طيلة قرنين من ظهور الإسلام[٢]، والتى توارثت تلك المعارف عن طريق الشعر، خاصة شعر النقائض، وفى الروايات العائلية والقبلية، وفى سجلات دواوين الجند[٣]. وقد أسهم الشعر بشكل خاص فى تدوين وحفظ الأنساب، فأسهم بذلك فى حفظ الأحداث التاريخية التى وثقها الشعر والتى تعاون النسَّابون والمؤرخون على حفظها والاهتمام برواياتها[٤]؛ لذا كثرت الإشارات - فى الشعر - إلى النسب فى القبائل، وإلى قحطان وعدنان[٥]، فكتاب (الإكليل) حافل بالإشارات الشعرية إلى الأنساب، كما فى توثيقه لنسب عبدشمس بن يشجب:

---

(١) ينظر على سبيل المثال ابن إسحق، محمد بن إسحق المطلبي (ت، ١٥١هـ/ ٧٣٣م): السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار (دار الفكر، بيروت، دون تاريخ)، ٦٢-٦٤، ٣١١، ٣٢٠-٣٢٢؛ ابن هشام، عبدالملك بن هشام المعافري (ت، ٢١٣هـ/ ٨٢٨م): السيرة، تقديم وتعليق وضبط طه عبدالرؤوف سعد، الجزء الأول (دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م)، ٢٤٠، ٢٨٨، ٢/ ٦٦، ١٨١، ٣/ ٦٣، ١٥٦-١٦١، ٤/ ٤٥، ١٠٨.

(٢) حمادي: الحركة الفكرية، ١١٨.

(٣) الدوري: بحث، ٤٠.

(٤) ينظر على سبيل المثال ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت، ٢٠٤هـ/ ٨١٩م): جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن (عالم الكتب، مكتبة النهضة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ٤٨، ١٩٠، ٢٠٧، ٣٧٠، ٥١٣، ٩٥٤؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٧٤؛ ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الندلسي (ت، ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٢م)، ٨٢، ١٧٢، ٢٩٦.

(٥) الدوري، عبدالعزيز: التكوين التاريخي للأمة العربية (مركز دراسات الوحدة العربية، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م)، ٥٠.

وأبينا عبدُ شمسٍ وابنُه زَرعةَ القيلِ وذى التاج قَطَن[1]

وقد تضمن كتب الأنساب شعرًا يوثق بعض الأنساب مما أسهم فى توثيقها وحفظها، وهو الذى شجع القبائل على جعل الشعر سجلاً لوقائعها[2]، ومفاخرها ومآثرها القبلية وهو يتضمن إشارات واضحة إلى أنساب بعض القبائل والبطون.

وللشعر المدون فى المصادر التاريخية دور كبير فى تحديد مواقع العرب وغيرهم وتسميتها ورسم معالمها وطبيعة ظروفها المناخية والاقتصادية، ومن الشعر فهم الجغرافيون جوانب كثيرة من علمهم والتى أودعوها فى بطون مؤلفاتهم، ومنهم الهمداني[3]، وياقوت[4]، والقزويني[5]... وغيرهم. فصور الشعر مواقع الرب وواقع حياتهم من خلال تصوير الأمكنة وتعرض لتصوير المحسوسات المحيطة بالإنسان وبالذات بيئته التى هى وعاء ينبثق من داخله مجتمع استطاع أن يكون حضارة عريقة وينشئ مجتمعًا قويًا استنهض كل جوانب الحياة واستثمرها، فلولا هذه البيئة لما ولد مجتمع عربى إسلامى كان له مكانته ووجوده وتأثيره.

أبرز الشعر القيم الاجتماعية والأعراف والمعتقدات التى كانت سائدة فى المجتمع العربى، فوثقها وعمل على إيصالها على الأجيال اللاحقة، فكان صورة صادقة لأحاسيس السواد الأعظم، بما يكشف عن اللقاء الإنسانى

---

(١) الهمداني، الحسن بن علي بن يعقوب (ت، ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م): الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الجزء الثاني (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م)، ٥٥.

(٢) ينظر: النص، إحسان: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموري (دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م)، ٥٤٤؛ مصطفى، شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون، الجزء الأول (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م)، ١٠٤.

(٣) الهمداني: الإكليل، ٨/ ١٠، ٤٤، ٥٩؛ صفة، ٣٢٤-٤٠٤.

(٤) ياقوت، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت، ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، الجزء الأول (دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ)، ٥٠، ١٣٠، ٢٠٦، ٢/ ٤١، ١٩٥، ٣٢٠، ٣/ ٦٢، ١٥٦، ٢٥١، ٣٣٥، ٤٥٦، ٤/ ١٣٣، ٢٤٣، ٣١٥، ٤٠٨، ٥/ ٦٧، ١٢٥، ٢١١، ٣٣٤، ٤٤١.

(٥) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت، ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م): آثار البلاد وأخبار العباد (دار صادر، بيروت، دون تاريخ)، ٥١، ٩٩، ١٣٤، ٢٠٣/ ٤٨٥، ٥٦٢.

والوجدانى بين الشاعر وقبيلته أو مجتمعه، فعرض الشعر بذلك حياة العامة مثلما عرض حياة الخاصة[1].

لقد عكس الشعر واقع الأحداث الإنسانية وما فيها من مضامين فكرية وشعور إنسانى وطبائع اجتماعية ومعتقدات دينية، وقيم أخلاقية تكشف عن كيفية التعامل بين الإنسان وبيئته ومجتمعه، كما عكس نتائج هذه الاتجاهات وإفرازاتها العقائدية والسياسية والاقتصادية، وفى كل ذلك دلالة على وجود ترابط وثيق بين الشعر والتاريخ، فهما رفيقان فى درب واحد.

أسهم الشعر فى تفسير ما غمض من آيات القرآن الكريم، بوصفه حامل ثقافة العرب، ومعجم ألفاظها، والمعبر عن مشاعرها وحواسها حتى أن ابن عباس قال: "إذا قرأتم من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب"[2]، كما أسهم فى تفسير غريب القرآن الكريم[3] وغريب الحديث[4] النبوى

---

(١) ينظر على سبيل المثال عبيد بن الأبرص (ت، نحو ٥٥٥م): الديوان، تحقيق: تشارلس ليال (دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ٢٦، ٣١، ٤١، ١٣٨، ١٤١؛ أمية بن أبي الصلت (ت، نحو ٩هـ/ ٦٣٠م): حياته وشعره، دراسة وتحقيق: بهجة عبد الغفور الحديثي (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٩١م)، ٥٠، ٩١، ٩٥، ١٥٧، ١٨٤/ ٢١٤، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٩٠، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢١؛ الحوفي، محمد أحمد: الحياة العربية في الشعر الجاهلي (دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٧٢م)، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٧٦، ٢٩٩، ٣٠٨، ٣٢٢، ٣٣٩، ٣٧٠، ٤٣٤.

(٢) ابن رشيق: العمدة، ١/ ٣.

(٣) ينظر على سبيل المثال في تفسير القرآن الكريم: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ/ ٩٢٣م): جامع البيان في تفسير القرآن، الجزء السابع (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م)، ١٥١، ٨/ ٣٤، ١٠/ ٩٣، ١٥٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت، ٧٤٤هـ/ ١٣٧٢م): تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م)، ٣٧، ٤٠، ١٣٦، ٢٧٣، ٤٣١، ٤/ ٢٦، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٧٤، ٢٧٧، ٣٠٤، ٤٤١.

(٤) ينظر على سبيل المثال في شرح غريب الحديث النبوي الشريف: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٩٩م): غريب الحديث، تحقيق: د. عبدالله الجبوري، الجزء الأول (وزارة الأوقاف – إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ذ٩٧٧م)، ٣٠٤، ٤٣٢، ٤٩٠، ٢/ ٦١، ١٧، ٥١٦.

الشريف، فكان الشعر مادة لغوية ثرية قادرة على كشف الكثير من غوامض النصوص بيان أصولها الواقعية الضاربة فى أعماق التراث العربى وتاريخ العرب قبل الإسلام.

عصر ما قبل الإسلام:

اهتم العرب فى رواية الشعر وتداوله لأنه يعبر عن إحساسهم ويصور أحداثهم ويرسم لهم المعانى التى يرنون إليها، فهو سجلهم الذى حفظ مآثرهم وأيامهم وما كانوا لهم فيه من عادات وتقاليد وما سَموا إليه من معتقدات روحية ومعانى إنسانية، ومما لا شك أن الاهتمام لدى العرب قد ارتبط ارتباطًا وثيقًا مع تاريخهم الطويل.

وبالإمكان القول أن توجه العرب إلى الشعر إنما هو مرتبط مع بدء تكوينهم الحضارى، ولا نتفق كثيرًا من تحديد زمن معلوم لمثل هذا التوجه الذى يحاول أن يضع تاريخًا تقريبيًا لبداية الشعر كقول الجاحظ: "وإذا استظهرنا الشعر، وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام"[1] لأن القرنين من الزمن التى سبقت ظهور الإسلام لا يمكن أن تكون بداية للشعر عند العرب، إلا إذا قصد من ذلك الشعر الموثوق المعبر عن الحدث وطبيعة الحياة وهذا ما نميل إليه فى تأويل ما ذهب إليه الجاحظ فى هذا النص.

وثمة حرص واضح عند العرب لحفظ الشعر لما فيه من معلومات تخص تاريخهم وما وقع فيه من أحداث، وساعدهم على ذلك سلامة الذاكرة وسرعة الحفظ بحيث أنه كان لا يدخل شيئًا إلى مسامع الفرد العربى إلا حفظه، واستمرت هذه الخاصية حتى بعد ظهور الإسلام، فلا نقرأ قصة من قصص أيام العرب، إلا ونجد فيها شعرًا ينسب إلى أحد الأبطال الذين ساهموا فيها، أو شعرا يذكر فيه قائله قومه أو

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت، ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): الحيوان، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون الجزء الأول (شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م)، ٧٤.

خصومهم، فكان أن حفظ الشعر تلك الأيام فى ذاكرة الأجيال، ثم أقدم المدون فدونها، فوصلت إلى أيام التدوين[(١)] وتناقلتها كتب ومؤلفات اللاَّحقين بعده، فظل الشعر أداة للتوثيق، وبقيت قوة الكلمة مواكبة لقوة الاندفاع من أجل تسجيل المجد القبلي[(٢)] ولذلك أرَّخت كل قبيلة بيوم مشهود من أيامها المشهورة فى حروبها[(٣)].

زعم "الإخباريون أن نوحًا عليه السلام خرج من السفينة يوم عاشوراء، واحتجوا بأشعار المتقدمين فى هذه القصص"[(٤)]. كما فى قول الشاعر أمية بن أبي[(٥)] الصلت:

وقـد تُـدرِك الإنـسانَ رحمـةُ ربِّـه ... ولـو كـانَ تحتَ الأرضِ سبعينَ واديا
تَعـال وتُدركـهُ مـن اللهِ رَحمَـةٌ ... ويُـضحى ثَـناه فـى الـبريّةِ زاكـيا
كـرَحمةِ نُـوحٍ يَـومَ حَـلَّ بـسبعةٍ ... لَمهـبطِهِ كانـوا جَمـيعًا ثمانـيا
فلمـا اسـتنارَ اللهُ تـنور أرضـه ... ففـارَ وكانَ الماءُ فى الأرضِ سَاجيا[(٦)]

وقال فى قصيدة أخرى:

فـسارت بهـم آيّامهـا ثـمَّ سبعةً ... وسـتٌّ لَـيالِ دائـبات غواطـيا[(٧)]

---

(١) علي: المفصل، ٩/ ٦٦.

(٢) القيسي، نوري حمودي: البطل في التراث (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م)، ٣٧.

(٣) المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): التنبيه والإشراف (دار التراث، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ١٧٤.

(٤) ينظر المقدسي، المطهر بن طاهر (ت، ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م): البدء والتاريخ المنسوب لأبي زيد البلخي، شرح كلمان هوار، الجزء الثالث مطبعة برطوند، شارلون – باريس، ١٩٠٣م)، ٢٤.

(٥) من شعراء ثقيف بالطائف أدرك الإسلام ولم يسلم، شعره له علاقة بالقصائد والديانات (ت، نحو ٩هـ/ ٦٣٠م). ترجمته: المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (ت، ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م): الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي (دار نهضة مصر، مطبعة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٥م)، ١١٢؛ البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز الأندلسي: سمط الآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق عبدالعزيز الميمني، الجزء الأول (م\طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٦٣م)، ٣٦٢.

(٦) شعره، ٣١٧-٣١٨.

(٧) نفسه، ٣١٩. ينظر أيضًا، ٣١٢.

لقد عرض الشعر أحداث التاريخ البعيدة فى الزمن، ومنها الطوفان، ولذلك استعان المؤرخون بالشعر لتوثيق الأحداث، ومنها الواردة فى الكتب الدينية كالقرآن الكريم، ومن هؤلاء أمية بن أبى الصلت الذى كان على جانب كبير من المعرفة الدينية ورغب عن عبادة الأصنام وكان يحكى قصص الأنبياء(1)، لذا قال عنه النبى (صلى الله عليه وسلم): "فلقد كان يسلم فى شعره"(2) واستشهد الطبرى بشعره عندما بيَّن السبب الذى من أجلهِ أمر نبى الله إبراهيم "عليه السلام" بذبح ابنه، وأن ذلك كان من نذر إبراهيم كان قد نذره، فأمره الله بالوفاء به(3)، وفى ذلك يقول أمية:

ولإبــــراهيم المُوفـــــى بالــــنذ ... رِ احتـــسابًا واحمِـــل الأجـــزالِ
بِكـــرهُ لم يكـــن ليـــصبرَ عـــنه ... أو يـــراه فـــى معـــشرٍ أقـــتالِ
أبنـــى إنّـــى نـــذرتُك للّــــهِ ... شَـحيطًا فاصبرْ فـدى لـك حَالِـي
فأجَـــابَ الغـــلامُ أن قـــال فـــيه ... كـــلُّ شـــيء للهِ غـــيرُ انـــتحالِ
أبتـــى إنّنـــى جَـــزيتُك بـــاللّـ ... ـــهِ تَقـــيًا بـــهِ علـــى كـــلِّ حـــالِ
فـــاقْضِ مـــا قَـــد نَـــذرت للهِ وأكْفُـــفْ ... عـــن دَمِـــى أنْ يَمـــسه ســـربالِي
واشْـدُدْ الـصَّفْدَ لا أحـيدُ عَـن السِّكِين ... حَـــيدَ الأســـيرِ ذِى الأغَـــلالِ(4)

فقـد سـرد الشـاعـر حـادثةَ الذبح سردًا يعبر عن نضجِ رواية هذه الحكاية وكثرة تداولها، وعلى تمكن الشـاعر فى ترتيبها لاطلاعه على مصادر دينية قديمة

(1) ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): الشعر والشعراء، تحقيق محمد يوسف نجم وإحسان عباس، القسم الأول (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م)، ٣٦٩.

(2) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت، ٢٦١هـ/ ٨٧٤م): صحيح مسلم، الجزء الثاني (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ٣٨٥.

(3) الطبري: تاريخ، ١/ ٢٧٧.:

(4) شعره، ٢٥١-٢٥٢: الطبري: تاريخ، ١/ ٢٧٨ مع شيء من الاختلافات.

استطاع المؤرخ الاستفادة منها فى بحث هذا الحدث التاريخى والدينى بحثًا معززًا بالشعر.

كان يوم (جَبلة) قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة قبل مولد النبى، صلى الله عليه وسلم، بسبع عشرة سنة[1]. وفى ذلك يقول حليف بنى نمير بن عامر، وهو المعقر بن أوس بن حمار البارقى:

أَمِنْ آلِ شَعثاءَ الحجولِ البواكرِ ... مع الليلِ أم زَالت قُبيلُ الأباعِرِ
وَحلّتْ سُليمى فى هِضابٍ وأيكةٍ ... فَليسَ عليها يومَ ذلكَ قادِرِ
وألقتْ عَصاها واستقرَّ بِها النَوَى ... كما قرَّ عَينًا بالإيابِ المُسافِرِ
وصَبحنَا أملاكُها بكَتيبةٍ ... عليها إذا أمست مِن اللهِ ناظِرِ
مُعاوية بن الجون ذبيان حولَه ... وحسَّان فى جمعِ الرّباب مكاثِرِ
فَمروا بأطنابِ البيوتِ فَردَّهُم ... رِجالٌ بأطرافِ الرّماحِ مساعِرِ
وَقد جَمعوا جَمعًا كأَنَّ زهاءَه ... جَرادٌ هَوى فى هَبوةٍ متطايرِ[2]

توثق القصيدة مقدار الجمع الذى كان وتبين حجمه بما يعبر عن أثر الشاعر فى حفظ تفاصيل هذا الحدث التاريخى وتحديد معالم الوقعة والإشارة على شخصياتها من أمثال معاوية وحسان، وكيف تلاحم الطرفان عند أطناب البيوت بما يكشف عن خطورةِ الصراع وحراجة الموقف حتى استطاع المدافعون عن حمى القبيلة ردَّ المهاجمين بعد أن جمعوا جمعًا يشبه الجراد فى كثرته.

حين خمد أوار الحرب بين قبيلتى عبس وذبيان، قال الشاعر زهير بن أبى سلمى[3]:

---

(١) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٢٧٦؛ وعند الطبري أن يوم جبلة كان عام الفيل. ينظر: تاريخه: ٢/ ١٥٤.

(٢) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦٧٦.

(٣) زهير بن أبي سلمى الزمني، شاعر من الطبقة الأولى، من أصحاب المعلقات. أدرك الإسلام (ت، ٦١٥م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ١/ ٥١؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٠/ ٢٩٨.

فأقسمتُ بالبيتِ الذى طَافَ حولَه رجالٌ بنوه مِن قريشٍ وجُرهُم
يَميـنًا لنعمَ السيّدان وجدتُما على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومبرم
تَداركتُما عَبسًا وذُبيان بَعدَمَا تَفانوا ودَقّوا بينَهم عِطرَ مِنشَم[١]

فإذا كان زهير "نظامًا متوقيًا"[٢] يديم النظر فى القصيدة حولاً كاملاً، فإنه لابد وأن يكون ملمًا بأيام العرب وتاريخهم، وأن يكون دقيقًا فى توثيق الأحداث وتصويرها حتى وصلت إلينا على هذه الصورة حيث أشار إلى قبيلة جُرهم وقريش، مثلما أشار إلى منشم العطارة التى يضرب المثل بعطرها.

كانت العرب تؤرخ بوفيات الأشخاص المهمين، فلما "مات الوليد بن المغيرة أرخت قريش بوفاته لإعظامها إياه حتى كان عام الفيل فجعلوه تاريخًا"[٣] كما أرخت "بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين إلى أن كانت السنة التى بنوا فيها الكعبة فأرخوا بها"[٤]. فحين غزا أبرهة مكة جاء عبدالمطلب إلى باب الكعبة فتعلق به[٥] وقال:

لا هُمَّ إن المرءَ يَمـ ـنعُ رَحلَّه فامَنعْ حِلالك
لا يَغلِبَنَّ صَليبُهم ومحالُهم عدوًا محالك
ولئن فعلتَ فإنّه أمرٌ تتمُّ بهِ فِعالك[٦]

---

(١) زهير بن أبي سلمى (ت، ٦١٥م): ديوانه بشرح ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد (ت، ٢٩١هـ/ ٩٠٣م)، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب - الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م)، ١٤-١٥.

(٢) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت، ٩١١هـ/ ١٥٠٥م): شرح شواهد المغني، تصحيح وتعليق: محمد محمود ابن التلاميذ وأحمد ظافر كوجان، القسم الثاني. (لجنة التراث العربي، دمشق، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ٢٥٦.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٦/ ١٣٦.

(٤) نفسه.

(٥) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهيب بن واضح (ت، ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م): تاريخ اليعقوبي، تعليق محمد صادق بحر العلوم، الجزء الأول (المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ٢٢٢.

(٦) ابن إسحق: السير والمغازي، ٦٢؛ ابن هشام: السيرة، ١/ ٤٥؛ اليعقوبي: تاريخ، ١/ ٢٢٣؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ١٣٨٩ مع اختلاف بعض الألفاظ.

لقد حفز الحدث التاريخى زعيم أهل مكة لأن يستنصر ربه من أراد به وبدينه وببلده شرًا، فاقترن شعره بصفة العدو الدينية، وهو الصليب رمز المسيحية، فلما انصرف أصحاب الفيل عن مكة قال عبدالمطلب:

مَــنعتَ الأرضَ التــى حَمــيت ... مــن اللــئام فلَــم تَخلُــفْ لَهــم دَارا
مَــنعتَ مكــةَ مــنهم إنّنــى رجــلٌ ... ذو أُسرة لم تكـن فـى الحـبّ غـدارا
إذا قلـتُ يـا صـاحبَ الجيشانِ إنَّ لـنا ... مِـن دونِ أن يهـدم المعمـورُ أخطـارا
فـسارَ فـى جيـشِه بالفـيلِ مُقـتدرًا ... وسِـرْتَ مُستبـسلاً للمـوتِ صـبّارا
فـى فِتـيةٍ مِـنْ قُـريشٍ لـيسَ ميتُهم ... بمــورثٍ حَــيّهم شَــيْئًا ولا عَــارا[1]

كان انتصار قريش على جيش أصحاب الفيل مؤثرًا فأسْهَم فى خلودها فى الأذهان وجعل منها تاريخًا مشرفًا للعرب قبل ظهور الإسلام، ودفع الشعراء إلى توثيقها، ولما كان عبدالمطلب فى المواجهة فإن شعره هذا يعد وثيقة تاريخية مهمة، وهو ما دفع الشعراء إلى توثيق مواقعها وحركة الجيوش فيها، فكان الشعر تخليدًا لها من خلال تثبيت أماكن الجيوش وتحديد مواضعها الجغرافية بعد أن اندرست بتقادم الزمن عليها وبذلك صار الشعر سجلاً "للتاريخ الزمانى والمكانى لهذه المواقع"[2].

فهذا عبدالله بن الزبعرى[3] (ت، ١٥هـ/ ٦٣٦م) يشير إلى وقعة الفيل فيقول:

تــنكلوا عــن بطــنِ مَكــةَ إنهــا ... كانــت قــديمًا لا يُــرامُ حــريمُها
لم تخلـقِ الـشِّعرى لـيالى حُـرّشمَتْ ... إذ لا عزيــزَ مــن الأنــامِ يَــرومُها
سـائل أمـير الجـيوش عـنها مـا رأى ... ولــسوف يُنبــى الجـاهلينَ علـيمُها
سـتونَ ألفــا لم يؤوبــوا أرضــهم ... ولمَ يَعِـشْ بعــدَ الإيــابِ سَـقيمُها

(١) ابن إسحق: السير والمغازي، ٦٤.
(٢) القيسي: الشعر والتاريخ، ٣٨.
(٣) عبدالله بن الزبعري بن قيس الفهري، صحابي في شعراء قريش. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٥/ ١٣٨؛ السيوطي: شرح، ٢/ ٥٥١.

كانَـت بهـا عـادٌ وجُـرهُمُ قـبلَهم والله مـن فـوقِ العِـبادِ يُقـيمُها[1]

يحدد الشاعر عدة الجيش الغازى يستين ألفًا، ويذكر أنهم لم يؤوبوا إلى وطنهم، أما السَّقيم الذى لم يعش فهو أبرهة بن يكسوم المعروف بالأشرم[2]. فقد حملوه معهم حين أصيب حتى مات بصنعاء[3].

وقد ذكر أمية بن أبى الصلت (ت، نحو ٩هـ/ ٦٣٠م) ما لاقاه جيش أبرهة، فكان كلهم مكسور الساق:

إن آيـاتِ ربّـنا بيـناتٌ مـا يُمـارى فـيهن إلاّ الكفـورُ
خلـقَ اللـيلَ والـنهارَ فكـلٌ مـستبين حـسابُه مقـدورُ
ثـم يجلـو الظـلام ربٌّ كـريمٌ بمهـارةٍ شُـعاعها منـثورُ
حـبس الفـيل بـالمغمَّس حتـى ظَـلَّ يحـبو كأنَّـهُ معقـورُ
لازمًـا حلقـه الجـران كمـا قُـطّـرَ مـن كـبكبٍ محـدورُ
حـولَه ملـوك كِـندةَ أبطـالٌ ملاويـتُ فـى الحـروبِ صـقورُ
خَلَّفـوه ثـم ابذعـروا جمـيعًا كُلُّهـم سـاقُه مكـسورُ[4]

وهذا ما جعل الشعر سجلاً يتضمن بعض التفاصيل عن يوم الفيل، وما حدث فيه من تفاصيل تكشف عما حصل لجيش الغزاة.

وفى يوم ذى قار[5] الذى كان بين العرب والفرس، فقتل فيه جميع الفرس ومن معهم[6] قال الأعشى[7] (ت، ٧هـ/ ٦٢٩م):

---

(١) ابن الزبعري، عبدالله (ت، ١٥هـ/ ٦٣٦م): شعره، تحقيق يحيى الجبوري (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ٤٩-٥٠.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ١٥٤.

(٣) ابن هشام: السيرة، ١/ ٥١.

(٤) شعره، ٣٣٧-٣٣٩.

(٥) ماء لبني بكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط، وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس. كما في: ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٩٣ (قار).

(٦) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢١٠.

(٧) ميمون بن قيس بن جندل، شاعر أدرك الإسلام ولم يسلم (ت، ٧هـ/ ٦٢٩م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ١٧٨؛ البكري: سمط، ١/ ٨٣.

فِدىً لبني ذُهل بن شيبان ناقتي ... وراكبها يوم اللقاءِ وَقلَّتِ

همُو ضربوا بالحنوِ حنوا قَراقرٍ ... مُقدمة الهامرزِ حتى تولتِ

فلِلّه عينا من رأى من عصابةٍ ... أشدَّ على أيدى السُّعاةِ من التي

أتتهم من البطحاءِ يبرق بيضها ... وَقَد رُفعت راياتها فاستقلَّتِ

فثاروا وثرنا والمنية بيننا ... وهاجَت علينا غمرة فتجلَّتِ

وقد شمّرت بالناس شمطاء لاقحٌ ... عوانٌ شديدةٌ همزُها فأضلَّتِ

كفوا إذ أتى الهامرز تخفق فوقه ... كظلِّ العُقابِ إذ هَوتْ فتدلَّتِ

وأحموا حِمى ما يمنعونَ فأصبحت ... لنا ظعن كانت وقوفًا فحلَّتِ

أذاقوهمُو كأسًا من الموتِ مُرَّةً ... وقد بذخَت فرسانهم وأدلَّتِ

سوابغهم بيضٌ خفاف وفوقَهم ... من البيضِ أمثالِ النجومِ استقلَّتِ

ولَم يبقَ إلاّ ذات ريعٍ مفاضةٌ ... وأسهلَ منهم عصبة فأطلَّتِ

فصبحهم بالحنوِ حنوِ قُراقِرٍ ... وذى قار منها الجنودَ فَفُلَّتِ

على كُلِّ محبوكِ السَّراة كأنَّه ... عقابٌ هوت من مَرقب إذ تعلَّتِ

فجادت على الهامِرز وسط بيوتِهم ... شآبيب موتٍ أسبلت واستهلَتِ

تناهَت بنو الأحرار إذ صبرت لهم ... فوارسَ من شيبانَ غُلبٌ فولَّتِ[(١)]

يعد هذا اليوم من الأيام التى لها وقع مؤثر فى تاريخ العرب قبل الإسلام، لأنه كشف عن استقلالية واضحة بالرأى، فلا غرو أن يتغنى الأعشى بها، فهو من قبيلة لاقت الأمرين من تسلط السَّاسانيين، فكان شاهد انتصار قبيلته على دولة الفرس، فقد كان الشعراء يتغنون بانتصار أبناء قومهم، مما بين الأثر المهم فى تاريخ تدوين الحروب والوقائع[(٢)]. لذا كان شعر الأعشى وثيقة حية حملت معها الموقف

(١) الأعشى، ميمون بن قيس (ت، ٧هـ/ ٦٤١م): ديوانه: شرح وتعليق م. محمد حسين. (مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، دون تاريخ)، ١٥٩-١٦١.

(٢) حسين: تدوين الحروب، ١٠٨.

الاجتماعى لهذه القبيلة، وموقف العرب الذين عانوا استهانة الفرس بوجودهم القومى والإنسانى والإقليمي؛ وبهذا غدا الشعر صورة للواقع وما يعكسه من صراعات ومواقف تشكل فى مجموعها رؤية عميقة للفعل الإنسانى المؤثر فى حركة التاريخ وقدرة الإنسان العربى على خلق مقومات الانتصار، وهذا بدوره مهم لظهور أمة قوية استطاعت أن تستوعب الرسالة الإسلامية وتنطلق منها نحو آفاق واسعة لتستعيد مجدها وعنفوانها وتؤسس حضارّة أصبحت موضع دراسة وبحث مستمرين منحت الإنسانية دفقة عالية من النمو والتقدم حتى الآن.

عصر الرسالة الإسلامية:

بعد مبعث النبى محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) وحمله رسالة الإسلام حدث صراع قوى بين عقائد أهل الشرك وعقيدة التوحيد الإسلامية أدت إلى هجرة المسلمين من مكة إلى يثرب (مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ثم نشوء نواة الدولة العربية الإسلامية التى تأسست على تشريعات الرسالة الإسلامية السمحاء على وفق ما جاء به القرآن الكريم وسنة النبى (صلى الله عليه وسلم)، فكان ذلك مقدمة لبروز منطلق جديد يحدد بدء الرسالة، ثم بدء الهجرة النبوية المشرفة، فكان ذلك نقطة انطلاق نحو التاريخ.

وقد برزت الحاجة لدى أصحاب الدين الجديد على وسيلة إعلامية ليواجهوا بها الإعلام المضاد الذى يشنه شعراء مشركى قريش فى مكة، ولبيان موقف الإسلام من الشعر، فقد كان الشعر عند العرب أرقى معارفهم وأكثرها تأثيرًا، فجاء واضحًا وجليًا بعد أن أعجز القرآن العربى إعجازًا لفظيًا ومعنويًا، حتى جاء فى الذكر الحكيم: ﴿ **وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟** ﴾ [١]. ويريد بهم الذين ((ذكروا الله فى كلامهم وقيل فى شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما سبق)) [٢]. أى ما قدمه من

---

(١) سورة الشعراء: الآيات، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) ابن كثير: تفسير، ٣/ ٣٥٥.

حكمة أو حكمًا[1] مطابقًا للحق[2] على وفق المقياس الأخلاقى فى اجتناب الشر والالتزام بالخير، فكان التحوُّل فى أهمية الشعر وأثره فى الظروف السياسية والاجتماعية يعد تغييرًا خطيرًا فى مسيرة الشعر العربى، ومنعطفًا فى أغراضه ومراميه حتى اعتقد الأصمعى (ت، نحو ٢١٦هـ/ ٨٣١م) أن "طريق الشعر إذا أدخلته فى باب الخير الآن، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا فى الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره فى باب – من مراثى النبى صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهم وغيرهم – من شعره. وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس، وزهير، والنابغة، من صفات الديار والرحل، والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار؛ فإذا أدخلته فى باب الخير الآن"[3]، فى حين يرى أحد الباحثين المحدثين أن الشعر فى صدر الإسلام نشط متأثرًا بالظروف السياسية والاجتماعية الجديدة فى الحواضر، وبالمفاهيم والقيم الإسلامية[4]. فانتقلت زعامة الشعر من البوادى إلى الحواضر، وهذا ما قلل من جزالته[5].

كان لشعر شعراء المشركين واليهود أثر كبير على نفوس المسلمين لما كان له من ذيوع وانتشار بين القبائل العربية الساكنة خارج المدينة والتى لا يصل إليها عامل التأثير إلا من خلال الشعر، والذى كان المشركون فيه أكثر سبقًا من المسلمين. ثم انتبه المسلمون على ما سبقهم فيه أعداؤهم فسابقوهم فى ذلك حتى صار لهم اثر واضح وظهر من بينهم الشعراء الكبار، وقالوا الشعر الكثير الذى حفظته المصادر والمؤلفات الأولى.

ولما أصبح الشعر سلاحًا فى مجابهة خصومهم غدا له أثره فى تدوين السيرة النبوية المشرفة وروايتها، فقد عرف مدونوها الشعر وحفظوه، فكانوا يروون الأشعار التى

(١) ينظر البخاري: الصحيح، ٨/ ٦٣؛ ابن ماجة: السنن، ٢/ ١٢٣٦.

(٢) ينظر ابن حجر: فتح الباري، ١٣/ ١٥٦.

(٣) المرزباني: الموشح، ٨٥.

(٤) الدوري: التكوين التاريخي، ٨٧.

(٥) علي: المفصل، ٩/ ٨٤٢.

ذكرها الرجال الذين ورد ذكرهم فى حوادث السيرة[1]. كما صار للشعر أثره فى تدوين الأحداث التاريخية، وفى توثيق الغزوات التى خاضها المسلمون فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم خلال عصر الرسالة الإسلامية، لأنه كان يشجع الشعر الذى يستفيد من المعانى الإسلامية وتمثل خط الدعوة وفى هذا توجيه ظاهر للشاعر[2]، فى قدرته على التأثير فى الأحداث.

كان للشعر أثره فى نفوس أعداء المسلمين، كلما كان أثره فى تعزيز معنويات المسلمين وحثهم على تثبيت أقدامهم واستمرارهم من مناجزة الأعداء، ففى سنة (٢هـ/ ٦٢٣م)[3] حدثت وقعة بدر[4]، فقال حسان بن ثابت الأنصارى[5]:

لقد علمت قريش يومَ بدرٍ	غَداةَ الأسرِ والقتلِ الشديدِ
بأنّا حين تشتجر العوالي	حُماة الحربِ بعد أبي الوليدِ
قتلنا ابني ربيعة حين ساروا	إلينا مصافى مضاعفة الحديدِ
وفر بها حكيم يوم جاءت	بنو النجار تخطر كالأُسودِ[6]

يشير الشاعر إلى انتصار المسلمين على خصومهم مشركى قريش فى هذه المعركة، وإلى العون الذى قدمه بنو النجار، وهم قوم الشاعر، وكيف فشا القتل والأسر فى

---

(١) القيسي: الشعر والتاريخ، ١٨.

(٢) الجبوري، يحيى: الإسلام والشعر (منشورات مكتبة النهضة، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٨٣٨هـ/ ١٩٦٤م)، ٥٧.

(٣) ابن خياط، خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت، ٢٤٠هـ/ ٢٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، الجزء الأول (مطبعة الآداب، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م)، ١٥؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ٤٤٦.

(٤) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء ينسب إلى بدر بن يخلد بن النصر بن كنانة، وقيل هو رجل من بني صخرة كما في ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٣٥٧ (بدر).

(٥) صحابي شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، عمر حتى توفى سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ١/ ٢٢٠؛ البكري: سمط، ١/ ١٧١.

(٦) حسان بن ثابت الأنصاري (ت، ٥٤هـ/ ٦٧٣م): ديوانه، تحقيق سيد حنفي حسنين (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م)، ٢٦٥؛ ينظر أيضًا: ابن هشام: السيرة، ٢/ ٢٦٨.

المشركين، وهذا ما جعل الشعر يوثق الحدث التاريخى، ويسهم فى تدوينه وترسيخه وشيوعه فى أوساط العرب، فكان وسيلة إعلامية كبيرة للرسالة الإسلامية بين قبائل العرب، فأصبحت وقعة بدر منعطفًا خطيرًا فى انتشار الدين الجديد، وفى تعزيز ثقة المسلمين بأنفسهم، وخصوصًا أن الشعرَ سهلُ الحفظِ، جميلُ الوقعِ، قوى التأثير، واسعُ الانتشار.

ونتيجة تعرض المسلمين إلى هجاء مستمر من شعراء مشركى قريش أخذ شعراء المسلمين من الأنصار فى الرد عليهم، وهجاء المشركين بوصف الشعر أداةً إعلاميةً مهمةً، وسلاحًا لفظيًا مؤثرًا، فأخذ كعب بن مالك الأنصارى[1] يهجو المشركينَ ويدافع عن المسلمين فيقول:

لعَمرُ أبيكما يا بنى لؤى ... على زهوٍ لديكم وانتخاءِ
لما حامَت فوارسكم ببدرٍ ... ولا صبروا بهِ عند اللقاءِ
وردنا بنورِ اللهِ بأمرٍ ... من اللهِ أحُكم بالقَضاءِ
فما ظفرت فوارسُكم ببدرٍ ... وما رجعوا إليكم بالسَّواءِ
فلا تعجَل أبا سفيان وارقَب ... جيادَ الخيلِ تطلع من كَدَاءِ
بنصرِ الله روح القدس فيها ... وميكال فيا طيبَ المَلاءِ[2]

تبدو الروح الإسلامية ومفردات الدين الجديد واضحة مما يبرز مدى تأثير العقيدة الإسلامية على هذه القصيدة، فقد تضمنت مفردات مثل: نور الله، وروح الله، وروح القدس.

فى الجانب الآخر كانَ شاعر مشركى قريش عبدالله بن الزبعرى (ت، ١٥هـ/ ٦٣٦م) يبكى قتلى بدر من المشركين فيقول:

---

(١) صحابي توفي في خلافة علي بن أبي طالب، أحد شعراء الأنصار (ت، نحو ٤٠هـ/ ٦٦٠م): ترجمته الأصفهاني: الأغاني، ١٦/ ١٦٤؛ السيوطي: شرح، ١/ ٣٥٣.

(٢) كعب بن مالك الأنصاري (ت، نحو ٤٠هـ/ ٦٦٠م): ديوانه، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني (منشورات مكتبة النهضة، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ١٦٩؛ ينظر: ابن هشام: السيرة، ٢/ ٢٧٢-٢٧٣.

مــاذا علــى بــدرٍ ومــاذا حــولَهُ ... مــن فتـيـةٍ بـيضِ الوجـوهِ كـرامِ
تــركوا نُبـيـهًا خلفَهــم ومنـبِّهًا ... وابنــى ربـيعَة خـيرَ خَـصمٍ فِـئامِ
والحـارث الفـيَّاضَ يـبرُقُ وجهُـهُ ... كالـبَدرِ جَلَّــى لـيلةَ الإظـلامِ
والعاصــى بــن مُنـبه ذا مِـرَّةٍ ... رُمُحًــا تمـيمًا غـير ذى أوصـامِ
تَنمــى بــهِ أعــراقُه وجــدودُه ... ومآثِــرُ الأخــوالِ والأعمــامِ
وإذا بكــى بــاكٍ فأعــول شَـجوهُ ... لعلــى الـرئيسِ الماجـدِ ابـن هـشامِ
حــيًّا الإلــهُ أبــا الولـيد ورهطَـهُ ... رَبُّ الأنــامِ وخــصَّهم بِـسلامِ[1]

تضمن هذا الشعر رثاءً للأموات، ومدحًا للأحياء، وكشفًا لجانبٍ من ظروف المشركين وهزيمتهم فى وقعة بدر. كانت الحرب سجالاً بين المسلمين وبين خصومهم من مشركى قريش ومن حالفهم حتى كانت وقعة أحد[2] فى السنة الثالثة[3] من الهجرة التى خسر فيها المسلمون أمامَ المشركين الذين تصاعدت معنوياتهم فنشط شاعرهم ابن الزبعرى بالقول:

يــا غُــرابَ الـبينِ أسمعـت فَقُــل ... إنمّــا تــنطِقُ شـيئًا قَــدْ فُعِــلْ
إن للخــيرِ وللــشرِّ مَــدىً ... وكِــلا ذلِــكَ وَجــهٌ وقُــبَلْ
والعطــياتُ خِــساسٌ بيــنهم ... وسَــواءٌ قَــبرُ مُثــرٍ ومُقِــلْ
كُــلُّ عَــيشٍ ونعــيمٍ زائِــلٌ ... وبــناتُ الدَّهــرِ يلعــبنَ بكُــلْ
أبلِغَــا حــسَّانَ عَنِّــى آيَــةً ... فقــريضُ الـشِّعرِ يـشفى ذا الغُلَـلْ[4]

ثمة إشارة واضحة إلى عقيدةِ التشاؤم من الغراب ونذره بالشؤم، وإشارة أخرى إلى شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) حسان بن ثابت، وهى بداية لهجوم ساخن

---

(١) ابن الزبعري: شعره، ٤٧؛ ابن هشام: السيرة، ٢/ ٢٦٥.
(٢) جبل بينه وبين المدينة قرابة ميل في شمالِيِّها. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ١٠٩ (أحد).
(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ٤٩٩.
(٤) شعره، ٤١.

يكشف عن تصاعد معنويات المشركين بعد وقعة أحد وإحساسهم بنشوةِ الانتصار إلى أن يقول فى هذه القصيدة أيضًا:

لـيتّ أشـياخى بـبدرٍ شـهدوا   جَـزعَ الخـزرجِ مـن وقـعِ الأسَـلْ
حـين حكـت بقُـباءٍ بـركَهَا   واسـتمرَّ القـتلُ فـى عـبدِ الأَشَـلْ
ثـم حفّـوا عـند ذاكـمُ رقّـصًا   رَقَـصَ الحفّـانِ يعلـو فـى الجَـبَلْ
فقاتلـنا الـضّعفَ مـن أشـرافِهم   وَعَدَلـنا مَـيلَ بَـدرٍ فاعـتدَلْ[1]

وبالرغم من خسارة المسلمين فى وقعة أحد وصعود معنويات المشركين بعدها، إلا أن شعراء المسلمين لم يثنهم ذلك من الرد على خصومهم لشد عزيمة المسلمين، والكشف عن بلائهم فى القتال للتقليل من قيمة نصر أعدائهم، فأجاب حسان بن ثابت ابن الزبعرى قائلاً:

ذهـبَت بـابنِ الزِّبعـرى وقعـةٌ   كـانَ مِـنّا الفـضلُ فـيها لَـو عَـدَلْ
ولقـد نِلـتُم ونلـنا مـنكمُ   وكـذاكَ الحـربُ أحـيانًا دُولْ
إذ شَـددنا شـدة صـادقةً   فاجأنـاكُم إلى سـفحِ الجَـبَلْ
إذ تولّـون علـى أعقـابِكم   هَـربًا فـى الـشِّعبِ أشـباه الـنَّمَلْ
نـضَع الخَّطـى فـى أكـتافِكم   حـيثُ نهـوى عَلَـلاً بعـدَ نَهَـلْ
يخـرِجُ الأكَـدَر مـن أسـتاهِكم   كَـسِلاحِ النـيبِ يـأكلن العَـصَلْ
وشَـدخنا فـى مقـامٍ واحـدٍ   مـنكم سـبعين غـير المُنـتحلْ
وأسـرنا مـنكم أمـثالهم   فانـصرفتم مِـثل إفـلاتِ الحَجَـلْ
ضـاقَ عـنا الـشّعب إذ نـزعُهُ   وملأنـا مـنهم الـرَّجَلْ[2]

تمخض هذا التهاجى بين شعراء المسلمين وخصومهم من شعراء مشركى قريش عن انتعاش شعر النقائض الذى يقوم على المناقضة، أى ينقض الشاعر الآخر ما قاله

(١) نفسه، ٤٢؛ ابن هشام: السيرة، ٣/ ٦٩-٧٠.

(٢) ديوانه، ٩٣-٩٤؛ ابن هشام: السيرة، ٣/ ٦٩-٧٠.

الأول[1]. كان بذلك ظهور النقيضة، وهى قصيدة يرد بها الشاعر على قصيدة لخصم له فينقض معانيها عليه: يقلب فخر خصمه هجاء، وينسب الفخر الصحيح على نفسه، وتكون النقيضة عادة من بحر قصيدة الخصم وعلى رويها"[2]. فكانت هذه النقائض، وما تلاها بين شعراء العصر الأموى استمرارًا للهجاء القبلى عند شعراء العرب قبل الإسلام، والتى كان "كان يبعثها عادة خلاف بين قبيلتين أو أسرتين"[3]، فكانت النقائض موضع اهتمام المجتمع العربى "لما تؤديه من دور فى إثبات تفوق الشاعر على خصمه، والفوز بإعجاب المجتمع" [4]. فكان شعراء مشركى قريش ومن والاهم يهجون المسلمين، فيرد عليهم شعراء الأنصار ناقضين هجاءهم، فكان ذلك أول عهد حقيقى للنقائض فى الشعر العربى والتى ستزدهر فى العصر الأموى ازدهارًا تامًا[5] بعد أن شهد مقدماته الأولى فى صراعات شعراء القبائل، فكانت النقائض ذات أثر واضح فى تدوين الأحداث التاريخية لأنها تقوم على مهاجاة المتناقضين ومحاولة كل جانب إثبات وجهة نظره، وتقويض مبادئ وأهداف خصمه، هذا فضلاً عما حملته من مادة تاريخية ذات اتجاهين مختلفين. بيد أن ما يؤاخذ عليها أنها تقوم على الهجاء ومحاولة كل جانب النيل من صحة آراء الجانب الآخر مما يجعل الحقيقة ذات وجهين متضاربين، وقد استفاد هذا النمط الشعرى فائدة مثلى من المحفزات والصِّراعات إذ حاول كل طرف أن يقنع المجتمع بصحة رأيه وجدوى تعرضه لخصمه، وهو فى الوقت نفسه أنعش انتشارها وقدرتها على التأثير.

وثَّق رثاء شهداء المسلمين فى هذه الوقعة الأحداث التاريخية، وأسهم فى انتشار

(١) ابن منظور: لسان العرب، ٣/ ٧٠٥ (نقض).

(٢) فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨ م)، ٣٦١.

(٣) نفسه، ١/ ٣٦٣.

(٤) حمودي، جعفر صادق: النقائض في العصر الأموي "دراسة فنية"، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى قسم اللغة العربية –كلية الآداب– جامعة بغداد (ربيع الأول ١٤١٥هـ/ آب ١٩٩٤م)، ٤٣.

(٥) إبراهيم، طه أحمد: تاريخ النقد الأدبي عند العرب (دار الحكمة، بيروت، دون تاريخ)، ٢٦.

مبادئ المسلمين، ورسخ فكرة الاستشهاد التى كان المسلمون يقاتلون فيقتلون من أجل بلوغها للفوز بالجنة، كما فى قول كعب بن مالك:

نشجَت وهل لكَ من منشجِ ... وكنتَ متى تذّكر تَلْجَجِ
تذكُّر قومٍ أتانى لهم ... أحاديثُ فى الزّمنِ الأعوجِ
فقلبُك من ذكرهم خافِقٌ ... من الشوقِ والحزنِ والمُنضجِ
وقتلاهم فى جنانِ النعيم ... كِرامُ المَداخلِ والمَخرجِ
بما صبروا تحت ظلِّ اللّواءِ ... لواء الرسولِ بذى الأضوَجِ
غداةَ أجابَت بأسيافها ... جميعًا بنو الأوسِ والخَزرَجِ
وأشياعُ أحمد إذ شايعوا ... على الحقِّ ذى النورِ والمَنهَجِ
فما برحوا يَضربون الكُماةَ ... ويمضون فى القسطلِ المرهجِ[(١)]

تشير القصيدة على الصراع العقائدى بين الجانبين، وعلى إسناد قبيلتى الأوس والخزرج لمن هاجر مع النبى (صلى الله عليه وسلم)، وعلى طبيعة عقائد الطرفين فى النظرة إلى الحياة الآخرة.

كان فى رثاء عبدالله بن رواحة[(٢)] (ت، ٨هـ/ ٦٢٩م) لحمزة بن عبدالمطلب (ت، ٣هـ/ ٦٢٤م) محاولة لاسترجاع أحداث معركة بدر، فأسهم فى توثيق حدثى بدر وأحد فى قصيدة واحدة مما يبرز الرؤية الشمولية للصراع، وتصميم الشعراء على الاستمرار فى الدفاع عن عقيدتهم بالرغم من تزايد التضحيات، ومما قاله:

بكَت عينى وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغنى البُكاءُ ولا العويلُ
على أسدِ الإلهِ غَداةَ قَالوا ... أحمزةَ ذاكُمُ الرجلُ القتيلُ؟
أصيبَ المسلمون به جميعًا ... هناك، وقد أُصيب بهِ الرسُولُ

---

(١) ديوانه، ١٨٧؛ ابن هشام: السيرة، ٣/ ٧٠-٧١.

(٢) عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري صحابي استشهد في موقعة مؤتة سنة (٨هـ/ ٦٢٩ م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ١/ ٢١٥؛ السيوطي: شرح، ١/ ٢٨٨.

أبـا يَعلـى لـك الأركـان هُـدَّت وأنـتَ الماجِـد البَـرُّ الوصـولُ
علـيكَ سـلامُ ربِّـك فـى جِـنانٍ مخالِطُهـا نَعـيمٌ لا يـزولُ
ألا يـا هاشِـمَ الأخـيارِ صَـبرًا فكُـلُّ فِعـالِكم حَـسَنٌ جمـيلُ
رسـولُ الله مـصطَبرٌ كـريمٌ بأمـرِ اللهِ يَـنطِقُ إذ يَقـولُ
ألا مَـن مُـبلغ عنّـى لُـؤيًّا فـبعدَ الـيوم دائلَـةٌ تَـدُولُ[1]

وكما يشير إلى مصير الشهيد حمزة بن عبدالمطلب، وهو الخلود فى جنات النعيم، يعيد للأذهان نتائج وقعة بدر وما تشكله من منعطف كبير فى الرسالة الإسلامية، وكيف كانت مقاتل مشركى قريش فخرًا للمسلمين. فيقول:

نَـسيتُم ضـربنا بقُلـيبِ بـدرٍ غَـداة أتـاكُمُ المـوتُ العجـيلُ
غـداةَ ثـوى أبـو جَهـل صَـريعًا علـيه الطَّـيرُ حائِمـةً تجَـولُ
وعُتـبةُ وابـنُه خـرًّا جمـيعًا وشـيبه عَـضَّهُ الـسَّيفُ الـصَّقيلُ
وَمتركَـنَا أُمـيَّةَ مجلعًّـبًا وفـى حَيـزومهِ لَـدنُ نَبـيلُ
وهـامَ بنـى ربـيعة سـائِلوها ففـى أسـيافنا مـنها فُلـولُ[2]

الشاعر يُذَكِّر المشركين بأن انتصارهم فى أُحد لا يوازى هزيمتهم فى بدر ومقتل كبار فرسانهم من أمثال عتبة بن ربيعة (ت، ٢هـ/ ٦٢٣م) وابنه الوليد وأخيه شيبة، مما يؤكد على أهمية الشعر فى تدوين الحدث التاريخى، وعلى كون الشعر سلاحًا من أسلحة الدعوة الإسلامية، فكان أحد أدوات المعركة بين النبي[3] صلى الله عليه وسلم وخصومه المشركين.

كانت غزوة الخندق فى شوال سنة (٥هـ/ ٦٢٦م)[4] تحديًا مصيريًا للمسلمين،

---

(١) ابن رواحة، عبدالله (ت، ٨هـ/ ٦٢٩م): ديوانه، دراسة وتحقيق وليد قصاب (دار العلوم للطباعة والنشر، مطبعة المتوسط، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ١٤٢؛ ابن هشام: السيرة، ٣ / ٨٨.
(٢) ابن رواحة: ديوانه، ١٣٣.
(٣) الجبوري: الإسلام والشعر، ٤٣.
(٤) ابن هشام: السيرة، ٣/ ١٢٧؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ٥٦٤.

وتعبيرًا عن تعبئة عسكرية متقدمة فى حصار المدن، فكان الشعر وثيقة لهذا الحدث الجديد فى حياة العرب المسلمين بما يكشف عن قدراتهم القتالية فى مجابهة التحديات التى تحيط بهم، فهذا حسان بن ثابت يقول عن هذه الغزوة:

عرفت ديار زينب بالكثيب … كخطِّ الوَحى فى الرَّقِّ القشيبِ
تعاورها الرِّياح وكُلُّ جَونٍ … من الوسمى منهَمِر سَكُوبِ
فأمسى رسمُها خَلقًا وأمست … يَبابًا بعدَ ساكنِها الحبيبِ
فَدَعْ عنكَ التَّذكُرَ كُلَّ يومٍ … وَرُدَّ حرارَةَ الصَّدرِ الكئيبِ
وخَبِّرِ بالذى لا عَيبَ فيه … بصدقٍ غيرَ أخبرِ الكذوبِ
بما صَنعَ المليكُ غداة بَدرٍ … لنا فى المشركينَ من النَّصيبِ
غداةَ كأنَّ جَمعَهُمُ حِراءٌ … بَدَت أركانُه جنحَ الغُروبِ
فلاقيناهُمُ منا بجَمعٍ … كأُسْدِ الغابِ من مُردٍ وشِيبِ
أمامَ محمَّدٍ قَد آزرُو … على الأعداءِ فى وهجِ الحروبِ
بأيديهِمُ صوارِمُ مُرهفاتٌ … وكُلُّ مُجرَّبٍ حاظى الكعُوبِ
بنُو الأوسِ الغطاريف آزرتها … بنو النَّجارِ فى الدينِ الصَّليبِ(١)

وفى الجانب الآخر عند مشركى قريش كان شاعرهم عبدالله بن الزبعرى يشير إلى وقعة الخندق، واصفًا مسيرة معاشرهم بأجمعهم من أنصاب مكة إلى يثرب، حينما يصف خيلهم، وكيف وردوا المدينة وقد ارتدوا أسلحتهم للموت قاصدين النبى، صلى الله عليه وسلم، وكيف كانوا يدخلونها لولا الخنادق التى اضطرتهم إلى الرحيل، ولولا ذلك لتركوهم للطيور والذئاب، فهو يقول:

واذكُرْ بَلاءَ معاشِرِ واشكُرهمُ … ساروا بأجمعهم من الأنصابِ
أنصابِ مَكَّةَ عامدين يثربَ … فى ذى غَياطِلَ جَحفَل جبجاب

(١) ديوانه، ٤٣-١٣٥.

يَدعُ الحُزونَ مناهِجًا معلومَة ... فى كلِّ نَشزٍ ظاهرٍ وشِعابِ
فيه الجِياد شَوازبٌ مَجنوبَةٌ ... قُبُّ البُطُونِ لَواحِقُ الأقرابِ
مِن كُلِّ سَلهَبَةٍ وأجردَ سَلْهبٍ ... كالسِّيدِ يادَرَ غفلةَ الرُّقَّابِ
قَرمانِ كالبدرينِ أصبح فيهما ... فيهِ وصخر قائد الأحزاب
جيشُ عُيينةُ قاصِدٌ بِلوائِهِ ... غيثُ الفقيرِ ومعقِلُ الهُرَّابِ
حتى إذا وَردوا المدينةَ وارتدوا ... للموتِ كُلَّ مُجرَّبٍ قَضَّاب
شَهرًا وعَشرًا قاهرين مُحمَّدًا ... وصِحابُهُ فى الحَربِ خيرُ صِحَابِ
نادوا برحلتِهم صبيحةَ قُلتمُ ... كِدنا نكونُ بها مَعَ الخُيَّابِ
لولا الخنادقُ غادروا من جَمعِهم ... قَتلَى لطيرٍ شُغَّبٍ وذئابِ(١)

ولأن الشعر وسيلة إعلامية مهمة، فإن أحد شعراء النبى صلى الله عليه وسلم، كعب بن مالك الأنصارى نقض هذه القصيدة على قافية القصيدة السابقة ورويها.

وقد عبرت هذه النقائض فى هذه المرحلة عن بدء فكرة التناظر والحوار بين عقيدتين متعارضتين، كل منهما تحمل فكرًاودينًا وقيمًا تختلف عن الأخرى، فهذا ما يقوله كعب بن مالك لسان حال المسلمين وهو يرد على شاعر المشركين ابن الزبعرى:

أَبقى لنا حَدَثُ الحروبِ بقيَّةً ... مِن خَيرِ نِحلةِ ربِّنا الوهَّابِ
بيضاءَ مشرفة الذُّرا ومعاطِنًا ... حُمَّ الجُذوعِ غزيرة الأحلابِ
كاللُّوب يبذل جمُّها وحفيلُها ... للجارِ وابنِ العمِّ والمُنتابِ
ونزائِعًا مثل السِّراج نمَا بها ... علَفُ الشعير وجِزَّةِ المقضابِ
عرى الشَّوى منها وأردفَ نحضها ... جَردُ المُتونِ وسائرِ الآدابِ
قُودًا تُراح إلى الصِّياحِ إذا غدت ... فعلَ الضِّراءِ تُراحُ للكِلَّابِ

(١) شعره، ٢٩-٣٠؛ ابن هشام: السيرة، ٣/ ١٥٨-١٥٩.

حوش الوحوشِ مطارة عند الوغى ... عُـسُس اللقـاءِ مبيـنَة الإنجـابِ

عُلفـت علـى دِعَـةٍ فـصارت يُـدَّنًا ... دُخسَ البـضيع خفيفةَ الأقـصابِ

يغـدوَن بالـزَّحفِ المُـضاعفِ شَـكُّه ... وبمترصـاتٍ فـى الـثقافِ صِـيابِ[1]

يرد الشاعر كعب بن مالك على خصمه المشرك فينقض أفكاره مستخدمًا القافية ذاتها، مستفيدًا من ألفاظ القرآن ومعانيه، فكان الشعر صوتًا لإيصال أفكار الدين الجديد بين القبائل التى لم تكن تسمع عن الإسلام شيئًا إلا عن طريق ما يصل إليها من الشعر[2]. فكان شعراء الإسلام من المهاجرين والأنصار أكثر تعبيرًا عن جوهر الحدث من خلال النظرة المتروية والفاحصة لعملية الصراع بين الإيمان والشرك، عبر رؤية مترعة بالروح الإسلامية، من دون التخلى عن نزعة الافتخار بفروسية جند الإسلام وصفاتهم الإنسانية؛ وبهذا أسهم الشعر فى توثيق جوانب من الحياة الواقعية بما يكشف عن طبيعة حياتهم ونظرتهم للموت وقدرتهم على مناجزة عدوهم، لذا كان للشاعر وشعره أثرهما فى الحدث من خلال المشاركة الفعلية فى المعركة، ففى وقعة مؤتة[3] التى حدثت سنة (٨هـ/ ٦٢٩م)[4] قال ابن رواحة:

جلبـنا الخَـيلَ مـن أجـأ وفَـرعٍ ... تُغَـرُّ مِـن الحَـشيشِ لهـا الغكـوُمُ

خـدوناها مِـنَ الـصَّوَّانِ سِـبتًا ... أزَلَّ كـأنَّ صـفحتُه أديـمُ

أقامَـت ليلـتين علـى مُعـانٍ ... فأُعقِـبَ بعـد فترَتِهـا جُمُـومُ

فَـرُحنا والجِـيادُ مـسوَّمَاتٌ ... تـنفَّسُ فـى مَناخِـرِها الـسَّمُومُ

فـلا وأَبِـى مَـآب لنأتِيـنَها ... وإنْ كانَـتْ بِهـا عَـرَبٌ ورُومُ[5]

وحين أخذ ابن رواحة الراية[6]، وقاد جيش مؤتة، كان رجزه فى أثناء القتال

(١) ديوانه، ١٧٩-١٨٠؛ ابن هشام: السيرة، ٣/ ١٦٠.
(٢) العاني، سامي مكي: الإسلام والشعر (عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ٦٧.
(٣) مُؤتة، بالهمزة، من مشارف الشام كما في ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٢١٩-٢٢٠ (مؤتة).
(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٤٩؛ الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٦.
(٥) ديوانه، ١٤٩؛ ابن هشام: السيرة، ٤/ ٩-١٠.
(٦) ينظر الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٦.

جزءًا من تفاصيل الحدث التاريخى، وتعبيرًا عن الإصرار على مبادئ العقيدة الإسلامية، وإيثار الشهادة على الحياة، فكان يقول:

أَقْسَمتُ يا نفسُ التنزلنَّهْ
طائِعةً أو لَتُكرَهِنَهْ
إن أجلبَ الناسُ وشدوا الرَّنَهْ
مالى أراكِ تكرهينَ الجَنَّهْ
قَد طَالَمَا قَد كُنتِ مطمئِنَّهْ
هَل أنتِ إلّا نُطفةٌ فى شَنَّهْ
جعفرُ ما أطيَبَ رِيحَ الجنَّهْ[1]

كان لحسن العاقبة عند المسلمين، وإحساسهم بأن ثواب الشهداء هو الجنة حافزًا قويًا لاندفاع ابن رواحة وقتاله المستميت، وهو يخاطب من سبقه من شهداء معركة مؤتة، فكان يجذ لنفسه ريح الجنة، فقاتل حتى لقى ربه شهيدًا، فلما وصلت الأخبار إلى المدينة رثى حسان بن ثابت شهداء مؤتة بقوله:

عينُ جودى بدمعِك المَنزورِ	واذكرى فى الرَّخاءِ أهلَ القبورِ
واذكرى مؤتةً وما كانَ فيها	يومَ راحوا فى واقعةِ التغوير
حينَ ولَّوا وغادروا ثم زَيدًا	نِعمَ مأوى الضَّرِيكَ والمأسورِ
حِبُّ خيرَ الأنامِ طُرًّا جميعًا	سَيِّد الناس حُبُّه فى الصُّدورِ
ذاكُمُ أحمَد الذى لا سِواهُ	ذاكَ حُزنى لَهُ معًا وسروري
ثم جودى للخزرجى بدمعٍ	سَيِّدًا كانَ ثم غيرَ نَزورِ
قَد أتانا من قتلهم ما كفانا	فبحزنٍ نَبيتُ غيرَ سُرورِ[2]

يرثى الشاعر شهداء مؤتة، فيشير إلى استشهاد زيد بن حارثة (ت، ٨هـ/

(١) ديوانه، ١٥٣.
(٢) ديوانه، ٢٢١-٢٢٢؛ ابن هشام: السيرة، ٤/ ٢٠-٢١.

٦٢٩م)، كما أشار ابن رواحة فى رجزه إلى استشهاد جعفر بن أبى طالب (ت، ٨هـ/ ٦٢٩م)، فكان الشعر وثيقة تكشف عن التاريخ الحقيقى لوفيات من شارك فى الغزوات والمعارك.

وعندما انتقل النبى صلى الله عليه وسلم، إلى الرفيق الأعلى سنة (١١هـ/ ٦٣٢م)[(١)] استنهض حسان بن ثابت قواه الشعرية، وهو الشاعر الذى جعل شعره صوتًا مدويًا فى سبيل الإسلام، فرثى الرسول، صلى الله عليه وسلم، بقوله:

آليتُ حَلفَةَ برٍّ غير ذى دَخَلٍ ... مِنّى آليَةَ بَرٍّ غيرِ إفنادِ
باللهِ ما حَمَلت أنثى ولا وَضَعتْ ... مِثلَ النبى رسول الرَّحمةِ الهادِى
ولا مَشى فوقَ ظهرِ الأرضِ من أحدٍ ... أولى بذِمَّةِ جارٍ أو بميعادِ
مَن الذى كانَ نورا يُستضاءُ بهِ ... مُبارك الأمرِ ذا حزم وإرشادِ
مُصدِقًا للنبيِّين الأُلى سَلفوا ... وأبذَلَ الناسِ للمعروفِ للجادي
خيرَ البريّة إنّى كنتُ فى نَهرٍ ... جارٍ فأصبحت مثلَ المُفردِ الصادِي
أمسى نساؤكَ عُطّلْنَ البيوت فما ... يَضربنَ فوقَ عُرى سِترٍ بأوتادِ
مِثل الرَّواهبِ يلبسنَ المُسوحَ وقَد ... أيقَن بالبُؤسِ بعَد النِّعمةِ البادى[(٢)]

يبدو أثر وقع الحدث النفسى واضحًا على الشاعر، لذا أطرى فضائل المرثى فدمج بين أسلوب الرثاء فى إيلاء مظاهر الحزن اهتمامه وفى بيان مناقب شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وميزة رسالته فى توكيد رسالات الأنبياء، فوصفه بأنه خير البرية وأبذل الناس بالمعروف، بينما وصفه كعب بن مالك فى رثائه له بأنه خير من حملت ناقة، وأتقى البرية، وخير الأنام حين قال:

يا عَين فابكى بدمع ذرى ... لخيرِ البريةِ والمصطفى
وبكّى الرسول وحُقَّ البكاء ... عليه لدى الحربِ عند اللقا

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٥٨؛ الطبري: تاريخ، ٣/ ١٩٩.
(٢) ديوانه، ٢٠٧-٢٠٨؛ ابن هشام: السيرة، ٤/ ٢٣٦.

علـــى حـــيرٍ مَـــن حَملَـــت ناقـــةٌ وأتقـــى الـــبريةَ عـــند التُّقـــى
علـــى سَـــيد ماجـــدٍ جحفَـــلٍ وخـــيرِ الأنـــام وخـــير اللُهـــا
لـــهُ حـــسَبٌ فـــوقَ كـــلِّ الأنـــا مِ مـــن هاشـــم ذلِـــكَ المُرتجـــى
نَخـــصُّ بمـــا كـــانَ مـــن فـــضلهِ وكـــان سِـــراجًا لـــنا فـــى الـــدُّجا
وكـــان بـــشيرًا لـــنا مـــنذرًا ونـــورًا لـــنا ضـــوءه قـــد أضـــا
فأنقـــذنا الله فـــى نـــورِه وَنَجّـــى بـــرحمتِه مَـــن لَظـــا[1]

ينطلق الشاعر فى رثائه للنبى)صلى الله عليه وسلم) من المفاهيم الإسلامية التى أشاعتها لغة القرآن الكريم بما يوصل بين جسامة الحدث ووقع القصيدة لأنهما ينبثقان من أرض إسلامية واحدة رسختها قوة تأثير الرسالة، فكان الرثاء يجمع بين فكرة الاصطفاء فى النبوة ونبل النسب، مما يعنى أن الشاعر زاوج بين الافتخار بالنسب عند شعراء قبل الإسلام والاعتزاز الكبير بالدين الجديد، وبشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) التى رأت فى الشعر خير عون ضد الأعداء.

عصر الخلفاء الراشدين

ثبَّت الرسول (صلى الله عليه وسلم) أركان الدولة العربية الإسلامية فى شبه جزيرة العرب بعد أن وضع أصولها وبنى قواعدها وأوضح معالمها، فاتخذ من يثرب عاصمة لدولته التى سميت بمدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومنها انتشر الإسلام وتوسعت دولته بعد أن حمل أعباءها خلفاؤه من بعده، فحرروا الأمصار وفتحوا البلدان وساهموا فى إعلاء دين الإسلام فرادى وجماعات فى الحرب والسلم.

كان للخلفاء الراشدين مواقف مع الشعر، فقد روى شعر لأبى بكر وعمر وعثمان وعلي[2] (رضى الله عنهم)، كما كان عمر بن الخطاب يقول: "الشعر علم قوم

(١) ديوانه، ١٧٣.
(٢) ابن رشيق: العمدة، ١/ ٣٢-٣٤.

لم يكن لهم علم أعلم منه"، وكان على بن أبى طالب يقول: "الشعر ميزان القول، ورواه بعضهم: الشعر ميزان القوم[1]. مما يعنى أن الشعر شكل جزءًا من ثقافة مرحلة عاشوها وظلوا يرون فيه علمًا ومؤثرًا على حياة العرب بعد الإسلام. وكانت لهم مواقف مع الشعراء حتى أن حسان بن ثابت خاطب عمر مرة عندما نهره عن قول الشعر بقوله: "دعنى عنك يا عمر، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد فى هذا المسجد من هو خير منك فما يغير على ذلك، فقال عمر: صدقت"[2]. ولعل ذلك هو الذى دفع بعمر إلى الكتابة إلى أبى موسى الأشعري: "مر من قبلك بتعلم الشعر؛ فإنه يدل على معالى الأخلاق، وصواب الرأى، ومعرفة الأنساب"[3].

وعندما قدم الزبرقان بن بدر[4] إلى أبى بكر الصديق (١١-١٣هـ/ ٦٣١-٦٣٤م) فى خلافته، وهو يحمل معه أموال الصدقات فى سنة ١١٠هـ/ ٦٣٢م)[5] قال:

وفيتُ بأذوادِ الرسولِ وقَد أبت	سُعاة فَلم يَرُددْ بعيرًا مجيرُها
مَعًا ومنعناها من النَّاسِ كلِّهُم	تَراها الأعادى حَولَنا ما تضيُرها
وأديتُها من أن تُضامَ بذمتِّى	مَحَانيق لَم تُدرَس رُكوبًا ظُهورُها
أردتُ بها التقوى ومَجد حديثها	إذا عُصبةٌ سامى قَبيلى فَخُورُها
وإنّى لَمِنْ قَومٍ إذا عُدَّ سَعيُهم	أبى المخزيات حَيُّها وقَبيرُها

(١) نفسه، ١/ ٢٧-٢٨.

(٢) نفسه، ١/ ٢٨.

(٣) نفسه.

(٤) هو الحصين بن بدر التميمي، شاعر مخضرم محسن. ينظر ترجمته: الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت، ٣٧٠هـ/ ٩٨١م): المؤتلف والمختلف، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، ١٨٧؛ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الإصابة في تمييز الصحابة، الجزء الأول (مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ)، ٥٤٣.

(٥) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٠٥.

صِـغارهُمُ لم يَطـيعوا وكـبارُهُم أصُيبَتْ مـناياها عِفافًـا صُـدُورها[1]

ينطلق الشاعر من خلال امتزاج الاستجابة الذاتية بالحدث، للتعبير عن موقفه كإنسان شعر بتواصل عهد الخليفة الأول بعصر الرسالة الإسلامية، مشيرًا إلى أنه جاء بحق الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذى شرعه.

وفى سنة (١٢هـ/ ٦٣٣م)[2] هزم القعقاع[3] الفرس فى وقعة حصيد[4] فقال:

ألم يَـنه عـنا حـى أرس أنـنا منعـناهم مـن ريعهـم بالـصَّوارِمِ
وإنـا أُنـاسٌ قـد نعـوَّدُ خيلـنا لقـاءَ الأعـادى بالحتوفِ الفـواطمِ
ورُوز قتلـنا حـيث أرجـف خَـدَّه وكـلُّ رئـيسٍ زارنـا بالعظـائمِ
تـركنا حَـصيدًا لا أنـيس بجـره وقـد شـفيت أربابـه بالأعـاجِم
وأنـى لراجـى أن تلاقـى جمـوعُهُم غُـديًا المنكـرات الـصَّوارمِ
ألا أبلِغـا أسمـاءَ أنَّ جـيلها قـضى وطـرًا مـن روزبـى الأعـاجِمِ
غَـداةَ صبحنا فـى حَصيدةٍ جُموعهُم بهـنديّةَ تفـرى فِـراخ الجَمـاجِم
ورُوزَ أصـابَت بالمـنايا فأوجَعـت سيوفُ بنى عمروٍ بإحدى العظائِمِ[5]

واكبت هذه القصيدة معارك تحرير العراق، والتى أصبحت إحدى الوثائق التاريخية التى "لها قيمتها فى تأكيد الوقائع وسلامة الأحداث وقدرة الشعر على تصوير التاريخ. وتثبيت أحداثه وتصويره لحياة المحررين ومشاعرهم"[6] الإنسانية

---

(١) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٧؛ الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٠٥.
(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٨٠.
(٣) القعقاع بن عمرو التيمي (ت، نحو ٤٠هـ/ ٦٦٠م) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبدالوهاب فايد الجزء الرابع (دار الشعب، القاهرة، دون تاريخ)، ٤٠٩.
(٤) حصيد: موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٦٦ (حصيد).
(٥) القعقاع بن عمرو التميمي (ت، نحو ٤٠هـ/ ٦٦٠م): شعره ضمن كتاب: شعراء إسلاميون، تحقيق نوري حمودي القيسي (منشورات مكتبة النهضة العربية - عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، ٤٩.
(٦) القيسي: الشعر والتاريخ، ٥٨.

والقتالية، فكانت واضحة المعانى وثقت مقتل شخصيتين من شخصيات رجال العدو وهما "روزبة و "روز مهر"[1].

حين توفى الخليفة أبو بكر الصديق سنة (١٣هـ/ ٦٣٤م) رثاه حسان بن ثابت فقال:

إذا تذكرتُ شجوًا من أخى ثِقَةٍ — فاذكر أخاكَ أبا بكر بما فَعلا
خيرَ البَريَّةِ أتقاها وأعدلَها — بعد النبى وأوفاها بما حَمَلا
والثانى الصَّادق المحمود مشهدُه — وأَوَّلِ الناسِ منهم صَدَّق الرُّسلا
عاشَ حميدًا لأمرِ اللهِ مُتَّبِعًا — يهدْى صاحبِهِ الماضى وما انتقلا[2]

يبدو على هذه الأبيات أنها متقاربة فى الدلالة والمعنى مع ما جاء فى رثاء حسان للنبى (صلى الله عليه وسلم)، مما يؤكد استمرارية الحدث التاريخى وتواصله، وبأن ثمة ترابطًا بين صاحب الرسالة الأول وبين من جاء بعده حين أخذ على عاتقه مسؤولية المواصلة فى تنفيذ مبادئ تلك الرسالة على وفق المعيار الذى جاءت به وأرادته.

كان الخلفية الثانى عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هت/ ٦٣٤-٦٤٣م) عازمًا على تثبيت دعائم الدولة وتعبئة الجيوش لتحرير الأقاليم المجاورة لدولته، فابتدأ مع إمبراطورية الفرس بمعارك متواصلة كانت محدودة فى بدايتها ثم صارت مشهودة فى وقائعها بعد ذلك. ففى معركة القادسية التى حدثت سنة (١٤هـ/ ٦٣٥م)[3] أسهم الشعر فى توثيق الأحداث، وفى بيان طبيعة الالتحام القتالى العنيف الذى التحمه المسلمون مع أعدائهم الفرس، والذى آل إلى تقويض هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف ودحرها وتحرير العراق وفتح

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٨٠.

(٢) ديوانه، ٢١١-٢١٢.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ٤٨٠.

خراسان وغيرها من الأقاليم المنضوية تحتها، وفى هذا الشأن يقول[١] طليحة بن خويلد:

طـرقت سـليمى أرحـل الـركبِ	إنـى اهـتديتُ بسبسب سـهبِ
إنـى كفلـتُ سـلام بعـدكم	بالغـارة الـشّعواء والحـربِ
لـو كـنتَ يـومَ القادسـيةِ إذ	نازلـتم بمهـنَدٍ عَـضَبِ
أبـصرتَ شـداتى ومنـصرفي	وإقامتـى للطّعـنِ والـضَّربِ[٢]

فهـذا طليـحة بـن خويلد يوثق الأحداث عندما يوضح فى شعره ملامح المعركة ويرسم صورة للترابـط بيـن مكـان المعـركة وما يجرى فيها من فعاليات وأدوات قتالية.

وعن تحرير بيت المقدس فى سنة (١٥هـ/ ٦٣٦م)[٣] يقول زياد بن حنظلة[٤]:

تَذكّـرتُ حـربَ الـرُّومِ لمـا تَطاوَلَـتْ	وإذ نَحـنُ فـى عـامٍ كـثيرٍ نـزائِلُهْ
وإذ نَحـنُ فـى أرضِ الحجـازِ وَبينـنا	مَـسيرةُ شَـهرٍ بيـنهُنَّ بَلابِلَـهْ
وإذ أرطـبونُ الـروم يَحمِـى بِـلادَهُ	يُحاولَـهُ قَـرمٌ هـنُاكَ يـسُاجِلَهْ
فلمـا رأى الفـاروق أزمـان فَـتحِها	سمـا بجـنُودِ الله كَـيما يُـصاوِلَه
فلمـا أَحـسوه وخافـوا صِـوالهُ	أتَـوهُ قولـوا أنـتَ مِمَّـنْ نُواصِـلَهْ
وألقَـت إلـيه الـشأم أفـلاذَ بَطـنِها	وعَيـشا خَـصيبًا مـا تُعـدُّ مآكِلَـهْ
أبـاحَ لـنا مـا بَـينَ شـرقٍ ومغـربٍ	مـواريث أعقـابٍ بنـتها قَـرَامِلَهْ

(١) هو طليحة بن خويلد الأسدي شهد معركة القادسية. ترجمته: ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م): الاستيعاب في أسماء الأصحاب بهامش كتاب الإصابة، الجزء الثاني (مط السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ)، ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): فتوح البلدان، تعليق ومراجعة رضوان محمد رضوان (المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩م)، ٢٦١.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ٦١٢.

(٤) زياد بن حنظلة التميمي. ترجمته: ابن حجر: الإصابة، ١/ ٥٥٧.

وكَـم مُـثقَلٍ لَـمَ يَـضطَلِع باحـتمالِهِ   تحمَّـلَ عِبئًا حـين شـالَتْ شَـوائِلَه[1]

يشير هذا الشعر إلى تحرير بيت المقدس، وبلاد الشام، ومسيرة الخليفة عمر إليها، كما يشير إلى المعركة بين المسلمين مع (أرطبون) الروم، فأصبح الشعر وثيقة تسهم فى حفظ الأحداث إلى جانب مصادرها التاريخية.

كانت معارك التحرير تتواصل بقوة وتصميم ففى وقعة جلولاء[2] التى حدثت سنة (١٦هـ/ ٦٣٧م)[3] فقال هاشم بن عتبة[4] الذى زحف عليها من المدائن فى اثنى عشر ألفًا:

يَـومُ جلـولاءَ ويـومُ رُسـتَمْ   ويـوُم زحـفِ الكـوفَةِ المُقـدَّمْ
ويَـوُم عَـرضِ النهـرِ المحـرَّمْ   مِـن بـينَ أيَّـامٍ خَلَـونَ صُـرَّمْ
شَـيَّبنَ أصـداغى فَهُـنَّ هُـرَّمْ   مِـثلُ ثُغـامِ الـبَلَدِ المُحـرَّمْ[5]

يحفظ هذا الشعر مكان الموقعة وقائد جيش الفرس، فيتابع زحف الجيوش وهى تعبر النهر، وما لاقاه الجيش الإسلامى الزاحف فى مسيرته خلال الأيام التى سبقت التماس بين الجيشين، وقد شهد القعقاع هذه الوقعة فقال:

ونَحـنُ قتلـنا فـى جلـولا أكابـرًا   ومَهـران إذْ عَـزَّتْ علـيه المـذاهبُ

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٦١٢-٦١٣.

(٢) جلولاء: طسوج في طريق خراسان قرب خانقين، وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ١٥٦ (جلولاء).

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٠٨ وفيه حدثت سنة ١٧هـ؛ الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٥.

(٤) هاشم بن عتبة بن ابي وقاص المعروف بالمرقال، قتل مع علي بن أبي طالب في صفين سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م. ترجمته: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي التميمي (ت، ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م): الثقات، إشراف شرف الدين أحمد، الجزء الثالث (مطبعة مجالس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدين – الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ٤٣٧؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد سعيد بسيوني زغلول، الجزء الأول (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، ٢٨.

(٥) الطبري: تاريخ، ٤/ ٣٣-٣٤.

ويـــوم جلـــولاء الوقـــيعة أفنـــيت بـــنو فـــارس لمـــا حـــوتَها الكـــتائِبُ[1]

لقد أشرت أبيات هاشم بن عتبة والقعقاع أسماء مدن وأشخاص ترتبط بوقعة جلولاء من أمثال (جلولاء، الكوفة، رستم، مهران،..) وفى ذلك إضافة مهمة للمعرفة التاريخية حُفِظَت لنا من خلال الشعر.

وعن طعن عمر بن الخطاب واستشهاده بعد ذلك فى سنة (٢٣هـ/ ٦٤٣م)[2] يقول حسان بن ثابت:

فَجَّعَـــــنا فَـــــيرُوز لا دَّر دُرُّهُ بأبـــيضَ يـــتلوُ المُحكَمـــاتِ مُنـــيبِ

رَؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العِدا أخـــى ثِقـــةٍ فـــى النائـــباتِ نَجـــيبِ

متى مـا يَقـلُ لا يكـذِبُ القـولَ فعلُـهُ سَـــريع إلى الخـــيراتِ غـــيرَ قطـــوبِ

مُطـــيعٍ لأمـــرِ الله بالحـــقِّ عـــارفٍ بعـــيدُ الأنـــامِ عـــندَهُ كقَـــريبِ[3]

يحدد الشاعر فى رثائهِ اسم قاتل الخليفة، ويحكى صفات هذا الخليفة وهي: أنه رؤوف على الأدنى، غليظ على الأعداء، أخو ثقة فى النائبات، لا يكذب القول، سريع على الخيرات غير قطوب، مطيع لأمر الله، عارف بالحق، يتساوى عنده البعيد من الناس كالقريب. هذا فضلاً عن تلاوته لكتاب الله، ورأفته، ونجابته...، فاستطاع توثيق خصال الخليفة شرعًا،وهذا شيء مهم يمكن أن يعتمده المؤرخ فى التدوين التاريخى.

وعندما فتحت طبرستان[4] سنة (٣٠هـ/ ٦٥م)[5] فى خلافة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٣-٦٥٥م) قال كعب بن جعيل[6] (ت، ٥٥هـ/ ٦٧٥م) مادحًا قائد الجيش الذى فتحها:

---

(١) شعره، ضمن كتاب: شعراء إسلاميون، ٢٩.
(٢) ابن خياط، تاريخ، ١/ ١٢٦؛ الطبري: تاريخ، ٤/ ١٩٣.
(٣) ديوانه، ٢١٢.
(٤) إقليم في بلاد (مازندران). كما في ياقوت: معجم البلدان، ٤م١٣ (طبرستان).
(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٤١٠١٤٢؛ الطبري: تاريخ، ٤م٢٧٠.
(٦) هو كعب بن جُعيل بن قمير، أحد بني تغلب (ت، ٥٥هـ/ ٦٧٥م). ترجمته: الجاحظ، البيان، ١/ ٦٣ ؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٥٤٣.

فَـنِعِمَ الفَتـى إذْ جـالَ جـيلانُ دونَـه ... وإذْ هَـبطوا مـن دستَبى ثـم أبهـرَا
تَعَلَّـــم سَــعيدَ الخَـــيرِ إن مطيتــــى ... إذا هَـبطَت أشـفَقتُ مِـن أن تُعقَـرا
كأنَّــك يَـومَ الـشِّعب لَـيثُ خفـيَّةٍ ... تَحـرَّدَ مِـن لَـيثِ العَـرين وأصـحرا
تَسوسُ الَّذى ما ساسَ قبلك واحِدٌ ... ثمـانينَ ألفًـا دارعــينَ وحُـسَّرا[1]

يبين الشاعر تعداد الجيش، وهم ثمانون ألفًا، وطبيعة استعدادهم للقتال، فهم دارعون وحسرا، أى بعضهم يرتدى الدروع وآخرون حسرا، أى غير دارعين، ولعلهم فعلوا ذلك استماتة فى قتال عدوهم.

أدت الفتنة التى ظهرت أيام الخليفة عثمان بن عفان إلى استشهاده فى سنة (٣٥ هـ/ ٦٥٥م)[2] فرثاه حسان بن ثابت بقوله:

إن تُمـسِ دارَ بنـى عـثمان خاويـةً ... بـابٌ صـريعٌ وبـابٌ مُحـرَقٌ خَـرِبُ
فقـد يُـصادِفُ باغـى الخَـير حاجَـتهُ ... فـيها ويـأوى إلـيها العُـرفُ والحَـسَبُ
يـا أيُّهـا الـنّاس أبـدوا ذاتَ أنفـسكم ... لا يستوى الـصِّدقُ عند اللهِ والكَذبُ
ألا تنيـــبوا لأمــــرِ اللهِ تَعترفــــوا ... كتائـبًا عُـصبًا مـن خَلفِهـا عُـصُبُ
فـيهم حَبيب شـهابِ الحربِ يقدمهُم ... مستلئِمًا قَد بَدا فى وجههِ الغَضَبُ[3]

يوثق الشاعر ما حدث فى الفتنة من فتح باب دار الخليفة وحرق باب آخر، ويستنكر ذلك ويرى فيه تجاوزًا على إمام المسلمين، فيحاول الكشف عن جوانب الحدث الغامضة من خلال هذا الشعر.

ونتيجة لما حصل من فرقة بين المسلمين كان عهد الخليفة على بن أبى طالب (٣٥ -٤٠هـ/ ٦٥٥-٦٦٠م) مضطربًا بالصراعات والأحداث الجسيمة، فقد حذر أبو

---

(١) الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٧٠-٢٧١.
(٢) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٥٤؛ الطبري: تاريخ، ٤/ ٤١٥.
(٣) ديوانه، ٢١٢-٢١٣.

الأسـود الدؤلي[1] (ت، ٦٧هـ/ ٨٦٨م)من الفتنة فى وقعة الجمل سنة (٣٦هـ/ ٦٥٦م)[2] فقال:

أتيـــنا الـــزبيرَ فدانـــى الكـــلامَ وطَلحـــةَ كالـــنجمِ أو أبعـــدُ
وأحـــسنَ قولـــيهما فـــادِحٌ يـــضيقُ بـــه الخَطـــبُ مـــستنكَدُ
وَقَـــد أوعـــدونا بجهـــدِ الوعـــيدِ فأهـــوَن علـيـــنا بمـــا أوعـــدوا
فقلـــنا: ركـــضتم ولم تَـــرمِلوا وأصـــدرتم قـــبلَ أن تـــوردوا
فـإن تلقحـوا الحـربَ بـينَ الـرِّجالِ فملقحُهـــا جـــدُه الأنكـــدُ
وإنَّ عَلـــيًّا لكـــم مُـــصحِرٌ ألا إنَّـــهُ الأســـدُ الأســـوَدُ
أمـــا إنَّـــه ثالِـــث العـــبادِ ـــــن بمكَـــةَ والله لا يعـــيدُ
فـــرِّخوا الخـــناقَ ولا تعجلـــوا فـــإنَّ غَـــدًا لكُـــم مـــوعِدُ[3]

الملاحظ على شعر أبى الأسود أن معانيه جاهلية لها صلة بالبادية، فقد شبه الحربَ بالناقة، وعلى بن أبى طالب (رضى الله عنه) بالأسد، واستفاد من مفردات الصحراء التى لها علاقة بالماء وبالورد والتصدير، وهذا ما جعل الكثير من مفردات وصور الشعر العربى قبل الإسلام تنهض من جديد، لتعود معها أفكار العصبية القبلية مشفوعة بالصراعات نتيجة شيوع الفرقة. فهذا أحد المقاتلين فى وقعة الجمل يقلب سيفة ويرتجز:

نحـنُ بنـى ضَـبّة أصـحابُ الجَمـلْ نُـــنازِلُ المَـــوتَ إذا المَـــوتَ نَـــزَلْ

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي، أحد الفقهاء والمحدثين وواضع علم النحو (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٦١٥؛ البغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت، ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٣م): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الجزء الأول (دار الكتاب العربي والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ٢٨١.
(٢) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٦٠؛ الطبري: تاريخ، ٤/ ٥٠٦.
(٣) أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م): ديوانه، تحقيق محمد حسن آل ياسين (مكتبة النهضة، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٤م)، ١٠٣-١٠٤.

والمـوتُ أشـهى عـندنا مِـن العَـسَلْ نَنعَـى أيـنَ عَفّـانَ بأطـرافِ الأسَـلْ
رُدُّوا عَليـنا شـيخنا ثـم بَجَـلْ[1]

فهو يفتخر بقومه وقبيلته، ولم يفتخر بدينه وعقيدته أو صواب رأيه، مما يدلل على عودة بعض المفاهيم القديمة نتيجة توثب نعرة الانتصار للأشخاص والقبائل، ثم نموها تدريجيًا لتمهد إلى ظهور الصراعات القبلية فى وقت آخر أيام الأمويين.

وظل الصراع قائمًا بين الخليفة على بن أبى طالب (ت، ٤٠هـ/ ٦٦٠م) وبين والى الشام معاوية بن أبى سفيان (ت، ٦٠هـ/ ٦٧٩م) بحجة المطالبة بدم الخليفة المقتول عثمان بن عفان (رضى الله عنه) (ت، ٣٥هـ/ ٦٥٥م) حتى حصل الجد فى الحرب والقتال فى وقعة صِفين[2] وذلك فى سنة (٣٧هـ/ ٦٥٧م)[3] فقال كعب بن جعيل التغلبى يرتجز:

أصـبحَتِ الأمـةُ فـى أمـرٍ عَجَـبْ والمُلـكُ مجمـوعٌ غَـدا لِمَـن غَلَـبْ
فقُلـت قَـولاً صـادِقًا غَـيرَ كَـذبْ إنَّ غَـدًا يُهلِـكُ أعـلام العَـربْ
غَـدًا نُلاقـى ربّـنا فنَحتـسَبْ يـا ربُّ لا تَـشمِت بِـنا ولا تُـصِبْ
مـن خَلَـعَ الأنـدادَ كُلّـا والـصُّلُبْ غَـدًا يكونـونَ رمـادًا قـد كُـثِبْ
بعـدَ الجِمـالِ والحـياءِ والحَـسَبْ[4]

يشير الشاعر على حصول الفرقة، ونصيحته على الطرفين بالالتزام بسبيل الصدق والابتعاد عن مغريات الدنيا، لأن نهاية الحياة هو الموت، فلا ينفع الإنسان

(١) الطبري: تاريخ، ٤/ ٥١٨.
(٢) صفين: موقع قرب الرقة على شاطئ الفرات الغربي. كما في ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٤١٤ (صفين).
(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٧٣؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ١٧ وما بعدها.
(٤) المنقري، نصر بن مزاحم (ت، ٢١٢هـ/ ٨٢٧م): وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (مكتبة الخانجي، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م)، ٢٢٥-٢٢٦.

بعد ذلك سوى عمل الخير والاحتساب لله، وقد بدت معانى الشاعر الأخلاقية ذات أثر دينى يلتزم بأفق التوجيه الإسلامى فى حين يصف شَبَثُ بن رِبعى[1] (ت، نحو ٨٠هـ/ ٦٩٩م) مجريات القتال فى هذه الوقعة فيقول:

وَقَفنا لَديهِم يومَ صِفّين بالقَنا ... لَدُن غدوةٌ حتى هَوَت لغرُوبِ
نُجالِدُهم طَورًا وطَورًا نصدُّهُمْ ... وقَد أرضت الأسيافُ كلَّ غَضُوبِ
وولّى ابنُ حَربٍ والرّماح تُنوشُه ... على كلِّ محبوكِ السَّراة شَبُوبِ
بكلِّ أسيلٍ كالقراطِ، إذْ بَدَت ... لوائِحها بينَ الكُماةِ، لَعُوبِ
نُجالِد غسانَ وتَشقى بحَرينا ... جُذامٌ ووتر العبدِ غيرُ طَلُوبِ
فَلَم أر فُرسانًا أشدَّ حَفيظَةً ... إذا غشى الآفاقَ نفحُ جَنُوبِ
أكَرَّ وأحمَى بالغَطاريفِ والقَنا ... وكُلُّ حديد الشَّفْرَتين قَضوبِ[2]

يصف هذا الشعر أصحاب معاوية فى هذه الوقعة وكيف كانوا يجالدونهم، ويشير إلى القبائل التى ساندتهم من أمثال غسان وجذام، ثم يصف أصحاب على وإقدامهم فى القتال مما يجعل من هذه الأبيات توثيقًا واقعيًا للحدث التاريخى. لأن ما يقال فى أثناء الاشتباك ينبثق انبثاقًا مباشرًا من ظروف الواقع، فهذا قيس بن سعد بن عبادة[3] (ت، ٦٠هـ/ ٦٧٩م) يرتجز حين اشتد سعير الحرب فيقول:

أنا ابنُ سعدٍ زانَهُ عُبادَهْ ... والخزرجيون رجالٌ سادَهْ
ليسَ فِرارى فى الوغى بِعادَهْ ... إنَّ الفِرارَ للفتى قِلادَهْ

(١) شَبَثُ بن رِبعي من بني العجفاء من بني رياح (ت، نحو ٨٠هـ/ ٦٩٩م). ترجمته: ابن دريد، أبو بكر بن الحسن الأزدي (ت، ٣٢١هـ/ ١٩٦٦م): الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الجزء الأول (مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ٢٢٣؛ ابن حبان: الثقات، ٤/ ٣٧١.

(٢) المنقري: وقعة صفين، ٢٩٤-٢٩٥.

(٣) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، صحابي ولي مصر (ت، ٦٠هـ/ ٦٧٩م). ترجمته: ابن عبدالبر: الاستيعاب، ٣/ ٢٢٤؛ ابن حجر، تهذيب، ٨/ ٣٥٣.

يـــا ربِ أنـــتَ لقَّنـــى الـــشَّهادَهْ والقَـتلُ خـيرٌ مِـن عِـناقِ غَـادَهْ

حَتَّـى مَتَـى تُثْنَـى لى الوِسـادَهْ[1]

إنه يفخر بنسبه مما يشير إلى عودة الروح القبلية عند فرسان الطرفين، فقد كان يناجر بُسْرَ بن أَرطأة[2] (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م) من أصحاب معاوية، فكان بسر يناجزه ويرتجز:

أنـــا ابـــن أرطـــاةٍ عظـيم القَـــدرِ مُـــردَّدٌ فـــى غالِـــب بـــن فَهـــرِ

لَـــيسَ الفِـــرارُ مـــن طِـــباع بُـــسْرِ أن يـــرجَع الـــيومَ بغـــيرِ وتْـــرِ

وَقَـــد قـــضيتُ فـــى عـــدوِّى نَـــذْرِى يـا لـيتَ شِعرى ما بقَى من عُمْرى[3]

إنه لا يختلف عن خصمه قيس بن سعد فى تعداد المزايا حينما يبدأ مفتخرًا بنسبه، بما يكشف عن كون هذا الرجز يَعرض واقعًا ويوثق الحالة النفسية للمقاتلين، فيديم الصلة بين الحدث التاريخى والشعور الذاتى وما يخفى وراءه من خلفية قبلية، وكأن الحرب أصبحت صراع فرسان، وليست صراع مبادئ وحقوق وعقائد.

كـان مـن نتـائج وقعة صفين خروج بعض أصحاب الخليفة على بن أبى طالب اعتراضًا على النتـائج التـى تمخض عنها قبول التحكيم، فسموا بالخوارج[4] والذين خاضعوا وقعة النهروان[5] ضد جيش الخلافة فى سنة (٣٧هـ/ ٦٥٧م)[6]،

---

(١) المنقري: وقعةص فين، ٤٢٨.

(٢) هو بُسر بن أرطاة بن عويمر بن عمران من لؤي بن غالب. ترجمته: ابن سعد، محمد بن سعد (ت، ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م): الطبقات الكبرى، الجزء السابع (دار صادر - دار بيروت، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)، ٤٠٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١/ ٢١٣.

(٣) المنقري: وقعة صفين، ٤٢٩.

(٤) وهم الذين خالفوا عليًا وأدوا إلا خلعه وإكفاره بالتحكيم، وخرجوا عليه، فسموا الخوارج. ينظر: الأشعري، علي بن إسماعيل (ت، ٣٣٠هـ/ ٩٤١م): مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (دار الحداثة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٦٤.

(٥) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي كما في ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٣٢٥ (نهروان).

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٨٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٩٢.

فكان العيزار بن الأخنس الطائى[1] أحد الخوارج يقف بين الصفين ويقول:

ألا ليتنى فى يوم صفّين لم أؤُبْ ... وغودرت فى القتلى بصفينَ ثاويا
وُقطّعت آرابًا وألقَيت جُثَّةً ... وأصبحَتُ مُيتًا لا أجُيُب المُناديا
ولَم أرَ قَتلى سِنبس ولَقَتلُهُم ... أشابَ غداةَ البينِ منى النَّواصيا
ثمانونَ من حيَّى جَديلَةَ قُتِّلوا ... على النَّهرِ كانوا يخضبونَ العَواليا
ينادونَ لا لا حُكمَ إلا لرِّبنا ... حنانيكَ فاعفِر حَوبَنا والمساويا
هم فارقوا فى اللهِ من جار حُكمُهُ ... وُكلٌّ عن الرَّحمَن أصبحَ راضيا
فلا وإلهُ الناسِ ما هاب مَعشرٌ ... على النهرِ فى اللهِ الحتوفِ القواضِيا
شَهِدتُ لهم عند الإلهِ بفلجِهم ... إذا صالِحُ الأقوامِ خافوا المخازيا
وآلوا إلى التقوى ولم يتبعوا الهَوى ... فلا يبعِدنَّ الله من كانَ شاريا[2]

يبين هذا الشعر عدد الذين قتلوا من حيى جديلة، وهم ثمانون، ويكشف عن عقيدة الخوارج الذين يرون بأن لا حكم إلا لله، فضلاً عن إشارته إلى يوم النهر، وإلى الشراة[3] الذين شروا أنفسهم طالبين الموت فى سبيل الله[4] فكان شعرهم ينطق بما توليهم عليهم عقيدتهم.

---

(١) أحد شعراء الخوارج، وقيل: إن اسمه الأخنس بن العيزار. ينظر: ابن الأعثم، أحمد بن أعثم الكوفي (ت، نحو ٣١٤هـ/ ٩٢٦م): الفتوح، إشراف محمد عبدالمعيد خان، الجزء الرابع (مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر آباد الدين، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ١٢٩.

(٢) شعر الخوارج، جمع وتحقيق: إحسان عباس (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م)، ٣٢-٣٣.

(٣) اختلف في أول من شرى فقيل: عروة بن مرداس أخو بلال بن مرداس الخارجي، وقيل يزيد بن عاصم. ينظر: البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد التميمي (ت، ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م). الملل والنحل، تحقيق: البير نصري نادر (دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٦م)، ٥٨.

(٤) ينظر: شعر الخوارج، ١٠.

أدى الصراع الدامى بين الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه وبين معاوية إلى استشهاده سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م) فقال أبو الأسود الدؤلى مخاطبًا معاوية:

ألا أبلِغ معاويةَ بنَ حَربٍ	فلا قَرَّتْ عيونُ الشَّامتِينَا
أفي شهرِ الصيامِ فجعتمونَا	بخيرِ الناسِ طُرًّا أجمعينَا
قتلتمُ خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا	وخَيَّسها ومَن رَكِبَ السَّفينَا
ومن لَبِس النعالَ ومن حداها	ومن قرأ المثانى والمئينَا
إذا استقبلت وجه أبى حُسينٍ	رأيتَ البدرَ راقَ الناظرينَا
لقَد عَلِمَت قُريشٌ حيثُ كَانَتْ	بأنكَ خيرُهُم حَسَبًا ودِينَا[1]

يعد هذا الرثاء تعبيرًا عن موقف يدعم موقفه ضد معاوية، لأن أبا الأسود من أصحاب على المخلصين الذين تحسسوا فضائله، وأدركوا مكانته الدينية والاجتماعية مما يكشف عن تلازم الشعر مع الحدث التاريخى، فقد كانت وفاة الخليفة على بن أبى طالب منعطفًا حرجًا فى تاريخ الدولة العربية الإسلامية، إذ بدأ بعدها اتجاه سياسى جديد وتراث شعرى له خصائص التى عادت بالقصيدة إلى صراعات القبائل ومتغيرات القوى.

(١) ديوانه، ٧١-٧٢.

الفصل الثانى

العهد السفيانى

(٤٠-٦٤ هـ/ ٦٦٠-٦٨٣م)

معاوية بن أبى سفيان بن حرب[1] **(٤٠-٦٠هـ/٦٦٠-٦٧٩م):**

استطاع معاوية بن أبى سفيان أن يؤسس دولة جديدة هى الدولة الأموية فى أعقاب الدولة الراشدة، بعد أن خطط لهذا الأمر منذ أمد طويل، عندما كان واليًا على بلاد الشام بما يقرب من عشرين عامًا ثبت فيها ركائز حكمه ونفوذه ونجح فى كسب الأعوان والمناصرين له بطرق ووسائل متعددة بعد أن سخر إمكاناته وقدراته الذاتية والإدارية والمالية من أجل تحقيق هذه الغاية، فأظهرت هذه الإمكانات نتائجها لصالحه عندما أعلن عن قيام خلافته، فمالت إليه موازين القوى فى ذلك الوقت فزادت قوته وعلا بنيان دولته.

وفى باب الشعر كان لمعاوية اهتمامات واضحة به من خلال كثرة تداول الشعر فى مجالسه ورعايته للشعراء وإغداقه الأموال عليهم وتسامحه معهم حتى وإن هجوه فى شعرهم، ويعكس هذا التوجه حالة من النزوع العام عند الناس نحو الشعر وتأثيره الكبير فى نفوسهم، فأراد أن يكسبهم إلى جانبه ويجعلهم أحد أدوات تثبيت أركان دولته، وكان "يحتفظ عنده بأشعار مكتوبة لبعض الشعراء ليعود إليها عندما يعجز جلساؤه، أن يأتوا بها من حفظهم"[2]، لذا كان يقول: "الشعر أعلى مراتب

(١) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبد مناف، ولد بمكة ونشأ فيها. بويع بالخلافة سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م) قبل أن يتم الصلح بينه وبين الحسن بن علي في سنة (٤١هـ/ ٦٦١م)، فلما تم له الأمر سُمي هذا العام بعام الجماعة لاجتماع الأمة على خليفة واحد. ترجمته ابن سعد: الطبقات، ٧/ ٤٠٦؛ ابن حجر: الإصابة، ٣/ ٤٣٣.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): أنساب الأشراف، نشره ماكس شلو يسنجر، القسم الرابع – الجزء الألو (القدس، ١٩٧١م)، ١١٣.

الأدب.. اجعلوا الشعر أكبر همكم، وأكثر دأبكم"[١] وكان يعتقد أيضًا بأن الشعر هو ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها[٢] لذا نال منه الشعر اهتمامًا خاصًا، فقد تسامح مع الشعراء وتغاضى عن زلاَّتهم لحاجته إلى شعرهم فى دعم خلافته.

تحرَّك الخوارج سنة (٤٢هـ/ ٦٦٢م)[٣] فحرضهم حيان بن طبيان[٤] السلمى بقوله:

خليلى ما بى من عَزاءٍ ولا صَبرِ	ولا إربَةٍ بعد المصابين بالنَّهرِ
سوى نهنهات فى كتائبَ جَمةٍ	إلى اللهِ ما تدعوننى الله ما تفرى
إذا جاوزت قسطانة الرِّى بغلتى	فلَستُ بسارٍ نَحوها آخرَ الدَّهرِ
ولكننى سارٍ وإن قلَّ ناصرى	قريبًا فلا أخزيكُما، مَعَ مَن يَسرى[٥]

عندما ظهرت جماعات مناوئة للدولة الأموية تحت تسميات مختلفة، اعتمدت أيضًا على الشعر لتوصيل أفكارها وعقائدها وتوثيق مواقفها ووقائعها، فالشعر الذى جاء من هذا الاتجاه كان واحدًا من موارد المؤرخ عندما دون تاريخه لما يحويه من معلومات وفيرة، فالخوارج الذين ناصبوا الدولة الأموية العداء منذ أيامها الأولى كان لشعرهم فى مناسبات وأزمان عديدة أثره فى توثيق تاريخهم، وله مآرب وأهداف كثيرة منها تحريضهم على القتال.

وفى ولاية المغيرة بن شعبة[٦] (ت، ٥٠هـ/ ٦٧٠م) على الكوفة كان له دور فى مطاردة الخوارج وإضعاف حركتهم، فعندما حبس المغيرة بعضهم فى

---

(١) ابن رشيق: العمدة، ١/ ٢٩.

(٢) الجرهمي: أخبار اليمن، ٣٣٦.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ١٧٣.

(٤) كان ممن ارتد يوم النهروان وعزم على الخروج. ينظر: البلاذري: أنساب، تحقيق إحسان عباس (نشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م) ٤-١/ ١٤٣؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ١٧٥.

(٥) شعر الخوارج، ٤٤؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ١٧٤.

(٦) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، صاحبي وإداري داهية. (ت، ٥٠هـ/ ٦٧٠م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٥/ ٢٤٧.

سنة (٤٣هـ/ ٦٦٣م)[١] قال أحد شعرائهم، معاذ بن جوين بن حصين الطائى[٢] يحرضهم على القتال والثورة:

ألا أيها الشارون قد حانَ لامرئ ... شَرَى نفسهِ للهِ أن يترجَلا
أقمتُم بدارِ الخاطئين جَهالَةً ... وكلُّ امرئ منكم يُصاد ليُقتَلا
فشُدوا على القومِ العُداةِ فإنما ... أقامتكُم للذبحِ رأيًا مُضلَّلا
ألا فاقصِدوا يا قوم للغايةِ التى ... إذا ذُكرت كانت أبرَّ وأعدَلا
فياليتنى فيكم على ظَهرِ سابحٍ ... شديدِ القُصيرى دارعًا غيرَ أعزَلا
فياليتنى فيكم أعادى عدوكم ... فَيسقينى كأسَ المنيةِ أولا
يَعزُّ على أن تخافوا وتُطردوا ... ولما أجِّرد فى المُحلِّينَ مُنصُلا
ولما يفرّق جَمعَهم كلُّ ماجِدٍ ... إذا قلتُ قد ولّى وأدبَرَ، أقبَلا[٣]

كان أعداء الخوارج يتوجسون منهم خيفة ويهابونهم لما كانوا عليه من صلابة واندفاع نحو القتال فلا يخافون الموت لأنهم اشتروا أنفسهم من الله تعالى، إذ تبدو عقيدة الخوارج الشراة واضحة فى هذا الشعر، فهو يصفهم بالشارين ويصف أعداءهم بالخاطئين حين يحرضهم على القتال ويتمنى أن يكون معهم ليشارك فى قتال عدوهم، وهذا ما يجعل الشعر مؤثرًا فى تدوين الأحداث.

واحتدم القتال بين الأمويين والخوارج فى سنة (٤٣هـ/ ٦٦٣م)[٤] من أصحاب المستورد بن عُلفة الخارجي[٥] (ت، ٤٣هـ/ ٦٦٣م)، فكان عمير بن أبى شاءة[٦] يضاربهم قدمًا بسيفه ويرتجز:

---

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ١٨٧.
(٢) معاذ بن جوين بن حصين الطائي السنبسي، وهو ممن ارتد يوم النهر. ينظر: البلاذري: أنساب، ٤-١/ ١٤٦؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ١٨٧ وفيه اسمه معاويه.
(٣) شعر الخوارج، ٤٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ١٨٧.
(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ١٩.
(٥) ينظر ترجمته، الطبري: تاريخ، ٥/ ١٨١؛ ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني (ت، نحو ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م): شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الرابع (دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ١٤٣.
(٦) أخباره في الطبري: تاريخ، ٥/ ١٦٨.

قَـد عَلِمـت أنّـى إذا مـا أقـشَعوا   عَنّـى والـتاثَ اللـئامُ الوُضَّـعُ
أحَـوسُ عـندَ الـروعِ نـدبٌ أروَعُ [1]

ودعا الشاعر عبدالله بن الزّبير الأسدى[2] لأخذ العبرة من موت عمرو بن العاص[3] (ت، ٤٣هـ/ ٦٦٣م)[4] فقال:

ألم تـر أنَّ الدهـرَ أخـنت صـروفُه   على عَمروٍ السهمى تُجبى له مصرُ
فلَـم يغـنِ عـنهُ حـزمُهُ واحتـيالُه   ولا جمعـهُ لمـا أُتـيحَ لَـه الدهـرُ
وأمـسى مُقـيمًا بالعَـراء وضـللت   مكايـدهُ عـنه وأمـوالُه الدُّثـرُ[5]

كأن الشاعر يشمت بعمرو فلم يغن عنه المال والسلطان، ويغمز السياسة الأموية بصورة غير مباشرة.

وعندما استلحق معاوية بن أبى سفيان نسب زياد[6] معه بأبيه فى سنة (٤٤هـ/ ٦٦٤م)[7] كان له هدف سياسى واضح فى ذلك فقال:

أمـا والـذى نـادى مـن الطـور عـبدَه   نِـداءً سَـميعًا فاسـتجابَ وسـلّما
لقـد كِـدتُ، لـولا الله لا شـيءَ غيرُه   تـباركَ ربـى ذو العـى، أنـا أُصـمما

---

(١) نفسه، ٥/ ١٩٨.
(٢) شاعر كوفي (ت، ٧٩هـ/ ٦٩٤م). ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ١٠٨؛ البغدادي: خزانة الأدب، ٢/ ٢٦٤.
(٣) عمرو بن العاص السهمي القرشي، صحابي. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٧/ ٤٩٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٤/ ٢٤٤.
(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٩٠.
(٥) الأسدي، عبدالله بن الزَّبير (ت، نحو ٧٥هـ/ ٦٩٤م): ديوانه، تحقيق يحيى الجبوري (دار الحرية، بغداد، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ٧٩.
(٦) يعرف بزياد بن أبيه، استعمله علي ومعاوية فكان من الولاة الأشداء (ت، ٥٣هـ/ ٦٧٢م).
ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٩٩؛ الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت،٣٣١هـ/ ٩٤٢م): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وغبراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي (مطبعة مصطفى البابي والحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، ٢٥.
(٧) ابن خياط: تاريخ، ١م١٩١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢١٤.

ولكننى رويت فى الحِلمِ والنُهى وقد قالَ فيه ذو الكمالِ، فأحكمَا[1]

فكأنه يرد بذلك بدهاء على عبدالرحمن بن الحكم[2] الذى كان يخاطبه:

أترضى يا معاويةَ بن حَربٍ بأن تَحبو كرائمِكَ العَبيدا
كأنى والذى أصبح عبدًا له بالقومِ قد شاركوا يزيدا
فإن تَرجع فمثلك زادَ خيرًا وإن تأبَ فلم تُطع شديدا[3]

وإلى عبدالرحمن بن الحكم نسبت أبيات رويت ليزيد بن مفرغ الحميرى[4] قال فيها:

ألا أبلِغ معاويةَ بن حَربٍ مُغلغلةً من الرجلِ الهجانِ
أتغضبُ أن يقال أبوك عفٌ وترضى أن يقال أبوك زانِ
فأشهد أن رحمَكَ من زيادٍ كرحمِ الفيلِ من ولدِ الأتانِ
وأشهد أنها ولدت زيادًا وصَخرٍ من سميةَ غير دانى[5]

---

(١) معاوية بن أبي سفيان (ت، ٦٠هـ/ ٦٢٩م): ديوانه، تحقيق فاروق سليم بن أحمد (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م)، ١١٦.

(٢) هو عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص الأموي، شاعر إسلامي متوسط محسن (ت، ٧٠هـ/ ٦٨٩ م).
ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٢٦٠، الكتبي، محمد بن شاكر (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، الجزء الثاني (دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ)، ٢٧٧.

(٣) ابن بكار، الزبير بن بكار (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني (رئاسة ديوان الأوقاف، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢م)، ١٧٧.

(٤) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، شاعر معروف (ت، ٦٩هـ/ ٦٨٨م).
ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٨١؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٧٦.

(٥) ابن مغرغ، يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري (ت، ٦٩هـ/ ٦٨٨م): ديوانه، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ٢٣٠-٢٣٢. ونسبت الأبيات لعبد الرحمن بن الحكم، ينظر: الجاحظ: الحيوان، ١/ ١٤٦، ٧/ ٧٣؛ ابن بكار: الموفقيات، ١٧٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٢٦٦.

يمثل هذا الشعر نقدًا لاذعًا يحاول أن ينتصر لمناوئى الخلافة الأموية، فقد كان ابن مفرغ غير ميال للأمويين، فاستغل إجراء معاوية هذا للنيل منه، وهذا ما يجعل الشعر صورة حية للصراعات السياسية.

واعتمد معاوية على زياد بن أبى سفيان اعتمادًا كبيرًا فى تثبيت أركان دولته فولاه البصرة وخراسان[1] وسجستان[2] والهند والبحرين وعمان فى سنة (٤٥هـ/ ٦٦٠م)[3] فكان وفيًا على ولايته وانقياده لخليفته وألزم الناس الطاعة للدولة وشد من أمر السلطان مخافة الناس وجمع إليه أعمدة القوم ليغدق عليهم الأموال، وفى ذلك يقول حارثة بن بدر الغُدانى[4]:

ألا مَن مُبلغ عنى زيادًا ... فنعمَ أخو الخليفة والأميرُ!
فأنتَ إمامُ مَعدلةٍ وقَصدٍ ... وحمزٍ حين تحضرُك الأُمورُ
أخوك خليفة الله ابن حربٍ ... وأنتَ وزيرهُ، نعمَ الوزيرُ
تُصيب على الهوى منه وتأتى ... مُحبك ما يُجنُّ لنا الضميرُ
بأمرِ اللهِ منصورٌ لما أرادوا ... إذا جار الرعيَة لا تجورُ
يَدرٌّ على يديكَ لما أرادوا ... من الدنيا لهم حَلبٌ غزيرُ
وتقسم بالسَّواءِ فلا غنيٌّ ... لضَيم بشتكيكَ ولا فقيرُ
وكنتَ حيًا وجئت على زمانٍ ... خَبيثٍ، ظاهِرٌ فيه شرورُ
تقاسمَتِ الرجالُ بهِ هواها ... فما تُخفى ضَغائِنَها الصُّدُورُ

---

(١) خراسان: بلاد واسعة مما يلي العراق كما في ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٣٥٠ (خراسان).

(٢) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة تليها خراسان. نفسه، ٣/ ٩٠ (سجستان).

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢١٧.

(٤) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة اليربوعي، شاعر أموي (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٣م).

ترجمته: الأصفهاني: الأغاني ٢٣/ ٤٤٤؛ ابن عساكر، علي بن هبة الله الشافعي (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٥م): تاريخ دمشق الكبير، تحقيق وتعليق أبو عبدالله علي عاشور الجنوبي، الجزء الثالث عشر (دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ١٩٧.

وخــافَ الحاضـــرون وكـــلُّ بـــادٍ يُقـــيمُ علـــى المخافـــةِ أو يَـــسيرُ
فلمـــا قـــامَ ســـيفُ الله فـــيهم زيـــادٌ قـــامَ أبلـــجُ مُـــستَنيرُ
قـــوى لا مـــنَ الحـــدثانِ غِـــرٌّ ولا جَـــزِعٌ ولا فـــانٍ كَـــبيرُ[١]

لقد أرخ هذا الشعر لظهور منصب الوزارة فى الدولة العربية الإسلامية فى أيام معاوية بن أبى سفيان، وليس كما جرت العادة بأن الوزارة لم تظهر إلا أيام العباسيين، كما تضمن إشارات واضحة تكشف عن مظاهر سياسة زياد وأسلوب تعامله مع الرعية، حتى أن الشاعر وصفه بالوزير ونعم الوزير لأنه ضبط مساحة مهمة مضطربة من رقعة الدولة؛ فكان يبذل للقريبين منه ويلتزم جانب الشدة للبعيدين عنه، ولكن معاوية الذى تميز بالدهاء كان يرغب أن يعطى المال حتى من هم بعيدون عنه لأنه سيؤدى إلى تليين مواقفهم منه كقوله لزياد حين جفا الحسن بن على:

تـدارك مـا ضـيعتَ مِـن بَعـدِ خِبرةٍ وأنـــتَ أريـــبٌ بالأمـــور خـــبيرُ
أمـا حـسنٌ فـابن الـذى كـان قـبلَه إذا ســارَ ســارَ المـوتُ حـيث يـسيرُ
وهـــل يلـــدُ الـــرئبالُ إلاّ نظـــيرَهُ؟ فـــذا حَـــسَنٌ شِـــبهٌ لَـــهُ ونَظـــيرُ
ولكـــنه لا يُـــوزنُ الحِلـــم والحِجـــا بـــرأى، لقالـــوا، فـــاعلَمن: ثَـــبيرُ[٢]

فدلل بذلك الحلم وتصريف الأمور بالشكل الحسن والطيب مع الخصوم وعدم الانجرار إلى المواجهات الساخنة مع معارضيه، فعبر عن سياسة حكيمة تعمل على ردم الفجوات.

وبقيت معارك خالد بن الوليد[٣] (ت، نحو ٢٢هـ/ ٦٤٣م) فى الشام واضحة فى

---

(١) الغداني، حارثة بن بدر (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٤م): شعره، ضمن شعراء أمويون، دراسة وتحقيق نوري حمودي القيسي، القسم الثاني (دار الكتب للطباعة، الموصل، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ٣٤٤-٣٤٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٢٣-٢٢٤.
(٢) معاوية، ديوانه، ٧٢.
(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة لقرشي المخزومي: ترجمته: ابن سعد، الطبقات، ٧/ ٣٩٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/ ١٠٩.

تأثيراتها على الأحداث بالمنطقة، فهى التى هيأت الظروف المناسبة لمجيء معاوية واليًا على الشام، فلما تواصل بعده ابنه عبدالرحمن بن خالد بن الوليد[1] (ت، ٤٦ هـ/ ٦٦٦م) خلال غزواته لبلاد الروم فى خلافة معاوية أظهر حزمًا عسكريًا كابيه، وحين شتى سنة (٤٦هـ/ ٦٦٦م) قال مرتجزًا:

أنا ابنُ سيفِ اللهِ فاعرفوني ... لم يبقَ إلا حسبى ودينى

وصارمٌ صَلٌّ بهِ يمينى[2]

فمال إليه الناس والتفوا حوله، حتى ليقال بأن معاوية قد اغتاظ منه واغتاله فى حمص[3]، بسبب ميله إلى عبدالله بن عباس رضى الله عنه كما فى قوله:

كنا نقول: ابن حرب أحلمُ الناس ... حتى تصلى ضحى نار ابن عباسِ

ماذا أراد إليه بعد تجربةٍ ... منه وبعد جراحٍ مالَها آسِ

يرجو سِقاطَ امرئٍ لم يرج سقطتَهُ ... عند الخطابِ له راجٍ من الناسِ

أنحى الشفار التى ما إن يقوم لها ... لحمٌ وفى العظمِ منهُ ضربةُ الفاسِ

وقد قَرَّتِ العينُ والأقدارُ غالبةٌ ... لما رأيتُ ابنِ هندٍ ناكسَ الراسِ

لا يرفع الطَّرفَ ذلاً حين قرره ... بالحقِّ هذا وما بالحقِّ من باسِ[4]

يتضمن هذا الشعر تعريضًا بمعاوية زاده استياء استشارة معاوية لأهل الشام

(١) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي.
ترجمته: الجهشياري: الوزراء، ٢٧؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب، ٢/ ٤٠٨.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت، ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م): أسماء المغتالين من الأشراف في الداهلية والإسلام، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الجزء الثاني (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م)، ١٦٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٦٦.

(٤) مؤلف مجهول (القرن الثالث الهجري/ التاسع العاشر الميلادي): أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبدالعزيز الدوري وعبدالجبار المطلب (دار الطليعة للطباعة والنشر، مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٧١م)، ٥٢.

فيمن يولى أمره من بعده، فأشاروا عليه بعبدالرحمن بن خالد فأضمرها فى نفسه[1]. فلما مات سأل معاوية كعب ابن جعيل التغلبى عما قاله فيه لأنه كان صديقًا لعبدالرحمن فقال:

ألا تَبكــى ومــا ظَلمــت قــريشٌ … بإعــوالِ الــبكاءِ علــى فَــتاها
ولــو يُــئِلَت دمــشقُ وأهــل حمــص … ويُــصرى مــن أتــاحَ لكــم قــراها
فــسيف اللهِ أدخلــها المــنايا … وهــدَّم حــصنَها وحمــى حِماهــا
وأَســكنها معاويــة بــن حَــربٍ … وكانــت أرضُــه أرضا سِــواها[2]

وكأن معاوية يشمت بابن جعيل، فجاء شعره ردًا غير مباشر عليه، وبأن فتح الشام وملك معاوية هى من ثمرات خالد بن الوليد، فكان رثاؤه لعبدالرحمن يتضمن استمرار فضل ابيه فى فتوح الشام والعراق، ومنه قوله:

أبــوك الــذى قــاد الجــنود مغــرِّبًا … إلى الرومِ ما أعطت الخَرجَ فارِسُ[3]

وعندما توجهت الجيوش الإسلامية نحو بلاد الروم فى سنة (٤٩هـ/ ٦٦٩م)[4] كانت بقيادة يزيد بن معاوية حين قال:

ومــا أبــالى إذا لاَقــت جمــوعُهم … بالخذقدونة[5] مـن حِمـى ومـن موم
إذا اتكــأتُ علــى الأنمــاطِ مُــرتفعًا … بديــر مُــرّان[6] عــنَ أمُ كلــثومِ[7]

---

(١) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/ ١٦٨.

(٢) نفسه، ٢/ ١٦٩.

(٣) ابن بكار، الزبير (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): جمهرة نسب قريش وأخبارها، إشراف حمد الجاسر، الجزء الثاني (دار اليمامة، الرياض، لطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٧٣٦. ينظر: ٧٣٧.

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٣٢.

(٥) الخاذقونة: الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس وغيرها. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٤٩ (حندقدونة).

(٦) مُران: موضع بالشام قرب دمشق. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٥٩ (مران).

(٧) يزيد بن معاوية (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٣م): شعره، جمع وتحقيق صلاح الدين المنجد. (دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م)، ٣٠.

وعندما وصلت هذه الجيوش أسوار القسطنطينية[(١)] قال يزيد وهو يصف ما أصاب المسلمين المقاتلين من أمراض:

تجنّـــى، لا تَـــزالُ تَعـــدُّا ذَنـــبًا ... لـتقطَعَ حـبلَ وصـلِكَ مـن حِـبالى
فيوشِـكُ أن يُـريحكَ مـن بَلائـى ... لنـزولى فـى المَهالِـكِ وارتحـالى[(٢)]

وفى سنة (٤٩هـ/ ٦٦٩م)[(٣)] مات الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه[(٤)] فقال الجرود[(٥)] بن أبى سبرة:

إذا كـان شـرٌّ سـار يـومًا ولـيلةً ... وإنَ خـيرُ قـصد الـسّير أربعـا
إذا مـا يـريدُ الـشَّرُ أقـبل نحـونا ... لإحدى الدواهى الربد جاء فأسرعا[(٦)]

وبذلك تلازم الشعر مع طبيعة الأحداث فعبر عن الواقع وحياة الناس وهواجسهم الذاتية، فالشعر رافد من روافد توثيق الحدث ووصف الظروف المحيطة به وبالناس الذين يعايشونه.

وفى سنة (٤٩هـ/ ٦٦٩م)[(٧)] وقع الطاعون فى الكوفة، فهرب المغيرة بن شعبة فلما ارتفع رجع فمات، فمر أعرابى بقبره وهو يدفن فقال:

أرســمَ ديــارٍ للمغــيرةِ تعــرفُ ... علـيها دَوى الأنـس والجِـنُ تَعـزِفُ

---

(١) دار مملكة الروم وعاصمتها ملكها قسطنطين الكبر وسماها بذلك. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٣٤٧ (قسطنطينية).
(٢) يزيد بن معاوية: شعره، ٢٩.
(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٩٤.
(٤) صحابي معروف. ترجمته: الزبيري، المصعب بن عبدالله بن المصعب (ت، ٣٢٦هـ/ ٨٥٠م): نسب قريش، نشر إ. ليفي بروفنسال (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م)، ١٩٦؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/ ١٠.
(٥) أبو نوفل الهذلي البصري (ت، ١٢٠هـ/ ٧٣٧م). ترجمته: ابن حبان، الثقات، ٤/ ١١٤؛ ابن حجر: تهذيب، ٢/ ٤٦.
(٦) البلاذري: أنساب، ٣/ ١٦-١٧.
(٧) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٣٢.

فـإن كـنت قـد لاقـيتَ هامـانَ بعـدنا   وفرعونَ فاعلم أن ذا العرشِ مُنصِفُ[1]

صار الشعر الذى يرد فيه ذكر الأشخاص يؤثر فى حفظ الحدث التاريخى، مما يجعل عامل النسيان أقل حضورًا، كما فى قول هذا الأعرابى فى موت المغيرة بن شعبة سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م) بعد أن حاول الهرب من الطاعون الذى حل بالكوفة.

كان زياد بن أبى سفيان قد طلب أوفى بن حصن الطائى سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م)[2] فهرب منه، فلما ظفر به قال لزياد:

إن زيـــادًا أبـــا المغـــيرة لا   يعجـــلُ والـــناس فـــيهم عَجلَـــهْ
خِفـــتُكَ والله فـــاعلَمنْ حَلفِـــى   خـــوفَ الحفافِـــيثِ صَـــولَة اَصَـــلَهْ
جـــئتُ إذ ضـــاقَتِ الـــبلاد فلَـــم   يكُـــن علـــيها لخائِـــفٍ وَأَلَـــهْ[3]

ولكن زيادًا لم يسمع منه اعتذاره فقتله، فقال فى هذه الحادثة عبدالله بن هَمَّام السَّلولى[4]:

خَـيَّبَ اللهُ سـعى أوفـى بـن حِـصنٍ   حـــين أضـــحى فـــروَّجَةَ الـــرقاءِ
قـــادُه الحَـــينُ والـــشَّقاءُ إلى   لَـــيثِ عَـــرينٍ وحـــيَّةٍ صَـــمَّاءِ[5]

وقد بدا تأثير بيئة الصحراء على الشعر واضحًا فى هذه الأبيات، وبدا أيضًا أن الشعر لا يزال يرتكز فى لغته على المفردات البدوية، لما له من أثر كبير فى النفوس؛ وذلك عندما شبه زيادًا بالأسد والحية كناية عن الشدة والقوة فى العمل، والقدرة

(١) المسعودي: مروج، ٣/ ٢٤.
(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٣٥.
(٣) نفسه.
(٤) من بني حرة بن صعصعة، وسَلول أم بني مرة. شاعر أموي وخطيب فصيح، (ت، ٩٥-١٠٠هـ/ ٧١٣-٧١٨م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٢٤٥؛ البكري: سمط، ٢/ ٦٨٣.
(٥) السلولي، عبدالله بن هَمام (ت، ٩٥-١٠٠هـ/ ٧١٣-٧١٨م): حياته وما تبقى من شعره، تحقيق نوري حمودي القيسي: مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٧)، الجزء (الرابع)، (بغداد، ربيع الأول ١٤٠٧هـ/ كانون الأول ١٩٨٦م)، ١٨٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٣٦.

على الوصول إلى الخصم ومطاردته، كما وثق شعر السلولى ذكر أولى وخيبته فى اعتذار من زياد.

وعندما طلب زياد الفرزدق[١] فى سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م)[٢] هرب منه إلى الحجاز، ولقيه فى طريقه أسد فقال:

مـا كـنتُ أحـسبنى جـبانًا بعـدما ... لاقـيتُ لـيلةَ جانـبَ الأنهـارِ
ليـثًا كـأنَّ علـى يديـهِ رِحالـةً ... جَـسد البَـراثِنِ مُـؤجَدَ الأظفـارِ
لمـا سَـمِعتُ لـه زمـازِمَ أقـبلَت ... نفـسى إلى وقلـت أيـنَ فـرارِى!
فضَربتُ جِروتَها وقُلتُ لها اصبرى ... وشـدَدت فـى ضَـيقِ المُقـام إزارِى
فلأنـتَ أهـونُ مـن زيـادٍ جانِـبًا ... فاذهَـب إلـيكَ مُخـرَّمَ الـسَّفارِ[٣]

وعندما قيلت هذه الأبيات فى حضرة زياد قال: "لو أتانى لأمنته وأعطيته"[٤]، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

تَذكَّـر هـذا القَلـبُ مـن شـوقِهِ ذِكـرَا ... تَذكَّـر شَـوقًا لـيس ناسَـيْه عَـصرَا
تَذكَّـر ظَمـياءَ التـى لـيس ناسـيًا، ... وإن كـان أدنـى عهـدِهَا حِجَجًا عَشرا

إلى أن يقول:

دعانـى زيـادٌ للعطـاءِ ولـوم أَكُـنْ ... لأقـربَهُ مـا سـاقَ ذو حـسَبٍ وَفَـرا
وعـندَ زيـادٍ لـو يـريدُ عطـاءَهم ... رجـالٌ كـثيرُ قـد يَـرى بِهُـم فَقَـرا

---

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة من دارم التميمي (ت، ١١٥هـ/ ٧٣٣م): ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٣٨١؛ المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (ت، ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م): معجم الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)، ٤٦٥.

(٢) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٦؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤١-٢٤٦.

(٣) الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة (ت، ١١٥هـ/ ٧٣٣م): ديوانه، الجزء الأول (دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ٢٥٧؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٧.

(٤) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٦؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٧.

قُعودٌ لدى الأبوابِ طُلّاب حاجَةٍ غَوَانٍ من الحاجاتِ أو حاجةً بِكرا
فلما خَشيتُ أن يكونَ عطاؤهُ أداهِمَ سُودًا أو مُحدرَجَةً سُمرا[1]

لقد أصبح الشعر وسيلة مؤثرة فى كسب ولاء القبائل وصار الشعراء أدوات إعلامية لنشر الأحداث فيما بين الأمصار، ولذلك توجه الأمويون ومنذ أيام معاوية إلى تقريب الشعراء ومنحهم الأعطيات، وكانت السياسة الأموية العامة متى ما صار تباعد بين الشاعر وأحد الولاة فإنه يصار إلى احتضان هذا الشاعر مِنْ قِبلِ والٍ آخر ليبقى ضمنَ دائرةِ الوَلاءِ الأموى، فعندما وقع التباعد بين الفرزدق والوالى زياد بن أبى سفيان احتضنه والى المدينة سعيد بن العاص (ت، ٥٨هـ/ ٦٧٧م) فأنشد فى حضرته[2]:

إليكَ فررتُ مِنكَ ومِن زِيادٍ، ولَم أحسبْ دَمى لكُما حَلَالا
ولكنّى هجوتُ، وقد هَجَتنى مَعاشِرُ قد رَضَختُ لَهُم سِجَالا
فإن يكُنْ الهجاءُ أحلَّ قتلى، فَقَد قُلنا لشاعرهِم، وقالا
تَرى الشُّمَّ الجَحاجِح من قُريشٍ إذا ما الأمرُ فى الحدثانِ عَالا
بنى عمِّ الرَّسُولِ ورَهطَ عَمرو، وعُثمانَ الذين علوا فَعَالا
قيامًا ينظرون إلى سعيدٍ، كأنّهم يَرون بهِ هِلَالا[3]

ومن المدينة بعث الفرزدق برسالة شعر إلى زياد قال فيها:

ألا مَن مُبلغٌ عنى زيادًا بأنى قَد لجأتُ إلى سعيدِ
وإنّى قَد فَررت إليهِ مِنكُم إلى ذى المجدِ والحَسَبِ التليدِ
فِرارًا مِن شَتيمِ الوجهِ وَردٍ، يَفزُّ الأسدَ خَوفًا بالوَعيدِ[4]

---

(١) الفرزدق، ديوانه، ١/ ١٨٧-١٨٨؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٧-٢٤٨.
(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٣٣.
(٣) ديوانه، ٢/ ٧٠-٧١؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤-١٣٤.
(٤) ديوانه، ١/ ١٤٦؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٩.

يبدو أن فرار الشعراء من الولاة الأشداء إلى أحد الولاة من بنى أمية أو من وجهاء قريش يسهم فى حماية الشاعر من البطش، ويعزز موقف الأسرة الأموية بين قبائل العرب، وهى سياسة استمرت طيلة العصر الأموى فكأنها وسيلة من وسائل مجابهة الخصم وكسب ولاء الشاعر لتثبيت أركان الدولة ودحر خصومها، فأصبح الشعراء ينعتونهم بأفضل النعوت منها الحسب التليد وعمومة النبى صلى الله عليه وسلم، مما يمنح دولتهم نوعًا من الشرعية فى نظر قاطنى الأمصار البعيدة عن مكة والمدينة.

ووفد الأحنف بن قيس(١) ومعه جماعة، منهم الحُتات بن يزيد(٢) على معاوية بن أبى سفيان فأعطى كلَّ رجلٍ منهم مئةَ ألفٍ وأعطى للحتات سبعينَ ألفًا فى سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م)(٣) فقال الفرزدق:

أتأكلُ مِيراثَ الحُتاتِ ظَلامَةً ... وميراثُ حربٍ جامدٌ لكَ ذائِبُهْ
أبوكَ وعَمِّى يا معاوِى أورثا ... تُراثًا، فيحتازُ التُراثُ أقارِبُهْ
فلو كانَ هذا الدِّينُ فى جاهليةٍ، ... عَرفت منَ المَولى القَليلُ حلايبُهْ
ولو كانَ هذا الأمرُ فى غيرِ مُلكِكم ... لأبديتُهُ، أو غصَّ بالماءِ شارِبُهْ
وكم مِن أبٍ لى يا معاوى لم يكُن ... أبوكَ الذى من عبدِ شَمسٍ يُقارِبُهْ(٤)

فغضب عليه زياد، فلما استعدت عليه نهشل وفقيم ازداد غضبًا، فشخص الفرزدق إلى الشام وقال:

حبانى بها البَهزِى، نفسى فداؤُهُ ... ومَن يَكُ مَولاهُ، فليسَ بواحدِ

---

(١) أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية، زعيم بني تميم (ت، نحو ٧٧هـ/ ٦٩٦م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٩٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٦٨.

(٢) أبو منازل، أحد بني حُويّ بن سفيان بن مجاشع. ينظر: أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦٠٧؛ ابن دريد: الاشتقاق: ١/ ٢٤١.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٤) ديوانه، ١/ ٤٥؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦٠٧-٦٠٨؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٣.

فَنِعمَ الفتى عيسى، إذا البُزلُ حاردت وجاءت بُصرّادٍ مع الليلِ باردِ
نمتْه النّواصى من سُليمٍ إلى العُلى وأعراقُ صدقٍ نصرٍ وخالدِ[1]

ثم طلبه زياد، فلم يقدر عليه، فقال الفرزدق:

أنبئت أن العبد ابن زهدم يطوف وللغينى له كُلٌّ تتبالِ
فإن بغائى إن أردتَ بُغايَتى عِرَاض الصَّحارى لا اختباءٌ بأدغالِ
أتيتَ ابنة المُرّار تهتكَ سِترها، ولا يُبتَغَى تحتَ الحوياتِ أمثالِى
فإنك لو لاقيتنى، يا ابن زهدم، رَجعتَ شُعاعِيًّا على شرٍّ تمثالِ[2]

وهو يشير إلى طلب زيادٍ له، واضطراره إلى الاختفاء فى بيت نصرانية، ثم انسلاله من بيتها، فلم يقدم عليه، ثم نزل فى بكر بن وائل، فأمن[3]، فقال يمدحهم:

تَبغَّت جِوارًا فى مَعدٍّ فلم تَجدْ لحُرمَتِها كالحىِّ بكرِ بنِ وائلِ
أبرَّ وأوفى ذمةً يعقدونُها، وخيرًا إذا ساوى الذّرا بالكواهلِ[4]

استخدم الفرزدق الشعر مادة يوثق بها الأحداث التاريخية التى جابهته فى صراعه مع زياد، وهى أحداث ذات صلة مباشرة بشخصه وبأسلوب معاوية فى مواجهة خصومه، بإكثار البذل والعطاء لهم، أما مؤيدوه فإنهم يحظون بأقل من ذلك، وقد وثق شعر الفرزدق هذه الخصلة فى سياسة معاوية مثلما وثق أسماء بعض الشخصيات مثل عيسى البهزى على بن زهدم، أحد بنى جوالة بن فقيم، وبنت مرار من بنى قيس بن ثعلبة النصرانية[5]، فكان شاعرًا فى يديه "نبعة الشعر قابضًا عليها"[6] يتعامل مع الموقف تعاملاً حيًا ينبع من قراءة واعية للواقع والتراث فى آن

(١) ديوانه، ١/ ١٦٧؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٠ مع اختلاف الرواية؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٤ مع اختلاف الرواية.
(٢) ديوانه، ٢/ ٧٨؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٥.
(٣) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٥.
(٤) ديوانه، ٢/ ٩٥؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٤٥.
(٥) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٠-٦١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٤-٢٤٥.
(٦) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ١٠٤٨.

واحد لتوسعه فى علم اللغة وبراعته فى الإعراب، ومعرفته بأيام العرب وأنسابهم، ووقوفه على مذاهب العرب فى تأسيس الشعر[1] بوصف الشعر جزءًا متممًا لفنون المعرفة الإنسانية، ووسيلة محكمة لتوثيق الأخبار وحفظها من الضياع ولسرعة انتشارها.

وفى سنة (٥١هـ/ ٦٧١م)[2] ولى زياد بن أبى سفيان الكوفة والبصرة، فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة، وخطب الناس، ثم رجع إلى البصرة، فبلغه أن حجر بن عدى[3] (ت، ٥١هـ/ ٦٧١م) يجتمع إليه أصحابه فيظهر لعنَ معاوية، فكتب إلى معاوية، بكتب معاوية أن شده فى الحديد، ثم أحمله إلى، فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قوم أن يمنعوه، فقال: لا، ولكن سمعٌ وطاعةٌ، فشد فى الحديد وحدثت بعضِ الاضطرابات لمكانتِه فى الكوفة فانحاز أصحابُ حُجر إلى أبوابِ كندة[4]، حتى خرج قيس بن فهدان الكِندى وهو يقول:

يـا قَـومَ حُجـرِ دافِعُـوا وصـاوِلوا ... وعَـن أخـيكم سـاعةً فقاتِلـوا
لا يلقـين مـنكم لحُجـرِ خـاذِلُ ... أَلـيسَ فـيكم سـاعةً فقاتلـوا
وفـارسٌ مـستلئِمٌ وراجِـلُ ... وضـارِبُ بالـسيفِ لا يُـواكِلُ[5]

وكان زياد أمر بحبسه وطلب أصحابه ليواجههم إلى معاوية[6] فشهد عليه الهيثم[7] بن الأسود النخعى، ثم قال يعتذر:

---

(١) ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت، ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م): عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام (المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٦م٩، ٤.
(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٥٥-٢٥٧.
(٣) هو حُجر بن عَدي بن جبلة بن معاوية الكندي قلته معاوية سنة (٥١هـ/ ٦٧١م).
ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢١٧؛ ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩م): المعارف، تحقيق ثروة عكاشة (مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٠م)، ٣٣٤.
(٤) ينظر التفاصيل عند الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٥٥-٢٥٦.
(٥) البلاذري: انساب، ٤-١/ ٢٤٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٦٠ مع اختلاف الرواية.
(٦) ينظر التفاصيل واختلاف الروايات: الدنيوري: الأخبار، ٢٢٣؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٣.
(٧) هو الهيثم بن الأسود بن قيس بن معاوية بن سفيان النخعي. ترجمته، ابن حبان: الثقات، ٥/ ٥٠٧؛ ابن حجر: الإصابة،٣/ ٦١٢.

ألا من عَذيرى من عُميرو من عمروٍ يلومانني إن مالَ دهرٌ على حُجرِ
وهل لى ذنبٌ أن زيادٌ أراده وأصحابَه يومًا بقاصمةِ الظَهرِ
وقد حدَّث الأقوامُ ميتًا بأنني دلفت لهُ عَمًّا بداهيَّةٍ هِترِ
فهلا إذًا إن كنتُ حُرًّا منعته وطاعنتُ عنهُ بالمثقفةِ السُّمرِ[1]

وقالت هند بنت زيد بن مخرمة حين سُيِّر حُجرٌ إلى معاوية:

تَرفَّع أيُّها القَمرُ المنيرُ تَبَصَّرْ هل تَرى حُجرًا يسَيرُ
يَسيرُ إلى معاوية بن حَربٍ ليقتلهُ كما زَعَمَ الأميرُ
تجبرَّت الجبابرُ بعدَ حُجرٍ وطابَ لها الخورنقُ والسَّديرُ
وأصبحت البلاد لَهُ مُحُولا كأن لَم يُحيُها يومًا مَطيرُ
ألا يا حُجَرُ حُجرُ بني عدىٍّ تلَقتكَ السَّلامَةُ والسُّرورُ
أخافُ عليك ما أردى عَديًّا وشَيخًا فى دمشقَ لَهُ زئيرُ
يرى القتلَ الخيارَ عليه حَقًّا لَهُ مِن شَرٌ أمتِهِ وزيرُ
ألا يا ليتَ حُجرًا ماتَ مَوتًا ولم يُنحر كما نُحِر البعيرُ!
فإن تَهلك فكلُّ زعيمِ قومٍ من الدُّنيا إلى هُلكٍ يصيرُ[2]

وجد هذا الحدث التاريخى متنفسًا له فى الشعر وفى نفوس أهل الكوفة، فلبى ما كان يمور فيها من معانى السخط والحنق والتمرد، فاتسعت طاقات الشعر الفنية للتعبير عن كل ما يدور فى نفس الشاعر من معانٍ مختلفة، وما يجيش فى أعماقه من

(١) البلاذري: أنساب، ٤-١/ ٦٩.

(٢) الأبيات: ابن سعد، الطبقات، ٦/ ٢٢٠. ينظر مع اختلاف الروايات: الدينوري: الأخبار، ٢٢٣؛ البلاذري: أنساب، ٤-١/ ٦٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٨٠ وهي الرواية المعتمدة؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٣-٤.

مشاعر[١] وأحاسيس، فلما قتل حُجر بن عدى فى سنة (٥١هـ/ ٦٧١م)[٢] قال على بن الغدير[٣]:

لـو كـان حجـرٌ مـن بجـيلةَ لم يَـنَلْ ... هـناكَ ولَـم يُقـرَع بأبـيضَ صـارِمِ
يـزيدهُم أنجـى أسـاراه بعـدما ... جَرى قـتلهم ذبحًا كـذبحِ البَهائِمِ[٤]

وجمع مالك بن هبيرة السُّكوني[٥] جموعًا وغضب لقتلِ حجر، فبعث إليه معاوية ﷺ بمائة ألف وداراه حتى رضى[٦] فقال على بن الغدير:

تداركـتم أمـرَ الهـبيرى بعـدما ... سَـما للنّـيا والتـى كـنتَ تحـذَرُ
فأضـحى الهُمـام عاقِـدًا ثـم رايـةً ... بحمـصٍ تُناجـيه السُّكونُ وحمـيرُ
يدارسـهُم آى الكـتابِ وقلـبُهُ ... شَـجٍ بمـصابِ أهـلِ عـذراءَ مُشْعَرُ[٧]

يبدو أن مقتل حُجر بن عدى وبعض أصحابه لا يخلو من نعرة قبلية قائمة على التقليل من قيمة القبائل اليمانية، على الرغم من أن زيادًا كان حذرًا فى تعامله حتى لا يقع الشَّغب بين المضرية واليمانية[٨]، وقد كان شعر هذا الحدث مرآة واضحة تعكس تفاصيل الصراع وتعمل على ثراءِ الحدثِ السياسى والتأثير فى تصويره.

(١) خليف، يوسف: حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ٣٥٩ و٣٦٣.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٩٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٧٧.

(٣) هو علي بن منصور بن قيس الغنوي: ترجمته: الآمدي: المؤتلف، ٢٤٧؛ المرزباني: معجم الشعراء، ١٣١.

(٤) البلاذري: أنساب، ٤-١/ ٢٦٠.

(٥) مالك بن هبيرة ابن خالد بن مسلم الكندي أو السكوني له صحبة مات زمن مروان بن الحكم (ت، نحو ٦٥هـ/ ٦٨٤م).
ترجمته: ابن حجر: الإصابة، ٣/ ٣٥٧؛ تهيب، ١٠/ ٢٢.

(٦) البلاذري: أنساب، ٤-١/ ٢٦١.

(٧) نفسه، ٤-١/ ٢٦٢.

(٨) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٦٠.

وعندما عزل زيادُ أنسَ بن أبى أناس[1] سنة (٥١هـ/ ٦٧١م)[2] وولى مكانه خليد بن عبد الله الحنطى[3] قال أنس:

ألا مــــن مــــبلغٌ عنـــى زيـــادًا ... مغلغلَــــةً يَخُـــبُّ بهـــا البَـــريدُ
أتعزلنــــى وتطعِمُهـــا خُلـــيدًا ... لقَـــد لاقَـــت حنـــيفَةُ مـــا تـــريدُ
علـــيكم بالـــيمامَةِ فاحـــرثوها ... فـــأوَّلَكم وآخـــرُكم عبـــيدُ[4]

فذاع هذا الشعر سريعًا بين الناس لأن فيه ذكرًا لعيوب الولاة، والراجح أنه كان واحدًا من أسباب عزله بعد أن أمشى فى ولايته شهرًا من الزمان[5].

وعند موت زياد بن أبى سفيان سنة (٥٣هـ/ ٦٧٢م)[6] اختلفت أحاسيس الشعراء فى النظر إليه، وفى تلقى هذا الحدث وتوثيقه، فرثاه مسكين الدارمي[7] (ت، ٨٩هـ/ ٧٠٧م) بألم عميق وحزن شديد إذ قال:

صَـلّى الإلــه علــى قَـبرٍ وسـاكنه ... دونَ الــثَّويةِ تجــرى فــوقَهُ المُــورُ
أبـــا المُغـــيرة، والدُّنـــيا مغـــيرةٌ ... إن امــرءًا غــرت الدّنــيا لمغــرورُ[8]

ورثاه أيضًا حارثة بن بدر فقال:

---

(١) هو أنس بن زنيم أو أبي إناس أو إياس. ترجمته: الجاحظ: الحيوان، ٣/ ١١٦؛ ابن حجر: الإصابة، ١/ ١٣٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٨٦.

(٣) أبو سليمان العصري. ترجمته: ابن حجر: تهذيب، ٣/ ١٣٧.

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٨٦.

(٥) نفسه.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٠٦؛ الطبري: ٥/ ٢٨٩-٢٩٠.

(٧) هو ربيعة بن عامر بن أنيف. وقيل: عامر بن شريح شاعر أموي مجيد، لقب مسكينًا لبيت قاله، (ت، ٨٩هـ/ ٧٠٧م).
ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥؛ الأصفهاني: الأغاني: ٢٠/ ١٦٧.

(٨) مسكين الدّارمي، ربيعة بن عامل بن أنيف (ت، ٨٩هـ/ ٧٠٧م): ديوانه، تحقيق خليل العطية وعبدالله الجبوري (مطبعة البصري، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م)، ٣٩.

لهفى عليك للهفَةٍ من خائفٍ ... يبغى جِوارَك حين ليس مُجيرُ
أما القبورُ فإنهنَّ أوانسٌ ... بجوارِ قبرِكَ والدِّيارُ قبورُ
عَمَّت فواضِلُهُ فعمَّ مُصابُه ... فالناسُ فيه كُلُّهم مأجُورُ
رَدَّت صنائعُهُ إليه حياته ... فكأنَّه من نَشرِها منشورُ[1]

ومع ذلك ظهر فى الطرف الآخر فرح واستبشار عند بعض الشعراء على موت زياد منهم الفرزدق الذى قال يجيب مسكينًا:

أمسكينُ أبكى الله عينيكَ، إنّما ... جرى فى ضلالٍ دمعُها إذ تَحدَّرا
أَتبكى أمرءًا من أهلِ ميسانَ كافرًا ... كَكِسرَى على عِّدانِهِ أو كقَيصرا
أقولُ لهُ لما أتانى نَعيُّهُ ... بهِ لا بظبى بالصَّريمةِ أعفَرا[2]

ثم أجابه مسكين بقصيدة يائية يفتخر عليه بعمه وخاله، لكن الفرزدق لم يكن معنيًا بمسكين ذاته، بقدر ما كان مستاءً من هروبه من زياد، فقال الفرزدق:

وَقفتُ بأعلى ذى قَساءٍ مطيتى، ... أمايِلُ فى مَروانَ وابنِ زيادِ
فقلتُ عبيدالله خيرهُما أبًا، ... وأدناهُما عُرفًا لكُلِّ جَوَادِ
فتى السِّن كهلُ الحلِ قد عَرفت لَهُ ... قبائلُ ما بينَ الدُّنا وإيادِ[3]

كما قال أيضًا:

أبلغ زيادًا إذا لاقيتَ جيفتَهُ ... إنَّ الحمامةَ قَد طارت من الحَرمِ
طارَت فما زالَ يَنميها قَوادِمُها ... حتى استغاثَت إلى الصَّحراءِ والأَجمِ[4]

وبقيت المراثى ذات أثر كبير فى النفوس، ففى ولاية عبيد الله بن زياد[5] (ت، ٦٧

---

(١) شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٣٤٧.
(٢) ديوانه، ١/ ٢٠١.
(٣) نفسه، ١/ ١٥٦.
(٤) نفسه، ٢/ ٢٢٣.
(٥) ترجمته: ابن الكلبي: جمهرة، ٥١؛ ابن قتيبة: المعارف، ٣٤٧.

هـ/ ٦٨٦م) جاء إليه الجعد بن قيس[١] فى سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م)[٢] فأنشده مرثية عن والده زياد فأبكاه بكاء شديدًا "حتى سقطت عمامته"[٣]، فدللت المراثى على قدرتها فى الإبقاء على ذكر الميت حيًا فى وجدان الأحياء، فضلًا عن قوة تأثير الرجز فى النفوس وبخاصة أثناء المسير لأن إيقاعَه يتناغم مع موكب السائرين، كما فى قول الجعد بن قيس:

ابــقِ علــى عــاذلى مــن اللّــومْ ... فـيما أزيلَـت نِعمَتـى قـبلَ الـيَومْ
قَـد ذهــبَ الكـريمُ والظّـلُ الـدَّومْ ... والـنّعَمُ المُـوئَلُ الدَّثــرُ الحَــومْ
والماشِــياتُ مَــشيةً بعــدَ الــنَّومْ ... لَـيتَ الجِـيادَ كُلّهـا مَـعَ القَـومْ
سُــقِينَ سُــمَّ ســاعَةٍ قــبلَ الــيَوم ... لأربَـع مَـضين مـن شـهرِ الـصَّومْ[٤]

فكان هذا الشعر له أثره فى الانتشار والرسوخ فى ذاكرة الزمن، وفى استمرار شيوع الحدث لما يمتلكه الشعر من جمالية مؤثرة فى النفوس وفى إضفاء الحيوية والتذوق فى ترتيب الأجواء المحيطة بالحدث.

وفى سنة (٥٦هـ/ ٦٧٥م)[٥] دعا معاوية لأخذِ البيعةِ إلى ابنهِ يزيد من بعده "فأمر يزيد مسكينًا أن يقول أبياتًا، وينشدها معاوية فى مجلسه إذا كان حافلًا، وحضره وجوه بنى أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه وهو جالس، وابنه يزيد عن يمينه، وبنو أمية حواليه، وأشراف الناس فى مجلسه، فمثل بين يديه"[٦]، وفى ذلك يقول مسكين.

إنْ أدعَ مــسكينًا فإنّيــى ابــنُ مَعــشرٍ ... مــن الــناسِ أحمــى عــنهُم وأذودُ

---

(١) هو صاحب طاق الجعد بالبصرة، كان على شُرط عبيد الله بن زياد.
ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ٢/ ٣٣٥.
(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٩٥.
(٣) نفسه، ٥/ ٢٩٧.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه، ٢/ ٣٠١.
(٦) الأصفهاني: الأغاني، ٢٠/ ١٧٥.

إلـــيكَ أمـــيرُ المؤمـــنينَ رحلـــتها ... تـــثيرُ القطـــا لـــيلًا وهـــن هجـــودُ
لـــدى كـــلِّ قَـــرموصٍ كـــأن فـــراخَه ... كلـــى عَنْبَـــرٍ إن كانـــت لهـــن جلـــودُ
وهاجَـــرةٍ طلـــت كـــأنَّ ظِـــباءَها ... إذا مـــا اتقـــتها بالقـــرونِ سُـــجودُ
تلـودُ لـشؤبوبٍ مـنَ الـشمسِ فوقَها ... ومـــروان، أمّ مـــاذا ســـعيدُ
بنـــى خلفـــاء اللهِ مَهلًـــا فإنمـــا ... يَـــبوءَها الـــرّحمن حـــيثُ يُـــريدُ
إذا المنـــبرُ الغربـــى خَـــلاه ربُّـــه ... فـــإنَّ أمـــيرَ المؤمـــنينَ يَـــزيدُ
علـى الطائـرِ الميمونِ والجدُّ صـاعدٍ ... لِكُـــلِّ أنـــاسٍ طائِـــرٌ وجـــدودُ
فـلا زِلـتَ أعلـى الناسِ كَعبًا ولا تَزَلْ ... وفـــودٌ تـــساميها إلـــيكَ وفـــودُ
ولا زالَ بـيتُ المُلـكِ فـوقَك عالـيًا ... تَـــشيدُ أطـــنابٌ لَـــهُ وعَمـــودُ[1]

لقد جعل مسكين نيل يزيد للخلافة قدرًا من الرحمن ليرد على ما أشيع فى المدينة من أن سعيد ابن عثمان بن عفان[2] هو المرشح للخلافة، وكان أهل المدينة فى حينها يقولون:

والله لا يـــــنالَها يـــــزيدُ ... حتـــى يـــنالَ رأسَـــهُ الحديـــدُ
إن الأمـــير بعـــدَه ســـعيدُ [3]

ويقال: قام رجل من ذى الكلاع، فأشار إلى معاوية فقال: "هذا أمير المؤمنين، فإذا مات فهذا وأشار إلى يزيد، فمن أبى هذا – وأشار إلى السيف – ثم قال:

معاويـــةُ، الخَلـــيفة لا تُمـــارَى ... فـــإن تهلِـــك فسائِـــسُنا يَـــزيدُ

---

(١) ديوانه، ٣١-٣٣؛ ينظر: الأصفهاني، ٢٠/ ١٧٦.

(٢) سعيد بن عثمان بن عفان ولي خراسان لمعاوية (ت، ٥٨هـ/ ٦٧٧م).

ترجمته: ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (ت، ٢٤٥هـ/ ٥٨٩م): المحبّر، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ)، ٢٦٢؛ ابن قتيبة: المعارف، ٢٠٢.

(٣) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/ ١٦٦-١٦٧؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ١١٨.

فَمَن غلَبَ الشقاء عليه جَهلا ... تحكّم فى مفارِقه الحَديدُ[1]

فكان معاوية أول من بايع لابنه يزيد بولاية العهد[2] فى الإسلام وهو لما حيًا، فعدت سابقة وخروجًا على نظام الشورى، وإنه نظام مستوحى من نظام الحكم الساسانى الكسروى كما أشار إلى ذلك عبدالله بن هَمام السَّلولى بقوله:

لَقد ضَاقت رعيتكُمُ عليكمُ ... تدرُّونَ الأرانِبَ غافلينا
إذا ما ماتَ كسرى قامَ كسرى ... نعُدُّ ثلاثةً متتابعينا
وكُلُّ الناسِ نحنُ مبايعوهُ ... وإن شئتم فعمّكم السُّمِينا
وإن جئتم برملةَ أو بهندٍ ... نبايعُها أميرة مؤمنينا
نثّبتُ ملككُم وإذا أردتُم ... بنا الصَّلعاء تُلنا مُخبتينا
فيا لَهفى لو أن لنا أنُوفًا ... ولكن لَن نَعود كما غنينا
إذًا لضربتُم حتى تعودُوا ... بمكةَ تلحسونَ بِها السَّخينا
خشينا الغيظَ حتى لو شربنا ... دماءَ بنى أميَّةَ ما روينا
ضعوا كلبًا على الأعناق منا ... وسرحكم أصاغر ورثونا[3]

فلما سمع معاوية ذلك قال: "ما ترك ابن هَمام شيئًا، عيرنا بالسَّخينة، وذكَّرنا أمهاتنا وتهددنا وذكر أنه لو شرب دماءَنا ما اشتفى، اللهم اكفناه"[4]. فكان شعره خيرَ وسيلة للاحتجاج ضد نظام الوراثة الذى كان شائعًا فى النظام القبلى فى عصر ما قبل الإسلام، ونتيجة لظهور النظام الوراثى فى الحكم أيام الأمويين حمل الشعر ما يمكن أن يقال بأن ثمة اتجاهاتٍ معارضة له فى المجتمع كقول عُقيبة الأسدى[5]:

---

(١) المسعودي: مروج، ٣/ ٢٨ مع شيء من الاختلاف؛ القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م): الأمالي، مراجعة محمد جواد الأصمعي، الجزء الأول (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ) ١٦١.

(٢) المسعودي: مروج، ٣/ ٢٨.

(٣) ما تبقى من شعره، ٢١٨-٢١٩.

(٤) البلاذري: أنساب، ٤-١/ ٦٤.

(٥) هو عقيبة أو عقبة بن الحارث الأَسدي. ترجمته: البكري: سمط، ١/ ١٤٩؛ السيوطي: شرح، ٢/ ٨٧٠.

معاوى إننا بشرٌ فاسجح ... فلسنا بالجبالِ ولا الحديدِ
أكلتُم أرضنا فجردتموها ... فهل من قائمٍ أو من حصيدِ
أتطمَعُ فى الخلودِ إذْ هلكنا ... وليس لنا ولا لكَ من خلودِ
فَهَبَها أمَّةً هَلكت ضياعًا ... يزيدُ يسوسها وأبو يزيدِ
دعوا حقَّ الإمارةِ واستقيموا ... وتأمِل الأراذلَ والعبيدِ
وأعطونا السَّوّيةَ لا تَزركُم ... جنود مردفاتٍ بالجنودِ[1]

وحين بلغ معاوية أرسل إليه بعشرة آلاف درهم ليكف لسانه، فأنشأ يقول:

إذا المنبر الغربى حلَّ مكانه ... فإنَّ أميرَ المؤمنين يزيد[2]

فكان للشعر أثره فى تدوين هذا الحدث وتقليل أصوات المعترضين ضده، بعد أن جعل معاوية المال وسيلة فى كسب مؤيديه والرد على خصومه، فاتخذ الشعر أحد أسلحته المؤثرة فى هذا الاتجاه مما يدلل على دهائه فى مواجهة خصومه.

وعندما ولى سعيد بن عثمان (ت، ٥٨هـ/ ٦٧٧م) خراسان فى سنة (٥٦هـ/ ٦٧٥م) تواصلت الأخبار إليه بأنه كان هنالك قومًا ببطن فلج[3] "يقطعون على الحاج ويخيفون السبيل"[4] فأخرج معه قومًا، منهم مالك بن الريب[5]، فلما عبروا النهر خرج إليهم أهل السغد[6]، فقال مالك بن الريب يذم سعيدًا:

ما زلت يوم الصُّغد ترعد واقفًا، ... من الجبنِ حتى خِفتُ أن تتنصَرا

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٤/ ٢٢٥-٢٢٦؛ السيوطي: شرح، ٢/ ٢٧٠.
(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٤/ ٢٢٦. والبيت في ديوان مسكين مع شيء من الاختلاف. ينظره ٣٣.
(٣) فلج: مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير وكعب بن ربيعة. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٧١ (فلج).
(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٠٥-٣٠٦.
(٥) مالك بن الريب المازني، شاعر إسلامي نشأ في بادية البصرة (ت، ٦٠هـ/ ٦٨٠م).
ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٧٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٢/ ٣٠٤.
(٦) كورة قصبتها سمرقند، وهي من جنان الدنيا الأربع. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٤٠٩ (الصُغْد).

وما كانَ فى عثمان شيء علمتُهُ سوى بسله فى رهطهِ حين أدبرا
ولو كان بنو حربٍ لطلت دماؤكم بُطونَ العظايا من كُسيرٍ وأعورا[1]

وعندما قتل سعيد بن عثمان قال أبو قطيفة[2] يرثيه:

يا عينُ جودى بدمعٍ منك تهتانا وأبكى سعيد بن عثمان بن عفانا
إن ابن زينة لم تَصدق مودتَهُ وَفَرَّ عنه ابن أرطاة بن سيحانا[3]

وابن سيحان[4] هو الذى قال يعتذر:

يقولُ خَليلى قد دعاكَ فلم تَجب وذلك من تلقاءِ مِثلِك رائِعُ
فإن كان نادى دعوةً فسمعتها فشلّت يدى واستكَ منى المسامِعُ
يلوموننى إن كنتُ فى الدار حاسِرًا وقد فرَّ عنه خالِدٌ وهو دارعُ[5]

فقال بعضهم يجيبه:

فإنّك لم تسمع ولكن رأيته بعينكَ إذ مجراكَ فى الدار واسعُ
فأسلمته للسُّغد تدمى كلومُهُ وفارقته والصوت فى الدار شائِعُ
وما كان فيها خالدُ اللؤمِ مُعذرًا سواءً عليه صمٌّ أو هو سامعُ

(١) مالك بن الريب (ت، ٦٠هـ/ ٦٨٠م): شعره، شعراء أمويون، ١/ ٢٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٠٦.
(٢) هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، شاعر محسن (ت، ٧٠هـ/ ٦٩٠م).
ترجمته: ابن بكار: نسب قريش، ١٤٦؛ ابن الجراح، محمد بن داود (ت، ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م). من اسمه عمرو من الشعراء في الجاهلية والإسلام، تحقيق محسن غياض عجيب ومصطفى عبداللطيف جياووك (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م)، ١٠٥.
(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١/ ٤٦. قيل إن الأبيات لخالد بن عقبة بن أبي معيط. ينظر: البلاذري: أنساب، ٥/ ١١٨.
(٤) هو عبدالرحمن بن أرطأة، وقيل: عبدالرحمن بن سيحان بن ارطأة بن سيحان من بني جسر بن محارب.
ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٢/ ٢١٨..
(٥) البلاذري: أنساب، ٥/ ١١٨-١١٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢/ ٢١٨ برواية أخرى.

فلا زلتُما فى حالِ سَوءٍ ذميمَةٍ ودارت عليكم بالبلاء القوارعُ[1]

وقال بعض ولد أبى مُعيط يرثيه:

يا نفسُ موتى حَسرَةً وابكى هَبلت على سعيدِ
وابكى لقرمٍ ماجِدٍ بين الخليفةِ والوليدِ
ولقد أصُبت بغدرةٍ وحملت حتفَكَ من بعيدِ[2]

وكان مقتل سعيد المريب حافزًا لإثارة النفوس واستدرار العواطف، وهو الذى كان مثار اهتمام أهل المدينة "فبينما سعيد فى حائط له وقد جعل أولئك السغد فيه يعلمون بالمسامى إذ أغلقوا باب الحائط ووثبوا عليه فقتلوه فجاء مروان بن الحكم يطلب المدخل عليهم فلم يجده وقتل السغد أنفسهم وتسورت الرجال ففتحوا الباب وأخرجوا سعيدًا"[3] فوصفته ابنته مردانة بالشهيد ابن الشهيد، وكأنها تستعيد مقتل أبيها وتتساءل عن هذا الحتف المثير:

يا عينُ أذرى دمعةً وابكى الشَّهيد ابن الشهيدْ
فلقد قَتِلتَ بغرَّةٍ وَجلبتَ حتفك مِنْ بَعيد[4]

فقد كانت توليته على خراسان مثار إحساس بالخوف واعتقاد بقرب النهاية، وشهور بالغرابة، كما أظهر ذلك مالك بن الريب فى صحبته له ورثائه لنفسه:

ألا ليتَ شعرى هَل أبيتنَ ليلةً بجَنبِ الغَضا أُزجى القِلاصَ النَّواصِيا
فليتَ الغضا لَم يقطع الرَّكبُ عرضَه وليتَ الغَضا ماشى الرّكابَ لَيالِيا
لَقد كان فى أهلِ الغَضا لو دنا الغَضا مَزار ولوكن الغَضا ليس دَانِيا
ألم تَرنى بِعتُ الضَّلالَةَ بالهدى واصبحتُ فى جيشِ ابن عَفّانَ غازِيا

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ٢/٢١٨-٢١٩.
(٢) البلاذري: أنساب، ٥/١١٩.
(٣) نفسه.
(٤) ابن بحيب: أسماء المغتالين، ٢/١٦٨.

وأصبحتُ فى أرضِ الأعادى بَعدما أرانى عن أرضِ الأعـادى قاصيا[1]

فكأنَّ الشاعر رأى نهايتهما القريبة، فقضى كل منهما نحبه الواحد بعد الآخر بطريقة مثيرة وحزينة كانت مثار تساؤلات وهواجس مستمرة.

وفى سنة (٥٨هـ/ ٦٧٧م)[2] اشتدت ملاحقة عبيد الله بن زياد للخوارج، فقتل منهم صبرًا جماعة كثيرة، وفى الحرب جماعة أخرى، فاضطر أحدهم إلى ترك مجالسة أخوته فقال:

ما زالَ بى صَرفُ الزمانِ وريبهُ حتى رفضتُ مَجالسَ الفتيانِ
وألِفْتُ أقوامًا لغَيرِ مَوَدَّةٍ وهَجرتُ غيرَ مُفارقٍ إخوانِي
وأفضتُ فى لهوِ الحَديثِ وهُجرِهِ بعد اعتيادِ تلاَوةِ القرآنِ[3]

ثم خرج أبو بلال مرداس بن أدية[4] فى أربعين رجلًا إلى الأحواز، فبعث إليهم ابن زياد جيشًا فهزمهم الخوارج[5]، فقال رجل من بنى تيم الله بن ثعلبة:

أألفًا مؤمنٍ منكم زَعمتم ويقتلهُم بآسك[6] أربعونَا
كذبتُم ليس ذاك كما زَعتم ولكن الخوارجَ مؤمنونا
هى الفئةُ القليلة قد علمتُم على الفئةِ الكثيرةِ يُنصرُونا[7]

وصف الخوارج بالمؤمنين، وبالفئة القليلة التى انتصرت على الفئة الكثيرة، فكانوا يصفون أنفسهم بأهل الحق الذى ضيق عليهم الولاة المنافذ وطاردوهم حتى سئموا من هذه المطاردة فقال أبو بلال:

---

(١) شعره: شعراء أمويون، ١/ ٤١-٤٢.
(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٢.
(٣) شعر الخوارج، ٤٨؛ البلاذري: أنساب، ١-٤/ ١٥٥.
(٤) هومراوس بن حدير بن عبيد بن كعب، وأديّة أُمه، وهو من بني ربيعة بن حنظلة.
ترجمته: الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٤؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٤/ ١٣٦.
(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٥.
(٦) اسم موضعق رب أربحان. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٥٣ (آسك).
(٧) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٤.

إلهـــى هَـــب لى زلفَـــةً ووســـيلةً ... إلـــيكَ قـــد ســئمتُ مـــن الدَّهـــرِ

وقـد أظهـرَ الجـورَ الـولاةُ وأجمعـوا ... علـى ظُلْـمِ الحـقِّ والغـدرِ والكُفـرِ

وفـــيكَ إلهـــى إن أردتُ مغيِّـــرٌ ... لكـلِّ الـذى أتـى إلينـا بـنو صخـرِ

فقـد ضَـيَّقوا الدّنـيا علينـا بـرحَبِها ... وقـد تـركونا لا نقـرٌّ مـن الذُّعـرِ

فـيا رب لا تـسلم ولا تَـكُ للـرَّدى ... وَأيـدِّهم يـا ربِّ بالنـصرِ والـصبرِ[١]

يشير هذا الشعر إلى ثبات وقوة وإصرار الخوارج فى التصدى لخصومهم أثناء اللقاء، ويكشف عن تجردهم عن مغريات الحياة، وادعائهم بأنهم يقاتلون لتطبيق مبدأ العدل والشورى فى الحكم، فكان الشعر صورة صادقة لحياتهم.

وعندما عزل عبد الرحمن بن أم الحكم[٢] عن الكوفة فى سنة (٥٩هـ/ ٦٧٨م)[٣] وولى فيها بعد عبدالرحمن بن زياد[٤] خراسان، قال عبد الله بن الزبير الأسدى:

أبلـــغ عبـــيد الله عنـــى فإننـــى ... رمـيتُ ابـن عَـوذ إذ بـدت لى مقاتِلُـهُ

وعلـى قَفـرةٍ إذ هابَـهُ الـوفدُ كُلّهـم ... ولَـم أكُ أشـوىِ القرنِ حتـى أناضِلُهُ

وكـــان يُمـــارى مـــن يـــزيد بـــوقعَةٍ ... فمـــا زال حتـــى استدرجته حـبائِلُهُ

فتقـصيه مـن مـيراثِ حـرب ورهطـهِ ... وآلَ إلى مـــا وَرثـــته أوائِلـــه

وأصـــبح لَمّـــا أسـلمته حـــبالُهم ... كَكَلـبِ القطـارِ حُـلَّ عنهُ جلاجِلُه[٥]

وفى تعولية عبدالرحمن بن زياد قال زياد بن عمرو العتكى[٦] أيضًا:

ســـألناهُ الجـــزيلَ فمـــا تَلكّـــا ... وأعطـــى فـــوقَ مُنيتـــنا وزَادا

(١) شعر الخوارج، ٥١؛ البلاذري: أنساب، ١-٤/ ١٥٧.

(٢) عبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن ربيعة الثقفي.

ترجمته: ابن حبيب: المحبّر، ١٠٥؛ بن حزم: جمهرة، ٢٦٦.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٥؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ٢١١.

(٤) عبدالرحمن بن زياد بن أبي سفيان، ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٤٧.

(٥) ديوانه، ١١٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ٢١١.

(٦) كان في قمة الصراع القبلي بعد قتل مسعود بن عمرو. ينظر: ابن دريد: الاشتقاق، ٢/ ٤٨٣.

وأحسنَ ثُمَّ أحسنَ ثُمَّ عُدنا وأحسنَ ثُمَّ عُدت له فَعَادا
مِرارًا لا أعود إليه إلا تَبَسَّمَ ضاحِكًا وثَنَّى الوِسادا[1]

يعتبر الشعر أصدق تعبير عن الأحداث السياسية والجوانب الإنسانية التى يعيشها الأفراد لارتباطه بالوعى واتصاله المباشر بالواقع.

وكان عبا بن زياد بن أبى سفيان يحارب الترك بجبهة سجستان فشحت أعلان دوابهم فتمنى يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى أن تكون لحية عباد حشيشًا لتكون علفًا لخيول المسلمين فقال:

ألا ليت اللحى عادت حشيشًا فنعلفها خيول المسلمينا[2]

فكان ذلك بداية لنشوب الهجاء بين ابن المفرغ وبنى زياد فى سنة (٥٩هـ/ ٦٧٨م)[3] فقد كان عباد عظيم اللحية، فلما سمع عباد الشعر طلبه فهرب منه، وأوغل فى الهجاء، فكان مما هجاه به قوله:

إن زيادًا ونافعًا وأبا بكرة عندى من أعجب العَجَبِ
إن رجالًا ثلاثة خُلِقوا من رحِم أنثى مُخالفى النَّسبِ
ذا قرشى، كما يقول، وذا مَولى، وهذا بزعمِهِ عَربى[4]

ومن هجائه أيضًا:

ألا أبلِغ معاويةَ بن حربٍ مُغَلغَلةً من الرَّجلِ اليمانى[5]

وقد رأى ابن مفرغ فى الطعن بنسب آل زياد وسيلة للهجاء والنيل منهم، فكان هذا ينتشر انتشارًا سريعًا، حتى أن ابن مفرغ ادعى أمام معاوية بأنه لم يقل الأبيات

(١) الجهشياري: الوزراء، ٢٩.
(٢) ديوانه، ٢٢٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٧.
(٣) نفسه، ٥/ ٣١٧.
(٤) ديوانه، ٧٩-٨٠.
(٥) ينظر: ديوانه، ٢٣٠-٢٣٢؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٧٨-٧٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٨.

السابقة[1]. مما يعنى أنه ربما حُمل عليه فى هذا الهجاء الشيء الكثير وأن معارضى الأمويين ساهموا فى صعيدِ الصراع بين الجانبين، فكان ابن المفرغ يعرض بنسبِ آل زياد ويقول:

فأُقسِمُ ما زيادٌ من قريشٍ ... ولا كانت سُمَّيةُ مِنْ تَميم
ولكن نَسل عبدٍ من بغىٍّ ... عريقِ الأصلِ فى النسبِ اللئيمِ[2]

واتسع الهجاء حتى حملت إليه بعض الأبيات باللغة الفارسية[3]، فهرب ابن مفرغ على البصرة فأجاره المنذر بن الجارود[4] فلما أمسك به عبيد الله بن زياد[5] فهجا المنذر فقال:

تركتُ قريشًا أن أجاوَر فيهم ... وجاورتُ عَبد القيسِ أهلَ المشقَّرِ
أناسٌ جاورونا فكانَ جِوارُهم ... أعاصيرَ مِن فسوِ العِراقِ المُنذَّرِ
فأصبح جارى من جُذيمَةَ نائمًا ... ولا يمنع الجيران غير المشمَّرِ
فهلا بنى اللفَّاءِ كنُتُم بنى استِها ... فعلتُم فَعالَ العامرى بن جَعفرِ
حَمَى جارَه بشر بن عمرو بن مرثدٍ ... بألفِ كمِّى فى الحَديدُ مكفَّرِ[6]

ولذلك تَحمَّل ابن المفرغ عذابًا قاسيًا رسمه فى هذه الأبيات فقال:

أصابت عذابى اللَّون فاللون شاحِبُ ... كما الرأسُ من هولِ المنيّةِ أشيَّبُ
قُرنت بخنزيرٍ وهرٍّ وكَلبةٍ ... زَمانًا وشانَ الجِلدَ ضَربٌ مشَذَّبُ
وجرعتها صهباءَ من غيرِ لَذَّةٍ ... تَصعَّد فى الجُثمانِ ثم تَصوَّبُ

---

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٨.
(٢) ديوانه، ٢٠٦. ينظر: بائيته، ٧٩-٨٠.
(٣) ينظر: الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٩.
(٤) هو المنذر بن بشر بن عمرو بن حنش بن المعلّى من بعد القيس. ابن قتيبة: المعارف، ٣٣٨-٣٣٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٣/ ٢٠٣.
(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٨-٣١٩.
(٦) ديوانه، ١٣٥-١٣٦؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٩.

وأطعِمـــتُ مـــا إن لا يحـــلُّ لأكـــلٍ وصلَّيتُ شَرقًا، بيتُ مكَّة مَغربُ[(١)]

فأشار إلى أنه قرن مع خنزير وهرّ، وتعرض للضرب وأجبر على شرب المسهل، وأكل مالا يحمل أن يؤكل، واضطراره إلى الصلاة وهو مشدود إلى جهة غير القبلة، كما وصف حالته فى السجن فأشار إلى هيأة قعود حارسيه وإلى قيوده فقال:

حَـــيَّ ذا الـــزور وانهـــه أن يعـــودا إنَّ بالـــبابِ حارســـين قعـــودا
مـــن أســـاويرَ لا يـــنونِ قـــيامًا وخلاخـــيلَ تُـــسهِرُ المَولـــودا
وطماطـــيمَ مـــن ســـبابيحَ غُـــتمٍ يلبـــسونى مـــع الـــصَّباحِ القـــيودا[(٢)]

فكان شعر ابن المفرغ خلال مدة مكوثهِ فى السِّجن وثيقة مهمةً تشير إلى أوضاع السجناء وطريقة معاملتهم، وأساليب التعذيب الجسدى والنفسى، كما وصف حالته فى السجن وهو مقيد بالأغلال وعلى بابه حارسان فصور ذلك تصويرًا وثائقيًا حيًا يكشف عن طريقة السجن ودرجات المسجونين، فكان كالأسير الذى يتحسر على أيامه الخالية أيام العزِّ واللَّهو والصيدِ حيث يقول:

دار سَـــلمى بالخَـــبتِ ذى الأطـــلالِ كـــيفَ نـــومُ الـــسير فـــى الأغـــلالِ
أيـــن منّـــى الـــسَّلامُ مـــن بعـــد نـــأيٍ فارجعـــى لى تحيتـــى وســـؤالى
أيـــنَ مِنـــى نَجائِبـــى وجـــيادِى وغَـــزالى، ســـقى الإلـــهُ غَـــزالى
أيـــنَ لا أيـــنَ جنَّتـــى وسَـــلامى ومَطايـــا سَـــيَّرتُها لارتحالِـــى[(٣)]

وهذا ما ولد فى نفسه شعورًا بالندم على مفارقتِه لسعيد بن عثمان فقال:

إن تركـــى نَـــدى ســـعيد بـــن عـــثما نَ فتـــى الجـــودِ ناصـــرى وعديـــدى
واتِّباعـــى أخـــا الـــصَّراعةِ واللّـــؤ م لـــنقصٌ وفـــوت شَـــأوٍ بَعـــيدِ

---

(١) ديوانه، ٥٥-٥٦.
(٢) نفسه، ١٠٠.
(٣) نفسه، ١٨٥.

قلــت، واللـــيلُ مطـــبقٌ بعـــراهُ   ليتنـــى مُـــتُّ قـــبلَ تَـــركِ ســـعيد[1]

ثم عرض ابن المفرغ للمحاكمة أمام الخليفة معاوية بن أبى سفيان ادعى أن بعض ما نسب إليه قاله عبدالرحمن بن أم الحكم، فقال عبدالرحمن حين غضب عليه معاوية[2] وحرمه عطاءه:

لأنـــتَ زيـــادَةٌ فـــى آل حَـــرب   أحـــبُّ إلى مـــن إحـــدى بنانـــى
أراك أخًـــا وعمًّـــا وابـــن عَـــمٍّ   ولا أدرى بغـــيبٍ مـــا ترانـــى[3]

وحين أطلق معاوية سراح ابن المفرغ قال:

عـــدس مـــا لعـــبّاد علـــيكَ إمـــارةٌ   نَجـــوتِ وهـــذا تَحملـــينَ طلـــيقُ[4]

تبدو الصلة بين الشعر والسلطة السياسية وثيقة وقوية، لأن الشاعر يستخدم الشعر وسيلة إعلامية مؤثرة فى نفوس الناس فتنتقل قصائده بسرعة من مكان إلى آخر، وحين يحصل الاصطدام بين طرفين أو أكثر بسبب تباين الأهداف والاتجاهات فإن مظاهر هذا الاصطدام ستتحول إلى مادة تاريخية واضحة المعالم، فكان معاوية واعيًا لأثر الشعر فى النفوس حين عفا عن ابن مفرغ واستماله إلى جانبه حفاظًا على ولاء قبائلِ اليمن لدولته؛ وبهذا سجل الشاعر فى شعره وثائقه التاريخية التى تحمل بعض اللَّمحات الاجتماعية، كظروف السجناء وأساليب التعذيب وصراع القبائل وحمايتها لشعرائها، وميل الشعراء نحو الطعن بالأنساب واستغلالها هذا الطعن وسيلة للنيل من الخصوم.

وأثناء علةِ معاوية التى مات بها سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م)[5] قال:

لعَمرى، لقَد عُمِّرتُ فى الدَّهر برهةً   ودانَـــت لى الدنـــيا بوقـــعِ البواتـــرِ

---

(١) نفسه، ١٠٩-١١٠.
(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٠.
(٣) نفسه.
(٤) ديوانه، ١٧٠.
(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢١٥ وفيه سنة ٥٩؛ الطبري تاريخ، ٣٢٦.

وأُعطيتُ حُمرَ المالِ والحُكم والنُّهَى ... ولى سَلَّمت كُلُّ الملوكِ الجبابرِ
فأضحى الذى كانَ مما يَسرّني ... كحُكمٍ مضى فى المزمِناتِ الغوابرِ
فياليتنى لَم أعنِ فى المُلك ببلغَةٍ ... فلمَ يكُ حتى زارَ ضيقَ المقابرِ[1]

ثم قال يصف نحوله:

لقد جمعتُ لكم من جَمعٍ ذى حَسَب ... وقد كفيتكُم الترحالَ والنَّصبَا[2]

وناجى ربه قائلًا:

إن تناقش يكن نِقاشُكَ يارَ ... بِ عذابًا، لا طوق لى بالعذابِ
أو تجاوزْ، فأنتَ ربٌّ رحيمٌ ... عن مُسيءٍ ذنوبُه كالترابِ[3]

وتمثل بعض الأبيات فى حضرة إحدى بناته[4] وفى شعر يزيد بن معاوية (ت، ٦٤ هـ/ ٦٨٢م) أبيات قيلت فى احتضار معاوية، منها:

لو فاتَ شيءٌ يرى لفاتَ أبو ... حَيَّانَ، لا عاجزٌ ولا وكلُ
الحُوَّلُ القُلَّبُ الأريبُ وكُن ... يَدفعَ زوءَ المنيةِ الحِيَلُ[5]

ويقال أن الضحاك[6] بن قيس (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٢م) كتب إلى يزيد حين مات معاوية رضى الله عنه رسالة واثبت فى أسفل كتابه هذين البيتين:

مَضى ابن سفيان فَردٌ لشأنهِ ... وخُلِّفتَ فانظر هذه كيفَ تصنعُ

---

(١) ديوانه، ٧٣.
(٢) نفسه، ٥٢؛ وفي الطبري: برواية أخرى. ينظر. تاريخه، ٥/ ٣٢٦.
(٣) ديوانه، ٥٣.
(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٧.
(٥) شعره، ٢٥.
(٦) هو الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب، كان على شرطة الكوفة لمعاوية قتل في مرج راهط سنة (٦٤هـ/ ٦٨٢م).
ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٧/ ٤١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ١٤٩.

أقمنا على المنهاجِ وراكب محجَة سَدادًا فأنتَ المُرتجى كيفَ تفزعُ[1]

فأتى البريد إلى يزيد بن معاوية فى الصائفة فقال:

جاءَ البريدُ بقرطاسٍ يخبُّ بهِ فأوجسَ القلبُ من فرطاسهِ فَزَعَا
قلنا: لَكَ الويلُ، ماذا فى صحيفتِكم قالوا: الخليفةُ أمسى مُثبتًا وجعا
مادت بنا الأرضُ أو كادت تميدُ بنا كأنَّ ما عزَّ مِن أركانِها انقلعَا
مَن لِم تَزل نفسهُ توفى على شرَفٍ توشِك مقاديرُ تلك النفسِ أن تَقَعَا
لما وردتُ وباب القصرِ منطبقٌ لصَوتِ رملةَ هَدَّ القلبُ فانصدَعا[2]

تشير هذه الأبيات إلى أن يزيدًا كان غائبًا فحضر، كما أشارت إلى ذلك كتب التاريخ[3] وبهذا أكد الشعر حقائق التاريخ ونفى أن يكون يزيد حضر احتضار معاوية وساعاته الأخيرة، فكان الشعر مصاحبًا لحياة معاوية وموته وهو الذى كان يتمثل به ويقوله، ويستند على ما يوفره من حكمة ودلالة يكثف الموقف الإنسانى ويثريه ويعمق الفكرة الواقعية السائدة فيمدها باستمرارية الزمن وقدرته على النفاذ إلى مسارب المستقبل، ومع ذلك لم يكن معاوية شاعرًا وفق مقاييس عصره، ولكنه كان ممن يؤثر الحكمة والروية ويميل إلى حسم المواقف الحرجة فى اللَّحظات المناسبة، وقد كان عهده عهد استقرار نسبى استطاع خلاله بناء دولة على أركان قوية هابها أعداء الإسلام فى الخارج، وتوجس منها خصوم الأمويين فى الداخل، وقد كانت ثمرةً يانعةً سلمها معاوية إلى يزيد بعد أن سنَّ سُنةً جديدة فى الاستخلاف وهى النظام الوراثى فى الحكم، والتى ستكون مثار متاعب وقلق ليزيد خلال مدة حكمه وتؤدى بالتالى إلى انتقالها على الفرع المروانى من الأسرة الأموية.

كان معاوية رجل دولة متميز يتسم بالحِنكة والدَّهاءِ وسِعة الأفقِ يستميل

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢١-٢٢.
(٢) شعره، ٢٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٨.
(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٨.

خصومَه ويغدق عليهم العطايا ويتعامل مع مؤيديه ورعيته مثل أى رئيس قبيلة حصيف قادر على إحداث التوازن بين كفتى الميزان يتأمل من هو حوله ويرنو إلى من هم أبعد منه يستعين بثقافته وصلاته بالآخرين ويستفيد من أفق مكة التجارى التى نشأ فيها فى قراءة المواقف وحسم الأمور الطارئة بذكاء وحذر وقدرة على الحسم تقلب ميزان القِوى لصالحه فجنب دولته هِزات عنيفة كالتى حدثت فى زمن ابنه يزيد.

يزيد بن معاوية بن أبى سفيان[1] (٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م)

بعد وفاة معاوية انتقلت الخلافة إلى ابنه يزيد على وفق النظام الوراثى الذى اعتمده معاوية عندما أعلن البيعة ليزيد فى حياته، فكان الأمر مهيئًا بوضوح ليزيد دون عقبات ظاهرة، ولكن الحياة السياسية كانت تخفى وراءها صراعات كثيرة منها مواقف بعض أبناء الصحابة وبعض فقهاء المدينة ممن يرون أنهم أحق بالخلافة من يزيد، فكان ذلك مدعاة لنشوب اضطرابات أوصلت الحكم السفيانى إلى نهايته.

حين ولى يزيد الخلافة ظهر معه اتجاه شعرى يجمع بين التعزيةِ والتهنئةِ، التعزية بوفاة الخليفة السابق والتهنئة بتولى الخليفة الجديد، فقد دخل عطاء بن أبى سيفى على يزيد بعد موت معاوية، فقال: "أصبحت يا أمير المؤمنين فارقت الخليفة وأعطيت الخلافة فأجرك على عظيم الرزية ورزقك الشكر على حسن العطية"[2]، فاحتذى به عبدالله بن همام السلولى فقال:

اصبر يزيدُ فقد فارقت ذا مِقَةٍ ... واشكر عطاءَ الذى بالمُلك حاباكا
لا رُزَءَ أعظم فى الأقوام تعلمه ... كما رُزِئت، ولا عُقبى كعُقباكا
أعطيت طاعة أهل الأرض كلهم ... فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاويةَ الباقى لنا خَلَفٌ ... إذا نُعَيت، ولا نَسمع بمنعاكا[3]

---

(١) ترجمته، ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢٠٥؛ الزبيري: نسب قريش، ١٢٧.
(٢) هو عطاء بن ابي صيفي بن قائف الثقفي. ينظر: البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥.
(٣) ما تبقى من شعره، ٢٠٣-٢٠٤؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥.

يجمع شعر ابن هَمام بين التعزية والتهنئة، ويشير إلى من يلى الخلافة بعد يزيد، وهو ابنه معاوية فى إشارة إلى استمرار نظام الخلافة الوراثى، ثم أخذ هذا النمط الشعرى طريقه بعد ذلك وشاع من عهد يزيد واستمر تحتَ ظلِّ شيوع النظام الوراثى فى الحكم. وفى هذا الاتجاه وقف أيمنُ بن خُريم الأسدى[(١)] بين يزيد وهو يقول:

تلقاهـــا يـــزيدُ عـــن أبـــيهِ ... فـــدونكها معاويـــة عـــن يـــزيدا
أديـــروها بنـــى حـــرب علـــيكم ... ولا تـــرموا بهـــا الغـــرضَ البَعـــيدا
فـــإنَّ دنـــياكم بكـــم اطمأنَّـــت ... فأولـــوا أهلـــها خُلقًـــا ســـديدا
وإن عـــصفت علـــيكم فاعـــصفوها ... عـــصافًا تـــستقيم لكـــم شَـــديدا[(٢)]

إنه يؤشر لبدء مرحلة الحكم الوراثى تمتد من يزيد إلى ابنه معاوية، ويدعو آل أبى سفيان إلى حسن السياسة وقوة التمسك بالحكم.

بعد تولى يزيد الخلافة كتب إلى عبدالله بن الزبير[(٣)] (ت، ٧٣هـ/ ٦٦٢م) يدعوه على بيعته، فكتب إليه ابن الزبير يدعوه إلى الشورى، وكان فيها كتب به يزيد:

لـــو بغـــيرِ المـــاءَ حلقـــى شَـــرِقٌ ... كنتُ كالغـصَّانِ بالماء اعتـصارِى[(٤)]

فلما قدم عمرو بن سعيد[(٥)] (ت، ٧٠هـ/ ٦٨٩م) واليًا على المدينة قال: "قد أقسم أمير المؤمنين ألا يقبل بيعة ابن الزبير إلا أن يؤتى به فى جامعة، فليبر يمين أمير

---

(١) أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك بن القليب، أحد بني أسد.
ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥٣؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٦٩.
(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٣. والأبيات غير مذكورة في مجموع شعره.
(٣) صحابي بويع له بمكة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م وقتل سنة ٧٣هـ/ ٩٦٢.
ترجمته: ابن عبدالبر: الاستيعاب، ٢/ ٣٠؛ ابن حجر: الإصابة، ٢/ ٣٠٩.
(٤) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٦.
(٥) عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق قتله عبدالملك سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م.
ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ١٧٨؛ ابن حجر: الإصابة، ٣/ ١٧٥.

المؤمنين، فإنى أجعل جامعة خفيفة من ورق أو ذهب، ويلبس عليها برنسًا، ولا ترى إلا من يسمع صوتها"[١] وقال:

خــذها فليــست للعزيــز بخطــة | وفــيها مــال لامــرئ مــتذلل
أعامــر إن القــوم ســاموك خطــة | ومالـك فـى الجيران عـذل معـذل[٢]

فكان ذلك بداية الصراع على منصب الخلافة والذى صار حالة مشهودة فى الدولة الأموية، فقد كان يزيد يخشى رفض كبار أبناء الصحابة، فأرسل على الحسين بن على أبى طالب رضى الله عنه [٣] (ت، ٦٠هـ/ ٦٨٠م) ليأخذ بيعته، فآثر التريث حين خرج إلى مكة[٤] وقال:

لا ذعـرت الـسّوامُ فـى فلـقِ الـصُّبـ | ـــح مغـــيرًا ولا دعـــيت يَـــزيدا
يــومَ أعطــى مخافــةَ المــوتِ ضَـيمًا | والمَـــنايَا تَرصُـــدننى أن أحِـــيدا[٥]

فأتته رسلُ أهل الكوفة فوجهَ إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن[٦] أبى طالب (ت، ٦٠هـ/ ٦٧٩م) فنزل بالكوفة عند هانئ بن عروة[٧] (ت، ٦٠هـ/ ٦٧٩م) فأخذهما عبيدالله بين زياد فقتلهما وصلبهما[٨]، وقال شاعرهم:

فإنْ كنتِ لا تَدرين ما الموت فانظرى | إلى هانــئ فــى الـسُّوق وابــن عَقــيلِ
تَــرى جَـسدًا قَــد غيَّــرَ المَـوتُ لَـونَهُ | ونَـضحَ دَمٍ قــد ســالَ كُــلَّ مـسَيلِ[٩]

---

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٤٦.
(٢) نفسه.
(٣) صحابي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل في وقعة الطَّف سنة (٦١هـ/ ٦٨م).
ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٣/ ٦٨؛ ابن جر: الإصابة، ١/ ٣٣٢.
(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٤٧.
(٥) المسعودي: مروج، ٣/ ٥٤.
(٦) ترجمته: الزبيري: نسب قريش، ٨٤؛ ابن حبان: الثقات، ٥/ ٣٩١.
(٧) هاني بن عروة المرادي (ت، ٦٠هـ/ ٦٧٩م). ترجمته: الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٤٧؛ ابن حيان: الثقات، ٥/ ٥١٠.
(٨) ابن سعد: الطبقات، ٤/ ٤٢؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٥٠-٣٥١.
(٩) ابن سعد: الطبقات، ٤/ ٤٢؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٥٠-٣٥١؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٦٠.

وقاتل مسلم بن عقيل رجال عبيد الله بن زياد وهو يَرتَجِزْ:

أَقْسَمْتُ لا أُقتَلَ إلّا حُرّا ... وإن رأيتُ الموتَ شَيئًا نُكْرَا
كُلُّ امرئٍ يَوما مُلاق شَرَّا ... وَيَخلِطُ الباردَ سُخْنًا مُرَّا
رُدّ شعاع الشمس فاستقرا ... أخافُ أن أُكَذَّب أو أُغَرا[1]

ولقَد قَدّم الأخطل[2] (ت، نحو ٩٢هـ/ ٧١٠م) النصيحة لابن زياد في مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة فقال:

أبلِغ أميرَ المؤمنين رِسالةً ... جزاء بنُعمَى، قبلَها، ووسَيلِ
بأنَّ عبيد الله سيفكَ، فيكُن ... أخًا، وخليلًا، دون كُلِّ خليل
بهِ رَحَمَ الله الجنودَ، فأقبَلت ... وقد مالَت الأهواءُ، كلَّ مميلِ
ولم يكُ عن يومِ ابن عروة غائبًا ... كما يغيبُ عن ليلةِ ابن عقيل[3]

وأرسل يزيد كتابًا إلى أهل المدينة وفيه:

يا أيها الراكِبُ الغادِى لطيتهِ ... على عَذافيره فى سيرة قحمِ
أبلِغ قُريشًا على نأى المزارِ بها ... بينى وبين الحسين الله والرحمِ
وموقف بفناءِ البيت ينشدهُ ... عهد الإله وما توفى به الذّممِ
غنيتم قومكم فخرًا بأمّكم ... أم العمرى حصان برة كرمِ
هى التى لا يدانى فَضلها أحدٌ ... بنتُ الرسولِ وخيرُ الناسِ قد علموا

---

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٧٤. وللرجز روايات أخرى ينظر: ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٩٤؛ المسعودي: مروج، ٣/٥٨-٥٩؛ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م): مقاتل الطالبين، تحقيق: السيد أحمد صقر (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ)، ١٠٤.

(٢) اسمه غياث بن غوث بن الصلت التغلبي، شاعر أموي مشهور (ت، نحو ٩٢هـ/ ٧١م).
ترجمته: ابن سلام: طبقات، ١/ ٢٩٨؛ الآمدي: المؤتلف، ٢١.

(٣) الأخطل، غياث بن غوث التغلبي (ت، نحو ٩٢هـ/ ٧١م). شعره: تحقيق فخري قباوة، الجزء الثاني (دار الأصمعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ٥٣٩.

وفـضلها لكـم فـضلٌ وغيركـم من يـومكم لهـم فـى فـضلها قَسَمُ
إنـى لأعلـم حقًّـا غيرَ مـا كـذب والطـرف يـصدق أحيانًا ويقتـضم
أن سـوفَ يـدرككم مـا تـدرون بهـا قتلـى تهـاداكم العقـبان والـرَّخم
يا قومًا لا تشبهوا الحرب إذا سكنت تمـسكوا بحـبال الخـير واعتـصموا[1]

وحين عزم الحسين رضى الله عنه على الخروج دخل الحارث بن خالد المخزومي[2] وإلى مكة[3]، فقال:

رُبَّ مستنـصحٍ يَغـشُّ ويُـردى وظـنينٍ بالغـيبِ يُلفـى نَـصيحا[4]

فلما خرج الحسين رضى الله عنه دخل عبد الله بن عباس رضى الله عنه المسجد فإذا هو بابن الزبير فى جماعة من قريش فقال ابن عباس:

يـا لَـكِ مِـن قُبَّـرة بمعمـرِ خـلا لَـكِ الجـوُّ فبيـضِى واصـفرِى
ونَقِّـرى مـا شِـئتِ أن تُنقـرِّى

هذا حسين يخرج إلى العراق، وعليك بالحجاز[5].

ودعا ابن زياد عمر بن سعد بن أبى وقاص[6] أن يحول بين الحسين ﷺ والفرات فقال عمر:

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١١٨-١١٩.
(٢) الحارث بن خالد بن العاصي بن هاشم بن المغيرة المخزومي (ت، ٨٥هـ/ ٧٠٤م).
ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٩/ ٢١٨؛ البكري: سمط، ٢/ ٦٤٥.
(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٨٢؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١١٤؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٥٥.
(٤) المخزومي، الحارث بن خالد (ت، ٨٥هـ/ ٧٠٤م): شعره، تحقيق يحيى الجبوري، (منشورات مكتبة الأندلس، بغداد، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ٤٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٨٢.
(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٨٤.
(٦) عمر بن سعد بن أبي وقاص، قائد جيش ابن زياد لقتال الحسين، قتل سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م).
ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٢٤٣؛ ابن جر: تهذيب، ٧/ ٣٩٦.

دعانـــى عبــيدالله مـــن دون قـــومِه إلى خطـــةٍ فـــيها خـــرجت لحينـــى
فـــوالله لا أدرى وغنـــى لواقـــفٌ علـــى خطـــرٍ يعظـــم علـــى ســـوينى
أأتـــرك مُلـــك الـــرّى رغـــبةً أم أرجـــعُ مذمـــومًا بـــثأرِ الحـــسينِ
فـــى قـــتلهِ الـــنار التـــى لـــيس دونَهـــا حجـــابٌ وملـــك الـــرّى قُـــرَة عـــينِ[1]

وحين نزل الحسين رضى الله عنه كربلاء قال:

يـــا دهـــرُ أفٍّ لـــك مـــن خلـــيلِ كـــم لـــك بالإشـــراقِ والأصـــيلِ
مِـــن صـــاحبٍ أو طالِـــبٍ قَتـــيلِ والدَّهـــــرُ لا يقـــنعُ بالـــبَديلِ
وإنّمـــا الأمـــرُ إلى الجلـــيلِ وكُـــلٌّ حَـــى ســـالكُ الـــسَّبيلِ[2]

وفى سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م)[3] سار الحسين رضى الله عنه فجاءه الحر بن يزيد التميمي[4] حتى وقف هو وخيله مقابله، وبقى يسايره حتى قاله له: يا حسين، إنى أذكرك الله فى نفسك، فإنى أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى، فقال الحسين رضى الله عنه: أفبالموت تخوفنى! ثم تمثل قائلًا:

سأمضى وما بالموتِ عارٌ على الفتَى إذا مـــا نـــوى حقًّـــا وجاهَـــد مـــسلما
وآســـى الـــرِّجالَ الـــصالحين بنفـــسهِ وفـــارقَ مثـــبورًا يَغـــشُّ ويُـــرغَمَا[5]

كان هذا الشعر متممًا للحدث التاريخى لأنه ينبثق من خلاله ليرسم صورة حية للوقائع خلال هذه المرحلة المضطربة بالصراعات.

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٧٢-١٧٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٢٠. ولها رواية أخرى عند ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٤٩؛ الأصفهاني: مقاتل: ١١٣.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٠٤.

(٤) هو الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب الردف بن هرمي بن رياح بن يربوع التميمي.
ترجمته: ابن الكلبي، جمهرة، ٢١٦؛ ابن حزم، جمهرة، ٢٢٧.

(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٠٤.

وأقبل عمير بن عبدالله الكلبي[1] ليقاتل عن الحسين فارتجز:

إن تنكروني فأنا ابن كلب ... حسبي بيتي في عُليم حسبي
إنّي امرؤٌ ذو مرَّة وَعَصَبِ ... ولست بالخَّوارِ عند النَّكبِ
إني زعيمٌ لكِ أمَّ وهبِ ... بالطَّعنِ فيهم مُقدمًا والضربِ
ضربَ غُلام مؤمنٍ بالرَّبِّ[2]

أصبح الشعور بضرورة نصرة الحسين رضى الله عنه موقفًا لدى بعض جند العراق، فهذا الحر بن يزيد يترك جند العراق ويلتحق بالحسين وأصحابه، فكان أول من تقدم للقتال فقال:

إني أنا الحرُّ ومأوى الضيفِ ... أضربُ في أعراضكم بالسيفِ
عن خير من حلَّ بلادَ الخِنفِ ... أضربكم ولا أرى من حَيفِ[3]

وحين طعن قال أحد أصحاب الحسين رضى الله عنه:

لنعم الحرُّ حرُّ بني رياحِ ... ونعم عِند مختلف الرِّماحِ
ونعم الحُرّ إذ نادى حسين ... فجادَ بنفسهِ عند الصباحِ[4]

وحمل كعب بن جابر على برير بن حَضير الهمداني فقتله، فأنبته امرأته أو أخته لقتله سيد القراء[5] فكان كعب يمثل وجهة نظر جيش الأمويين حين يقول:

سَلِي تُخبرى عني وأنتِ ذَميمة ... غداةَ حُسين والرِّماحُ شوارِعُ

---

(١) أحد بني عُليم بن جَناب بن هبل، وهو عند ابن أعثم وهب بن عبدالله. ينظر: الفتق، ٥/ ١٩٠؛ ابن حزم: جمهرة، ٤٥٧.

(٢) البلاذري: أنساب، ٣/ ١٩٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٩.

(٣) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٨٥.

(٤) نفسه، ٥/ ١٨٦.

(٥) كعب بن جابر بن عمرو الأزدي. ويزيد بن حَضير أحد قراء مسجد الكوفة. ينظر: الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٣٢.

ألم آتِ أقصى ما كرهتِ ولم يُخِلْ
على غداةَ الروّعِ ما أنا صانِعُ

معى يَزَنى لَم تَخُنه كعوبُهُ
وأبيضَ مخشوبَ الغِرارين قاطِعُ

فجردته فى عصبةٍ ليس دينُهم
بدينى وإنّى بابنِ حَربٍ لقانِعُ

ولَم ترَ عينى مِثلهم فى زمانِهم
ولا قبلَهم فى الناس إذا أنا يافِعُ

أَشدَّ قِراعًا بالسيوفِ لدى الوَغَى
ألا كلُّ من يحمِى للذمار مُقارِعُ

وقد صبروا للطعنِ والضَّرب حُسّرًا
وقد نازلوا لو أنَّ ذلِكَ نافِعُ

فأبلغ عبيد الله إما لقيتَهُ
بأنّى مطيعٌ للخليفة سامِعُ

قَتلتُ بُريرًا ثم حملت نِعمةً
أبا مُنقذٍ لما دعا: مَن يماصع؟[1]

يشير إلى قتله بريرًا وطاعته للخليفة وقتاله مع جيش ابن زياد، فرد عليه رضى بن منقذ العبدى فقال:

لو شاء ربى ما شهدت قِتالَهم
ولا جَعل النَّعماءَ عند ابنُ جابرِ

لقد كانَ ذاك اليومُ عارًا وسُبَّةً
يُعيّره الأبناءُ بعد المعاشِرِ

فيا ليتَ أنى كنتُ مِن قبلِ قتلهِ
ويوم حسينٍ كنتُ فى رمسِ قابِرِ[2]

وخرج عَمرو بن قَرظَة الأنصارى يُقاتل دونَ الحسين وهو يقول:

قَد عَلِمت كتيبةُ الأنصارِ
أنّى سأحمى حوزَةِ الذِّمارِ

ضَربَ غُلامٍ غيرِ نِكسٍ شارِى
دونَ حُسين مُهجتى ودارِى[3]

كما تقدم مسلم بن عوسجة الأسدى[4] وهو يرتجز:

إن تسألوا عَنى فإنى ذو لبدِ
من فروعِ قومٍ من ذُرا بنى أسدِ

---

(١) نفسه، ٥/ ٤٣٣.

(٢) نفسه.

(٣) هو عمر بن قرظة بن كعب الأنصاري. نفسه، ٥/ ٤٣٤.

(٤) قتله مسلم بن عبدالله الضبابي وعبدالرحمن بن أبي خُشكارة البجلي. نفسه، ٥/ ٤٣٦.

فمَــن تَعامــى حائِــدُ الرَّشــدِ		وكافــرٍ بــدينِ جبَّــارٍ صَــمَدِ[1]

وقد قاتل جمهرة من الفرسان[2] مع الحسين قتالًا مستميتًا كانوا فيه يرتجزون شعرًا مشيرين على أنسابهم وأفعالهم، فكان رجزهم سهلَ الحفظ كثيرَ التداول فأصبح بمرور الأيام وثيقةً تاريخيةً لها أثرها فى تدوين الأحداث، ومن هؤلاء الفرسان حبيب بن مظاهر[3] الذى قال رجزًا ذكر فيه اسمه واسم ابيه:

أنــا حبــيبُ وأبــى مظاهــر		فــارسُ الهــيجاء وحــرب تَــسعَرُ
أنــتم أعــدُّ عــداة وأكثــرُ		ونحــنُ أوفــى مــنكُمُ وأصــبَرُ
ونحــن أعلــى حُجَّــةً وأظهــرُ		حَقًّــا وأتقــى مــنكمُ وأعــذَرُ[4]

فلما قُتل حبيب بن مظاهر أخذ الحرُّ بن يزيد يرتجز:

آلــيتُ لا أقــتلُ حتــى أقَــتُلا		ولــن أصُــاب الــيومَ إلّــا مُقــبلا
أضــرِبهُم الــسيفِ ضَــربًا مِقــصَلا		لا ناكِلًــا عــنهُم ولا مَهَّللَــا[5]

ثم قاتل زهير بن لاقين وهو يرتجز:

أنــا زهــيرٌ وأنــا ابــنُ القَــينِ		أذُودُهــم بالــسَّيفِ عَــن حــسينِ[6]

وقاتل عبدالله وعبدالرحمن بن عزرة الغفاريان[7]، فقال أحدهما:

قــد عَلِمــت حَقًــا بــنو غفــارِ		وَخِــنْدِفٌ بعــد بنــى نِــزارِ

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٩٤.

(٢) من هؤلاء الفرسان: بشر بن عبدالله الأسدي وعمرو بن جنادة بن الحارث الأنصاري وعمرو بن عبدالله المذحجي وشعبة بن حنظلة التميمي وكثير بن عبدالله الشعبي. ينظر: الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٣٦ وما بعدها؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٦١ وما بعدها.

(٣) أخباره: الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٣٩.

(٤) البلاذري: أنساب، ٣/ ١٩٥ مع اختلاف الألفاظ؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٣٩.

(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٤٠-٤٤١.

(٦) نفسه.

(٧) ذكرها الطبري في تاريخه، ٥/ ٤٤٢.

لنــــــضربنَّ معـــــشرَ الفُجَّـــــار　　　بكــــلِّ عَـــضبٍ صـــارمٍ بـــتَّارِ
يــا قــومُ ذُودوا عــن بنــى الأحــرارِ　　　بالَمـــشرفى والقَـــنَا الخَطَّـــارِ[1]

وخرج عمرو بن خالد الأزدى يرتجز:

الــيومُ يـــا نفــسى إلى الــرحمنِ　　　تمـــضين بالـــروحِ وبالـــرَّيحانِ
الــيوم تُجــزينَ علــى الإحــسانِ　　　قــد كــان مــنكِ غابــر الأزمــانِ
مــا خَــطَّ فــى اللَّــوحِ لـدى الـدَّيانِ　　　لا تجزعـــى فكـــلُّ حـــى فـــانِ
والــصَّبرُ أحظـــى لــكِ بالأمـــانِ　　　يـــا معـــشرَ الأزد بنـــى قحطـــانِ
كونـوا لـدى الحرب كأسدٍ حفانِ[2]

ثم تقدم ابنه خالد، وهو يشير مثل أبيه إلى نسبه القحطانى ويرتجز:

صَـبرًا علــى المـوتِ بنــى قحطــانِ　　　كــيف تكونــوا فــى رضــى الــرحمنِ
ذى المجــــدِ والعــــزةِ والـــبرهانِ　　　وذى العُلــى والطــولِ والإحــسانِ
بأنـــنا قـــد صـــرن فـــى الجـــنانِ　　　وفـــى قـــصورِ حـــسن البنـــيانِ[3]

وحمل شِمرُ بن ذى الجوشن[4] عليهم وهو يقول:

خَلُّــوا عُــداةَ اللهِ خَلُّــوا عــن شِـمِرِ　　　يَـــضرِبُهُم بـــسيفِهِ ولا يَفِـــرُّ
وهـو لكـم صـابٌ وسَـمّ ومَقِـرْ[5]

بعد أن تضاءل أصحاب الحسين رضى الله عنه حثا بين يديه يزيد بن زياد[6]،

---

(١) نفسه.
(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٩٢.
(٣) نفسه، ٥/ ١٩٣.
(٤) شِمر بن ذي الجوشن، وهو الجوشن شرحبيل – بن الأعور بن عمرو بن معاوية بن كلاب. ترجمته: ابن حزم: جمهرة، ٢٨٧؛ الذهبي: ميزان، ٢/ ٢٨٠.
(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٤٢.
(٦) هو يزيد بن زياد بن المهاجر، أبو الشعثاء الكندي من بني بهدلة. نفسه، ٥/ ٤٤٥.

فوثق الحدث مقرونًا باسمه، لأن يزيدًا كان أولًا مع جيش عمر بن سعد ثم تركه والتحق مع الحسين وقال:

أنـــا يـــزيدُ وأبـــى مُهاجـــر أشـجع مـن لـيثٍ بغـيلٍ خـادِرْ
يـــاربِّ إنـــى لحـــسينٍ ناصـــرْ ولابــنَ سَـعدٍ تـارِكٌ وهاجِـرْ[1]

ثم بدأ أهل بيته يخرجون تباعًا للقتال ويرتجزون، فكان أول من خرج[2] عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبى طالب وهو يرتجز:

الـيومَ ألقـى مُـسلمًا وهـو أبـى وفتَـيةٍ ماتـوا علـى ديـنِ النبـى
لـيسَ كقـومٍ عـرفوا بالكَـذِبِ لكــن خـيار وكـرام النـسبِ[3]

وكذلك فعل جعفر بن عقيل وعبدالرحمن بن عقيل[4] فى توثيق النسب والإشارة إلى الحدث، فكان على الأكبر بن الحسين بن علي رضى الله عنه[5] (ت، ٦١هـ/ ٦٨٠م) أول قتيل من بنى طالب، فكان يشد على الناس ويرتجز:

أنـا علـى بـن الحسين بـن علـى نحـــنُ وبـيت الله أولى بالنبـــى
مـن شـبث ذاك ومـن شِـمر الدَّنـى أضـربكم بالـسَّيفِ حتـى يلـتوى
ضـربَ غـلامٍ هاشمـى عَلَـوى ولا أزالُ الـيوم أحمـى عَـن أبـى
والله لا يحكـم فيـنا ابـن الدّعـى[6]

وخرج عبدالله بن الحَسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه[7] وهو يرتجز:

---

(١) نفسه.
(٢) قتل سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م). ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ٢٠٤؛ الذهبي: العبر، ١/ ٤٨.
(٣) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٠٣.
(٤) وكذلك خرج محمد بن عبدالله بن جعفر وأخوه عون. ينظر: ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٠٣-٢٠٤.
(٥) نسبه في: ابن حبيب: المحبر، ٤٣٨؛ الزبيري: نسب قريش، ٥٧.
(٦) الأصفهاني: مقاتل، ١١٤. مع اختلاف الروايات في: الزبيري: نسب قريش، ٥٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٤٦؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٠٨-٢٠٩؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٦١.
(٧) ينظر: ابن حبيب: المحبر، ٤٩١؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٠٦.

إن تنكرونى فأنا فرعُ الحَسَن سبط النبى المصطفى والمؤتَمَنْ
هذا حسينٌ كأسيرٍ مُرتَهَن بين أناسٍ لا سُقوا صوت المُزَنْ[1]

ما يلاحظ على معظم هذا الرجز الذى قيل أن قائليه ليسوا بشعراء؛ وإنما كانوا ينفعلون فى الموقف فيعبرون عن خلجات أنفسهم ومواقفهم، وهو ما يمنح النص أهمية خاصة تنبع من توثيقه للحدث وإبرازه لقيم البطولة؛ لذا حرص هؤلاء الفرسان على ذكر أسمائهم وقبائلهم مشفوعة بالإشارة على الحدث، فمن مظاهر الإصرار والإحساس بضرورة التضحية قول العباس[2] بن على بن أبى طالب رضى الله عنه (ت، ٦١هـ/ ٦٨٠م):

أقسمتُ بالله الأعزِّ الأعظَم وبالحُجورِ صادقًا وزَمزمِ
وذى الحطيم والفَنا والمحرّمِ ليخضبنَّ اليوم جسمى بالدَّمِ
أما ذى الفضل وذى التكرم ذاك حسينٌ ذو الفخارِ الأكرَمِ[3]

يعد الشعر الذى قاله الحسين رضى الله عنه حين بادر القوم بالقتال وثيقة تكشف عن سلسلة تدرج الصراع منذ عهد أبيه مرورًا بأخيه الحسن ثم التحامه بهم، فكتب التاريخ بالشعر وجعله أكثر تأثيرًا فى النفوس مع سهولة حفظه واتساع مساحة انتشاره، فقال:

كفرَ القومُ وقدمًا رغبوا عن ثوابِ ربِّ الثقلين
قاتلوا قدمًا عليًّا وابنَه حسن الخيرِ كريم الأبوينِ
حَسدًا منهم وقالوا أجمعوا نقتل الآنَ جميعًا للحسين
يا لقوم من أناسٍ رُذَّلِ جمعوا الجمعَ لأهل الحَرمينِ
ثم ساروا وتواصلوا كلهم باحتياجى لرضاءِ الملحدينِ

(١) ابن أعثم: الفتوح: ٥/ ٣٠٥.
(٢) ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٢١٧؛ الأصفهاني: مقاتل، ٨٤.
(٣) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٠٧.

لم يخالِفـا اللهَ فـى سـفكِ دمـي لعبـيد اللهِ نـسلِ الكافـرينِ
وابـن سـعدٍ قـد رمانـى عـنوَةً بجـودٍ كوكـودِ الهـاطلينِ
لا شـيءَ كـان منـى قـبل ذا يعلـى الخيرِ مـن بعـدِ النبـى[1]

وقال قاتل الحسين رضى الله عنه وهو سنان[2] بن أنس النخعى:

أوقِـر ركابـى فِـضَّةً وذهـبا أنـا قـتلتُ المَلِـكَ المُحجـبا
أنـا قـتلتُ خـيرَ الـناس أمًّـا وأبـا وخيرَهـم إذ يُنـسبون نَـسبا[3]

وأسهم الشعر فى توثيق عدد من قتل مع الحسين رضى الله عنه من أهل بيته وأنصاره من آل أبى طالب، فهذا مسلم بن قتيبة مولى بنى هاشم يقول:

عَـينُ جـودى بعـبرَةٍ وعـويلٍ واندبـى إن نـدبتِ آل الرَّسـولِ
واندبـى تـسعةً لـصُلبِ علـىٍّ قَـد أُصـيبوا، وخَمـسةٍ لعقـيلِ
وابـن عـمِّ النبـى عَـونًا أخـاهم لـيس فـيما يَـنوب بالمخـذولِ
وسَـمِّى النبـى غـودِرَ فـيهم قَـد عَلـوهُ بـصارمٍ مـصقولِ
واندبـى كَهلَهُـم إذا مـا عُـدَّ فـى الخـبرِ كَهلـهم كالكَهـولِ
لعـنَ اللهُ حـيث كـان زِيـادًا وابـنه والعجـوز ذات الـبُعولِ[4]

إنه يشير إلى تسعة قتلوا من صلب على، وخمسة من صلب عقيل بن أبى طالب، وإلى عون ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وأخيه محمد[5].

ورثى على بن الحسين رضى الله عنه[6] والده أمام يزيد فقال:

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢١٠-٢١١، هـ/ ٢١٣-٢١٤ نصوص أخرى.
(٢) ترجمته: الزبيري: نسب قريش، ٤٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٥٤.
(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٥٤؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٦١؛ الأصفهاني: مقاتل، ١١٩.
(٤) المسعودي: مروج، ٣/ ٦٢. وتروى متفرقة بروايات أخرى لسليمان قته في الأصفهاني: مقاتل، ٩١-١٠٢.
(٥) ينظر: الأصفاني: مقاتل، ٧٨-١٢٤.
(٦) هو علي الأوسط المعروف بزين العابدين (ت، ٩٢هـ/ ٧١٠م). ترجمته: ابن خلكان: وفيات، ٣/ ٢٦٦؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، تحقيق مأمون هو غاجري، الجزء الرابع (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ٣٨٦.

مــاذا تقولــونَ إن قــال النبــى لكــم ... مــاذا فعلــتم وأنــتم آخــر الأمــمِ

بعِترتـــى وبأهلـــى بعـــد منقلبـــى ... منهم أسارى ومنهم ضُرجوا بدمِ!

مــا كــانَ هــذا جزائــى إذ نــصحتكم ... أن تخلفونى بسوءٍ فى ذوى رَحِمى[1]

ورثى الحسين رضي الله عنه كثيرٌ من الشعراء، منهم أبو الأسود الدؤلي فقال:

يــا ناعــى الــدين الــذى يبغــى التُقــى ... قُــم وانعــه والبــيت ذا الأســتارِ

ابنـــى علـــى آل بـــيت محمَّـــدٍ ... بالطـــفِ تقـــتلهم جُفـــاةُ نـــزارِ

ســبحان ذى العــرشِ العلــى مكانَــهُ ... أنـــى يكابِـــرُه ذوو الأوزارِ[2]

فأشار على قاتليهم من جفاة قبائل نزار، كما رثاه سليمان بن قته[3] فقال:

مـــررتُ علـــى أبـــياتِ آل محمـــد ... فلــم أرَاهــا كعَهــدِها يــومَ حُلَّــتِ

فـــلا يُـــبعد الله الـــديارَ وأهلَهـــا ... وإن أصبَحتْ مِـن أهلِهـا قَـد تخلَّـتِ

وإنَّ قتـيلَ الطَّــفِ مــن آل هاشِــمٍ ... أذلَّ رقـــابَ المـــسلمِيَن فـــذَلَّتِ[4]

كما رثاه الشاعر أبو دهبل الجمحي[5] فقال:

إلـيك أخـا الـصَّبِ الـشَجى صبابَةً ... تُـذيبُ الـصُّخورَ الجامـداتِ همـومُها

عجِــبتُ وايّــام الــزّمانِ عجائِــب ... ويظهــر بــين المعجــباتِ عظــيمُها

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٤٤-٢٤٥. ينظر: الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٦٧ البيتان الأول والثاني.

(٢) ديوانه، ٧٦. ينظر: قصائد أخر: ٧٥-٧٦.

(٣) قته امه، وهو من بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٤٨٧؛ المبرد، محمد بن يزيد (ت، ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م): الكامل في اللغة والأدب، الجزء الأول (مكتبة المعارف، بيروت، دون تاريخ)، ١٣١.

(٤) المبرد: الكامل، ١/ ١٣١. ولها روايات أخرى. ينظر: الزبير: نسب قريش، ٤١؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٦٤؛ الأصفهاني: مقاتل، ١٢١.

(٥) هو وهب بن زمعة بن أسيل، من بني جمح شاعر محسن مداح (ت، نحو ١٢٦هـ/ ٧٤٤م). ترجمته: الآمدي: المؤتلف، ١٦٨.

تَبـيتُ النـشاوى مــن أُمـيَّةَ نُــومًّا ... وبالطَّـفِ قتلـى مـا يـنام حَمـيمُها[1]

وثق رثاء أبى الأسود وسليمان قَتَهْ وأبى دهبل مكان الحدث وهو الطَّف[2]، مثلما وثق بعض تفاصيل الوقعة؛ لذا لم يكن هذا الرثاء من شعر البكائيات التى تهتم بميزات المرثى، وإنما كان رديفًا مؤثرًا للوثيقة التاريخية، وأظهر بعض هذا الشعر حالة النَدم لعدم الوقوف إلى جانب الحسين رضى الله عنه فى محنته، والذى تمثل بشعر عبيدالله بن الحر الجعفى[3] إذ قال:

يـا لَـكِ حَـسرةٌ مـا دمـتُ حَـيًّا ... تَــردَدُ بــينَ حَلقــى والتَراقِــى
حُـسينًا حـين يطلـبُ بـذلَ نـصرى ... علــى أهــلِ العَـداوةِ والـشِّقاقِ
ولــو أنــى أُواســيه بنفــسى ... لــنلتُ كــرامَةً يَــوْمَ التَلاقــى
مـع ابـنِ المـصطفى نفـسى فـداءٌ ... فــيا لله مـــن أَلمِ الفِـــراقِ
غــداةَ يقــول لى بالقــصرِ قَــولاً ... أتتركــنا وتــزمَعُ بــانطلاقِ[4]

وكان عبيدالله بن الحر نظر إلى مصارع الحسين وصحبه ثم مضى حتى نزل المدائن[5] وقال فى ذلك معلنًا عن ندمه لعدم نصره:

يقــولُ أمـيرٌ غــادِرٌ حــقٌ غــادرِ ... ألا كُنتَ قاتلتَ الـشَّهيد ابـن فاطِمَـةْ
ونفــسى علــى خذلانِــهِ واعتــزالِهِ ... وبـيعة هـذا الـناكِث العهـد لائمَـةْ
فــيا ندمــى ألاّ أكــونَ نــصرتُهُ ... ألا كُــلُّ نفــسٍ لا تُــسدّد نادِمَــةْ

---

(١) أبو دهبل، وهب بن زمعة الجمحي (ت، نحو ١٢٦هـ/ ٧٤٤م): ديوانه، تحقيق عبدالعظيم عبدالمحسن (مطبعة القضاء، النجف، الطبعة الولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ٨٧-٩٠. والبيت الثالث منسوب لعبيد الله بن الحر الجعفي، شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٥.

(٢) الطَّف: ضاحية الكوفة على البرية. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٣٦ (الطّف).

(٣) عبيدالله بن الحر بن عمرو الجعفي (ت، ٦٨هـ/ ٦٨٧م). ترجمته: ابن حبيب: المحبر، ٢٣٠؛ ابن حزم: جمهرة، ٤١.

(٤) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١٠٩؛ البيت الأول: البلاذري، أنساب، ٥/ ٩٢.

(٥) المدائن: جمع مدينة عاصمة الساسانيين قرب بغداد. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٧٤ (المدائن).

وإنـي لآتـي لم أكـن مـن حُماتِـهِ ... لـذو حسرةٍ مـا إن تفـارقُ لازمَـه[1]

وأظهر الشعر أيضًا حالةَ الاستياءِ عند بعض الأُسر كآل الحَكم مثلًا الذين استاءوا مما فعله عبيد الله بن زياد، فقال شاعرهم يحيى بن الحكم[2]:

لهـامٌ بجـنبِ الطّـفِ أدنـى قَـرابَةً ... من ابن زيادٍ العبد ذى الحسبِ الوغلِ

سُـميَّة أمـسى نَـسلها عـددَ الحَـصى ... وبـنتُ رسـول الله لـيس لهـا نَـسلُ[3]

كان الشعر ملازمًا للأحداث الساخنة التى واكبت تولى يزيد للخلافة وبالذات مصرع الحسين رضى الله عنه ومسيره من مكة إلى الطّف، وبقيت هذه القضية تتفاعل وتتسع بسبب سوء سياسة مواجهة الموقف المتفجر نتيجة تغير نظام الحكم إلى نظام وراثى وإهمال تولى أبناء كبار الصحابة الذين كان لآبائهم دور فى نصرة الإسلام فى أيامه المبكرة، لما يتمتعون به من سداد الرأى وعلم مخزون فى تفسير القرآن الكريم وحفظ وشرح الحديث النبوى الشريف.

وفى سنة (٦٣هـ/ ٦٨٢م)[4] بايع أهل المدينة عبدالله بن حنظلة[5] (ت، ٦٣هـ/ ٦٨٢م) وخلعوا بيعة يزيد وطردوا عامله عليها، فانتدب يزيد جيشًا كبيرًا لقتالهم ولى قيادته مسلم بن عقبة المرى[6]، فأقبل يزيد يتصفح الخيل ويقول:

أبلـغ أبـا بكـرٍ إذا اللـيل سَـرَى ... وهـبطَ القـومُ علـى وادى القـرى

عـشرون ألفًـا بـين كَهـلٍ وفتـى ... أجمـع سَـكرانَ مـن القـوم تَـرى!

---

(١) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٥-١١٦؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٧٠.

(٢) هو يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. ابن حزم: جمهرة، ٨٧.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٦٠؛ وعند الأصفهاني: لعبدالرحمن بن الحكم في الأغاني، ٣/ ٢٦٤.

(٤) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٣٣؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٨٢-٢٨٤.

(٥) هو عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب المعروف بابن الفسيل قتل في وقعة الحرة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢ م. ترجمته: الذهبي: العبر، ١/ ٥٠؛ ابن حجر: الإصابة، ٢/ ٢٩٩.

(٦) أحد بني مرة بن عوف بن ذبيان هلك أو سنة (٦٤هـ٦٨٣م). ترجمته: الزبيري: نسب قريش، ١٢٧؛ الذهبي: العبر، ١/ ٥١.

أم جَمع يقظان نَفى عنه الكَرَى يا عجبًا من مُلحِدٍ يا عَجَبا!
مُخادِع في الدين يقفو بالعُرى [١]

ويقال: أن يزيدًا لما عرض بجنده كتب إلى عبدالله بن الزبير (ت، ٧٣هـ/ ٦٦٢م) رقعة يقول فيها:

استعد ربَّك في السماءِ فإنني أدعو إليك رجال عكٍّ وأشعرِ
ورجال كلبٍ والسُّكون ولَخمُها وجُذام تقمُها كتائِب حِميرِ
كيفَ النجاءُ أبا خُبيبٍ منهم فاحتَل لنفسِكَ قبلَ أتى العَسكرِ [٢]

وثق ما قاله يزيد في الأبيات الأولى عدد الجيش، وهو عشرون ألفًا، ووثق هذا الشعر أسماء القبائل التى قادها مسلم بن عقبة المرى وسار بها نحو المدينة، فلما اقترب جيشه تأهب عبد الله بن حنظلة للقتال وقال:

بعدًا لِمن رامَ الفَساد وطَغى وجانَبَ الحقَّ وآياتِ الهُدى
لا يُبعد الرحمن إلا مَن عَصى [٣]

كان مسلم بن عقبة يجلس على كرسى ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يومَ الحَرَّة[٤] ويقول:

أحيا أباه هاشِم بن حَرملَهْ يوم الهباتَين ويوَم اليعُملَهْ
كُلُّ الملوكِ عندَهُ مغربَلَهْ ورُمحُه للوالِداتِ مثكَلَهْ
لا يُلبثُ القَتيل حتى يجدِلَهْ يَقتل ذا الذَّنبِ ومَنْ لا ذنبَ لَهْ [٥]

وممن قتل يومَ الحَرَّةَ مَعقل بن سِنان[٦] وفيه قال الشاعر:

---

(١) شعره، ٣٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٨٤.
(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٣٤.
(٣) نفسه، ٢-٤/ ٣٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩٠ وأثرت رواية الطبري.
(٤) هي حرة واقم أحد حرتي المدينة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٤٩ (حرة واقم).
(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩١.
(٦) معقل بن سنان الأشجعي (ت، ٦٣هـ/ ٦٨٢م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٣/ ٣٩٣؛ الذهبي: العبر، ١/ ٥٠.

فأصبحت الأنصار تنعى سراتها وأشجع تبكى معقل بن سنان[1]

وقتل أيضًا فى يوم الحرة يعقوب بن طلحة بن عبيد الله[2] فقال فيه عبدالله بن الزبير الأسدى:

لعمرُك ما هذا بعيشٍ فيبتغَى هنىءٍ ولا موتٍ يُريحُ سريعُ
لعَمرى لقد جاءَ الكَروَّس[3] كاظِمًا على أمرِ سَوءٍ حينَ شاع فَظيعُ
نَعى أسرَةَ يعقوبُ منهم فأقفَرتْ منازِلُهم من رَومةٍ فبفيعُ
كلهم غيثُ إذا قحط الوَرى ويعقوبُ منهم للأَنامِ ربيعُ[4]

أما على بن عبدالله بن عباس[5] (ت، ١١٨هـ/ ٧٣٦م) فإن أخواله من كندة وأناس من ربيعة منعوه من بطش مسلم بن عقبة فقال:

أبى العباسُ قَرم بنى لؤى وأخوالى الملوك بنو وَليعَةْ
هُم منعوا ذِمارى يومَ جاءَتْ كَتائبُ مُسرِفٍ[6] وبنى اللَّكِيعَةْ
أرادَنى التى لا عِزَّ فيها فحالَت دونَه أيدى ربيعَةْ[7]

وقد بين هذا الشعر العبءَ الذى تحمله أهل المدينة من جراءِ عسف مسلم بن عقبة المرى فلقبوه بـ (مسرف)، حتى وثَّق العديدَ من الشعراء إسرافَه وعَسفه فى قتالِ أهلِ المدينةِ كما قال أحد شعرائها:

---

(١) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٣٩؛ ابن الكلبي: جمهرة، ٤٥٣.

(٢) يعقوب بن طلحة بن عبيدالله التيمي القرشي (ت، ٦٣هـ/ ٦٨٢م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٥٥٣؛ الذهبي: العبر، ١/ ٥٠.

(٣) الكروَّس: هو يعقوب بن طلحة. ينظر: الزبيري: نسب قريش، ٢٨٢.

(٤) ديوانه، ٩٦-٩٧؛ الزبيري: نسب قريش، ٢٨٢.

(٥) علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي (ت، ١١٨هـ/ ٧٣٦م). ترجمته: ابن حبان، الثقات، ٥م١٦٠؛ الذهبي سير، ٥/ ٢٥٢.

(٦) مسرف: لقب مسلم بن عقبة المري سموه به أهل الحجاز لأنه أراد أهل المدينة جميعًا أن يبايعوا ليزيد على أن كل واحد عبد قن له. ينظر: المبرد: الكامل، ١/ ١٥٢.

(٧) البلاذري: نساب، ٢-٤٠٤٠؛ المبرد: الكامل، ١/ ١٥٢؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٧١.

رمانـا يـزيدٌ بـابنِ عقـبة مـسلم ... فـلا سَـلِمَت حـدثًا مـن الحـدثانِ
يقـود إلى أهـلِ المديـنةِ جَحفـلاً ... لـه لَجـبٌ كالبحـرِ فـى الجـريانِ
يُقَـتِّل سُـكانَ المديـنةِ عِـنوَةً ... وقـد أصبحوا صَرعى بكـلِّ مَكانِ[١]

يمثل هذا الشعر موقف أهل المدينة الذين وثقوا الحدث وتعسف عقبة، فى حين بقى الطرف الآخر قلقًا غير قادر على بيان المظاهر الإيجابية فى هذه الشخصية فانساق وراء وصفه بـ (مسرف) كما فى قول أرطاة[٢] بن سهية:

لحـا الله فَـودى مُـسرفٍ وابـنَ عَمِّـهِ ... وآثـار نعلـى مُـسرفٍ حـيث آثَـرا
مـررتُ علـى ربعـيهما فكأننـى ... مـررتُ بجـبَّارينَ مـن سـروِ حمـيرا
علـى أن ذا العلـيا عُمـارة لم أجِـد ... علـى البُعدِ حسَن العهـدِ منهُ تَغيُّـرا
حبانـى بـبرديه وعَـنس كأنمـا ... بنـى فـوقَ متنيها الولـيدان قَهقَـرا[٣]

بينما بدا موسى شهوات[٤] مولى آل الزبير ساخرًا من سياسة الحرب ضد أهل المدينة حين يقول:

إن فـى الخـندقِ المكلَّـلِ بـالمجـ ... ـدِ لـضَربًا بـسُوءِ ذا النـشواتِ
لـستَ مـنَّا ولـيسَ خالـك مـنا ... يـا مَـضيعَ الـصَّلاةِ للـشهواتِ
يـرفَع الـدُّبٌ واحمِـلَ القِـردَ وانـزلْ ... فـى بـلادِ الوحـوشِ بالفلـواتِ
فـإذا مـا غلبتَـنا فتَنَـصرْ ... واتـركُنَّ الـصلاةَ والجُمُعـاتِ[٥]

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٩٨.

(٢) هو أرطاة بن زفر بن عقفان من بني مرة بن عوف بن سعد، وسيهة أمه (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٤٢٧؛ البكري: سمط، ١/ ٢٩٩.

(٣) أرطاة بن سهية (ت، ٨٦هـ/ ٥٠٧م): شعره، تحقيق صالح محمد نايف، مجلة لامورد المجلد (٧)، العدد الأول، (بغداد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ١٧٨.

(٤) هو موسى بن يسار المدني (ت، نحو ١١٠هـ/ ٧٢٨م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٨١ ؛ البكري: سمط، ٢/ ٨٠٧.

(٥) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٣٥؛ الدينوري: الأخبار، ٢٦٥ غير معزوة لأحد.

وبعد المدينة توجه مسلم المرى نحو مكة سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م)[١] التى أعلن عبدالله بن الزبير عدم اعترافه بخلافة يزيد وأنه أولى بها منه وأنه لا يريد جمع الأموال وكنزها، وغنما يريد الإصلاح وتطبيق العدالة، وفى ذلك يقول عبدالرحمن بن الحكم:

ثكلتكَ أُمُّكَ من إمام جماعةٍ ... أيضِلُّ رأيكَ فى الأمورِ ويعزُبُ
مُتوسِد إذ فالّتهُ جبألُ ... هَلباءُ أو ضِبعانُ سُوءٍ أهلَبُ
ألهاكَ برقُعةُ الضياعِ عن العَمَى ... حتى أتاكَ وأنتَ لاهٍ تلعَبُ[٢]

ويخاطب الضحاك بن فيروز الديلمى[٣] ابن الزبير فيقول:

تقول لنا أن سوف يكفيكَ قبضةٌ ... وبطنُكَ شبرٌ أو أقلُّ من الشّبرِ
وأنت إذا ما نلت شيئًا قبضَتهٌ ... كما قَضمت نارُ الغَضا حطبَ السِّدرِ
لكم سُنَّة الفاروقِ لا شىءَ غيرُها ... وسُنَّة صِديقِ النَّبى أبى بَكْرِ
فلَوما أتقيتَ الله لا شىءَ غَيْره ... إذًا عَطِفَتكَ العاطفات على عَمروِ[٤]

وفى الطريق إلى مكة مات مسلم المرى فتولى قيادة الجيش الأموى حصين بن نمير السُّكونى[٥] الذى حاصر مكة وقذف البيت بالمجانيق[٦]، فكان جنده يرتجزون:

خطارة مثل الفِنيق المزبدِ ... نَرمى بها أعوادَ هذا المسجدِ[٧]

---

(١) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٢٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩٦-٤٩٧.
(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٢٩٧، ٢٠٤/ ١٠.
(٣) ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٤/ ٣٨٧؛ ابن حجر: تهذيب، ٤/ ٣٩٤.
(٤) البلاذري: نساب، ٢-٤/ ٢٧.
(٥) حصين نمير السكوني، أحد أمراء يزيد بن معاوية. ترجمته: ابن حبيب: المحبر، ٤٩١؛ ابن حجر: تهذيب، ٢/ ٣٣٧.
(٦) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩٦-٤٩٨.
(٧) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٤٨؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩٨.

وعندما احترقت مكة قيلت الأشعار حول هذا الحدث، منها قول عبيدالله بن قيس الرقيات[1]، وكان زبيرى الهوى:

لـيس لله حُـرمة مِـثل بـيتٍ نَحْـنُ حُجّابـه علـيه المُـلاءُ
خَـصَّه اللهُ بالكـرامةِ خالـيًا دون والعاكفـون فـيه سَـواء
حَـرَّقه رجـالُ لخْـمٍ وعَـدكٌ وجُـذام وحِمـير وصُـداءُ[2]

يشير الشاعر إلى مجموعة من قبائل اليمن التى شاركت فى حصار ابن الزبير، ورميها البيت بالحجارة، ويبدو أن نوازع الصراع القبلى بين قبائل اليمن والقبائل القسية بدأ يأخذ صورة واضحة، لأن الشاعر قرشى النسب يرى أن قبائل قيس تهاب الإقدام على هذا الفعل نتيجة قربها من مكة وأواصر النسب بينها وبين أهل الحجاز.

وحمل بعض أصحاب ابن الزبير نارًا فأطارتها الريح فاحترق ما حول الكعبة واحترقت أستارها وتصدعت فبناها بعد ذلك، فقال بعضهم:

ابـن الـزبير رئـيس مـا تولّـى إذا حَـرَّقَ المَقـامَ والمُـصلّى
قِـبلة مـن حَـجَّ معًـا ولَبّـى[3]

وقال أبو قطيفة، عَمرو بن الوليد بن أبى معيط:

جَلبنا لكم من غَوطَةِ الشامِ خيلنا إلى أرضِ بـيت الله بُعَـد مجلَـبِ
تلـوذُ قـريشٌ كُلُّهـا بِلـوائِهِ لأَمحضَ منها فى قريشٍ وأطيبِ[4]

---

(١) أحد بني عامر بن لؤي، سمي بالرّقيات لنه شبب بنسوة يقال لكل منهم رقية، (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م).

ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٤٨؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥٠.

(٢) الرقيات، عبيدالله بن قيس (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م): ديوانه، تحقيق محمد يوسف نجم (دار صادر – دار بيروت، بيروت، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م)، ٩٥.

(٣) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥٣؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٣٠٢.

(٤) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥٣.

وكان ابن الزبير يقاوم جيش يزيد ويقول:

أنَّـــا إذا عـــضَّ الـــثقا ف بـــرأسِ صـــعدتنا أبيـــنا[1]

وبين الشعر ظهور اتجاه بين الموالى يستند إلى تذمرهم من سوء الأوضاع التى هم فيها، فهم يقاتلون من دون أن تكون لهم مسؤولية القيادة أو يكسبوا شيئًا، فهذا مولى خزاعة يقول:

أبلِـغ أمـيةَ عنـى إن عرضـتَ لهـا وابـن الـزبير وابلـغ ذلـك العَـربا
إنَّ المـوالى أضـحَت وهـى عاتِـبَةٌ علـى الخليفةِ تـشكو الجوعَ والحَربا
إخـوانكم أنَّ الـبلاءُ حَـلٌ سـاحتكم ولا تَـرون لـنا فـى غـيرهِ سَـبَبا
نُعاهِـدُ الله عَهـدًا لا نَخـيسُ بـهِ لن يُقَبلُ الدَّهَر شورَى بعدَ مَن ذهبا[2]

وعندما وصلَ خبر وفاةِ يزيد على سلم بن زياد[3] فى سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) لم يصدقه أولًا وأغلق الباب عليه فقال فيه شاعره حنظلة بن قيس بن عروة[4] التميمى بعض الأبيات، منها قوله:

يــا أيُّهــا الــرجلُ الملَــقُ بابَــهُ حــدثت أُمــورٌ شــأنهن عَظـيمُ
حــدثَت أمــورٌ فــى أمــيَّةَ جَمَّــةٌ ويــزيدُ أُعِلــنَ شــأنه المكــتومُ
طَــرقَت منيــته وعــندَ وســادتِهِ عُــودٌ وزِقٌ راعِــفٌ مــرثُومُ[5]

وقال فضالة بن شريك[6] لما مات يزيد:

رمــى الحـدثانُ نـسوة آل حــربٍ بفقــدانٍ سَــمَدن لــه سُــمودا

---

(١) نفسه، ٢-٤/ ٤٩.

(٢) نفسه، ٢-٤/ ٥٩.

(٣) هو أخو عبيدالله بن زياد. رجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٤٨؛ ابن حبان: الثقات، ٤/ ٣٣٤.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٤٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩٩.

(٥) لعله هو حنظلة بن عرادة، لأن الشعر منسوب أيضًا له. ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ١/ ٢٤٧.

(٦) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٣١٠. وفي رواية أخرى لابن عرادة: البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٦١.

فـــردٌ شـــعورهن الـــسُّودَ بِيـــضًا ... وردٌ وجـــوههن البـــيض سُـــودا[1]

وكتب الحارث بن عباد بن زياد[2] إلى عبيدالله بن زياد بالبصرة بعد موت يزيد بهذه الأبيات:

ألا يـا عُبـيد الله قـد مـاتَ مـن بـهِ ... مَلكـــتَ رقـــاب العـــالمينَ يـــزيدُ
أتثـــبتُ للقـــومِ الـــذين وتـــرتهم؟ ... وذاكَ مـــن الـــرَّأى الـــزَّنيقِ بعـــيدُ
ومالـــك غـــير الأزدجـــار فـــإنَّهُمْ ... أجـــاروا أبـــاك، والـــبلادُ تَمـــيدُ[3]

يشير هذا الشعر على خشية مؤيدى يزيد ودولة الأمويين من خصومهم، واحتمال أن تنتفض عليهم القبائل التى تعرضت لضغطهم، لذا فإن اللجوء إلى الإجارة من القبائل القوية المتنفذة التى لها كيان وهيبة بين القبائل الأخرى يقى الولاة من أساليب الانتقام التى قد تحصل، فقد أوصى الحارث بن عباد عمه باللجوء إلى حى من الأزد، لأنهم إذا أجاروه منعوه[4] مما يعنى أن القبائل كانت تعتمد فى ترتيب أوضاعها الأمنية على قدراتها الذاتية فى حالة غياب السلطة المركزية.

لقد وثق شعر رثاء يزيد مكان وفاته فى حُوّارين[5] فقال رجل من عنزة:

يـــا أيهـــا القـــبر بحواريـــنا ... ضـــممت حـــيرَ الـــناس أجمعيـــنا[6]

ووصف شعر الأخطل جنازة يزيد وما كان يجرى حولها من بكاء الموالى والنساء فى رثائه له فقال:

لعَمرى، لقـد دلّـى إلى اللحـدِ خالـدٌ ... جـنازَةَ لا كابـى الـزّنادِ، ولا غُمْـرِ

(١) شاعر كوفي حجة. ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء، ١٧٦-١٧٧.
(٢) نفسه، ١٧٧.
(٣) هو ابن أخي عبيد بن زياد. ينظر: الديبوري: الأخبار، ٢٨١.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه.
(٦) البلاذري: أنساب، ٢٠٤/ ٦١. وفي رواية شر الناس. ينظر: المسعودي: مروج، ٣/ ٥٣.

مقيمٌ، بحُوّارين، ليس يريمُها سقتْهُ الغوادى، من ثوى ومن قَبرِ
تصبح الموالى، إن رأوا أُمَّ خالِدٍ مُسَلِّبَةً، تبكى على الماجدِ، الغَمرِ
إذا جاء سربٌ، من نساءٍ يَعُدنَها تَجرَّدنَ، إلا من جلابيبَ، أو خُمرِ[1]

يبدو أن الأخطل كان قريبًا من الحدث ومكانه لأنه استطاع أن يعرض الموقف بوضوح وبالذات وصف المظاهر الخارجية، ولم يول المشاعر الإنسانية التى اختزنتها نفوس أهله اهتمامًا خاصًا، فقد كانت وفاة يزيد المفاجئة فى ظل ظروف استثنائية تسودها الصراعات بسبب تغير نظام الحكم من الشورى إلى الوارثة والذى أحدث رفضًا من لدن كبار أبناء الصحابة الذين رفضوا مبايعة يزيد على وفق الأسلوب الذى قام عليه تولى يزيد للخلافة إذ كان خروج الحسين رضى الله عنه أول الأمر رفضًا واضحًا لسياسة العسف، كما كانت وقعة الحَرَّة فى المدينة دليلًا ثانيًا، ثم كان لجوء ابن الزبير إلى مكة ورفضه مبايعة يزيد دليلًا ثالثًا على أن الحجاز ما يزال يحتفظ بروحية الرسالة وسنن الخلفاء الراشدين. هذا فضلًا عن اعتقاد كبار أبناء الصحابة بأنهم أولى من يزيد بالخلافة وأنه لم ينل إجماع المسلمين بالشورى.

معاوية بن يزيد بن معاوية[2] (٦٤هـ/٦٨٣م)

أخذ يزيد بن معاوية البيعة من الناس لابنه معاوية قبل موته حتى تبقى الخلافة محصورة ضمن البيت الأموى السفيانى، وتولى معاوية الخلافة على هذا الأساس، وهو ابن سبع عشرة سنة، ولكنه لم يستمر سوى أربعينَ يومًا، لكثرة الاضطرابات والنزاعات فيما بين الأشخاص الطامعين بالخلافة، وعكس ابن هَمَّام السلولى حالة الاضطراب هذه بقوله:

إنى أرى فتنةً تغلى مراجلُها والمُلكُ بعد أبى ليلى لِمَن غَلَبا[3]

(١) ديوانه، ٢/ ٥٣٣؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٦١.
(٢) ترجمته: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٢/ ٢٠٥؛ الذهبي: سير، ٤/ ١٣٩.
(٣) ما تبقى من شعره، ٨٥؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٦٢ وفيه لبعض بني فزارة، الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٠٠.

ومع ذلك فإن السلولى قد طلب الالتزام بما تعاهدوا عليه وهو الولاء للخليفة معاوية الثانى فقال:

خلافــةُ ربكــم خافــوا علــيها — إذا عُمِــزَتْ، خنابِــسَةً أُسُــودا
تُعلمُّهــا الكُهُــول المــرد حتــى — تَــذِلَّ بهــا الأكُــفُّ وتــستَفيدا
إذا مــا بــانَ ذو ثِقــةٍ تَلَقَّــتْ أخــا — ثِقَــةٍ بهــا صَــنعًا مُجــيدا
تَلقَّفهـــا يـــزيدٌ عـــن أبـــيهِ — وخُــذها يــا مَعــاوى عــن يَــزيدا
أديــروها بنــى حــربٍ علــيكم — ولا تَــرموا بهــا الغَــرَ البَعــيدا
فــإنَّ دنــياكُم بِكُــم اطمأَنَّــت — فأولُــوا أهلــها خُلُقًــا شــديدا(١)

وظهرت فى بعض الأمصار حالات تمرد على سلطة الخلافة، ففى البصرة دعا أهل البصرة عبيدالله بن زياد على أن يقوم بأمرهم حتى يصطلح الناس على إمام يرتضونه لأنفسهم، ثم أرسل رسولًا إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل الذى فعل أهل البصرة، فأبوا عليه، فخالفه أهل البصرة، قالوا: أنخلعه الكوفة ونبايعه نحن هذا ما لا يكون؟ فوثب الناس به، فاستجار عبيدالله بالأزد(٢)، وقيل لحق بالشام(٣)، فقال واقد بن خليفة السعدى(٤):

يــا رُبَّ جَــبَّارٍ شــديد كَلَــبُهْ — قَــد صــار فيــنا تاجُــهُ وسَــلَبُهْ
مــنهم عبــيدُالله حــين نَــسلبُهْ — جــيادَهْ وبــزَّهْ ونَنهــبُهْ
يــوَم التقــى مُقنبُــنا ومِقنبُــهْ — لَــو لَــم يُــنجُ ابــن زيــادٍ هَــرَبُهْ(٥)

---

(١) ما تبقى من شعره، ١٨٩.
(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٩٧-٩٨.
(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٠٣.
(٤) أحد بني صخر بن منقر من كعب بن سعد. أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٧٣٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١.
(٥) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٧٣٥؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١ وأثرت روايته.

وهجا يزيد بن المفرغ الحميرى عبيدالله بن زياد وعيره بفرار من دار الإمارة:

أقــرَّ بعينــي أنــه عــقَّ أمَّــهُ ... دعـتُه فـولاها استَهُ وهـو يهـربُ
وقـالَ: علـيك الناس كونـي سبيَّةً ... كما كُنتِ أو موتى، فالموت أقربُ
وقـد هـتفت هِـندٌ بـه مـا أمرتنـي ... ابـن لى وخبِّرنـي إلى أيـنَ أذهـبُ؟
فقال: أقصدى الأزد فى عرصاتِها ... وبَكــرًا فمــا أن عــنهم مُتجـنَّبُ
بمـا قَـدَّمت كفـاكَ مالـكَ مهـربٌ ... مـن القـومِ يـومًا والـدِّماءُ تُـصيبُ
لـو كـنتَ صُلبَ العُـودِ أو ذا حَفيظةٍ ... كَـرَرت علـى هِـندٍ وهـندٌ تُـسحَّبُ
وغـادرتَ مَـسعودًا رهيـنةَ حـتفِهِ ... يمـجُّ بجَـيعَ الجَـوفِ وهـو مُلَحَّبُ(١)

وقال أيضًا:

أعُبـيدُ هَلَّـا كُـنتَ أوّلَ فـارسٍ ... يـومَ الهـياجِ دعـا لِحيـنِكَ داعِ
أسـلمتَ أُمَّـك والـرِماحُ شـوارعٌ ... يـا ليتنـي لـك لَلـيلَةَ الأفـزاعِ
لابـن الـزُّبير غَـداة يَجمِـعُ أمـرَهُ ... أولى بغايَـةِ كُـلِّ يـومِ وقـاعِ(٢)

ونتيجة لحصول الفراغ السياسى بايعت تميم عبدالله بن الحارث الهاشمي(٣) فقال حارثة بن بدر الغدانى:

نَـزعنا وأمـرَّنا بكـرُ بـن وائِـلٍ ... تَجـرُّ خُـصاها تبتغـى مـن تُحالِـفُ
ولمـا بـاتَ بكـرى مـن الدَّهـرِ لَـيلَةً ... فيُـصبحَ إلا وهـو للـذُّلِّ عـارِفُ(٤)

وبايعت الأزد زعيمها مسعود بن عمرو العَتكى(٥) فقال رجل من أصحابه:

---

(١) ديوانه، ٦٤-٦٧.
(٢) ديوانه، ١٥٩؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠٠.
(٣) يمسى بَبَّهْ. ترجمته: أبو عبيدة: النقائض، ١/ ١١٢؛ ابن حزم: جمهرة، ٢٠.
(٤) شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٣٥٤؛ أبو عبيدة: النقائض، ١/ ١١٢؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥١٦.
(٥) مسعود بن عمرو بن عدي، يقال له: قمر العراق، كان سيد الأزد. ترجمته: ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/ ١٧١؛ ابن دريد: الاشتقاق، ٢/ ٥٠٢.

لأنكِحـــــــنَّ بَـــبَّهْ جاريـــــةً فـــى قُـــبَّهْ
تُمـــشّطُ رأس لَعَـــبهْ[1]

فلما دخلت الخوارج وقتلت مسعودًا قال سوّار بن حيّان المنقرى[2]:

ألم تكُـن فـى قـتلِ مـسعودٍ عِبَـرْ جــاءَ يُــريد إمــرَةً فمــا أَمَــرْ
حتـى ضَــربنا رأسَ مـسعودٍ فَخَــرْ ولَـم يُوَسـد خـدَّهُ حيثُ انعفَـرْ[3]

وقال غطفان بن أنيف الكعبى[4] أيضًا:

كــيف تَــرانا وتَــرى الأمــيرا بـــصَرحَةِ المِــربدِ إذ أُبـــيرا
نقـــودُ فـــيه جَحفلًـــا جـــرورا أكثـــر جمعًـــا حَلَقًـــا مـــسمورا
وصـــارمًا ذا هَيـــبةٍ مأثـــورا فقـــدَّ قَـــدَّ الجـــازرِ الجَـــزورا
لَمَـــا رَجَـــا مـــسعودٌ الـــتأميرا وأصـــبح ابـــن مِـسمَع مَحـــصورا
وقـــد شَـــببنا حـــولَهُ الـــسَّعيرا[5]

وقال جرهم بن عبدالله بن قيس[6] قال قتل مسعود:

ومَـــسعودَ بـــن عمـــرو إذ أتانـــا صَـــبحنَا حَـــدَّ مَطـــرُورِ سَـــنينَا
رجـــا الـــتَّأميرَ مـــسعودٌ فاضـــحى صَـــريعًا قـــد أَزَرنـــاهُ المَـــنونا[7]

وقال عبيد الله بن الحر الجعفى:

ومـا زلـتُ أرجـو الأزدَ حتـى رأيـتها تُقَـــصِّرُ عـــن بنـــيانِها المـــتطاوِلُ

---

(١) البلاذري: أنساب، ٤ / ٢٠ / ١٠٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥١٧.
(٢) ترجمته: أبو عبيدة: النقائض، ١/ ١١٧؛ ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/ ١٧٢.
(٣) أبو عبيدة: النقائض، ١/ ١١٧؛ ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/ ١٧٢.
(٤) ترجمته: البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١١٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١.
(٥) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١١٠-١١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١ ينظر ما قاله سؤد الذئب.
(٦) أحد بني العدوية. الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١.
(٧) الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١.

ومقـتلُ مـسعُودٍ ولَـم يـثأروا بـهِ وصارَتْ سُيوفُ الأزدِ مثل المناجلِ[1]

يبدو أن سن مسعود بن عمرو العتكى عند قتله كانت فى الثمانين من عمره لقول الهيثم بن الأسود النخعى:

عَـلا النعـى لمـسعودٍ فقلـت لَهُـم نِعـمَ اليمانـى تَنعـى أيُّهـا الناعـى

وفـى ثمـانينَ لا يـسطيعُه أحـدٌ حتـى دعـاه لـرأس العِـدَّةِ الدَّاعـى

آوى ابـن حـربٍ وقـد سُلَّت مذاهبُهُ وأَوسـع الـسِّربَ مـنه أى إِسـاعِ[2]

ووَّلى أهل الكوفة أمرهم عامر بن مسعود[3]، وهو الذى يقال له دحروجة الجُعَل لقصره، فقال السلولى:

أشـدُد يـديكَ يـزيدٍ إن ظفـرت بـهِ واشفِ الأرامِلَ من دحروجةِ الجُعَلِ[4]

يتبين مما سبق ذكره بأن أمصار الدولة الأموية شهدت فرقة وصراعات عديدة ولم تعد تخضع لمركز الخلافة، وأن العراق وما يتبعه قد انشق إلى شطرين، فاستطاع ابن الزبير أن يستحوذ على بعض الأمصار ويوسع دائرة نفوذه على حساب وحدة السلطة المركزية، وبهذا كان العهد السفيانى يشهد نهايته وانحلال قوة الدولة وتفكك عراها، وأصبح من الضرورى ظهور رجل قوى يستطيع أن يعيد لهذه الدولة هيبتها وقدرتها على الاستمرار، رجل قوى يجمع بين صرامة الموقف وبين حسن السياسة وهيبة السؤدد مع القدرة على المطاولة وكسب المؤيدين والأنصار.

---

(١) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٣؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢٧.

(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢٦ في رواية أخرى.

(٣) عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي القرشي. ترجمته: البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢٩.

(٤) ما تبقى من شعره، ٢-٩؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠١؛ الطبري:

الفصل الثالث

المروانيون المتقدمون

(٦٤-٨٦هـ/ ٦٨٣-٧٠٥م).

مروان بن الحكم بن أبى العاص[1] (٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م)

كان عهد يزيد ن معاوية مشحونًا بالصراعات والفتن التى فتت عضد الدولة الأموية، ثم تسلم ابنه معاوية بن يزيد الخلافة فلم يستطع أن يعى الأمور إلى سابق عهدها، فآثر التخلى عنها، فعاشت دمشق عاصمة الدولة فراغًا سياسيًا عملت القبائل اليمانية على حسمه لصالح الأمويين لأنها وجدت من مصلحتها استمرار توليهم الحكم خشية من انتقام القبائل القيسية التى بدأت ترى أن من مصلحتها مساندة دعوة ابن الزبير، فعمل هذا التنافس القبلى على تهيئة الأجواء لانتخاب خليفة يتصف بالحنكة والدهاء والتدبير فى ظل ظروف صعبة تحتاج إلى قيادة عملية لا إلى قيادة شكلية مترفة تستند على حق وراثى يقودها إلى ميادين القتال بغير خبرة، لذا وقع الاختيار على مروان بن الحكم كبير بنى أمية وأكثرهم استعدادًا لمجابهة الخصوم.

وكان مروان والى المدينة ليزيد بن معاوية فطرده ابن الزبير فقال راجزه:

حَـرَّم مـروان علـيهن الـنَّومْ　　　إلّـا قلـيلًا وتَلاهـن القـوْم

حتـى يَقْلـنَ أيـبتنَ بالـدَوم[2]

وحين مات معاوية بن يزيد سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) قام مروان على قبره "فقال: أتدرون من دفنتم قالوا نعم معاوية بن يزيد قال بل أبا ليلى يستطعه وكانوا يكنون كل ضعيف أبا ليلى"[3] فقال بعض بنى فزارة:

---

(١) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، صحابي، (ت، ٦٥هـ/ ٦٨٤م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٥/ ٣٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ١٤٤.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٧. والدَومُ على مسيرة ليلتين من المدينة.

(٣) نفسه، ٢-٤/ ٦٢.

لا تخــدعن فــإن الأمــر مختلف		والملـك بعـد أبـى ليلـى لمـن غلـبا[١]

وأخذ مروان يتشوف إلى الخلافة حتى كان مؤتمر الجابية[٢] الذى اتفقت فيه القبائل اليمانية على مبايعته[٣] فقال مروان حين بويع له ودعا لنفسه:

لمــا رأيــتُ الأمــر أمــرًا نَهــبا		يَــسَّرت غَــسَّانَ لهــم وكَلْــبا
والسَّكــسكِّين رجالًــا غُلْــبا		وطَيِّــئًا تأبــاه إلا ضَــربا
والقَــين تمــشى فــى الحديـد نُكـبا		ومــن تَــنُوخَ مُــشمَخرًا صَــعبا
لا يأخــذونَ المُلــك إلا غــصبا		وإن دَنَــت قــيسٌ فقــل لا قُــربا[٤]

يشير هذا النص إلى القبائل التى ساندت مروان بن الحكم فى صراعه مع ابن الزبير، ويكشف عن تذمره من قبائل قيس التى ساندت ابن الزبير وثارت ضد حكم الأمويين فى الشام.

كان مروان يلقب بخيط باطل لدقته، فلما بويع بالخلافة قال عبدالرحمن بن الحكم أخوه:

لعمــرك مــا أدرى وإنــى لــسائل		حليلة مـضروب القفـا كـيف يـصنع
لحـى الله قـومًا أمـروا خـيط باطـل		على الناس يعطى ما يشاء ويمنع[٥]

وقال أبو دهبل الجمحى يعرض به:

يدعـون مـروان كـيما يـستجيبَ لهـم		وعـند مـروانَ خـارَ القـوم أو رَفـدوا

---

(١) نفسه.
(٢) الجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل، وهي قرية من أعمال دمشق. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٩١-٩٢ (الجابية).
(٣) البلاذرى: أنساب ٥/ ١٣٩؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٣٥.
(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٨؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٣٨ وأثبت روايته؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٨٧؛ البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت، ٤٨٧هـ/ ١٩٤م): التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ)، ٢٦٧.
(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٢٩؛ البيت الثاني عند المسعودى: مروج، ٣/ ٨٦.

قد كانَ فى قومِ موسى قبلهم جَسد عجل إذا خار فيهم خورةً سجَدوا[1]

كشفت معركة مرج راهط[2] فى سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م)[3] عن حالة التصدع فى وحدة الدولة الأموية من خلال ظهور الأهواء الفردية والطموحات السياسية فزادت الصراعات القبلية من حدة التنافس للوصول إلى السلطة، ثم استقر بعد ذلك الأمر للأمويين فى الشام، فكان الناس فريقين بحَدلَي[4] وزُبيرى كما قال عبدالرحمن بن الحكم:

وما الناسُ إلّا بحدلى عن الهوى وإلا زُبيرى عَصى فَتَزَبَّرا[5]

مما يكشف عن حالة التمزق القائم الذى يستهدف القضاء على حكم الأمويين فى الشام وإسناد الخلافة لابن الزبير الذى أصبح يعتمد على ولاء القبائل القيسية، وإلى هذا يشير زفر بن الحارث الكلابى[6] (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٥م) زعيم قبائل قيس بقوله:

أفى اللهِ إمَّا بحدلٌ وابنُ بحَدلِ فَيَحيا وإمَّا ابن الزُّبيرِ فيُقْتَلُ[7]

لهذا قال حسان بن مالك بن بحدل زعيمُ قبيلةِ كَلبس حين سَلَّم الأمر إلى مروان:

---

(١) ديوانه، ٨٠.

(٢) موضع في الغوطة من دمشق في شرقية. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٢١ (راهط).

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٥٥؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٣٥.

(٤) نسبة على حسان بن بحدل بن أنيف بن دلجة الكلبي زعيم قبائل اليمن ابن أخي ميسون بنت بحدل أم يزيد بن معاوية. ابن حزم: جمهرة، ٤٥٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٢؛ التبريزي، يحيى بن علي (ت، ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م): شرح ديوان الحماسة، الجزء الثاني (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).

(٦) أبو الهذيل، زفر بن الحارث بن عمرو الكلابي، شاعر وزعيم قبلي. رجمته: الآمدى: المؤتلف، ١٩٨؛ التبريز: شرح، ١/ ٧٩.

(٧) زفر بن الحارث الكلابي (ت، ٧٥هـم٦٩٥م): شعره، تحقيق نوري حمودي القيسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٥٠)، الجزء (الأول)، (بغداد، ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/ كانون الثاني ١٩٨٤ م)، ١٦٧؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٣.

فـإلا يَكُـنْ مِـنَّا الخلـيفةُ نفـسُه   فمـا نالَهـا إلّـا ونحـنُ شُـهُودُ[1]

وقالَ بعضُ الكلبيين:

نَـزلنا لكُـم عَـن مِنيرِ المُلـكِ بَعـدَما   ظَللـتم ومـا أنْ تـستَطِيعون مِنْبَـرا[2]

ودعا مروان ايمن بن خريم الأسدى للقتال معه، فقال أيمن:

ولـست مُقاتِلًـا رَجلًـا يـصلى   علـى سـلطان آخـر مـن قـريشِ
لـه سـلطانه وعلـى إثمـى   معـاذ الله مـن سـفهٍ وطـيشِ
أأقـتلُ مُـسلمًا فـى غـيرِ جُـرم؟   فلـستُ بنافعـى مـا غُـشت عَيشى[3]

وحين احتدم القتال بين الفريقين على مقربة من دمشق قال بِشر بن مروان بن الحكم[4] (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٥م):

إنَّ علـى الـرئيس حقًّـا حقًّـا   أن يُخـضِب الـصَّعدَةَ أو تَـندقَّا[5]

وكانت قبائل قيس قد اجتمعت إلى زفر بن الحارث فقال:

لعمـرى لقـد أبقَـت وقـيعة راهـطٍ   لحـسان صَـدعًا بيِّـنا مُتناكـيا
فقـد ينبتُ المَرعـى علـى دِمنِ الثَّرى   وتبقـى حـزازات الـنفوسِ كمـا هـيا
أتـذهبُ كلـبٌ لم تَـنلها رماحُـنا   وتـترك قتلـى راهـطٍ هـى مـا هـيا[6]

وفر من مرجع راهطٍ إلى قرقيساء[7]، فراح يتذكر من قتل من أصحابه:

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٥.
(٢) نفسه.
(٣) أيمن بن خريم الأسدى: ديوانه، تحقيق الطيب العشاش (مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٤٩؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٥.
(٤) ترجمته: ابن حزم: جمهرة، ١٠٦؛ الذهبى: سير، ٤/ ١٤٥.
(٥) البلاذرى: أنساب: أنساب، ٥/ ١٤١-١٤٢؛ الطبرى: تاريخ: ٥/ ٥٤١-٥٤٢.
(٦) شعره، ١٧١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤١-١٤٢؛ الطبرى: تاريخ: ٥/ ٥٤١-٥٤٢.
(٧) معرب كركيسياء بلد على نهر الخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٣٢٨ (قرقيسياء).

أيـــذهبُ يـــومٌ واحـــدٌ إن أســـاته بـــصالح ايامـــى وحـــسن بلائـــيا
أبعـدَ ابـن عمـروٍ وابـن معـن تـتابعًا ومقـــتل همـــام أُمنـــى الأمانـــيا[1]

وأذكت هذه الوقعة نار الصراعات القبلية فاعتمد الأمويون على خؤولتهم من كلب إحدى قبائل قضاعة فى صراعهم مع مناوئيهم؛ لذا رد رجالات كلب على زفر، فهذا جواس بن القعطل الكلبى[2] يقول:

لعمـرى لقـد أبقـت وقـيعةُ راهـطٍ علـى زُفَـرٍ داءً مـن الـدَّاء باقـيا
يُبكـى علـى قتلـى سُـليمٍ وعامـرٍ وذبـيانَ معـذورًا ويبكـى البَواكـيا
دعـا بـسلاحٍ ثـم أحجـم إذ رأى سـيوفَ جَـنابٍ والطِّـوالَ المَذاكـيا[3]

وأجاب عمَرو بن مخلاة الكلبى[4] زفرَ بن الحارث فقال:

بكـى زُفـر القيسى مـن هُلـكِ قـومهِ بعـبرَةِ عـين مـا يجـفُّ سـجومُها
يُبكِّـى علـى قَتلـى أُصيبت بـراهطٍ تجاوبُـه هـامُ القِفـار وَبـومُها
أبحـنَا حمـى للحـى قَـيسٍ بـراهِطَ وولَّـت شـلالا واستُبيح حـريمُها[5]

كان عمرو بن مخلاة أحد فرسان معركة مرج راهط فذكر أشهر من قتل فيها حين قال:

---

(١) شعره، ١٧٢؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٢.
(٢) هو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبي، والقعطل أبوه واسمه ثابت. شاعر فارس أحد مناصري الأمويين (ت، نحو ٧٠هـ/ ٦٨٩م).
ترجمته: الآمدى: المؤتلف، ٩٩؛ ابن حزم: جمهرة، ٥٤٦.
(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٢؛ الآمدى: المؤتلف، ٩٩؛ البكرى: التنبيه، ٢٦٨.
(٤) هو عمرو بن مخلاة أو مخلي أحد بني عدي بن جناب الكلبين، شاعر فارس عاش في عهد الملك بن مروان (ت، نحو ٨٦هـ/ ٧٦٠٥م). ترجمته: ابن الجراح: من اسمه عمرو، ١٢٣؛ المرزباني، معجم الشعراء، ٦٨.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٣.

أصابت رماحُ القومِ بشرًا وثابتًا … وحَزنًا وكُلٌّ للعشيرةِ فاجِعُ
طَعَنَّا زيادًا في أستهِ وهو مدبِرٌ … وثورا أصابته السيوفُ الصوارمُ
وأدركَ هَمَّامًا بأبيضَ صارِمٍ … فتى من بنى عَمروٍ طُوالٌ مشايعُ
وقد شَهِد الصَّفينِ عَمرو بن محرزٍ … فضاقَ عليه المُرج والمُرجُ واسِعُ[(1)]

فهو يشير على ثور بن معن السلمى وهمام بن قبيصة النميرى، وكان الوازع بن ذؤالة الكلبى قتل همامًا بعد أن أبى الفرار[(2)]، وهو يقول:

ألا يا ابن ذاتِ النوق أجهز على امرئٍ … يرى الموتَ خَيرًا من فِرارٍ وأكرمَا
ولا تتركنى بالحُشاشَةِ إننى … أكرٌّ إذا ما الناس مثلكَ أحجما[(3)]

فقال الوازع[(4)]:

تنسى الذى أسديته يومَ راهطٍ … وقد ضاقَ عنكَ المُرجُ والمرجُ واسِعُ
وأقبلَ حادى الموت يحدو مُشَمِّرًا … بفرسانِ حَربٍ لم تَرعْها الرَّوائعُ
عليها قرومٌ من قضاعة سادةٌ … لهم شيمٌ محمودةٌ ودسائِعُ
إذا لَقِحت حربٌ مرتها سيوفُهم … وأيدس طِوالٌ لَم تَخنْها الأشاجِعُ
يَرونَ وُرودَ الموتِ حَقًّا عليهُم … إذا حادَ عن وُردِ المنايا المخادِعُ
فكَمْ مِن كَريمٍ قَدْ تَركنا مَلحميًّا … وآخرَ قَد سُدَّت عليه المَطامِعُ[(5)]

(١) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م: ديوان الحماسة، تحقيق عبدالمنعم أحمد صالح (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م)، ١٨٢؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٨؛ التبريزى: شرح، ٢ / ٩٨؛ ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م): الحماسة الشجرية، تحقيق عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي، الجزء الثاني وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م)، ١٧٢. ولزفر أجوبة عليه في شعره، ١٦٦.
(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٦. وهمام سيد قومه. ينظر: ابن الكلبى: جمهرة، ٣٧٥.
(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٧.
(٤) أحد بني كلب. البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٧ و١٤٦.
(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٦؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٤١. وحول ما قال عمرو بن مخلاة ينظر: المرزباني: معجم الشعراء، ٤٥.

ووثق ابن طُرّامة الكلبي عدد من قتل بثلاثة آلاف فقال:

وباديةِ الجواعرِ مِنْ نُميرٍ ... تُنادى وهى حاسِرَةُ النقابِ
قَتلنا مِنكم ألفين صَبرًا ... وألفًا بالتلاعِ وبالرَّوابى[1]

كما أشار زفر بن الحارث لبعض من قتل فى المرج فقال:

ابعد ابن عَمروٍ وابن مِعَن تَتَابعًا ... ومِن بَعد هَمَّام أُمنى الأمانيا[2]

وحين قتل هَمَّام بن قبيصة فى وقعةِ مُرجِ راهطٍ رثته عُميرة بنت عامِر الجعونية فقالت:

لَقَد فَجعتْنى الحادثاتُ بسيدٍ ... كَريمٍ نَشاهُ من نُميرِ بن عَامِرِ
أَعزَّ إذا ماشى الرِجالَ عَلاهُمُ ... بآباءِ صدقٍ جدُّهم غير عاثِرِ
هُم يردون الموتَ إذا طابَ ورده ... ببيضٍ خفافٍ فى الأكُفِّ مُواتِرِ
فإنْ كانَ هَمَّامٌ أتتهُ منيةٌ ... فما كانَ وقافًا غَداةَ التغاوُرِ
ولا حائِدًا عن قِرنِه إذ تبادَرَتْ ... فَوارسُ قَيسٍ بالرِّماحِ الشَّواجِرِ
لَقَدْ كَرَّ حتى نالَهُ الموتُ مُقدِمًا ... وحامى بِمسنونِ الغِرارَيْنِ باتِرِ
فإنْ تَكُ كَلبٌ أقصدَتْهُ فَرُبَّما ... رَمَى حَى كَلبٍ بالدَّواهى الفَواتِرِ
وَغَادَرَهُمْ شَتَّى عِزينَ فُلولُهم ... على كُلِّ عِدٍّ مِنْ مِياهِ قَراقِرِ[3]

وحينَ قَتلَ زحنةُ بن عبدالله الكلبى[4] الضَّحاكَ بن قيس الفهرى[5] قال رويفع البلوى[6]:

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٨ وطرامه أمه.

(٢) شعره، ٧٢؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٢.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٣.

(٤) أحد بني تيم بن رفيدة بن ثور بن كلب. نفسه، ٥/ ١٣٩.

(٥) قتل في مرج راهط سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٧/ ٤١؛ ابن كثير: أسد الغابة، ٣/ ١٤٩.

(٦) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٩.

ويـومَ نَـدا الـضَّحاك حـينَ تَألَـبتْ علينا العِدى مِن كلِّ شرقٍ ومَغربِ
حَشاهْ ابن تـيمِ الـلاتِ زحـنة ثعلبًا طريـرًا كقبـسِ القـابِسِ المـتلهبٌ[1]

وحفظ هذا الشعر أسماء المقتولين ومن قتلهم وأسماء قبائلهم، فكان شعر الرثاء وثيقة يتناقلها الرواة ويحفظها شعراء القبائل الذين يتفاخرون فى حفظ وقائع قبائلهم، ومـن ذلك ما وثقه الشعر عن مقتل خالد بن حصين الكلابى من قبائل قيس وعـلاقة ذلك بشخصيتى بشر بن مروان وعمرو بن سعيد كما فى قول الشاعر:

ثَـوى خالـدٌ بالمـرجِ غـيرَ مُلَـوَّمٍ ولا بَـرمٍ عـامَ الـرِّياحِ الـصَّوارِدِ
لَعَمـرى لَقَـد أرداه بِـشرٌ لحِيـنهِ وعَمـروٌ فقـد نـالا كَـريمَ المشَاهِدِ
فَهَـلا بَنِـى العاصِـى ذكـرتُم بـلاءَهُ ومـا شـاكِرِ المعـروف يَـومًا كجاحِـدِ
بِـراهِطَ إِذْ عـبدُ العزيـزِ مَعفَّـرٌ لـدى مُـسندٍ مِـنكُم وآخـرَ سَاجِدِ
فـلا صـلَح أو تـزقُوا لِمـروانَ هامَـةً علـيه بأيدِيـنا بَـواءً لخالـدِ[2]

يلوم الشاعر بنى أمية لأنهم لم يشفعوا لخالد حتى يتحول لومه إلى تهديد واضح لشخص مروان فيجعله بواءً لخالد، أى عِدلًا يثأر به، بينما يضع الضحاك بن فيروز الديلمى تبعة مقتل النعمان بن بشير الأنصارى[3] على قبائل حمير التى قتلته حين كان والى بن الزبير على حمص[4] فيقول:

زعمـوا بـأنَّ أخـا التفـضلِ والـندى قتلـتهُ غـدرًا إذ تعـاورت حِمـيرُ
غـدروا بـنُعمان بـن سَعدٍ غَـدرةً ولـرأسِ حِمـيرَ مِـثلُها أو أكثَـرُ[5]

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٩.
(٢) نفسه، ٥/ ١٦٦-١٦٧.
(٣) هو النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي كان عثمانيًا ثم مال مع ابن الزبير (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٣م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٥٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٥/ ٣٢٦.
(٤) حمص: قلعة بين دمشق وحلب، ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٠٢ (حمص).
(٥)البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٧. ينظر: أيضًا ما قاله عبد الرحمن بن الحكم في هذا الموضع.

ويشير عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان إلى أثر قبيلة كلب فى معركة مرج راهط وهى تصارع قبيلة قيس عيلان فيقول:

أتذهبُ كلبٌ قد حمتها رماحُها ... وتتركُ قتلى راهطٍ ما أجنَّتِ!

لحا اللهُ قيسًا قيسَ عِيلانَ إنها ... أضاعت ثُغور المسلمين وولَّتِ

فباءِ بقيسٍ فى الرَّخاء ولا تكُن ... أخاها إذا ما المشرفيَّةُ سُلَّتِ[1]

وحين عاد مروان بن الحكم إلى دمشق بعد انتصاره فى معركة مرج راهط قال بعض أنصاره بعد أن علموا قوة شوكة القبائل التى تحيط به وتدافع عن دولة الأمويين:

اللهُ أعطاكَ التى لا فوقَها ... وقد أرادَ الملحدونَ عوقَها

عنك ويأبى الله إلا سَوقَها ... إليكَ حتى قلدوكَ طوقَها[2]

فلما اجتمع أمر الخلافة لمروان، وفرغ من الحروب التى تشغله دخل عليه أرطاة بن سهية فهنأه وكان خاصًا به[3] فقال:

وسادت معدًّا على رغمِها ... قريشٌ وسُدت قرَيشًا غُلاما

جُعلتَ على الأمرِ فيه صَغًا ... فما زالَ عمزُكَ حتى استقاما[4]

هذه إشارة على صراعات القبائل، وطموح قريش فى السيادة على معد، فقد شاع فى هذا الوقت الشعر الذى يعبر عن وجهة نظر الأطراف المتصارعة حول السلطة، ويؤشر الوقائع الحربية التى درات بين هذه الأطراف وما جرى فيها من خسائر فى الأموال والرجال فقدم هذا الشعر مادة تاريخية للباحث فى فهم طبيعة الصراعات والأحداث.

---

(١)الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٤. ينظر: أيضًا ما قاله عويج الطائي عن كلب في هذا الموضع.

(٢)البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣١.

(٣)الأصفهانى: الأغاني، ١٣/ ٣٠.

(٤)شعره، ١٨٢؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٣/ ٣٠.

وفى سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م)[١] بعد موت معاوية بن يزيد وخشية الفتنة عهد سلم بن زياد ولاية خراسان إلى عبدالله بن خازم السلمي[٢] فنشب الصراع بينه وبين سليمان بن مرثد، فأدى ذلك إلى مقتل أخيه عمرو بن مرثد[٣] وهزيمة جيشه، فقال الشاعر:

أتــذهب أيــامُ الحــروبِ ولم تُبــئْ ... زهـيربـن حَيَّان بعمـروِ بـن مَـرثَدِ[٤]

وفى ذلك يقول[٥] المغيرة بن حبناء:

وفى الحرب كنتم فى خُراسان كلّها ... قتــيلًا ومــسجونًا بهـــا ومــسيَّرا

ويوم احتواكم فى الحَفيرا بنُ خازمٍ ... فلــم تجــدوا إلا الخــنادقَ مقَــبرا

ويـوم تـركتُم فـى ألغبار ابـن مِـرثد ... وأوسًـا تركتم حيثُ سارَوا عَسكَرا[٦]

واغتنم الترك فرصة الصراع بين الأطراف العربية المتنازعة فأغاروا عليهم، فلما هزم زهير ابن حيَان التركَ[٧] قال كعب بن معدان الأشقرى[٨] (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م) وهو من الشعراء الفرسان:

أتـاكَ أتـاكَ الغـوث فـى بـرقِ عـارضٍ ... دُروعٌ وبــيضٌ حــشوهُن تمــيمُ

أبـوا أن يـضمُّوا حشوَ ما تجمع القُرى ... فــضمَّهُمُ يــومَ اللّقـــاءُ صــميمُ

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٥-٢٤٧.

(٢) توفى سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م). ترجمته: الذهبى: العبر، ١/ ٢٥؛ ابن حجر. تهذيب، ٥/ ١٧٠.

(٣) سليمان بن مرثد وعمرو بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة. الطبرى: تاريخ، ٥/ ٤٥٦.

(٤) نفسه، ٥/ ٥٤٧.

(٥) من ربيعة بن حنظلة التميمي، وحبناء لقب غلب على أبيه لحين أصابه، وهو ورم البطن، شاعر أموي (ت، ٩١هـ/ ٧١٠م). ترجمته: ابن قتيبه: الشعر والشعراء، ١/ ٣١٩؛ الأصفهانى: الأغاني، ٨٦/١٣.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٥١. والأبيات غير مذكورة في مجموع شعره.

(٧) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٩.

(٨) شاعر فارس من الأزد، من أصحاب المهلب بن أبي صفرة. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ١٤/ ٢٦٦ ؛ المرزبانى: معجم الشعراء، ٢٣٦.

ورزقهُــمُ مـــن رائحـــاتٍ تـــزينُها ضـروعٌ عَريضات الخواصرِ كـومُ[1]

وهو يمدح زهير بن حيان وبنى تميم لقتالهم الترك، وإلى هذا أشار أحد فرسان الأزد ثابت قطنة[2] فقال:

فـدَتْ نفـسى فـوارسَ مـن تميم غـداةَ الـروع فـى ضَـنْكِ المقـام
فَـدت نفـسى فَوارسًـا اكتفونـى علـى الأعـداءِ فـى رَهَـج القَـتام
بقـصرِ الباهلـى وقـد رأونـى أحامـى حـيث ظـنَّ بـهِ المحامـى
بـسيفى بعـد حطـم الـرمح قَـدحًا أذودهـم بـذى شَـطب حـسام
أكـرُّ علـيهم الـيحمومَ كَـرًّا كَكَـرّ الـشربِ آنـيةِ المُـدام

حتى يقول:

إذن لـسَعت نـساء بنـى دثـارٍ أمـامَ التُـركِ باديـةَ الخِـدامِ[3]

يبدو هذا الشعر صورة حية للأحداث والوقائع، فهو أشبه بالوثيقة التى تحفظ الأسماء والأحداث، وتكشف عن كيفية مجابهة الحرب بإقامة الخنادق، وهؤلاء الشعراء هو من فرسان الحروب المجربين الذين يرون فى الخندق هروبًا من مواجهة العدو، فضلًا عن كون هذه النصوص توثق الأمكنة التى حصلت فيها الوقائع، فكانت صورة نابضة بالحقيقة التاريخية.

بعد أن استقر مروان بن الحكم فى الشام سار إلى مصر فدخلها سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[4] فأشير عليه بحفر الخندق حول الفسطاط[5]، فوافقهم وحفره فى شهر واحد وفى ذلك قال شاعرهم:

---

(١) الأشقري، كعب بن معدان (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣): شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٤١٦؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٩.

(٢) ثابت بن كعب، من فرسان الأزد سمي قطنة لوضعه قطنة في عينه التي أصيبت بسهم (ت، ١١٠ هـ/ ٧٢٨م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٥٢٦؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٤/ ٢٤٧.

(٣) ثابت قطنة العتكي (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨م): شعره، تحقيق ماجد أحمد السامرائي (مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ٥٥-٥٦؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٩.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٥٧.

(٥) الفسطاط: ضرب من الأبنية وبه سميت الفسطاط. ياقوت: مع البلدان، ٤/ ٢٦٣ (الفسطاط).

وما الجدُّ الأمثل جِدُّ ابن جَحدَمٍ   وما العَزمُ إلا عزمَهُ يوم خَندَقِ
ثلاثون ألفًا هم أثاروا ترابَهُ   وخدّوه فى شهرٍ، حَديثُ مُصدَّقِ[(١)]

فوثق هذان البيتان عدد من عمل فى الخندق، وهم ثلاثون ألفًا، ومدة حفره وهى شهر واحد، وأشار عبدالرحمن بن الحكم إلى القبائل التى عملت فى هذا الخندق، فذكر أحياء مذحج والأشعريين وحمير وغافق.. وغيرها، فقال:

بلغنا بفيلق يَغشى الظِّرابَ   بعيدَ السموّا لِمن يَرتقى
وجاشت لنا الأرضُ من نحوهم   بحيَّى نَجيبَ ومن غافقِ
وأحياء مذحج والأشعريين   وحِمير كاللَّهب المحرَّق
وسدت معافرُ أفق البلادِ   بمرعِدِ جيشٍ لها مُبرِقِ[(٢)]

واكب هذا الشعر الأحداث فعبر عن تفاصيلها وحفظ أسماء القبائل التى ساهمت فى هذه الوقعة، فكان الشعر سجلًا للوقائع حتى أن بعض الشعراء كان يصاحب الولاة ويوثق أعمالهم، فقد كان نصيب[(٣)] منقطعًا إلى عبدالعزيز بن مروان[(٤)]، فلما استطاع إعادة بُساق[(٥)] قال يوثق الحدث:

حلت بُساقًا والبطاحَ فلم يُرِمْ   بطاحَكَ لما أنت حميتَ ذماركا
فَسَرت الأَلى ولّوا عن الأمرِ بعدما   أرادوا عليه، فاعلمن اقتسارها[(٦)]

---

(١) الكندي، محمد بن يوسف (ت، ٣٥٠هـ/ ٩٦١م): ولاة مصر، تحقيق حسين نصار (دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ٦٥.
(٢) نفسه، ٦٦-٦٧.
(٣) نصيب بن رباح مولى عبدالعزيز بن مروان، شاعر أموي (ت، ١٠٨هـ/ ٧٢٦م). رجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٤٨؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٣٢٢.
(٤) عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي (ت، ٨٥هـ/ ٧٠٤م). ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٧٦؛ الذهبى: سير، ٤/ ٢٤٩.
(٥) عقبة بين التيه وأيلَه. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤١٣ (بُساق).
(٦) نصيب بن رباح: شعره، تحقيق: داود سلوم (مط الرشاد، بغداد، ١٩٦٨)، ١١٣.

كانت مدة حكم مروان بن الحكم على قصرها حافلة بالأحداث والصراعات التى كانت تتصاعد بقوة، فكان ذلك مدعاة لازدهار الشعر نتيجة تأجج الصراعات القبلية والسياسية، لأن الشعر وسيلة من وسائل التعبير عن المواقف، والصوت الإعلامى الذى يسهم فى انتشار الخبر وشيوعه فيبعث فى الحياة روح التنافس ويؤدى على رسوخ التناقضات السياسية ووضوحها بجلاء ويمنح الشعراء المحفز القادر على إثارة العواطف وتأليب الخصوم.

عبدالملك بن مروان بن الحكم[١] (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)

تسلَم عبدالملك الخلافة وما زال ابن الزبير يستحوذ على مساحة واسعة من رقعة الدولة الأموية، وكان وضع الدولة فى هذه الأثناء هشًا والظروف المحيطة بها مرتبطة، فقد كانت أيام مروان القليلة غير كافية لتثبيت أركان دولته التى تكاد أن تكون أسست تأسيسًا جديدًا، لذا بدت المهام أمام عبدالملك لتثبيت أركان الدولة جسيمة تحتاج إلى القوة والحنكة السياسية والأفق الواسع لمجابهة قوة عبدالله بن الزبير، وفرقة القبائل العربية، فضلًا عن الحاجة إلى المال والرجال، وقد بدأ أبوه خطواته الأولى بقوة قبيلة كلب ومن والى بنى أمية، ثم أخذ يوسع نفوذه فى الشام ومصر، والخطوة القادمة تحتاج من عبدالملك التوسع فى العراق وخراسان والحجاز والبحرين واليمن وباقى أمصار الدولة العربية الإسلامية.

كان عبدالملك إداريًا حازمًا، وأديبًا ذواقًا، فكان يحفظ الشعر ويتمثل به ويحتفظ بنصوص منه مكتوبًا، فقد كان ((يخرج شعر كثير إلى مؤدب ولده مختومًا ويرويهم إياه ويرده)) [٢] وقد جمع بعض بنيه فاستقرأهم "فقرؤوا، واستشهدهم فأنشدوا لكل شاعر غير الأعشى، فقال لهم: قرأتم فأحسنتم، وأنشدتم فأحسنتم لكل شاعر غير الأعشى، فما بالكم تهجرونه، فقد أخذ فى كل فن فأحسن، وما امتدح رجلًا قط

---

(١) ولد سنة (٢٦هـ/ ٦٤٦م) وتولى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٢/ ٣١٦؛ الذهبى: سير، ٤/ ٢٤٦.

(٢) الأصفهانى: الأغاني، ٩/ ٢٣.

إلا جعله مذكورًا))[١]. يعنى بالذكر الأثر والانتشار بوصف الشعر سجلًا للوقائع ووثيقة يدون بها الحدث. فلا غرو أن ينال الشعراء عنده حظوة خاصة وأن يستخدم الشعر سلاحًا فاعلًا ضد خصومه، ووسيلة لذيوع صيته فهابه أعداؤه وتحاشوه؛ وهو ما أثبتته الوقائع وكشفت عنه الأحداث، فكان طوال مدة حكمه سببًا إضافيًا لاستقرار الدولة فى عهده وازدهار متطلبات الحضارة فيها، كما أنه يرى فى الشعر مادة أخلاقية تهذب الذوق وتسمو بالأفكار والمعانى إلى مواطن الرفعة.

تصاعد أمر التوابين[٢] فى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[٣] الذين بدأت حركتهم فى سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣)[٤] فى عهد مروان بن الحكم طلبًا بثأر الحسين رضى الله عنه، إذ بعث سليمان بن صرد[٥] (ت، ٦٥هـ/ ٦٨٤م) إلى وجوه أصحابه حين أراد الشخوص، فأتوه وتلاقوا بالتلاوم والتنادم فعسكوا بالنخيلة[٦] إلى الكوفة ففرعوا إلى خمسة نفر من زعمائهم بينهم المسيب بن نجبة الفزارى[٧] (ت، ٦٥هـ/ ٦٨٤م) فولوا أمرهم سليمان بن صرد الخزاعى، فحرضهم على الخروج عبيدالله ابن عوف بن الأحمر[٨]، فقال:

صحوتُ وودعت الصِّبا والغوانيا ... وقُلت لأصحابى: أجيبوا المناديا
وقولوا له إذ قامَ يدعو إلى الهدى ... وقبل الدعا: لبيكَ لبيكَ داعيا[٩]

---

(١) ابن بكار: الموفقيات، ٤٩.
(٢) هم الذين تابوا وندموا لتخاذلهم عن نصرة الحسين حين خرج على يزيد بن معاوية. ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٠٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٢٨٥؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٩٣.
(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٠٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٨٣.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٥١ و٥٨٢.
(٥) سليمان بن صُرج بن الجون بن أبي الجون الخزاعي قتل في عين وردة.
ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢٦؛ ابن حجر، تهذيب، ٤/ ١٧٥.
(٦) تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٢٧٨ (النخلية).
(٧) المسيب بن نجية بن ربيعة الفزاري. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢١٦؛ ابن حيان: الثقات، ٥/ ٤٣٧.
(٨) ينظر أخباره: الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٩٧.
(٩) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ١٦ وهي طويلة عنده؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٩٣.

وهو يذكر أنهم تابوا إلى الله وأنابوا إليه من الكبائر التى ارتكبوها حين لم ينصروه؛ لذا كان شعرهم صحوة نفسية غايتها التكفير والتطهير، وهى التوبة إلى الله عما فرط منهم من الذنوب والآثام[1]. إذ كان ابن الأحمر سبقهم إلى قبر الحسين وهو يرتجز:

خَــرجن يلمعـــنَ بـــنا أرسَـــالا ... عَوابِـــسًا يَحملنَـــنا أبطـــالا

نُـــريد أن نَلقـــى بـــه الأقـــتالا ... القاسِـــطينَ الغُـــدُر والــضُّلالا

وقـــد رَفـــضنا الأهـــلَ والأمـــوالا ... والخَفِـــرات البِـــيضَ والحِجـــالا

نُرضـــى بـــهِ الـــنِّعَم المفـــضَالا[2]

يفصح هذا الشعر عن عقيدة التوابين فى رفض الأهل والأموال والنساء للتفرغ لقتال خصومهم من قتلة الحسين رضى الله عنه، فخرجوا يريدون الشام، فلما كانوا بعين وردة[3] لقيتهم خيل أهل الشام[4] فالتحموا معهم بحماس شيد واستماتة كبيرة، وكأنهم يكفرون عن ذنبهم بالموت الذى بات مطالبًا نفسيًا ووجوديًا؛ وتعبيرًا عن الإحساس بالإحباط والانكسار، ففقدوا حساسية الشعور بالصدمة أمام الموت، فهذا سليمان بن صرد يكسر جفن سيفه ويتقدم نحو أهل الشام[5] وهو يرتجز ويقول:

إلـــيكَ ربـــى تُـــبتُ مـــن ذنوبـــى ... وقـــد عَلانـــى فـــى الـــوَرى مـــشيبى

فـــارحم عَـــبدًا غـــير مـــا تكذيبـــى ... واغفـــر ذنوبـــى ســـيدى وحوبـــى[6]

---

(١) خليف: حياة الشعر في الكوفة، ٣٨١/٣٨٣.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٩١.
(٣) عين وردة: على مقربة من الكوفة. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ١٨٠ (عين وردة).
(٤) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٩٦.
(٥) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٢.
(٦) نفسه.

ثم أخذ الراية المسيب بن نجبة وهو يقول ((فقد صدقت ووفيت بها عليك))[1].

فكان يقاتل ويرتجز:

قـــد عَلمـــت مـــيالة الـــذَّوائبِ واضــــحة اللَّـــبَّاتِ والتَّـــرائبِ

أنّـــى غـــداةَ الـــرَّوعِ والـــتَّغَالُبِ أشـــجعُ مِـــن ذى لِـــبَدٍ مُـــواثِبِ

قَطَّـــاعُ أقـــرانٍ مُخـــوفُ الجانِـــبِ[2]

وكان يطعن فى أهل الشام ويقول:

لقـــد منيـــتُم يـــا أخـــى جـــلادى بـــيت المقـــام مقفـــص الأعـــادى

لـــــيس بفـــــرارٍ ولا حـــــيادِ أشـــجعُ مـــن لـــيث عـــرين عـــادى[3]

وتقدم عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدى[4] (ت، ٦٥هـ/ ٦٨٤م) فأخذ الراية فرفعها لأهل الكوفة وهو يقول:

ارحـــم إلهـــى عـــبدَك الـــتَّوابا ولا تـــــؤاخذه فقـــــد أنابـــــا

لا كُفـــــةَ يبقـــــى ولا عِـــــراقا لا بـــل يـــريد المـــوت والعـــتابا[5]

هنا يبدو مطلب الموت ذاتيًا للمجموعة وكأنهم يدفعون بأنفسهم إلى الموت تكفيرًا عن جريرة كبيرة، وإثم عظيم، وهم البقية الباقية من أصحاب على بن أبى طالب فى الكوفة، وكأن التعبير عن التوبة لديهم بغير الموت لا قيمة له، مما جعلهم يطلبون اللقاء بربهم ومن قتل من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم[6].

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٩٩.

(٢) نفسه، ٥/ ٦٠٠؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٩٤؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت، ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، الجزء الثامن (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ٢٥٤.

(٣) ابن أعثم: الفتوح: ٦/ ٨٣.

(٤) أخباره: الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٠؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٣.

(٥) ابن عثم: الفتوح، ٦/ ٨٣.

(٦) ينظر شعر: رفاعة بن شداد البجلي، وسخر بن حذيفة عند ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٤-٨٥. وكذلك يمكن ملاحظة الإحساس بالندم عند عبيد الله الجعفي في رثائه للحسين وتقريعه لنفسه لعدم نصرته: شعراء أمويون، ١/ ١١٥-١١٦.

بعد مقتل التوابين فى عين الوردة شعر أصحابهم ومؤيدوهم بالحزن والأسى لما حصل فرووا شعرًا سمعوه فى مسيرهم ورجوعهم يعد من الشعر الذى يوثق الحدث ومن شارك فيه، وهو كما يبدو شعرٌ صُنع بعدَ تفاعلِ الأحداث وكثرة الثورات، وهو قولهم:

يــا عــينُ بُكــى ابــن الــصردْ | بُكـــى إذا اللـــيل حَمـــدْ
كـــان إذا الـــبأس نكَـــدْ | تخالـــــه فـــيه أســـدْ
مـــضى حَمـــيدًا قـــد رَشَـــدْ | فـــى طاعـــةِ الأعلـــى الّـــصَمدْ[1]

كان لرثاء من قتلوا فى عين الوردة اثره الواضح فى فحظ أحداثها واستمرار روايتها من قبل التوابين، مع التكتم عليها لحساسيتها لتعبيرها عن هواجسهم، فهذا أعشى همدان[2] يرثيهم بقصيدة بائية تعد ((إحدى المكتمات، كن يكتمن فى ذلك الزمان))[3]، ومطلعها:

ألمَ خـــيال مـــنكِ يـــا أمَّ غالِـــبِ | فحُيِّيت عـنا مـن حبيب مجانـبِ[4]

تعد هذه القصيدة لطولها وتسلسل حوادثها من القصائد المهمة فى توثيق الأحداث التاريخية، لوضوحها ومباشرتها، وتتبعها تحرك التوابين؛ فضلًا عن تعبيرها عن أفكارهم وعقيدتهم فى التوبة. فهو يوثق حركتهم، ويكشف عن تعاطفه معهم، وعن روح القناعة بعقيدتهم، فقد كان أعشى همدان أحد الفقهاء، ثم ترك ذلك وقال الشعر[5]، فعد من الفحول[6]. فمن ذلك قوله:

---

(١) المسعودى: مروج، ٣/ ٩٥.

(٢) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن الحراث، أبو المصبح، شاعر فصيح كوفي أحد القراء الفقهاء (ت، ٨٣ هـ/ ٧٠٢م). ترجمته: الآمدى: المؤتلف، ١٢؛ الأصفهانى: الأغاني، ٦/ ٣٤.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٧.

(٤) أعشى همدان، عبدالرحمن بن عبدالله (ت، ٨٣هـ/ ٧٠٢م): الديوان: ملحق بديوان الأعشى الكبير: الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشين الآخرين (مطبعة آدُلف هُلر هوسن، بيانة، ١٩٢٧ م)، ٣١٥؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٨.

(٥) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت، ٥٩٧هـ/ ١١٩٩م): المنتظم في تواريخ الأمم، تحقيق سهيل زكار، الجزء الرابع (دار الفكر، بيروت، ١٤٥١هـ/ ١٩٩٥م)، ٣٩١.

(٦) هذا رأي الأصمعي فيه ينظر: المرزباني: الموشح، ٣٠١.

فَــوجهّهُ نحــوَ الــثَّويةِ ســائِرًا إلى ابـن زِيـادٍ فـى الجمـوعِ الكـباكِبِ
بقــومٍ هُــمُ أهــلُ التَّقــيةِ والنُّهَــى مَــصَاليتُ أنجــادٍ سَــرَاةُ مَــنَاجِبِ
مَضوا تارِكى رَأى ابن طَلحَةَ حَسبَةً ولَــم يَــستجيبوا للأمــيرِ المُخَاطِــبِ
فَساروا وَهـم مِن بَينِ مُلتمِس التُّقى وآخَــرَ مِمّــا جَــرَّ بــالأمسِ تائِــبِ
فلاقَـوا بعـينِ الـوَردَةِ الجيشَ فاصِـلا إلـيهمُ فَحَـسُّوُهم بِبِـيضٍ قَواضِــبِ
يَمانِــيةٍ تَــذرى الأَكُــفُّ وتــارَةً بخَـيلٍ عِـتاقٍ مِـن كُـلِّ جَانِــبِ
فمـا بَـرحوا حتـى أُبـيدت سَـراتُهُمْ فلَـمْ يَـنْجُ مِنهُم ثَـمَّ غَـيرُ عَـصائِبِ
وغُـودِرَ أهلُ الصَّبرِ صَرعى فأصبحوا تَعَــاوَرَهُمْ رِيَــحُ الــصَّبا والجَـنَائِبِ
وأضـحى الخُزاعـى الـرئيسُ مُجـدَّلا كــأنْ لَــم يُقاتِــلْ مَــرَّةً ويُحــارِبِ
ورأسُ بَنــى شَــمْخٍ وَفــارِسُ قَــومِهِ شَــنُوءَةَ والتَّيمــى هَــادِى الكــتَائِبِ
وَعَمــرُوا بــنُ بِـشْرٍ والولــيدُ وخالِـدٌ وزيـدُ بـنُ بَكـرٍ والحُليسُ بـن غالِـبِ
وضــارِبُ مِــن هُمــدان كُـلُّ مُشَيَّعٍ إذا شُــدَّ يـنكُلْ كَـريمُ المكاسِــبِ[1]

تسرد هذه الأبيات مجموعة ممن شارك فى الوقعة، إذ يشير إلى سليمان بن صرد الخزاعى أحد رجالاتها وصحبه، عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدى، وعبدالله بن والٍ التيمى من تيم اللات، والوليد بن عصير الكنانى، وخالد بن سعد بن نفيل... وغيرهم[2]؛ مما يكشف عن أثر الشعر فى توثيق هذا الحدث وما تبعه من متغيرات وظروف كانت سببًا فى اتخاذ عبدالملك بن مروان أسلوب الحزم والقوة لمجابهة هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الدولة.

---

(١) ديوانه، ٣١٦؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٨-٦٠٩.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٠٤-٢٠٥؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، الجزء الرابع (دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، ١٨٩.

وكان مروان بن الحكم قد أنفذ جيش بن دلجة القيني[1] إلى أهل المدينة، فوجه إليه عبدالله بن الزبير جيشًا من البصرة بقيادة واليها من قبله الحارث بن عبدالله أبى ربيعة المخزومى المعروف بالقباع[2] (ت، ٨٠هـ/ ٧٠٠م)، فوقعت موقعة الرَّبذة[3] فى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[4]، والتى قال فيها عَمرو بن حنظلة التميمى[5]:

فِدىً لامرئٍ سَوَّى حُبيشًا عَلى العَصا ... قُدامةَ قبلَ الناسِ من آلِ أَجدرَا
أناخَ لَهُ شرُّ المَطايا مَطيَّةً ... وكانَ حُبيشٌ قد طغَى وتجبَّرا
وقالَ حُبيشٌ للجنودِ تقدموا ... وظَنٌّ قِتالَ القومِ قَندًا وَسُكَّرا
ولما التقوا وَلَّى الشآمون هُرَّبًا ... عِزين وأجلوا عن حُبيشٍ مُقطَّرا
وأفلتَنَا الحَجَّاجُ ركضًا ولَو بهِ ... لحقنا لغادرنا الجُرَىَّ مُغفَّرًا[6]

فانهزم جيش مروان، وكان الحجاج بن يوسف الثقفى وأبوه منهم فهربا على بعير يعتقبانه، وقُتِل عَمروٌ وصُلِبَ حُبيش، فقيل أنَّهُ أولُ مصَلوبٍ فى الإسلام[7].

واشتدت شوكة الخوارج بالبصرة، فى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[8] من أصحاب نافع بن الأزرق[9]، فبعث إليهم أهل البصرة جيشًا عليه حارثة بن بدر فلقيهم، فقال لأصحابه:

---

(١) أحد بني وائل بن جُشم. البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٥٠-١٥١؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١١-٦١٢.

(٢) لقب مكيال وصفه. ترجمته: ابن حبان الثقات، ٤/ ١٢٩؛ الذهبى: سير، ٤/ ١٨١.

(٣) من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٤ (الرَّبذة).

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٥٠-١٥١؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١١-٦١٢.

(٥) عَمرو بن حنظلة التميمي البصري. ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ٤٧.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) الطبرى: تاريخ، ح ٥/ ٦١٣.

(٩) نافع بن الأزرق الحنفي، أحد قادة الخوارج قتل سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤٦٩؛ الذهبى: ميزان، ٤/ ٢٤١.

كـــــــرنبوا ودولـــــــــبوا وحـــيث شِـــئتم فاذهـــبوا[1]

وسبب ذلك اشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذى كان بين الأزد وربيعة وتميم، بسبب مسعود بن عمرو، وكثرة جموع الخوارج[2]، فاجتمعوا فى دولا[3]، فقال قطرى بن الفجاءة[4]:

ولـو شـهدتنى يـومَ دولاب أبـصرت علــى نائـبات الدهــر جــدٌّ لئـيمِ
غـداةَ طَعـت عَ المـاءِ بكـر بـن وائـلٍ وألافِهـــا مـــن حِمــيرٍ وسُــليمِ
ومــالَ الحجازيــون نحــوَ بِلادهـــم وعُجـنا صــدورَ الخَـيلِ نحـو تمـيمِ
وكـــانَ لعـــبدِ القـــيس أوَّل جِــدِّها وولَّـت شـيوخُ الأزدِ فهـى تعـومُ[5]

وبعد أن كتب أهل البصرة إلى ابن الزبير يطلبون منه إمامًا عليهم وجه إليهم الحارث بن عبدالله المخزومى، وفى هذا الوقت كان ضغط الخوارج[6] شديدًا على أهل البصرة فأشاروا عليه أن يولى المهلب بن أبى صفرة[7] (ت، ٨٢هـ/ ٧٠١م) على قتال الخوارج، فقام رجل من أهل البصرة[8] منشدًا:

مضى ابن عُبيس مُسلمٌ لسبيله فقام لها الشيخ الحجازى عُثمانُ

فأرعَـد مـن قَـبلِ اللقَّـاءِ ابـن معمَـرٍ وأبــرقَ، والــبرقُ الحجــازى خَــوانُ
ولم يُــنكِ عــثمانُ جــناحَ بعوضَــةٍ وأضحى عدُّو الدينِ مثل الذى كانوا

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١٣؛ ابن الكلبي، جمهورة، ٢٢٢. والبيت غير مذكور في جموع شعره.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١٣.
(٣) بينه وبين الحواز فرسخان. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٤٨٥ (دولاب).
(٤) اسمه جعونة بن مازن، أبو نعامة، قتل نحو سنة (٧٨هـ/ ٦٩٧م). ترجمته: الجاحظ: البيان، ٣/ ٢٦٤، البكرى: سمط، ١/ ٥٩٠.
(٥) شعر الخوارج، ١/ ١٠٦-١٠٧.
(٦) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١٥.
(٧) المهلب بن ظالم بن سارق بن صبح الأزدي. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ١٢٩؛ الذهبى: سير، ٤/ ٣٨٣.
(٨) الدينورى: الأخبار، ٢٧٠-٢٧١.

وليس لها إلا المُهلّب إنّهُ مَلِيء بأمرِ الحربِ، شيخٌ له شانُ
إذا قِيل من يحمى العِراقين أومأت إليه مَعدٌّ بالأكُفِّ، وقحطانُ
فذاك أمرؤ إن يلقهُم يُطِف نارهم وليسَ لها إلا المهلّبُ إنسانُ[١]

وهذا الشعر يوثق أحداث الخوارج مع أهل البصرة، ويشير إلى قاعدة جيوشهم فى المحاربة، ويرى فى شخصية المهلب القيادية أهلًا لمناجزتهم القتال، فهزمهم المهلب فى (سِلَّى وسِلَّبْرَى)[٢]، وأقام بالأحواز، فقال الصلتان العبدى[٣]:

بسِلّى وسِلّبْرى مصارع فتية كرام وقتلى لم توسد خدودها[٤]

وقال شاعر من المسلمين يوثق هذا الحدث:

يوم سِلّى وسِلّبْرى أحاط بهم منا صواعق ما تبقى وما تذر
حتى تركنا عبيد الله منجدلا كما تجدل جدع مال منقعر[٥]

وقال أحد شعراء الخوارج:

لعمرى لقد بعنا الحياة وعيشها برضوان رب الخلائق عالم
غداة نكر المشرفية فيهم بسولاف يوم المأزق المتلاحم

---

(١) نفسه، ٢٧١،. ينسب هذا الشعر لابن غرَّادة وفيه إشارة إلى عثمان بن عبدالله في قتاله للخوارج، وإلى مقتل مسلم بن عُبيس القرشي في دولاب كم وثق ذلك احد الأزد. ينظر أيضًا: البلاذرى: أنساب، ٢ -٤/ ١١٥.

(٢) سلّى وسليرى: منزل من منازل الأحواز نزل به المهلب. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٣٢ (سلى وسلبرى).

(٣) هو قثم بن خبية من عبدالقيس، شاعر حكيم (ت، ٨٠هـ/ ٧٠٠م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٤٠٨؛ المرزباني، معجم الشعراء، ٤٩.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١٩.

(٥) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت، ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م). معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، الجزء الثالث (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، ٧٤٨. ينظر ما قاله كعب الأشقري، ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٢٦.

فإن تك قتلى يوم سلّى تتباعت فكم غادرت أسيافنا من قماقم[1]

وعن وقعة سولاف[2] يقول عبدالله بن قيس الرقيات:

تسدت وعين السوس بيني وبينها وَرزادقُ سولاف حمتُه الأزارقة[3]

ورثى أحد الخوارج نافع بن الأزرق فأشار إلى مقتله على يد المهلب فوصفه بأمير المؤمنين، وقد اتصف شعر الخوارج بالصدق والواقعية وكأنه قيل ليوثق الأحداث، فهو بعيد عن الصنعة والمحاباة والتكلف فهو يشير إلى أهدافه بصورة مباشرة، لذلك يلتقى مع شعر الفرسان فى خضوعه للسليقة واستجابته المباشرة للحدث، ومن ذلك قول أحدهم:

شَمِتَ المُهلب والحوادُ ثَمّةٌ والشامتون بنافعِ بن الأزرقِ

أن ماتَ غير مُداهن فى دينهِ ومتى يمُرُّ بذكر نارٍ يصعق

والموتُ أمرٌ لا محالةَ واقِعُ من لا يصبّحه نهارًا يَطرقُ

ورمى المهلّب جمعنا بجموعِهِ لما أصبنا بالصَّبورِ المتقي

فلئن أمير المؤمنين أصابَهُ ريبُ المنونِ فمن يُصبه يغلَقِ[4]

يتصف شعر الرثاء عند الخوارج بالاستهانة بالموت، وعدم المداهنة أو المراءاة، لأن شعرهم يهتم بإبراز ملامح الإقدام والجرأة، والقدرة على تحدى الخصم من أجل الأهداف التى يؤمنون بها، وهذا ما أبعده عن البكائيات وجعله توكيدًا حيًا للعقيدة عندهم، كما تعكس ذلك المراثي[5] التى قيلت فيمن قتل مع نافع بن الأزرق.

---

(١) الأبيَات من شعر بعيدة بن هلال اليشكري، شعر الخوارج: ص٩٢. ينظر روايتها عند ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ١٩.

(٢) قرية غربي دجيل. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٨٥ (سولاف).

(٣) ديوانه، ١٦٢.

(٤) شعر الخوارج، ٧٢؛ الدينوري: الأخبار، ٢٧٤.

(٥) ينظر حول: رثاء عمرة لابنها عمران بن الحارث الراسبي، ورثاء الحارث بن كعب الشني لعون بن أحمد الضبعي. شعر الخوارج، ٧٣-٧٤.

وفى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[1] خالف من كان بخراسان من بنى تميم عبدالله بن حازم (ت، ٧٢هـ/ ٦٩١م) حتى وقعت الحرب بينهم، فقاتله الحَريش بن هلال القريعى[2] سنتين. فقال بعض شعراء تميم:

فلـو كُنـتم مـثل الحَـريش صَـبرتمُ ... وكُنـتم بقـصرِ الملـح خـيرَ فـوارسِ
إذًا لـسقيتم بالعـوالى ابـن خـازمٍ ... سجالَ دومٍ يُورثنَ طُوَال وَساوِسِ[3]

فوثق الشعر شخصيتى المتحاربين، كما أشار فخر الحريش إلى هياته الخارجية وإلى مدة الحرب بين الطَّرفين التى هى حولان، إذ يقول حريش:

أزالَ عظـم يمينـى عـن مـركَبِهِ ... حمـل الرُّدينى فـى الأدلاجِ والسَّحرِ
حَـولين مـا اغتمـضت عينـى بمنـزلَةٍ ... إلا وكفِّـى وسـادٌ لى علـى حَجَـرِ
بَـزّى الحديـدُ وسـربالى إذا هَجعـت ... عنى العيونُ مِحالُ القارحِ الذَّكرِ[4]

وحاصر عبدالله بن خازم رجال بنى تميم بخراسان بسبب مقتل ابنه محمد سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م)[5] فقال الحريش بن هلال:

أعـاذِلَ إنـى لم أُلِـم فـى قـتالِهم ... وقد عضَّ سيفى كبشَهم ثم صَمَّما
أعـاذِلَ مـا ولّـيتُ حتـى تَـبدَّدت ... رجـالٌ وحتـى لم أجِـد مـتقَدِّما
أعـاذِلَ أفنانـى الـسلاح ومَـن يُطِـل ... مقارَعَـة الأبطـالِ تَـرجعُ مكلَّمـا
أعينـى إن أذرفـتما الدَّمـع فاسـكبنا ... دَمًـا لازمًـا لى دونَ أن تـسكُبا الـدَّما
ابعـدَ زهـيرٍ وابـنِ بـشرٍ تـتابُعًا ... وورِدٍ أرجَـى فـى خراسـانَ مَغـنمَا

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٢٤.
(٢) حريش بن هلال بن قدامة، من فرسان بني تميم. ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ١/ ٢٥٧؛ ابن خلكان: وفيات، ٦/ ٢٨٤.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٢٦.
(٤) نفسه، ٥/ ٦٢٦.
(٥) نفسه، ٦/ ٧٦.

أعاذِل كم من يوم حربٍ شهدته أكر إذا ما فارس السوء أحجما[1]

وفى سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م)[2] أعلن المختار بن أبى[3] عبيد (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) خروجه فى الكوفة مطالبًا بالثأر لدم الحسين بن على فأخرج عامل ابن الزبير منها، وكان المختار بايع الحسين فيمن بايعه من أهل الكوفة[4]. فأصبح خروجه لخروج التوابين، ورافدًا من روافد التمرد على الدولة الأموية بعد نشوب الاضطرابات والفتن التى فجرها تحول نظام الخلافة من الشورى إلى الوراثة. ولأن الكوفة كانت مركزًا مهمًا من مراكز الدولة العربية الإسلامية، وصارت عاصمة لها فى عصر الخليفة الراشدى الرابع على بن أبى طالب فقد كانت مهيأة للوثوب على ابن الزبير والأمويين فقد كان المختار يلبس سلاحه ويرتجز:

قد علمت بيضاءُ حسناُ الطَّلَل واضحة الخَدَّينِ عجزاءُ الكَفَلْ
إنى غَداة الرَّوع مِقدام بَطَل لا عاجِزٌ فيها ولا وَغدٌ فَشَل[5]

مهما يعبر عن حماسه واندفاعه من أجل تحقيق أهدافه؛ لأن ثورته تُعَدُّ من أكثر أحداث القرن الأول الهجري/ السابع الميلادى أهمية[6]، فكان خروج المختار بعد أن

---

(١) نفسه، ٦/ ٨٠ وميعني بـ (زهير، ابن بشر، ورد): زهير بن ذؤيب، وعثمان بن بشر المازني، وورد بن الفلق العنبري.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٧.
(٣) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٠٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٥/ ١٢٢.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٦٩.
(٥) المختار بن أبي عبيد الثقفي (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م): شعره، شعراء ثقيف في العصر الأموي، تحقيق عيضة ابن عبدالعزيز الصَّواط (نادي الطائف، طبع بمطابع شركة دار العلم، جدة، دون تاريخ)، ٢٧٢؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٠؛ ابن أعثم: الفتوح: ٧٦/ ١٠٣.
(٦) دكسن، عبدالأمير عبدحسين: الخلافة الأموية ٦٥هـ - ٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م، دراسة سياسية (دار النهضة، بيروت، الطبعة الولى، ١٩٧٣م)، ٥٥.

دعا عبدالله بن مطيع ابن الأسود[1] لابن الزبير فى الكوفة ولم يسمه. وقال بايعوا لأمير المؤمنين فقال عبدالله بن هَمام السلولى:

دعا ابن مطيْع للبياع فجئتُهُ ... إلى بيعةٍ قلبى لها غيرُ عارِفِ
فأخرج لى خشناء حيث لمستها ... من الخُشنِ ليست من أكُف الخلائِفِ
معاودةٍ ضربَ الهراوى لقومها ... فروداً إذا ما كان يَومُ التسايفِ
ولم يُسم إذ بايعتُه من خليفتي ... ولم يَشتَرِط إلّا اشتراطَ المجازِفِ[2]

ولما بلغ ابن مطيع عزم المختار بالخروج بعث راشد بن إياس بن مضارب مكان أبيه إياس ابن مضارب الذى كان فى شُرطه فقتله أصحاب المختار[3]، فقالت أخته ترثيه:

لحى الله قومًا أسلموا أمسِ راشدًا ... بجبّانة الدّارين عِندَ مُرادِ
فلا وَلَدت عِجليَّةٌ بعد راشدٍ ... غُلامًا ولا حَلّت بِصَوتِ رِعادِ[4]

فلما صار القتال فى سككِ الكوفة وأحيائها، حُصِر عبدالله بن هَمّام السلولى فى قَصر الإمارة فتدلى منه[5]، فقال:

لما رأيتُ القصرَ أُغلق بابُه ... وتوكلَت هَمدانُ بالأسبابِ
ورأيتُ أصحابَ الدقيقِ كأنَّهم ... حولَ البيوتِ ثعالِبُ الأسراب
ورأيتُ أفواهَ الأزقةِ حولنا ... مُلِئت بكلِّ هَراوةٍ وذُبابِ
أيقنتُ أن إمارَة ابن مُضَاربٍ ... لم يبقَ منها فَيشُ أيرِ ذُبابِ[6]

---

(١) عبدالله بن مطيع بن الأسود القرشي (ت، ٧٣هـ/ ٦٩٢م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤٧؛ ابن حجر: تهذيب، ٦/ ٣٦.
(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٠.
(٣) نفسه: ٥/ ٢٢٤-٢٢٥. ينظر أيضًا أخبار إياس بن مضارب وابنه راشد.
(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٦. وجبانة الدارين أحد أحياء الكوفة.
(٥) نفسه، ٥/ ٢٢٠.
(٦) ما تبقى من شعره، ١٨٦؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٠.

يشير هذا الشعر إلى الأحداث التى عاشتها الكوفة، ومثلما أشرا فى موضع آخر إلى اشتداد قوة المختار وكثرة أنصاره، فقد كان السلولى معتزلا فاستًا من له[1]، فجاء إليه ذات يوم ومدحه:

وفى لسلةِ المختارِ ما يُذهلُ الفَتى ... ويلهيهِ عن رُؤدِ الشَّبابِ شُموعُ
دعا يا لثاراتِ الحسين فأقبلَت ... كتائِبُ من هَمدان بعدَ هُزيع
ومن مذحجٍ جاء الرئيس ابن مالكٍ ... يقود جُموعًا عبئت لجموع
ومن أسدٍ وافى يزيدُ لنصرهِ ... بكلِّ فتًى ماضى الجنانِ منيع
وجاءَ نعيم شيبان كُلّها ... بأمرٍ لدى الهيجاءِ جِدٌّ جميعُ
وما ابن شُميط إذ يحرِّضُ قومَهُ ... هناك بمخذول ولا بمُضيع[2]

يوثق هذا الشعر القبائل والأشخاص ممن ساند المختار، فقد وقفت القبائل اليمانية ضده بسبب دعوة المختار للمساواة بين الموالى والأشراف، كما أشار إلى عقيدته الكيسانية[3] بوصف المختار وزير الوصى والمعبر عن فكرة بقاء الخلافة فى بنى هاشم:

فمنَّ وزيرُ ابن الوصى عليهم ... وكان لَهم فى الناسِ خيرَ شفيع
وآب الهُدى حقًا إلى مستقرهِ ... بخيرِ إيابٍ آبهُ ورجوع
إلى الهاشمى المُهتدى المُهتدى بهِ ... فنحنُ له من سامٍ ومطيع[4]

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥.

(٢) ما تبقى من شعره، ١٩٦؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤.

(٣) هم الذين قالوا بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية، وان الوصاية انتقلت إليه من أخيه الحسين قبل خروجه إلى الكوفة. ينظر: البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت، ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م): الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (مطبعة المدني، القاهرة، دون تاريخ)، ٤٣.

(٤) السلولى: ما تبقى من شعره، ١٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥-٣٦.

فلما أنشدها المختار، قال المختار لأصحابه: ((قد أثنى عليكم كما تسمعون، وقد أحسن الثناء عليكم، فأحسنوا له الجزاء))[1]. فقد كان المختار يحاول أن يكسب ودَّ الشعراء والفقراء من الناس لكى يمنح إجراءاته طابعًا شعبيًا تستجيب لمطامح السواد الأعظم من الناس، فأخذ الشعراء يصرحون بظلم القباع، وهو الحارث بن عبدالله بن أبى ربيعة، والى ابن الزبير على البصرة، فهذا الأُقَيْشِرُ الأسديُّ[2] (ت، ٨٠هـ/ ٦٩٩م) يقول:

إلى جيش أهل الشام أغزيت كارهًا ... سفاهًا بلا سيف حديد ولا نبل

ولكن بترس ليس فيها حمالة ... ورمح ضعيف الزج منصدع النصل

حبانى بها ظلم القباع ولم أجد ... وسلمت تسليم الغزاة على أهلي[3]

وقال شبث بن ربعى أيضًا:

أبعد القُباع آمنُ الدهرَ صاحيًا ... على سُوءَةٍ إنى إذًا لغبينُ

وأُمُّك سوداء الجواهِر جَعدةٌ ... لها شبةٌ فى منخريكَ مُبينُ[4]

فلما سار إبراهيم بن الأشتر[5] (ت، ٧٢هـ/ ٦٩١م) يريد الموصل تواطأ أهل الكوفة على حرب المختار، وقالوا: إنما هذا كاهن، وبلغ من فى جبانة السبيع[6] أن المختار قد عزم على معالجتهم فأقسموا على من فى النواحى من الأشراف اليمانية أن

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٦.

(٢) هو المغيرة بن عبدالله بن معرض، وقيل: المغيرة بن أسود بن مطيع الأسدي. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٦٣؛ الأصفهانى: الأغاني، ١١/ ٣٢٥.

(٣) الأقَيشر الأسدي، المغيرة بن عبدالله (ت، ٨٠هـ/ ٦٩٩م): أخباره وأشعاره، تحقيق الطيب العشاش، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد (٨)، (تونس، ١٩٧١م)، ٨٢.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٧٥.

(٥) إبراهيم بن مالك بن الأشتر، قتل مع مصعب بن الزبير. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٦/ ٥؛ الذهبى: سير ٤/ ٣٥.

(٦) محلة في الكوفة مسماة بقبيلة السَّبيع رهط أبي إسحق السبيعي. ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ١٨٧ (السبيع).

يصيروا بأصحابهم إليهم فتواقف اليمانية فى جبانة السبيع[1] وكان رفاعة بن شداد البجلى[2] مع المختار يرتجز فى جبانة السبيع مشيرًا إلى عقيدته:

أنــا ابــن شَـدَّاد علــى ديــنِ علــى ... لَــستُ لعــثمانَ بــن أروى بولِــى
لأصــلينَّ الــيوم فِــيمن يــصطلى ... بحــرِّ نــارِ الحــرب؟ غــيرَ مُلــتوى[3]

وحين هزم أهل جبانة السبيع استخرج من دور الوادعين من همدان خمس مائة أسير فأتى بهم المختار فقتل منهم من كان شهد مقتل الحسين، وكان سراقة بن مرداس البارقى[4] (ت، ٢٧٩هـ/ ٦٩٨م) صنع لسان[5]، فجعل يقول:

أمــنُن علــى يــا خــيرَ مَعَــدّ ... وخــيرَ مَــن لَبَّــى وحــيًّا وسَــجَدْ[6]

فأمر به فحبس ليلاً ثم خلاه، فقال شعرًا ذكر فيه أنه رأى الملائكة تقاتل مع المختار على خيل بلق، فأمر أن يصعد المنبر فيعلم الناس ما رأى[7]، فقال:

ألا أخــبر أبــا إســحاق أنــا ... نــزونا نــزوةً كانــت علينــا
خــرجنا لا نــرى الــضعفاء شــيئًا ... وكــان خُوجــنا بَطــرًا وحَيــنا
نــراهُم فــى مــصافِّهم قلــيلاً ... وهــم مــثلُ الدُّبــى حــين التقينــا
بــرزنا إذ رأيــناهُم فلمّــا ... رأيــنا القــومَ قــد بــرزُوا إليــنا
لقيــنا مــنُهُم ضــربًا وطحــنًا ... وطعــنًا صــائبًا حتــى انثنَيــنا[8]

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣١-٢٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦٥/ ٢٨-٢٩.

(٢) رفاعة بن رافع بن عبدالله بن قيس. ينظر: ابن حجر: تهذيب، ٣/ ٢٤٢.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٥٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٠.

(٤) شاعر من العصر الأموي مشهور. ترجمته: الآمدى: المؤتلف، ١٩٧؛ السيوطى: شرح، ١/ ١٠٤.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤.

(٦) البارقي، سراقة بن مرداس (ت، ٧٩هـ/ ٦٨٩م). ديوانه، تحقيق حسين نصار (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هت/ ١٩٤٧م)، ٧٤؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤ ؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٤.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٥.

(٨) البارقى: ديوانه، ٧٦؛ ينظر تمام القصيدة: ٧٧. وأبو إسحق كنية المختار؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٤.

فأطلق سراحه، فخرج من الكوفة هاربًا إلى البصرة، وفيها مؤيدو ابن الزبير، وهو يقول:

أبلـــغ أبـــا إســـحق أنـــي ... رأيـــتُ الـــبلق دهمًـــا مـــصمتاتِ
كفـــرتُ بوحـــيكم وجعلـــتُ نـــذرًا ... علـــى قـــتالِكم حتـــى الممـــاتِ
أرى عينـــي مـــا لم تَـــر إيـــاه ... كلانـــا عـــالِمٌ بالترهـــاتِ
إذا قالـــوا: أقـــول كـــم كذبـــتم ... وإن خَـــرجوا لِبـــست لهـــم أداتـــي[1]

ويبدو أن راقة ابتدع حديث الخيل البلق من عنده، لذا عَرَّض بالمختار حين هرب، ولكن الحادثة شاعت مع شعره، فكانت أحد أسباب اتهام المختار بالكذب، وادعائه بأن الشام ستفتح له ويهدم مدينة دمشق حجرًا حجرًا[2]، وهذا ما يجعل شعر سراقة البارقى جزءًا متممًا، ووثيقة مهمة فى تدوين الأحداث. لكن الاختلاف فى موقف المختار نفسه منها يثير الشكوك، فبعضهم يروى أن المختار قال: "من يخرج سرى إلى الناس"[3] أوقـال: "أما أن الرجل قد عاين الملائكة! خلوا سبيله"[4].

ثم تجرد المختار لملاحقة قتلة الحسين[5] فأصبح يتابعهم، فقتل بعضهم كما ذكر سراقة بقوله:

لم أر مـثل الخـيل خـيل ابـن مخـنفٍ ... غـداة انـتدى بالـشاكرى ابن كامل[6]

---

(١) البارقي، ديوانه: ص٧٦٨؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٥.
(٢) ينظر: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): عيون الأخبار، الجزء الأول (نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٤م)، ٢٠٣؛ الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحق (ت، ٣٤٥هـ/ ٩٥١م): أمالي الزجاجي، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (المؤسسة العربية الحديثة للطبع والتوزيع، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ)، ٨٧.
(٣) الزجاجى: الأمالي، ٨٧.
(٤) الينورى: الأخبار، ٣٠٣؛ الأصفهانى: الأغانى: ٩/ ١٣.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٧.
(٦) ديوانه: ٨٠ وينظر تمام القصيدة، والشاكرين: هو عبدالله بن كامل، البلاذري، أنساب، ٥/ ٢٤٠.

وقال أعشى همدان:

يا عين بَكي فتى الفتيان عثمانًا ... لا يبعدنَّ الفتى من آلِ دُهمَانا
واذكر فتى ماجِدًا حُلْوًا شمائلُهُ ... ما مثله فارِسٌ فى آلِ همدانا[1]

وحين قتل عمر بن سعد بكته ابنته حميدة[2] فقالت:

لو كان غير أخى قَسِى غَرّهُ ... أو غيرُ يَمنٍ وغيرُ الأعجم
سخّى بنفسى ذاك شيئًا فاعلموا ... عنه وما البطريق مثلُ الألأم
أعطى ابن سعد فى الصحيفة وابنَه ... عهدًا يلينُ له جناحُ الأرقم[3]

وفى الشعر إشارة إلى المختار وقومه بنى ثقيف، وغلى فكرة الوحى المستوحاة من المسيحية، من خلال ذكر الشعراء للبطريق والأحبار، كما قال المتوكل الليثي[4] (ت، نحو ٨٥هـ/ ٧٠٤م):

قتلوا حسينًا ثم هم ينعونَهُ ... إن الزمانَ بأهلِهِ أطوارُ
لا تبعدن بالطّفِ قتلى ضُيِّعت ... وسقَى الله مساكِنَ هامِها الأمطارُ
ما شُروطةُ الدجال تحت ... لوائِهِ بأضلَّ ممن غرَّه المختارُ
ابنى قسى أوثقوا رجالَكم ... يُجلَ الغبارُ وأنتم أحرارُ
لو كان عُلمُ الغيبِ عند أخيكُم ... لتواطّأت لكُم بِهِ الأحبارُ
ولو كان أمرًا بينًا فيما مضى ... تأتى به الأنباءُ والأخبارُ
إنى لأرجو أن يُكذّبَ وحيكُم ... طَعنٌ يَشُقُّ عصاكُم وحِصارُ[5]

---

(١) ديوانه: ٣٤٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩.

(٣) نفسه.

(٤) المتوكل بن عبدالله الليثي من شعراء الإسلام. ترجمته: ابن سلام: الطبقات، ٢/ ٢٨١؛ الآمدى: المؤتلف، ٢٧٢.

(٥) المتوكل بن عبدالله الليثي (ت، نحو ٨٥هـ/ ٧٠٤م): شعره، تحقيق يحيى الجبوري (مطابع التعاونية للبنانية، دار عون – حريصًا، الناشر مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧١م)، ٢٥٤-٢٥٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٧٠-٧١.

مما يعبر عن توجس الناس من مصداقية المختار وأفكاره؛ وبخاصة وإنه بدأ مهادنًا لابن الزبير، ثم راح يدعو لنفسه، فقد أخذت البيعة له في البصرة[1]، ثم دعوته للموالى حتى قال الأحنف بن قيس لبعض أهل الكوفة: قد أنقذناكم من أيدى عبيدكم من أصحاب المختار[2]. فكانت دعوته رد فعل ضد التمييز الطبقى، لذا لقيت استجابة من الموالى الذين يشعرون بالغبن حتى أن أعشى همدان خاطب السادة ومن شايعهم من أمثال الأحنف بن قيس زعيم بنى تميم، فقال:

أفخرتم أن قتلتم أعبدًا ... وهَزمتم مرَّة آلَ عَزَلْ[3]

ثم بعث المختار جيشًا للمكر بابن الزبير، وهو مظهر أنه وجههم معونة له لمقاتلة الجيش الذى كان عبد الملك بن مروان وجهه إليه[4]. وحينها أعظمت ربيعة قتل إياس وابنه، وقالوا يقتل بهما إبراهيم بن الأشتر[5]، فقال سراقة البارقى:

أتوعدنا ربيعة فى إياسٍ ... وأى الدهرِ أوعدنا قبيلُ

حروري تكنُفه الموالى ... وعضٌ براسهِ سيفٌ ثقيلُ

وإبراهيم معتزُ هزبرٌ ... له فئة تقولُ كما تقولُ

يَمانيةٌ تذود الناسِ عنه ... وتخطرُ فى جوانبها الفُحولُ[6]

فهو يذكر ربيعة مطالبتها بدم إياس[7]، وصلة المختار بالحرورية؛ لأنه نادى بالموالى كما نادى الخوارج وأشار إلى إبراهيم بن الأشتر، نصرة قبائل اليمن له؛ هذا يعبر أن بعض الفئات الاجتماعية التى كانت تشعر بالحرمان وينتابها الإحساس

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦٦.
(٢) نفسه، ٦/ ٦٩.
(٣) أعشى همدان: ديوانه، ٣٣٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦٩.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٧١.
(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٧.
(٦) ديوانه: ص٨٣؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٧.
(٧) هو أبو راشد بن إياس بن مضارب. ينظر رثاء أخته له: نفسه. ـــ ٥/ ٢٢٦.

بالظلم وجدت فى ثورة المختار متنفسًا، فكانت نصرته للموالى محاولة لكسب تأييدهم، لكنها أزعجت بعض العرب وزعماء القبائل الذين يرون فى المساواة بين الموالى وغيرهم إساءة لهم، وثورة على المقاييس، فضلًا عن كونها فجرت روح التمرُّد؛ ولأجل أن يمنح نفسه شرعية وقداسة، ومع ذلك فثمة تناقض واضح فى محاولته التوفيق بين الأشراف والموالي[1]، لذا اتخذ من نصرته لآل على وسيلة لتمرير هذا التناقض ومنحه الشرعية من خلال الدعوة لمحمد بن الحنفية (ت، نحو ٨١ هـ/ ٧٠٠م)، وإظهار أمر الكرسى فى حربه مع أهل الشام[2]، فكان أصحاب المختار يعكفون عليه ويقولون هو بمنزلة تابوت موسى فيه السكينة ويستسقون به ويستنصرون ويقدمونه أمامهم إذا أرادوا أمرًا[3]، فقال أعشى همدان:

شهدت عليكم أنكم سبئية ... وإنّى بكم يا شُرطَة الكُفرِ عارِفُ
وأُقسِم ما كرسيكُم بسيكنةٍ ... وإن كانَ قد لُفَّت عليهِ اللَّفائِفُ
وأن ليس كالتابوتِ فينا وإن سَعَت ... سَنَامٌ حواليه وفيهم زخارِفُ[4]

ثم يشير إلى ولائه لآل الزبير، وحبه لآل محمد، ويبدو أن الحرب الإعلامية التى قادها شعراء الزبيريين ضد المختار وجدت أسلوب الطعن فى عقيدة المختار وانحيازه إلى الموالى متنفسًا قويًا لتأليب الناس عليه؛ فضلاً عن شكوكها بمصداقية ما طرحه على الصعيدين السياسى والدينى، وقد وجد فى الدعوة لآل على فرصة لتثبيت وجوده، ونسبة الكرسى، فقال المتوكل الليثى بمثل ما قال به أعشى همدان:

أبلغ أبا إسحق إن جئتَهُ ... أنى بكرسيّكم كافرُ

---

(١) دكسن: الخلافة الأموية، ٨٣.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨٣.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤٢.

(٤) ديوانه: ص٣٣٤. وفي بعض الروايات سبئية أو خشبية بدل سلبية، وهي الأَصح، وشبام بدل سنام ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨٣.

تنـــزو شِـــبأم حـــول أعـــواده وتحمِـــل الوَحـــى لـــه شـــاكِرُ[1]

بعد فراغ المختار من حربه فى جبانة السبيع والكناسة[2]، وما تلاها من أحداث خلال هذه السنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م)[3] شخص إبراهيم بن الأشتر متوجهًا إلى عبيد الله بن زياد لحربه، فقال المختار:

أمَـــا وربِّ المُرسَـــلات عُـــرفَا لنقـــتُلَنَّ بعـــد صَـــدٍّ صَـــفَّا
وبعـــدَ ألـــفٍ قاســـطِينَ ألفَـــا[4]

ففى سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م)[5] كان مقتل عبيدالله بن زياد فى معركة على شاطئ خازر[6]، فأكد ابن الزَّبير الأسدى على هذه الوقعة فى مدحه لابن الأشتر فقال:

وأقـــرَّ عيـــنَك يـــوم وقعـــةِ خـــازِرٍ والخَـــيلُ تعثـــرُ بالقَـــنا المُتكَـــسِّرِ[7]

ووثق ابن مفرغ مقتله بالزاب فقال:

إن الـــذى عـــاش خـــتَّارًا بذمـــتهِ ومـــات عَـــبدًا قتـــيلُ اللهِ بالـــزابِ
العـــبدُ للعـــبدِ لا أصـــلٌ ولا طَـــرَفٌ ألـــوَت بـــه ذات أظفـــارٍ وأنـــيابِ[8]

وقال سراقة البارقى:

---

(١) ديوانه، ٢٥٢-٢٥٣.
(٢) محلة بالكوفة. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٨١ (كُناسة).
(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨١.
(٤) تمامها عند ابن أعثم، وروايتها مختلفة بين المختار وإبراهيم الأشتر وبعض الشعراء. ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨١؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ١٥٩-١٦٠.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨٦.
(٦) خازر: نهر بين أربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٣٧ (خازر).
(٧) ديوانه، ٩١. ووصف عمير بن الحباب هذه الوقعة بأنها انتصاف من قبائل اليمن عن يوم مُرج راهط. ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٨.
(٨) ديوانه، ٨١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٥١. وينظر فيه ما قاله عقيبة الأسدى: ٢-٤/ ٨٧.

فـيا ابـنَ زيـادٍ بُـؤ بـأعظمِ مالـكِ ... ودُقَ حـدَّ ماضِـى الـشَّفرتين صَـقيلِ
ضربناكَ بالعَضْبِ الحُسامِ فَلم نضجِرْ ... إذا مـا أبأنـا قاتِلًـا بقتـيلِ
جـزى الله خـيرًا شُـرطة الله إنهـم ... شـفوا مـن عبيد الله أمسِ غليلِى[1]

يوثق هذا حادثة مقتل عبيدالله بن زياد (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) بوضوح ويشير إليه باسمه، وهو أنه مولى أو عبد، كما أرَّخ الشعر لمقتل آخرين، أو اشتراكهم فيها مثل مقتل شمر بن ذى الجوشن، وعثمان بن خالد الجنى، واشتراك داود بن عروة الدمشقى من أنصار ابن زياد، والأحوص بن شداد الهمدانى من أنصار المختار[2]، كما أشار هذا الشعر إلى قوة شوكة القبائل القحطانية ومحاولتها الحد من سلطان القبائل العدنانية، كما فى قول ابن الزَّبير الأسدى:

تـركتم أبـا إحـسان تُهـدم داره ... منـبَّذة أبـوابُها وحديـدُها
فلو كـان مـن قحطان أسماء شمّرت ... كتائِبُ مـن قحطان صُعرٌ خدودُها[3]

كما حاول أيمن بن خريم أن يسرد بلاء قبيلته بنى أسد من الأحداث فتتبعها فى قصيدة له:

غـارات أشـتر فـى الخـيول يـريدكم ... بمعـرةٍ ومـضرَّة وفـسادِ[4]

جاء الخطر هذه المرة من البصرة حيث مصعب بن الزبير[5] (ت، ٧٢هـ/ ٦٩١م)

---

(١) ديوانه، ٨١-٨٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٩٢.

(٢) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٨-٢٤١؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ١٧٧-١٧٨؛ ابن كثير: البداية، ٨/ ٢٧٠-٢٧٣. ولعل رثاء أعشى همدان أوضح من أرخ لمقتل عثمان بن خالد الجهني، ينظر: جيوانه، ٢٤٢.

(٣) ديوانه، ٧٧-٧٨؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤١. ويمكن ملاحظة إجابة أيوب بن سعنة النجعي له في هذا المكان والشعر يشير إلى هروب سماء بن خارجة وهدم داره.

(٤) شعره، ٢٥. وينظر: تمام القصيدة، وذكره للمواقع التي كان يجوبها.

(٥) مصعب بن الزبير بن العوام قائد وفارس مشهور. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤١٠؛ الذهبى: سير، ٢/ ١٤٠.

الذى أخذ على عاتقه مقاتلة المختار واتباعه لضبط العراق لأخيه فاستطاع احتلال قصر الإمارة، والمباشرة بملاحقة أصحاب المختار، فقال رجل:

ما كنت أخشى أن أرى أسيرًا ... ولا أرى مدمرًا تدميرا
إن الذين خالفوا الأميرا ... قد رغموا وتبّروا تتبيرا[1]

وزعم بعضهم أن شبث بن ربعى قتل فى جبانة السبيع، واحتج بشعر أعشى همدان[2]، حين يقول:

وأضحى ابن ربعى قتيلاً مجدلاً ... كأن لم يقاتل مرة ويحارب[3]

ومن نفى قتل شبث يومئذ روى البيت:

فأضحى ابن صهبان قتيلًا مجدلا[4]

ولكن شيث بن ربعى يستنجد بمصعب سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م)[5] وذلك فى وقعة المذَار[6] فى حربه مع المختار حيث يقتل أحمد بن شميط كما فى قول بعض الشعراء:

ونحن قتلنا أحمرَ وجموعه ... وقد كان قتال الكماة مظفرًا[7]

ويقول أعشى همدان:

ألا هل أتاك والأنباء تُنمى ... بما لاَقت بجيلَةُ بالمَذارِ[8]

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ١٩٨. وقيل إن الشعر لعبدالرحمن بن الشعث. ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٠٨.
(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤.
(٣) ديوانه، ٣١٦؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٥.
(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٥.
(٥) ابن خياط: تاريخ، ١ذ/ ٢٦٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٥٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٩٤.
(٦) في ميسان بين واسط والبصرة. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٨٨ (المَذار).
(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٥٥. ينظر حول أحمد بن شميط الأحمسي، ٥/ ٢٥٣.
(٨) ديوانه: ٣٣٠؛ البلاذرى: ٥/ ٢٥٤؛ الدينورى: الأخبار، ٣٠٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٩٧.

ومر المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث[1] ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) فقال لهم: ((يا شرطة الله كروا على الثعالب الرواغة فحملوا))[2] فقتل محمد بن الأشعث، فقال أعشى همدان:

وقـــام نعـــاةُ أبـــى قاســـمٍ فأســـبل بالدمـــع تحـــدارها
فحـــقٌّ العـــيونِ علـــى ابـــن الأشـــجِ أن لا يُفتُـــر تقطارُهـــا[3]

تعد هذه القصيدة من شعر الوثائق التاريخية المهمة التى تشرح هذه الوقعة فتكشف عن فكر المختار السياسى الذى استجمع الموالى وحاول أن يستفيد من الظروف الاقتصادية للفِئات الفقيرة من الناس، وحاول أن يستخدم الكرسى وسيلة لبث دعواه، حتى سمى بالسَّحار والكذاب؛ لذا اشتد أصحاب مصعب بن الزبير فى طلبه، فكان يقاتل ابن الأشعث ويرتجز مفتخرًا:

إن يقتلونـــى تجـــدوا لى جـــزورا محمـــدًا قتلـــتَه وعُمـــرا
والأبـــرص الجاهـــل لمـــا أدبـــرا[4]

فقتل المختار فى هذه السنة رجلين من بين حنيفة[5]. فقال سويد بن أبى كاهل[6] (ت، ٦٠هـ/ ٦٨٠م) يذكر ذلك:

يـا لـيتَ شِـعرى مَتـى تَغـدو مخيّسةٌ مـنا فتـبلغُ أهـلَ الموسـم الخَـبرا
أنـا جـزرنا علـى الكـذاب هامـتَه من بعد طَعنٍ وضَربٍ يكشفُ الخمرا[7]

---

(١) محمد بن عبدالرحمن بن الأشعث الكندي. ترجمته: ابن الكلبي، جمهرة، ٢٥٦؛ ابن حجر: تهذيب، ٩ /٢٥٩.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٠.

(٣) ديوانه، ٣٣١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٠. وابن الأشج هو ابن الأشعث.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٢.

(٥) البلاذرى: أنسبا، ٥/ ٢٦٢؛ البدينورى: الأخبار، ٣٠٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٠٨.

(٦) سويد بن غطيف من يشكر شاعر. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٣٣٤؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٣/ ١٠٠.

(٧) الدينورى: الأخبار، ٣٠٨.

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح مصعب بن الزبير:

والذى نغصُ ابن دَومَة كما تو ... حى الشياطين والسيوف ظِماءُ
فأباحَ العِراق يضربهم بالسـ ... ـف صَلتًا فوى الضّرابِ غِلاءُ[1]

وقال العجاج[2] يهجو المختار ويمدح مصعبًا:

لَقد وجدتم مُصعبًا مستصعبا ... حين رمى الأحزابَ والمُحزَّبا
وخشبى الأعجَم المخشَّبا ... والدَّرابَ ذا البُنيانِ والمُدَرَّبا
وابن أبى عبيد المكذبا ... والسبئى والمراش المذنبا[3]

وقال مسكين الدارمى، وكن قد هرب من المختار:

لهف نفسى على شبابِ قريشٍ ... حينُ يأتى برأسه المختارُ[4]

وعندما أمر مصعب بن الزبير بضرب عنقِ عُمرة بنت النعمان بن بشير سنة (٦٧ هـ/ ٦٨٦م)[5] امرأة المختار قال عمر بن أبى ربيعة[6]:

إن من أكبر الكبائرِ عندى ... قتل بيضاءَ حُرّضة عُطبُولُ
قُتلت باطِلًا على غير ذنبٍ ... إن للهِ دُرُّها من قتيلِ
كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا ... وعلى الغانياتِ جَرُّ الذيولِ[7]

---

(١) ديوانه، ٩٠ وقد شبه مصعبًا بالشهاب؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٧٠ وابن دومة هو المختار.
(٢) هو عبدالله بن رؤبة من بني مالك من تميم. شاعر أموي سمي لبيت قاله (ت، نحو ٩٠هـ/ ٨٠٨م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٧٣٨؛ الأصفهانى: الغاني، ٢٠/ ٣٢٠.
(٣) العجاج، عبدالله بن رؤبة (ت، نحو ٩٠هـ/ ٧٠٨م): ديوانه، تحقيق عزة حسن)كتبة دار الشرق، بيروت، ١٩٧١م)، ٩٥-٩٤.
(٤) ديوانه، ٤٣؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٩.
(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٤؛ الدِنيوري. الأخبار، ٣١٩؛ اليعقوبى: تاريخ، ٣م١١؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١١٢.
(٦) ابن أبي ربيعة، عمر بن عبدالله ربيعة المخزومي، شاعر غزلي أموي مشهور. (ت، ٩٣هـ/ ٧١١م). ترجمته:. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥٧؛ الأصفهانى: الأغاني، ١/ ٧١.
(٧) ابن أبي ربيعة، عمر بن عبدالله بن ابي ربيعة المخزومي (ت، ٩٣هـ/ ٧١١م): ديوانه، (دار صادر، بيروت، دون تاريخ)، ٣٣٨٩؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١١٢.

وقال الأحوص[1]، وهو الآخر من شعراء الغزل، وهو الأنصارى منتصرًا لها:

ألم تعجبُ الأقوام من قتلِ حُرَّةٍ … من الجامعاتِ العقلِ والدينِ والحَسَبِ
من العاقلاتِ المؤمناتِ بريَّةً … من الشَّكِّ والبهتانِ والإثمِ والريبِ
كأنهم إذ برزوها فقطَّعت … بأسيافِهم فازوا بمملكةِ العَربِ[2]

وقال سعيد بن حسان بن ثابت (ت، ١١٥هـ/ ٧٤٣م) وهو من شعراء الأنصار محتجًا على قتلها:

أتى راكب بالأمر ذى النبأ العجبِ … بقتلِ ابنة النعمان ذى الدينِ والحَسبِ[3]

فكان هذا الشعر ردة فعل واضحة ضد قتلِ المرأة، فوثق الحدث واثرَّ فيه تأثيرًا واضحًا. لأن الشعر أصح وسيلة لتدوينه ونقده.

بعد مقتل المختار ضعف أمر الكيسانية التى كان يدعو إليها، والتى كان محمد بن الحنفية يتوجس منها لعدم وثوقه من نوايا المختار الذى رأى فيه أنه المهدى، وأن فى المهدى علامة وهى أن يضربه رجل بالسيف ضربة فلا تضرَ به فبلغ ذلك ابن الحنفية[4]، فقال نصر بن عاصم الليثى[5]:

فارقتُ نَجدة والذين تزرَّقوا … وابن الزبيرِ وشيعةَ الكَذَّبِ
والصُّفر الآذانِ الذين تخيَّروا … دنيا بلا فِقهٍ، ولا بكتابِ[6]

---

(١) الأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصاري (ت، ١١٠هـ/ ٨٢٨م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٤٨؛ الآمدى: المؤتلف، ٥٩.

(٢) الأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصاري (ت، ١١٠هـ/ ٨٢٨م): شعره، تحقيق عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ٢١١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٤.

(٣) سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت النصاري. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ٨/ ٢٦٨.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١١٣.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٦) ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤٧٥؛ ابن حجر: تهذيب: ١٠/ ٣٨١.

وكان ابن الزبير حبس ابن الحنفية فى سجن عارم[1]، فقال كثير[2] مظهرًا عقيدته الكيسانية:

تخبر من لاقيت أنك عائذ | بل العائذُ المظلوم فى سجن عارمِ
ومن يرَ هذا الشيخ بالخيفِ من مِنىً | مِن الناس يعلَم أنه غيرِ ظالمِ
وصى النبى المصطفى وابن عمّهِ | وفكّاك أغلالٍ وقاضى مغارمِ[3]

وإلى ذلك أشار السيد الحميرى[4] بقوله:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى | وبنا إليك من الصبابة أولق
حتى متى وإلى متى وكم المدى | يا ابن الوصى وأنت حى ترزق[5]

وهو يشير إلى اختفاء محمد بن الحنفية فى جبل رضوى[6]، وأن المهدى سيبعث منه.

كان مرجع الأزارقة من فارس إلى العراق سنة (٦٨هـ/ ٦٨٧م)[7] حتى صاروا على قرب الكوفة ودخلوا المدائن. فسرحوا جماعة فقتل أبو بكر بن مخنف[8] (ت، ٦٨هـ/ ٦٨٧م)، فقال سراقة بن مرداس البارقى يذكر مقتله:

---

(١) يعتقد أنَّ موضعه الطائف: ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٦٦ (عارم).

(٢) كثير بن عبدالرحمن الخزاعي، شاعر أموي غزلي (ت، ١٠٥هـ/ ٧٢٣م). رجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٥٣٤؛ المرزبانى: معجم الشعراء، ٢٤٢.

(٣) كثير بن عبدالرحمن الخزاعي (ت، ١٠٥هـ/ ٧٣٤م): ديوانه، تحقيق إحسان عباس (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ٢٢٤-٢٢٥؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٧٦.

(٤) إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ (ت، ١٧٣هـ/ ٧٨٩م). ترجمته: ابن المعتز، عبدالله بن المعتز العباسي (ت، ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م): طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، (دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م)، ٣٢؛ الأصفانى: الأغاني، ٧/ ٢٢٤.

(٥) السيد الحميري، إسماعيل بن محمد بن يزيد (ت، ١٧٣هـ/ ٧٨٩م): ديوانه، تحقيق شارك هادي شكر، (دار مكتبة الحياة، مكتبة سميا، بيروت، دون تاريخ)، ٢٩٢. ينظر: ١٣٥ و١٧٣.

(٦) جبل بالمدينة، ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٥١ (رضوى).

(٧) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١١٩. والمدائن عاصمة دولة الفرس الساسانيين.

(٨) نفسه، ٦/ ١٢٢.

ألا يا لقومي للهُموم الطَّوارقِ وللحَدثِ الجائي بإحدى الصَّفائقِ

ومقتَلُ غطريفٍ كريم نجارُه من المُقدمِينِ الذّائدينَ الأصادِقِ

أتاني دُوينَ الخَيف قتل ابن مِخنَفٍ وقد غوَّرت أُولى النُّجومِ الخَوافِقِ

فقُلت، تَلقَّاكَ الإلهُ برحمَةٍ وصلى عليكَ الله ربُّ المَشارِقِ[1]

فلما رأى الناس بطء سير الحارث بن أبي ربيعة الملقب بالقُباع والى أبن الزبير على الكوفة رجزوا به فقالوا:

سار بنا القُباع سَيرًا نُكرًا يَسيرُ يومًا ويُقيم شَهرا[2]

فلما أتتهم العيون بأنه قد أتاهم جماعة أهل المصر قطعوا الجسر بينهم وبين الناس، وأخذ الناس يرتجزون:

إن القُباعَ سَار سَيرًا مَلَسْا بين دَيِيرى ودَبَاهَا خَمسًا[3]

حتى إذا بلغ الخوارج أصبهان كان يخرج إليهم رجل يقال له أبو هريرة بن شريح[4]، وكان شجاعًا، فكان يحمل عليهم ويرتجز:

كيفَ ترونَ يا كِلابَ النارِ شَدَّ أبي هُريرةَ المَرَّارِ

يَهِرُّكم بالليلِ والنهارِ يا ابن أبي الماحوز والأشرارِ

كيفَ تَرى جَي على المِضمارِ![5]

وفي سنة (٦٨هـ/ ٦٨٧م)[6] كان مقتل عبيدالله بن الحر الجعفي، فقد نشب الصراع بينه وبين مصعب بن الزبير، وقد أتاه سبعمائة من خلعاء القبائل في عهد

---

(١) ديوانه، ٥٥؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ١٢٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ٦/ ١٢٣.

(٣) نفسه.

(٤) عند المبرد اسمه: شريح. ينظر: المبرد: الكامل، ٢/ ٢٤٩؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ١٢٥.

(٥) الطبري: تاريخ، ٦/ ١٢٥؛ المبرد: الكامل، ٢/ ٢٤٩ وفيها خلاف عما ذكره الطبري.

(٦) الطبري: تاريخ، ٦/ ١٢٨-١٢٩.

معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، كما رفض مبايعة المختار فبعث إليه من يقاتله، فكان يبعث بالنواحى فحبس المختار امرأته، ولكنه استطاع إخراجها من السجن، وكانت له غارات فى أرض السواد كثيرة مع مجموعة من فتاك القبائل وخلعائها[١]، وله فى ذلك أشعار كثيرة، منها قوله:

أنا الحرُّ وابنُ الحرِّ يحمل شِكتى ... طِوال المرادى مشرفات الحوانكِ

فَمَن يَكُ أمسى الزعفرانُ خُلوفَهُ ... فإن خلوفى مستثارُ السنابكِ

إذا ما غنمنا مَغنمًا كان قِسمةً ... ولم نتَّبع رأى الشَّحيح المُتارِكِ[٢]

يشير إلى طريقة قسمتهم للمغانم، فهم يتصرفون كما كان يتصرف صعاليك العرب قبل الإسلام، لذا وصفهم بـ ((فتيان الصعاليك))[٣]، ويصف المختار بالكذاب ويكثر من الفخر بنفسه[٤] فكانت حياته ثورة دائمة وغغارة مستمرة، وطمعًا فى الجاه والسلطان؛.. لذلك بايع المختار فلما خيب أمله وعاداه كما عاده الأمويون انحاز إلى جانب ابن الزبير[٥].

وحين قاتل ابن الحر المختار مع مصعب قيل له: إن مصعبًا يعطيك خراجًا بادوريا[٦] على أن تبايع وتدخل فى طاعته؛ قال: أو ليس لى خراج بادوريا وغيرها، ولا آمنهم على شىء[٧].

ولعل سبب ذلك إحساسه بالذنب لأنه لم ينصر الحسين، كما فى قوله:

أيرجو ابن الزبير اليوم نصرى ... لعاقبةٍ ولم أنصر حسينا[٨]

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٣-٢٩٨؛ الدينورى: الأخبار، ٢٩٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٩.
(٢) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٣.
(٣) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٢.
(٤) نفسه، ١/ ١٠٢.
(٥) عطوان، حسين: الشعراء الصعاليك في العصر الأموي (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠م)، ١٨٦.
(٦) طوج بالجانب الغربي من بغداد آنذاك. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٣١٧ (بادوريا).
(٧) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٣٢.
(٨) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٧.

مما ولد لديه شعورًا قويًا بسوء النية من المتصارعين على السلطة، فقد وصفهم بالغش وكان حذرًا من قبائل قيس عيلان(١)، فكان بذلك الإحساس لا يجد أمامه سوى طريق واحد هو الحرب والصعلكة، فلم يَهبْ الموت وآمن بالقدر المحتوم والكتاب المؤجل، فكان إقدامه القوى وإيمانه بتفرده وخصوصية أفكاره دليل تذمر من الخضوع للقوى الطامعة بالسلطان:

تخوفنى بالقتلِ قومى وإنَّما أموتُ إذا جاء الكتابُ المؤجلُ(٢)

فرفض تهديدات ابن الزبير؛ لذا احتال عليه مصعب وأودعه السجن؛ ولكنه حين خرج منه يعود إلى غاراته فى أرض السواد متمسكًا بوجهة نظره(٣)، فكان كما قال عنه ابن هَمّام السلولى:

ترنمت يا ابنَ الحُرِّ وحدَك خاليًا بقول امرئٍ نشوانَ أو قولِ ساقِطِ(٤)

وهذا وصف لحالته وطبيعة نظرته للحياة مع أنه كان يرثيه؛ ولكن فروسية ابن الحر لا شائبة عليها، اصطدمت بفروسية مصعب فظل يتعقبه حتى شعر ابن الحر بقلة حيلته، فبايع عبدالملك مراوغة لمصعب واجتمع إليه بشر من أهل الموصل، فبدأ يضايقه، ولكن عبدالملك كان يتوجس منه فتركه وحده، كما ساءت صلته بقبائل قيس عيلان لأنه هجاها. فكان يعبر عن ذلك بقوله:

يا لكَ يومٌ فاتَ فيه نهى وغابَ عَنِّى ثقتى وصحبى(٥)

وكذلك كان يقول:

---

(١) نفسه، ١/ ٩٥، ١١٢.

(٢) شعره، ١/ ١١٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٣٣.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٥/ ٢٩٥-٢٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٣٢-١٣٨.
ينظره: شعره، شعراء أمويون، ١/ ٩٥ و٩٨ و١٠٧ و١١٦ و١٣٥.

(٤) السلولى: ما تبقى من شعره، ١٩٣.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٦-٢٩٧: الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٣٧.

لـــو أن لى مـــن شِـيعتى رِجــالا مـــــساعِرًا أعــــرفهم أبطــــالا

لأحـــسنوا مـــن دونـــى القِـــتالاً ولَـم يهابـوا فـى اوَغـى الآجـالا[1]

فتألبت عليه قبائل قيس فجلعوا يرمونه ويقولون: أمغازلًا تجاهدا؟! حتى قتلوه[2]. إشارة على قوله عنهم:

ألم تـرَ قَيـسًا قَـيس عِـيلان بـرقعَت لِحاهـا وباعَـت نَـبلَها بالمغـازلِ[3]

يعد شعر ابن الحر صورة حية، ووثيقة بالغة الوضوح فى عرض حالة التمزُّق التى انتابت جسد الدولة العربية الإسلامية، فكان أثره فى تدوين الأحداث مهمًا لأنه يكشف الكثير عن جوانبها الخفية، وجوانب التفرد فى النفس البشرية، بما يعبر عن صراعات القوى والحوادث واختلاف المصالح، ويشير إلى أن الخليفة الأموى كان ينتظر انجلاء الموقف وتخلخل قوة ابن الزبير والخارجين عنه؛ لذا كان شعر هذه المعارك الصغيرة وسيلة إعلامية فعالة.

خرج عبدالملك إلى عين الوردة، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بـ (الأشدق) على دمشق فتحصن بها، فبلغ ذلك عبدالملك فرجع على دمشق فحاصره فى سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨م)[4] وكان عمرو يطمع بالخلافة لو عد سابق فيقول:

يــريد ابـــن مـــروان أمـــورًا أظـــنُّها ستحمله منى على مـركبٍ صَعبِ

وإن يـنفذِ الأمـرَ الـذى كـان بينَـنا نحلُّ جميعًا فـى السهولةِ والـرَّحبِ

وإن تعطِهـــا عبدالعزيـــز ظَلامــــة فـأولى بهـا مـنا ومـنكم بـنو حَـربِ[5]

---

(١) ابن أعثم الفتوح ٦/ ٢٣٣-٢٣٤. واستدركه القيسي، نوري حمودي وهلال ناجى: المستدرك على صُنَّاع الدواوين، الجزء الأول (عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ٣١١.

(٢) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/ ٢٦٨؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٧.

(٣) شعره، شعراء أمويو، ١/ ١٢٢؛ ينظر: رد زفر عليه في مجموع شعره، ١٦٨.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٤٠. وعند ابن خياط سنة سبعين.

(٥) المرزبانى: معجم الشعراء، ٥١.

وحين ظفر به عبدالعزيز بن مروان أنبه عبدالملك قائلًا: ((ما منعك من أن تقتله))[1]، فأُدخل على عبدالملك، وقد استعد للغدر به[2]، فلم يدع مكانًا للطامعين بالخلافة من البيت الأموى فى هذا الظرف[3] الدقيق؛ لذا قال أحد أصحابه:

غـدرتم بعمـروٍ يـال مـروانَ ضِـلَّةً   ومثلكُم يَبنى البيوتَ على الغَدرِ[4]

وقال عبد الملك حين قتله:

يا عَمرو إن لا تَدع شَتِمى ومَنقصتِى   أضرِبك حيثُ تقولُ الهامَةُ اسقوتى[5]

وعندما فرغ منه تمثل فقال:

أدنيـتُهُ منـى لأمِـنَ مَكْـرَهُ   فأصـولَ صـولَةَ حـازِمٍ مُـستمكنِ

غَـضَبًا ومحمـيه لدينـى إنّـه   لـيسَ المُسيءُ سبيلُه كالمُحسِنِ[6]

وكان عبيدالله بن أبى رافع شامتًا، لأنَّ الأشدقَ ضربه السياط، فقال:

صَحت ولا شلّت وضرَّتَ عُدوّها   يمـين هـراقت مهجـة ابـن سـعيدِ

وَجَدتُ ابـن مـروان الرشيد فعالِـهُ   أبـيًا حديـدَ العـزمِ غـيرَ بلـيدِ[7]

وقال يحيى بن الحكم، ويقال بشر بن مروان، والأول أقرب:

أعينى جودا بالدَّموعِ على عَمروٍ   عـشية شَـدَدنا الخلافـة بالغـدرِ

كـأن بنـى مـروان إذ يقـتلونه   بغاثٌ من الطيرِ اجتمعنَ على صَقرِ[8]

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٤٤.

(٢) الدينورى: الأخبار، ٢٨٦.

(٣) دكسن: الخلافة الأموية، ٢٠٤.

(٤) الدينورى: الأخبار، ٢٨٧. ينظر: تمام الأبيات.

(٥) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٤/٢٠٤/ ١٤٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٤٥.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/٢٦٣؛ البلاذرى: أنساب، ٢-٤/١٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/١٤٨؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٠٣؛ ابن كثير: البداية، ٦/ ٣١٠.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٤٩.

(٨) نفسه، ٢-٤/ ١٤٤.

وقال يحيى بن سعيد اخو عمرو:

غـدرتم بعمـروٍ يـا بنـى خـيط باطـلٍ ومثلكم يبنى البيوتَ على الغدرِ[١]

خلال هذه المرحلة، وبالذات منذ سنة (٧٠هـ/ ٦٨٩م)[٢] بدأت الصراعات القبلية فى بلاد الشام والجزيرة بين قيس وكلب أولًا ثم بين قيس وتغلب؛ لأن معظم العرب المستقرين فى بلاد الشام كانوا من أهل اليمن مما ساعد على استمرار نفوذهم[٣]. وكانت قيس زبيرية وكلب مروانية[٤] حيث استعر الصراع مجددًا بسبب ما لقيته قيس فى مرج راهط. ففى ذلك يقول زفر ابن الحارث الكلابى زعيم قيس:

يـا كَلـبُ قـد كَلِـبَ الـزمانُ علـيكم وأصـــابكُم منـــى عـــذابُ تنـــزُّلِ

إن الـــسَّماوَة لا سمـــاوةَ فالحقـــوا بمـــنابتِ الـــزيتون وابنـــى بحـــدلِ[٥]

فأجابه جواس بن القعطل:

دُســنا ولم نَفــشَل هــوازنَ دوســةً تــركَت هــوازنَ كالفَــريدِ الأعــزلِ

مــن بعــدِ مــا دُســنا تــرائِقُ هامِهــا بالمـــشرَفيّةِ والوشـــيج الـــذُّبَّلِ[٦]

كان عمير بن الحُباب السُلمي[٧] (ت، ٧٠هـ/ ٧٩٠م) يغير مع زفر ببنى تغلب؛ وذلك بعد انصراف عمير من جيش عبيدالله بن زياد حين قتل وقبل وقوع الحرب بين قيس وتغلب. فلما رأت كلب المدر ما لقيته كلب البوادى من زفر بن الحارث

---

(١) البلاذري أنساب، ٢-٤/ ١٤٤.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٨؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٤٢، ٢٣/ ٢٠٦؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣٠٦.

(٣) دكسن: الخلافة الأموية، ١٣٩-١٤٠.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٨.

(٥) زفر، شعره، ١٦٩؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٨.

(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٨.

(٧) شاعر أموي وزعيم قبلي من قبائل قيس. ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء، ٢٤٥؛ ابن حزم: جمهرة، ٢٦٤.

وعمير بن الحباب أمرّوا عليهم حُميد ابن حريث بن بحدل الكلبي[١] فحصل الصدام بين كلب وقيس[٢]. فقال بعض جهينة:

ألا هل أتى الأنصار إن ابن بحدَلِ حُميدًا شفا كَلبًا فقرَّت عيونُها
وأنزل قيسًا بالهوانِ ولم تكُن لتقلِعَ إلا عند أمرٍ يهينُها[٣]

فعادت كلب تذّكر عبدالملك بلاءها فى مرج راهط؛ لأن هذه الواقعة كانت بسبب ثارات القبائل فيها[٤]. وقد تفاقم هذا الصراع أيضًا نتيجة انحياز رجالات الأمويين إلى أخوالهم، فقد كان خالد ابن يزيد يتعصب لأخواله بنى كلب ويعينهم على قيس فقال شاعر قيس:

أأنت تأمرُ كلبًا أن يقتلنا جَهلًا وتمنعُهُم مِنَّا إذا قُتلوا[٥]

حتى أن بشرَ بن مروان قال لقبائل قيس: أتقتلون أنفسكم مع رجل ليس منكم، إنما هو من كندة، فبلغ ذلك زفر بن الحارث[٦]، فقال:

أتجعل أجلافًا عليها عَباؤها كَكِندَة تمشى فى المطارِفِ والعصبِ[٧]

ويذكر عمرو بن مخلاة الكلبى صراع قيس مع كلب فى وقعة مرج راهط، وبلاء كلب من أجل مروان بن الحكم وابنه عبدالملك فيقول:

فكم من أميرٍ قبل مروانَ وابنه كشفنا غطاء الكَرب عنه فأبصرا

---

(١) شاعر من كلب، ينظر: البغدادى: خزانة، ٥/ ٢٤٣.
(٢) البلاذري، أنساب، ح ٥/ ٣١٠-٣١١.
(٣) أبو تمام: ديوان الحماسة، ١٤٩؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٤٥، ٢٣/ ١٨٩؛ التبريزى: شرح، ٢/ ٤١.
(٤) ينظر ما قاله جواس بن القعطل وبشر بن صفوان من كلب: أبو تمام: ديوان الحماسة، ٤٧٩؛ البحترى: عبادة بن الوليد (ت، ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): الحماسة، تحقيق لويس شيخو اليسوعي (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ٨٠.
(٥) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ٦٨؛ التبريزى: شرح، ٢/ ٤.
(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٣.
(٧) شعره، ١٦٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٣.

ومستسلمَ نُفسنَ عنهُ وقد بَدت ... نواجذُه حتى أهلَّ وكبَّرا

إذا افتخر القيسى فاذكر بلاءَه ... بزرّاعةِ الضَّحاك شرقى حوبرا[1]

كان هذا الصراع نتيجة غياب السلطة القوية على التأثير السريع لاحتواء النزاعات الجانبية والمنافسات القبلية.

وعرض عويف القوافى[2] من قيس بحُميد بن بحدل فقال:

مَنَا الله أن القى حثميدَ بن بحدلٍ ... بمنزلةٍ فيها على النصفِ مُعلمَا[3]

كما قال فى غارة قومه على بنى فزارة مِن بنى عبد ود، وبنى عليم من كلب[4]:

فسائل جَحجبى وبنى عَدِى ... وتيمَ اللاتِ من عَقدَ الخِزاما[5]

كما قال حَلحَلة بن قيس الفزارى[6]:

ومن عبد وُدّ قد أبرّت قبائِلاً ... فغادرتُهم كُلًّا يُطيف بهِ كُلٌ[7]

وقال على بن الغدير الغنوى[8] فى قتل حَلحَلة:

وحلحلة القتيل مع ابن بدر ... وأهل دمشق أنجية عزين[9]

---

(١) أبو تمام: ديوان الحماسة، ٤٧٨؛ التبريزى: شرح، ٤/ ٣٢-٣٣. وينظر ما قاله عمر بن مخلاة عن بني ذبيان: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٠؛ الأصفهانى: الأغانى: ١٩/ ١٤٨.

(٢) عويف بن معاوية بن ذبيان (ت، نحو ١٠٠هـ/ ٧١٨م)، شاعر فحل. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٢٨؛ المرزبانى: معجم الشعراء، ١٢٧.

(٣) شعره، شعراء أمويون، ٣/ ١٥٢؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٨؛ الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٩٣.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٠.

(٥) عويف القوافي، شعراء أمويون، ٣/ ١٥٣. ينظر مدحه لعبدالملك: ٣/ ١٤٣-١٤٤.

(٦) حلحلة بن قيس بن الشيم بن سيار الفزاري. ينظر: البلاذري، أنساب، ٥/ ٣١٠.

(٧) نفسه، ٥/ ٣١١.

(٨) ترجمته: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٢؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٥١.

(٩) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢١٣؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٥١. ينظر أيضًا: رثاء أرطاة بن سهية المري في شعره، ١٨٣.

يشكل شعر هذه الصراعات القبلية وثائق لها أثرها فى تدوين تلك الأحداث ودراستها.

فلما انقضى أمر مرج راهط وصار زفر بن الحارث إلى قرقيسياء ومعه عمير بن الحباب السُلمى، جعلا يطلبان كلبًا واليمانية بقتلى المرج ومعها قوم من بنى تغلب، وكان عُمير يغير بالقيسية على كلب واليمانية، وكان من معه من القيسية يسيئون جوار بنى تغلب ويسخرون من مشايخهم النصارى فأهاج ذلك بينهم شرًا لم يبلغ الحرب، وكانت قيسٌ زبيريةً وكلبٌ أمويّة فتطور بينهما فيما بعد صراع محتدم فى وقائع من سنة (٧٠هـ/ ٧٩٠م)[1] قيلت فيها أشعار كثيرة، وفى ذلك قال عمرو[2] بن الأيهم التغلبى:

ألم تـرَ أن تَغلِـبَ أهـلَ عِـزٍّ، جـبال معاقِـل مـا يـرتقينا؟
شَـربنا مـن دمـاءِ بنـى سُـليمٍ بأطـرافِ القَـنا، حتـى روينـا[3]

وقال زفر بن الحارث الكلابى من قيس يرد على تغلب:

ولمـا لقيـنا عُـصبةً تغلبـية يقـودون جُـردًا للمنـيةِ ضُـمَّرا
سـقيناهُم كاسًـا سـقونا بمـثلِها ولكنهم كانوا على الموتِ أصبرا[4]

وقال القطامى[5] (ت، ١٠١هـ/ ٧١٩م) يشير إلى هذه الصراعات:

قـادَ الخيولَ ابـن ليلى وهـى ساهِمةٌ حتـى اغـرنَ مـع الظَلمـاءِ إذ ظُلمـا

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٣-٣١٤؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣٠٦ وما بعده.
(٢) وقيل هو عمرو بن الأهتم. ترجمته: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٥؛ المرزبانى: الموشح، ٧.
(٣) المرزبانى: الموشح، ٧. ابن منظور: لسان، ٢/ ٣١٦ (سند). وللشاعر وهو يشير إلى شعيث بن مليل وقد رد على نفيع بن صفار المحاربى: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٥ وله مساجلات أخرى: الجاحظ: الحيوان، ١/ ٢٢٤؛ الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ٢٠٢-٢٠٣.
(٤) زفر: شعره، ١٦٤. ينظر أيضًا تعريضه بابن بَحدل حين رمى قرقيسياء بالمنجنيق: ١٦٣.
(٥) هو عمير بن شييم التغلبي لقب بذلك لبيت قاله كان نصرانيًا فأسلم.
ترجمته: ابن سلام، طبقات، ٢/ ٥٣٤؛ ابن قتيبة: الشعراء، ٢٠/ ٦٠٩؛ الآمدى: المؤتلف، ٥٥١.

أولى آل سُـليم أو أبـى عُمَـرٍ   من ضَربةٍ تُورِث الأضغانَ والغَمما[1]

وقد ذمَّ زفر عمير بن الحباب السُلمى لأنه ترك كَلبًا وأغار على قبائلِ نزار حين حصل القتال بين تغلب وقيس:

ألا مـن مـبلغ عنـى عُمـيرًا   مقالـةَ عاتِـبٍ وعلـيك زاري
أتـتركُ حَـى ذى طَلَـع وكَلـبٍ   وتكـسرُ حـدَّ نابـك فـى نـزارِ
كمجتـنح علـى إحـدى يديـهِ   خانـتُه بـوهنٍ وانكـسارِ
بـتغلُبَ تبتغـى الأريـاحَ جَهـلا   وقـبلَك أفـسدوا ريـحَ الـتجارِ[2]

فى هذه الوقائع أخبار متداخلة ومختلفة الروايات كان الشعر على صحة الخبر أدل[3] وأوضح، لأنه أسهم فى كشف الصراعات وتفصيلها، وهو شعر كثير منتشر فى كتب التاريخ ودواوين الشعراء.

فى يوم ماكسين[4] سنة (٧٠هـ/ ٧٩٠م)[5] استحكم الشر بين قيس وتغلب وعلى قيس عُمير ابن الحباب السُلمى وعلى تَغلب شعيث بن مليل[6] فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فقال نُفيع بن صفار المحاربى:

تـركنا الباكـياتِ علـى شُـعيثٍ   سَـواجِمَ عَبَـرةً مـا ينقَـضينا[7]

فأشار إلى مقتل شُعيث فى هذا اليوم، وكان زفر بن الحارث، قال حين أغارت تغلب على بنى الحَريش ومن معهم من قُشير: شغلت قيس بغزلِ نسائِها عن هؤلاء النصارى. فقال عمير بن الحباب موثقًا ذلك:

---

(١) القطامي، عمير بن شييم (ت، ١٠١هـ/ ٧١٩م): ديوانه، تحقيق د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م)، ١٢٠.
(٢) زفر: شعره، ١٦٥. قيل هذا الشعر في يوم الثرثار الثاني.
(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٦.
(٤) بلد الخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٤٣ (ماكسين).
(٥) ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٠.
(٦) ينظر حوله: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٥-٣١٧.
(٧) نفسه، ٥/ ٣١٧.

مــا همَّــنا يــومَ شُــعيث بالغَــزَلْ   يــوم انتــضيناهُنّ أمــثالَ الــشُّعَلْ[1]

وقال الراعى النميرى[2] (ت، نحو ٩٧هـ/ ٧١٥م):

أبـا مالـكٍ لا تـنطق الـشعر بعـدها   وأعـطِ القـيادَ القائـدين علـى كَـسرِ
نحــن تــركنا تغلــبَ ابــنة وائِــلٍ   كمكَـسْرِ الأنـيابِ مُـنقطعِ الظَهـرِ[3]

واقتتلت قيس وتغلب فى يوم الثرثار[4]، فانهزمت قيس، فقالت ليلى بنت الحمارس التغلبية:

خَلــوًا لــنا الثــرثارَ والمــزارِعا   وحِــنطةً طَيــسًا وكَــرمًا يانِعَــا[5]

ثم التقوا فى الثرثار ثانيةً فأهزمت تَغلب فقال عُمير بن الحُباب:

فِــدًى لفــوارسِ الثــرثارِ نفــسى   ومــا جَمَّعــتُ مِــن أهــلٍ ومــالِ
وولّــت عامِــرٌ عــنا فأجلَــت   وحَــولى مــن ربــيعةَ كالجــبالِ
أكــاوِحُهُم يــدَهمٍ مــن سُــليمٍ   وأعِثــرُ كالمــصاعيبِ الــزهالِ[6]

ووثق ذلك الأخطل فقال:

وأمـا عُمـيرُ بـن الحُـباب فلَـم يَكُـنْ   له النصف فى يوم الهياج، ولا العُشرِ
فــإن تذكــروها فــى معــدٍّ فإنّمــا   أصــابَك بالثــرثارِ راغــيةُ البكــرِ[7]

---

(١) نفسه.

(٢) عبيد بن حصين النميري، سمي بذلك لكثرة وصفه الإبل. شاعر مشهور. ترجمته: ابن سلام، طبقات، ١/ ٧٩٩؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٩٥.

(٣) الراعي النميري، عبيد بن حسين (ت، نحو ٩٧هـ/ ٧١٥م): شعره، تحقيق نوري القيسي وهلال ناجي (مطبعة مجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ١٧٧-١٧٨.

(٤) واد عظيم بالجزيرة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٧٥ (الثرثار).

(٥) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٧؛ ابن الأثير: الكامل، ٤٥/ ٣١٢.

(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٠. ينظر في هذا المكان ما قاله زفر بن الحارث.

(٧) ديوانه، ٢/ ٤٥٧.

وأغارَ عُمير على الفُدين[1] فاكتسح ما فيها وقتل عامة أهلها، ويقال: قاتل فيها جميع بنى تغلب فهزمهم[2]؛ فقال ابن الصفار موثقًا الحدث والمكان والقبائل:

لـو تـسأل الأرضَ الفـضاءُ بأمـرِكُم　　　شَـهِدَ الفُـدينُ بهلكِكُـم والـصُوَّرُ
كذبـتكَ شَـيبانُ الأخـوَّةَ وأنفقَـتْ　　　أسيافكُم بِكُـم سُـدُوس ويـشكُرُ[3]

ثم لقى عمير بن الحُباب بنى تغلب والنَمِر وعليهم يزيد بن هوبر التغلبي[4] بالسُكَير[5]، فاقتتلوا قتالًا انهزمت به تغلب والنَمِر وهرب عُمير بن جندل[6]، فقال عُمير بن الحُباب:

وأفلتـنا يَـوم الـسُكير ابـن جَـندَلٍ　　　علـى سـابِحِ غَـوجِ اللـبانِ مُثايـرِ[7]

وقال ابن صفار:

صـبحناكم بهـنَّ علـى سُـكَيرٍ　　　فلاقيـتم هُـناك الأقوريـنا[8]

والتقت تغلب وقيس فى المعارك[9]، فانهزمت تغلب فقال ابن الصفار:

ولقـد تـركنا بالمعـارِكِ مـنكُمُ　　　والحَـضرِ والثَّرثارِ أجسادًا جُثا[10]

ثم التقوا بالشَّرعبيَّةِ[11]، فقال الأخطل يهجو ابن الصفار:

---

(١) تصغير الفَدن، قرية على شاطئ الخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٤٠ (الفُدين).
(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.
(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.
(٤) ينظر نسبه: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٨؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.
(٥) هي سُكير العباس بالتصغير، بليدة صغيرة بالخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٣١ (سُكير العباس).
(٦) من فرسان تغلب. البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢١.
(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.
(٨) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.
(٩) نفسه، ٥/ ٣٢١-٣٢٢.
(١٠) موضع بالجزيرة كما في ياقوت، معطم البلدان، ٣/ ٣٣٦ (الشرَّعبية).
(١١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٤.

تظـــل سِـــباعُ الـــشَّرعبيَّةِ حـــولَهُ ... رُبُوضًا، ومـا كانـوا أجُنُوه فى قَبرِ[1]

وقال جرير[2] (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨/) يهجو الأخطل:

ألم تَـر قَيـسًا قـيسَ عـيلانَ دمـروا ... خنازيـر بـين الـشَّرعبية والـدَّربِ[3]

كما التقوا فى البَليخ[4] فانهزمت تغلب، فقال ابن الصفار:

زُرقِ الـرِّماحِ ووقـعِ كُـلِّ مهـنَّدِ ... زلـزلتَ قلـبكَ بالبَلـيخ فـزَالا[5]

وقال بعضهم:

تَـــسامَت جُمـــوعُ بنـــى تَغلِـــب ... اليـــنا فكُـــنَّا علـــيهم وبَـــالا

بَقَـــرنا النِّـــساء غـــداةَ البَلـــيخِ ... إذا جئنَـــنَا وقتلـــنا الـــرِّجالا[6]

ووثقت هذه الأيام عودة القبائل إلى الصرع، وهى أحداث أسهم الشعر القبلى فى توثيقها، ومعظمها حصل فى سنة (٧٠هـ/ ٧٩٠م). فكانت أحد أسباب تريث عبدالملك بن مروان فى القضاء على ابن الزبير لقربها منه ولاشتراك بعض القبائل الموالية لابن الزبير فى حرب القبائل الموالية للأمويين، وفى هذا استنزاف لطاقات الطرفين القتالية؛ فضلًا عن كون بعض هذه الأيام جاءت ردَّ فعل على نتائج معركة مرج راهط، فكان لزفر بن الحارث غارات أخرى على كلب وتغلب حتى قالت امرأة من بنى كلب ترثى قتلى قبيلتها:

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٤.

(٢) جرير بن عطية الخطفي من كليب بن يربوع من تميم، شاعر فحل من العصر الأموي. ترجمته، ابن سلام، طبقات، ١/ ٩٢٧؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٧٤.

(٣) جرير بن عطية الخطفي (ت، ١١٥هـ/ ٧٣٣م): ديوانه، تحقيق نعمان طه، الجزء الثاني (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١م)، ٦٢٢.

(٤) اسم نهر بالرقة. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٩٣ (البَليخ).

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٢-٣٢٣؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٥.

(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٢.

أبعدَ من دُلّيتِ من كوكبٍ يا نفسُ ترجين ثَواءَ الرِّجال؟[1]

فلما أغار عُمير بن الحُباب السُلمى على كَلب وأتبع حُميد بن حريث بن بحدل كان يقول لفرسه:

أقدِمْ صُدامُ إنه ابنُ بجدلْ لا تُدرك الخيلَ وأنت تَدأَلْ

ألا تمرُّ مِثل مَرِّ الأجدلْ[2]

وحين التقت قيس مع كلب فى وقعة الغُوير[3]، قال عُمير بن الحُباب:

تُساءَل من حَيّى رفيدة بعدما قَضت وطرًا من عَبدِ ودٍّ وعامِرِ[4]

وأشار شبل بن الخيتار إلى يوم الإكليل[5]، بعد أن ولى حُميد بن حُريث بن بحدل، فقال:

يخرجن من برضِ الإكليل طالعةً كأنهنَ جرادُ الحرَّةِ الزُّورِ[6]

وكان عُمير بن الحُباب أغار على كلب فلقى جمعًا لهم بالأكليل فقتل منهم فأكثر، فقالت هند الجلاحية[7] تحرض كلبًا:

ألا هل ثائِرٌ بدماءِ قومٍ أصابُهُم عُمير بن الحُباب؟
وهل فى عامِرٍ يومًا نكيرٌ وحيَّى عبدِ ودٍّ أو جَنابِ؟
فإن لم يثأروا من قدم أصابوا فكانوا أعبُدًا لبنى كِلابِ
أبعدَ بنى الجُلاح ومن تركتم بجانبِ كوكبٍ تحتَ التُرابِ[8]

---

(١) الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٨٤.

(٢) نفسه، ٢٣/ ١٨٤-١٨٥ وصُام اسم فرسه.

(٣) ماء لكلب بأرض السماوة. ياقوت: معجم البلدان: معجم البلدان، ٤/ ٢٢٠ (الغوير).

(٤) الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٨٦. ينظر إشارته إلى الغوير، ٢٣/ ١٩٣.

(٥) اسم موضع ذكره عدي بن نوفل. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٢٤٠ (الإكليل).

(٦) الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٨٦.

(٧) ينظر: الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٨٧.

(٨) نفسه.

فرد عليها عُمير بن الحُباب قائلًا:

ألا يا هندُ هندُ بني جُلاحِ　　سُقيتِ الغيثَ من قُللِ السَّحابِ
ألَمّا تُخبري عنّا بأنّا　　نَردُّ الكبشَ أعضَبَ في تَبابِ[1]

ثم استمرت الحرب سجالًا بين الطرفين كما وثق ذلك الشعر الذي اختص بوقائع القبائل[2].

لما رأت تغلب إلحاح عمير عليها جمعت حاضرتها وباديتها وساروا على الحشّاك[3]؛ وذلك في سنة (٧٠هـ/ ٧٩٠م)[4]، فدلف إليهم عُمير في قيس ومعه زُفر بن الحارث وابنه الهُذيل، وعلى تغلب يزيد بن هوبر فاقتتلوا عند تل الحشّاك أشد قتال وأبرحه، فنزل عمير يقاتل راجلًا وهو يقول:

أنا عُمير وأبو المَغلّسْ　　قد أَحبِسُ القومَ بضَنكٍ المَحبِسْ[5]

وشدَّ على عُمير جَميل بن قيس الزهيري فقتله، فقال الشاعر يشير إلى مقتله على يدِ ابن هوبر:

أَرَقت بأثناءِ الفُرات وشفَّني　　نوائِحُ أبكاها قَتيل ابن هوبَر
ولم تظلمي إن نُحتِ أمَّ مغلَّسٍ　　قتيلَ النصارى في نوائِحُ حُسَّرِ[6]

فقال بعض الشعراء ينكر قتل ابن هوبر عُميرًا:

وإن عُميرًا يومَ لاقته تَغلِبُ　　قَتيلُ جَميلٍ لا قتيلَ ابنِ هوبَرِ[7]

---

(١) نفسه وينظر تمام القصيدة، ٢٣/ ١٨٨.

(٢) ينظر: ما قاله عمرو بن مخلاة ومنذر بن حسان والمجير بن اسلم وزُفر بن الحارث وعُمير بن الحُباب وجَهم القشيري ونُفيع بن الصفار والراعي النميري وعقيل بن عُلفة: البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/ ١٨٩-١٩٨.

(٣) واد بأرض الجزيرة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٦٢ (الحشّاك).

(٤) ينظر: البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٥.

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢٣.

(٦) جميل بن قيس من بني كعب بن زهير. نفسه، ٥/ ٣٢٤.

(٧) نفسه.

وهذا يؤكد اثر الشعر فى تدوين الحدث فهذا البيت يصحح مقتلَ عُمير على يدِ جَميل الزهيرى. وقال الأخطل مشيرًا إلى مقتل ابن الحباب فى الحشَّاك:

فلاقى عُمير حتفَه، فى رماحنا   وما أنتَ، يا جحاف، عنها بهارِبِ[1]

لما قتل عُمير بن الحُباب حاولت قَيس الأخذ بثأرِهِ من تغلب وحين أحست تغلب ذلك ارتحلت تريد عبورَ نهر دجلة، فلما صارت بالكُحيل[2]، لحقهم زُفر بن الحارث فى القيسية فاقتتلوا قتلاً شديدًا، واسر منهم مائتين فقتلهم صبرًا[3]. فقال زُفر:

ألا يا عُينُ جودى بانسكابِ   وبكِّى عاصما وابن الحُبابِ
فإن تكُ تغلب قَتلت عُميرًا   ورهطًا من غَنّى فى الحرابِ
قتلنا منهم مائتين صَبرًا   وما عدلوا عُمير بن الحُبابِ[4]

وأَسرَ زُفر بن الحارث شاعِرَ تغلب القطامى فقام بأمره حتى رد عليه ماله وجميع ما أخذ منه ووصله[5]. فقال القطامى فيه شعرًا كثيرًا منه قوله:

وعارضى الليل إذا ما اخضرّ   أخبَرك البارحُ حين مُرَّا
إذا سوفَ تَلقينَ جَوادًا حُرًّا   ذسَيِّد قَيس زُفر الأَغرّا[6]

فلما وفد الأخطل على عبدالملك بن مروان فدخل عليه الجحاف بن حكيم

---

(١) شعره، ٢/ ٢٩٠. ينظر حول عمير بن الحباب: ١/ ٦٦-٦٩، ٨٠-٨١، ٢/ ٤٢٣؛ ٤٢١٠ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٥-٣٢٦؛ ينظر: ما قاله زيد بن بشر التغلبى: الجاحظ: الحيوان، ٦/ ٣٣١.

(٢) تصغير الكحل، موضع بالجزيرة، ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٣٩ (الكُحيل).

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٨.

(٤) شعره، ١٦١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٨؛ الأصفهانى: الأغانى: ٢٣/ ٢٠٤.

(٦) ديوانه، ١٢٠. ينظر أيضًا، ١١٦، ١٢١، ١٣١، ١٥٠، ١٥١.

السُلمي[1] (ت، ٩٠هـ/ ٧٠٩م)؛ فقال له عبدالملك: أتعرف هذا يا أخطل؟ قال: نعم هذا الذى أقول فيه:

ألا سـائل الجَحّـاف هـل هـو ثائـرٌ بقتلى أُصيبَت من سُليمٍ وعامِرِ[2]

وأنشد القصيدة حتى فرغَ منها فتغالظا فى الكلام فنهض الجحاف فافتعل عهدًا على صدقات بكر وتغلب بالجزيرة، فشد على بنى تغلب بالبشر[3] ليلًا فقتل منهم مقتلة كثيرة[4]. فقال الأخطل:

لقـد أوقـعَ الجحـاف بالبِـشر وقعـةً إلى الله مـنها المـشتكى، والمُعـوَّل[5]

فردَّ عليه جَرير قائلًا:

فإنــك والجحّـــاف يـــوم تحـــضُه أردت بـذاكَ لـنكثُ والـوِدُّ أعجـلُ[6]

ويقال أن تغلب أحرقت قتلاها حتى لا يتبين الناس كثرتها[7]، فقال ابن الصفار:

لقـد رفعـت نـار الـشَمرذى لقـومِهِ شَـنارًا وخـزيًا وطـار كُـل مَطـارِ[8]

وقال الجحاف مشيرًا إلى عُمير بن الحُباب:

نَعـم سـوف نبكـيهم بكـل مُهَّـندٍ ونَنعـى عُمـيرًا بالـرماح الـشَّواجرِ[9]

---

(١) ينظر نسبه: الأصفهانى: الأغاني، ١٢/ ١٩٥؛ ابن حزم: جهرة، ٢٦٤.
(٢) الأخطل، شعره، ٢/ ٥٢٨.
(٣) بالكسر، اسم جبل يمتد من عُرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البابة. ياقوت: معجم البلدان، ١٠/ ٤٢٦ (البِشر).
(٤) ينظر: الأخطل: شعره، ٢/ ٥٢٨. والخبر مذكور عند: أبو عبيدة: النقائض، ١/ ٤٠١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٨-٢٣٩. ينظر أيضًا: الأصفهانى: الأغاني، ١٢/ ١٩٧-١٩٩؛ المرزبانى: الموشح، ٢١٨-٢١٩؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٩-[illegible].
(٥) شعره، ١/ ٣٢؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣١.
(٦) جرير: ديوانه، ١/ ١٤١.
(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٩.
(٨) نفسه، ٥/ ٣٣٠.
(٩) المرزبانى: الموشح، ٢١٩.

وقال يخاطب الأخطل بأبى مالك:

أبـا مالـك هـل لمتنـى إذ حضـضتنى ... على القَتلِ أم هل لامنى لك لائمِى[1]

كما أشار جرير إلى يوم البِشر فى خطابه لأبى مالك:

أبـا مالـكٍ: مالَـت برأسـك نـشوة ... وبالبِـشر قتلـى لم تَطهـر ثـيابُها[2]

ويبدو أن ثمةَ هدفًا خفيًا كامنًا وراء تحريض عبدالملك للصراع بين تغلب وقيس مما أدى إلى إراقة الكثير من الدماء؛ ولعله يبغى من ذلك إبعاد القبائل عن دائرة الصراع السياسى وإدخالها فى دائرة الصراع القبلى لإضعافها وسهولة السيطرة عليها.

وفى سنة (٧١هـ/ ٦٩٠م)[3] كان مسير عبدالملك بن مروان على العراق لحرب مصعب ابن الزبير حتى يبلغ مصعبَ باجُميرى[4]، فقال الشاعر:

أبـيتَ يـا مـصعب إلا سَـيرا ... فـى كُـلِّ يـومٍ لـك بـاجُميرا[5]

وكان مصعب لما سار إلى الكوفة أخذ معه مالِكَ بن مسمع وزياد بن عَمرو[6] فاستأذناه فى الرجوع فأذن لهما. وقال: إنهما لا يريدان خيرًا[7]، فقال الشاعر:

إلحـق أمـيةَ بالحجـازِ خالـدًا ... واضـرب عـلاوة مالـك يـا مـصعبُ

فلـئن فعلـت لتحـرمنَّ بقـتلهِ ... وليـصون لـك بالعـراقِ المَـشربُ[8]

---

(١) الأصفهانى: الأغاني، ١٢/ ١٩٩.

(٢) ديوانه، ٢/ ٢٦٤. ينظر القصائد الأُخرى في الديوان، ٢/ ٢٧٤-٢٧٥، ١/ ٥٦-٥٧.

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦٤-٢٦٥ وفيه مقتله سنة (٧٠هـ/ ٦٨٩م)؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥١ وفيه مقتل مصعب سنة (٧١هـ/ ٦٩٠م).

(٤) موضع دون تكريت. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٣١٤ (باجُميري).

(٥) المسعودى: مروج، ٣/ ١٠٥.

(٦) زياد بن عمرو بن الأشرف من الأزد. ينظر: ابن حزم، جمهرة، ٣٧٠.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٨٢.

(٨) نفسه.

وقال آخر:

أخــاف علــيك زيــادَ العِــراقِ وأخــشى علــيكَ بنــى مــسمعِ[1]

وحين تأخر لقاء جيش الزبيريين بالأمويين لحلول الشتاء[2]، قال عَدى بن الرِّقاع العاملين[3] (ت، ٩٥هـ/ ٧١٤م):

لعَمــرى لقــد أصــحرَت خيلُــنا بأكــنافِ دجلَــةَ للمُــصعبِ

إذا شــئتَ نازلــتَ مــستقدمًا إلى المــوتِ كالجمــلِ الأجــربِ

فمَــن يــكُ مــنا يكــون آمــنًا ومــن يَــك مــن غيرِنــا يَهــربُ[4]

وأقبل عبدالملك من الشام يريد مصعبًا ومعه خالد بن عبدالله بن أُسيد[5]، فقال خالد لعبد الملك: "إن وجهتنى على البصرة وأتبعتنى خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها"[6]. فوجهه عبدالملك، فقدمها مع مواليه متسخفيًا فى مواليه وخاصته، فالتقى الأموية والزبيرية بالبصرة، ففقئت عين مالك بن مسمع[7]. فقال وهب بن أبجر العجلى:

فــلا تــرَج عــند بــابِ ابــن مَــسمعٍ إذا كنتُ من حيى حنيفة أو عجلِ[8]

---

(١) نفسه.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥١.

(٣) عَدي بن زيد بن مالك بن الرِّقاع بن عاملة، شاعر أموي معروف. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٧٨؛ الأصفهانى: الأغاني، ١/ ٣٦٢.

(٤) العاملي، عَدي بن الرِّقاع (ت، ٩٥هـ/ ٧١٤م): ديوانه، تحقيق: نوري القيسي وحاتم الضامن (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٢٤٨-٢٤٩؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٨٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥١.

(٥) خالد بن عبدالله بن السيد بن أبي العيص بن أمية. ترجمته: الزبير: نسب قريش، ١٨٩؛ ابن حبان: الثقات، ٤/ ٢٠٦.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥٢.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٥٩.

(٨) نفسه، ٢-٤/ ١٥٨.

وقال الفرزدق:

نحـــن نفيـــنا مالِكًــــا عـــن بلادنـــا ... ونحـــن فقأنـــا عيـــنَه بالنـــيازِكِ[1]

وقال غطفان بن أُثيف[2]:

كـــيفَ رأيـــت نـــصر الأمـــيرا ... بـــصرحَةِ المـــربدِ إذ أبـــيرا[3]

وأدرك مصعب مُرَّة بن محِكان[4] فأمر بقتله، فقالُ مرة:

بنـــى أســـدٍ إن تَقتلونـــى تُحاربـــوا ... تَميمًا إذا الحربُ العَوانُ اشمعلَّتِ[5]

فأقام مصعب بالبصرة ثم شخص إلى الكوفة لحرب عبدالملك، فنزل عبدالملك مَسكن[6]. وكتب إلى المروانية من أهل العراق، فأجابه كلهم، فسار إلى مصعب وقد خذله أهل الكوفة فسأل مصعب عن صنيعِ الحسين بن على بإبائه النزول على حُكم ابن زياد وعزمه على الحرب[7].

فخرج على القتال متمثلًا:

وإن الألى بالطَّـــفِ مـــن آلِ هاشـــمٍ ... تَأسَّـــوا فـــسنُّوا للكـــرامِ التأســـيا[8]

---

(١) ديوانه، ٥/ ٥٧؛ البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦١.

(٢) أحد بني كعب بن عمرو بن تميم. البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥٣.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٢٠٤/ ١٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥٣.

(٤) أحد بني سعد بن زيد مناة من تميم شاعر إسلامي (ت، ٧١هـ/ ٦٩٠م). ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ٢٢/ ٣٤٨؛ المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٩٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٣؛ المبرد: الكامل، ١/ ١٦٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥٥؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٢٥٧.

(٦) موضع على نهر دجيل. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ١٢٧ (مسكن).

(٧) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦٤-٢٦٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥٦-١٥٧.

(٨) الشعر لسليمان قته. ينظر: البلاذرى: أنساب (مطبعة يولس آبل، غريفرز ولد؛ ١٩٨٣م)، ١١/ ١٤؛ الدنيورى: الأخبار، ٣١١؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٣/ ٢٩٨.

وحَذّر سُويد بن منجوف السدوسى[1] مصعبًا من أهل الكوفة وغدرهم، فقال:

فأبلغ مصعبًا عنّى رَسولاً ولا تلقى النَّصيح بكلّ وادِ
تَعلَّم أنَّ أكثرَ من تناجى وإن أدنيتَهُم فهُمُ الأعادِى[2]

وقال الحارث المخزومى يهجو خالد بن عبدالله بن أسيد ويمدح آل الزبير:

حامتَ بنو أسدٍ عن مجدٍ أوّلها وأنتم كَنِعامِ القاعَةِ الشُّرُدِ[3]

وبعد أن عزِل مصعب بن الزبير عبيد الله بن زياد بن ظبيان[4] عن البصرةِ وولاه الأحواز لحق بعبد الملك بعد مقتلِ أخيه، فلما كانت الوقعة بين عبدالملك ومصعب عاجل ابن ظبيان مصعبًا بضربةٍ فاحتز رأسه وألقاه بين يدى عبدالملك[5]، وهو يقول:

تُعاطى الملوك الحقَّ ما قسطوا لنا وليس علينا قتلهم بمحرَّمِ[6]

فأنشد عبدالملك:

لقد أردى الفوارِسُ يوم حِسى غُلامًا غيرَ منَّاعِ المتاعِ
ولا فَرحٍ بخيرٍ إن أتاهُ ولا هَلِعٍ من الحدثانِ لاعِ
ولا قافةٌ والخيل تُردى ولا خالٍ كأنبوبِ اليَراعِ[7]

---

(١) أو سويد بن منجوق السدوسي، أبو المنهال. ترجمته: ابن حيان: الثقات، ٤/ ٢٣٢.
(٢) ابن بكار: الموفقيات، ٥٣٤؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٤٣.
(٣) ديوانه، ٥٥؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٤٣. ينظر ما قاله ابن ظبيان في الغدر بمصعب: ابن بكار: الموفقيات، ٥٥٦-٥٥٧. وما قاله البعيث اليشكرى: البلاذري؛ أنساب، ٥/ ٢٨٤؛ فتوح البلدان، ٢٧٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٦٠.
(٤) شاعر فاتك. ترجمته: ابن الكلبى: جمهر، ٥٢٣؛ ياقوت: معجم البلادان، ٥/ ١٧٢ (مسكن).
(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٣٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٦٠.
(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٣٣.
(٧) ابن ابي الحديد: شرح، ٣/ ٢٩٧، ابن كثير: البداية، ٨/ ٣٢١.

وقال عدى بن الرقاع العاملي:

نحـن قتلـنا ابـن الحَـوارى مـصعبًا ... أخـا أسـدٍ والمذحجـى اليَمانـيا[1]

ورثاه عُبيد الله بن قيس الرُّقيات، فقال:

لقـد أورثَ المـصرين خِـزيًا وذِلـةً ... قتـيلٌ بـدارِ الجاثلـيقِ مُقـيمُ

تولّـى قِـتالَ المـارقين بنفـسهِ ... وقـد أسـلماهُ مـبعَدٌ وحمـيمُ

فمـا نـصحت للهِ بكـر بـن وائـلٍ ... ولا صَـبرت عِـندَ اللقـاءِ تَمـيمُ

ولـو كـان بكـريًّا تعطّـفَ حَـولَه ... كـتائِبُ يعلـى حمـيُها ويـدومُ

ولكـنَه ضَـاع الـذِّمامُ ولم يكُـن ... بهـا مُـضرى يـومَ ذاكَ كَـريمُ[2]

ورثى شعراء كُثير مصعبًا منهم أعشى همدان الذى قال:

وأَضـحى بديـر الجاثلـيقِ مُلجـبًّا ... فـلا يـبعدنَّ مـن قَتـيلٍ مُلحَّـبِ[3]

تمتلك قصيدة أعشى همدان هذه خصوصيتها فى أنها وثقت هذا الحدث بوضوح وكأنها سجل تاريخى أغنى عن الكثير من القصائد التى قيلت فى رثاء مصعب[4]، حينما أشار إلى الغادرين به، من أهل العراق الذين وصفهم بأنهم شر قوم؛ لأنهم مكروا بابن الحوارى، ثم أخذ يسرد من وقف معه وآزره، فقال:

---

(١) ديوانه، ٢٧٨. ويسب الشعر إلى البعيث اليشكري. ينظر: ابن بكار: الموفقيات، ٥٤٤؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٦٠.

(٢) ديوانه، ١٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٦١.

(٣) ولم أقف على البيت في ديوانه. ينظر: ابن بكار: الموفقيات، ٥٥٥.

(٤) ممن رثاه عبدالله بن الزبير الأسدي في ديوانه، ٥٨، ٧٩. والرُّقيات في ديوانه، ٤، ١٣٣، ١٨٤، ١٩٦. وأبو دهبل في ديوانه، ٧٩. ووثق العيد من الشعراء مقتله منهم: أبو العباس الأعمى، وسالم بن وابصة، وابو السفاح اليربوعي، وعرفجة بن شريك، وموسى شهوات والعديل بن الفرخ، والأقيشر الأسدي. ينظر: الزبير بن بكار، الموفقيات، ٤٤٢، ٥٣٨، ٥٣٩؛ البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٥؛ ٥ / ٣٧٧-٣٤٤، ١١/ ١١-١٢؛ الدينورى: الأخبار، ٣١٣؛ المبرد الكامل، ١/ ٢٣؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٠٨.

جَـزى الله حَجَّـارًا هـناك مَلامَـةً   وفـرخَ عُمـير مِـن مـناجٍ مُـؤَلبِ
ومـا كـانَ عَـتابٌ لـه بمناصـحٍ   ولا كـان عـن سـعى عليه بمُغـرِبِ
ولا قَطـنٌ ولا بائـه لم يُناصِـحًا   فتـبًا لـسعى الحارِثـى المُتَـبَّبِ
ولا العَتكـى إذا مـال لِـواءَهُ   فـولى بـهِ عَـنهُ إلى شـرّش مَـوكِبِ
ولا ابـن رُويـم لا سَـقى الله قـبرَهُ   فـباء بجـدعٍ آخـر الدَّهـرِ مُـوَعبِ[1]

ومن الراجح أن يكون الشعر الذى قيل فى آيلِ الزبير قد أسقطه الشُّعراء من شِعرهم خوفًا من بنى أمية، أو أسطقه الأمويون أنفسهم[2].

وفى سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)[3] وجه خالد بن عبدالله أخاه عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد[4] إلى قتال الأزارقة بفارس فهزموه. فقال الرُّقيات:

عبدالعزيـز فـضحت جيشك كلَّهـم   وتـركتهم صـرعى بكـلِّ سـبيلِ
مـن بـين ذى عَطَـشٍ يجـوُد بنفـسهِ   ومُلحَّـبٍ بـين الـرجالِ قتـيلِ[5]

وقال أحدُ الخَوارج:

إن عـبدَ العزيـز يـوم حـرورٍ   كـان يـرجو رجـا المُهلـب فينا[6]

---

(١) ديوانه، ٣١٣. ويصف الشاعر مقتل إبراهيم بن الأشتر وإخلاصه لمصعب، وكيف قتل بطريقة تؤكد عمق أثر الشعر في توثيق الأحداث. ينظر: ٣١٤-٣١٥. ومن الممكن ملاحظة ما قاله العجاج في ديوانه، ١١٤-١١٧.

(٢) قاسم، عون الشريف: شعر البصرة في العصر الأموي (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ٥٤.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٦٨-١٦٩.

(٤) توفي في خلافة هشام بن عبدالملك. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ١٢٣؛ ابن حجر: تهذيب، ٦/ ٣٠٦.

(٥) ديوانه، ١٩٠ وفي ديوان الخوارج، تحقيق نايف محمود معروف (دار الميسرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، لأبي حديد وللبيت رواية أخرى في المكان نفسه.

(٦) البيت للحصين بن مالك في شعر الخوارج، ١٠٢.

ويُروى أنهم قتلوا أصحابه وأخذوا امرأته فمَّر بالمهلب فكساه ووصله وحمله، وكان يقودهم قطرى بن الفجاءة[1]، فقال الحارث المخزومى:

فَـــرَّ عبدالعزيـــز لمـــا رأى الأبـــ　　　طـــالَ بالـــسَّفح نازلـــوا قطـــريًّا[2]

وطلبه خالد القسرى فلحق ببِشر بن مروان وقال:

ومـا كـفَّ عنـى خالـد عـن تَقـيّةٍ　　　ولكن بدت دونى الليوث الهواصرُ[3]

وفى هذه السنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)[4] وجهَ عبدالملك الحجاجَ بن يوسف (ت، ٩٥ هـ/ ٧١٣م) إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، وكان جَواس بن القعطل يحثُّ عبدالملك فى ذلك:

سـيروا إلى الـبلدِ الحـرامِ وشمّـروا　　　لا تُـصلِحوا وسِـواكُمُ مَـولاها[5]

وقال أعشى بنى ربيعة[6] (ت، ١٠٠هـ/ ٧١٨م) يحثه أيضًا:

قومـــوا إلـــيهم لا تـــناموا عـــنهم　　　كـــم للغـــواةِ أطلـــتم إمهالهـــا[7]

ثم كانت الحرب بين ابن الزبير والحَجاج ببطنِ مكةَ سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م)[8] فرمى الحجاج الكعبة بالمنجنيق، فقال الأقيشر الأسدى:

ولم أرَ جيـــشًا بـــالحجِ مثلـــنا　　　ولم أرَ جيـشًا مثلـنا غـيرَ مـا طُرسِ

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٨.

(٢) ديوانه، ١٠٩.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٤. ينظر تمام القصيدة.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٨٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٧٦.

(٦) اسمه عبدالله بن خارجة بن حبيب من شيبان من بكر بن وائل. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ١٨/ ٧٠.

(٧) نفسه، ١٨/ ٧٢.

(٨) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٥٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٨٧.

دلفـــنا لبـــيتِ الله نَمـــرى سُـــتورَهُ   بأحجارِنـا زمن الولائِدِ فى العرسِ[1]

وقال عبدالله بن مطيع بن الأسود:

أنـــا الـــذى فـــررتُ يـــومَ الحَـــرَّة   والـــشيخُ لا يفـــرُّ إلا مَـــرّة
لأجـــزين كَـــرّة بِفـــرّة[2]

ووزع عبدالله بن الزبير فرسانه على أحياء ومداخل مكة، فوثق بعض أصحابه ذلك بقوله:

وجعلـــنا ســـداد المـــأزمين محَمّـــدًا   وحَمزةَ للمَسعى، وللرَّدم هاشم[3]

فوثق هذا البيت الأماكن وأسماء المحاربين فحفظ الخبر التاريخى وأغناه وكشف عن أثر الشعر فى حفظ الصِّراعات، فأشار إلى محمد بن المنذر بن الزبير، وحمزة بن عبدالله وهاشم بن عبد الله[4] والمواضع التى قاتلوا فيها.

وكان يقاتل قتالًا شديدًا وهو يقول:

صَـــبرًا عِفَـــاق إنّـــه شـــرٌّ بـــاقْ   قـــبلك سَنَّ الـناس ضَربَ الأعـناقْ
قـد قامَتِ الحرب بنا على ساقْ[5]

وعندما بدأ بعض أصحابه يلحق بجيش الحجاج، قال:

---

(١) الأبيات للأقيشر الأَسدي في المستدرك على شعره: نوري حمودي القيسي، مجلة الرسالة الإسلامية العدد (٦٥)، السنة (٦)، (بغداد، شعبان، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ٦٣. ينظر: الدينورى: الأخبار، ٣١٤. ومنسوبة أيضًا للأقيبل بن شهاب الكلبي. لالبلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٥٨-٣٥٩، ١١/ ٣٩-٤٠؛ الآمدى: المؤتلف، ٢٥.

(٢) الزبيرى: نسب قريش، ٣٨٤؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٧٦؛ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت،٣٢٨هـ/ ٩٣٩م): العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد. العريان، الجزء الأول (المكتبة لاتجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)، ١٠٤-١٠٥.

(٣) ابن بكار، جمهرة، ١/ ٤٨.

(٤) من آل الزبير بن العوام. ينظر: الزبيرى: نسب قريش، ٢٣٦؛ ابن حبان: الثقات، ٧/ ٤٠٥.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٦٤.

فـــرت ســـلامان وفـــرَّت النَّمِـــرْ وقــد تلاقـى معهــم فــلا نَفـرْ[1]

رمـى الحجـاج البيـت بالمنجنيـق فسقطـت علـى المنجيـق عاصفة فى يومٍ مطير، فقال: لا يروعنكم فإنها صواعق تِهامة، وجعل أهل الشام يقولون وهم يرمون:

يـا ابـن الـزبير طـالَ مـا عـصيكا وطـــال مـــا عنَّيتـــنا إلـــيكا

لتَجـــزِينَّ بالـــذى أتـــيكا لنـــضربن بـــسيفنا قفـــيكا[2]

فكان حَجر المَنجنيق يجيء عبدالله بن الزبير فيقال له تنحَّ فيقول:

سَـــهِّل علـــيك فـــإن الأمـــورَ بكـــف الإلـــهِ مقاديـــرُها

فلـــيسَ بآتـــيك منهـــيُّها ولا قَاصـــرٌ عَـــنكَ مأمـــورها[3]

وكان يقاتل فى الرعيل الأول ويتمثل:

فلـستُ بمـستطاعِ الحـياةِ بـسُبَّةٍ ولا مُرتَقٍ من خِشبةِ الموتِ سُلَّما[4]

وحين قتل رثاه عمرو بن معمر الهذلى فقال:

فإن يـك هـذا الدهـر أودى بمـصعبٍ وأصـبح عـبدالله شِـلوًا مُلحـبًّا[5]

ودخل عبدالله بن الزبير الأسدى على عبدالملك بعد مقتل ابن الزبير فقال:

مـشى ابـن الـزبير القهقرى فـتقدمّت أُمـــية حتـــى أحـــرزوا القَـــصباتِ

وجئت المُجلِّى يـا ابنَ مَروان سـابقًا أمـــام قـــريشٍ تـــنفضُ العـــذراتِ[6]

---

(١) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت، ٩٧هـ/ ١١٩م): صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، الجزء الأول (مطبعة الأصيل، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠/)، ٧٧١.
(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٦٣.
(٣) نفسه، ٥/ ٣٦٢.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٩١؛ ابن الجوزى: صفة، ٧٧٠.
(٥) المرزبانى: معجم الشعراء، ٤٤. ولجعفر بن الزبير في قتاله مع أخيه. الأصفهانى: الأغاني، ١٥/ ٧.
(٦) ديوانه، ٦٤. ينظر ما قاله أبو دهل في ديوانه، ٧٥ وما قاله سليمان بن سلام الجمحي في البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٧٨.

وفى سنة (٧٤هـ/ ٦٩٣م)[١] ولى المُهلب بن أبى صفرة حربَ الأزارقة[٢] من قبل عبدالملك. فقال رجل من الخوارج يرتجز:

قل للمحلين أتاكم صالحُ

وصالح فى الحرب كبش ناصحُ[٣]

وناهضهم المهلب فأجلاهم عن رامهُرمُز[٤] من غيرِ قتال شديد حتى نزلوا كازرون[٥] وذلك فى السنة التالية[٦] (٧٥هـ/ ٦٩٤م) فزحفوا إلى المهلب ليلًا ليبيتوه، فوجودوه قد أخذ حذره، فمالوا نحو عبدالرحمن بن مخنف[٧] (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٤م) فوجوده لم يخندق فقاتلوه، فانهزم عنه أصحابه، فنزل فقاتل فى أناس من أصحابه فقتل، وقتلوا حوله، فقال شاعرهم:

لمن العسكرَ المكّلُ بالصَّرّ ... عى فَهُم بين ميّتٍ وقتيلِ[٨]

وقال سراقة بن مرداس يرثيه ويوثق مكان مقتله:

ثوى للأزدين أزد شنوءة ... وأزد عُمان رَهن رَمس بكازرِ[٩]

وفى هذه السنة (٧٥هـ/ ٦٩٤م)[١٠] ولى عبدالملك الحجاجَ بن يوسف الثقفى

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٩٥.

(٢) وهم أصحاب نافع بن الأزرق. ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (ت، ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م): الملل والنحل، تعليق أحمد فهمي محمد، الجزء الأول (مطبعة حجازي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م)، ١٧٩.

(٣) الرجز لصالح بن مخراق العبدي. ينظر: شعر الخوارج، ١٢٤.

(٤) مدينة بنواحي خراسان. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٧ (رامهُرمُز).

(٥) مدينة بفارس بين البحر وشيراز. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٤٩ (كازرون).

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢١١-٢١٢.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: ديوان الخوارج، ٢٣٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢١٢.

(٩) ديوانه، ٤٣. ينظر، ٤٤-٤٥.

(١٠) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٠٢-٢٠٣.

(ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م) العراق دون خراسان وسجستان، فقدم الكوفة وخطب فى مسجدها، فقال متمثلاً:

أنــا ابــنُ جَــلا وطَــلَّاع الثَّــنايا متــى أضَــعِ العِمامــة تعرفونــى[1]

وأمر الناس بالالتحاق واشهر السيف على من يتخلف، وقتل فعلًا عُمير بن ضابى[2]، فقال عبدالله بن الزَّبير الأسدى:

تخير فإمــا أن تــزور ابــن ضــابئ عُمــيرًا وإمــا أن تــزور المُهلــبا[3]

ثم بعث المدد على المهلب لقتال الخوارج فقال الشاعر:

قــل للمهلــب قــد أتــتكَ معاشــرًا حُشروا إليك كَحشرِ أهل البَرزَخِ[4]

وقال سَوَّار بن المُضرب[5]، وكان عاصيًا:

أقاتلـــى الحجـــاج إن لم أدر لـــه درت وأتــرك عــند هــندٍ فــؤاديا[6]

فقال العديل بن الفرخ[7] (ت، ١٠٠هـ/ ٧١٨م):

لقــد جــرّد الحَجــاج للحــقّ ســيفَهُ ألا فاســتقيموا لا يمــيلَنَّ مَائِــلُ[8]

وفى سنة (٧٦هـ/ ٦٩٥م)[9] دخل شبيب[10] (ت، ٧٧هـ/ ٦٩٦م) الكوفة

---

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحى: ينظر: الجاحظ: البيان، ٢/ ٣٠٨؛ المبرد: لاكامل، ١/ ١٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٠٢؛ ابن أعثم: الفتوح، ٧/ ٥.

(٢) عمير بن ضابئ بن الحارث اليرجمي قتل سنة ٧٥هـ. ينظر: المرزباني. معجم الشعراء، ٧٣.

(٣) ديوانه، ٥٤. ينظر تمام القصيدة.

(٤) البلاذرى: أنساب، ١١/ ٢٧٧: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢١١.

(٥) أحد بني ربيعة بن كعب بن سعد. ينظر: البلاذري، أنساب، ١١/ ٢٧٨.

(٦) نفسه.

(٧) من بني عجل من بكر بن وائل (ت، ١٠٠هـ/ ٧١٨م). ينظر ترجمته: الجاحظ: البيان، ١/ ٣٩١؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٣/ ٢٧٥.

(٨) شعره، شعراء أمويون، ١/ ٣٠٥.

(٩) بن خياط: تاريخ، ١/ -٢٧٢-٢٧٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٢٤.

(١٠) شبيب بن يزيد بن نعيم الشباني أحد زعماء الخوارج. ترجمته: ابن قتيبة: المعراف، ٤١٠؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٤٥٤.

ومعه زوجته غزالةَ[1]، فقال عمران بن حطان[2] مخاطبًا الحجاج حين لج فى طلبه:

أسدٌ علىَّ وفى الحروبِ نعامَةٌ ... ربداءُ تَجفلُ من صَفيرِ الصافرِ
هلَّا برزت إلى غَزالةِ فى الوَعى ... بل كان قلبك فى جناحى طائِرِ
صَدَعت غَزالةُ قلبَهُ بفوارسٍ ... تركت منابِره كأمسِ الدابرِ[3]

وقد وَّظف عمران بن حطان ((مواهبه الشعرية فى خدمة مذهبه، فلا عجب أن يبدى الحجاج قلقه وخوفه من انتشار أفكاره))[4] خشية إفساد الناس عليه.

وضرب شبيب باب القصر فى الكوفة، ثم قال:

وكأن حافرَها بكل خَميلةٍ ... كيلٌ يكيلُ به شحيحٌ معدِمُ
عَبدٌ دَعِى من ثمودِ أصلُه ... لا بل يُقالُ أبو أبيهم يَقدُمُ[5]

يشير إلى نسب الحجاج، ونسب ثقيف فيطعن فيهم.

وفى سنة (٧٧هـ/ ٦٩٦م)[6] دخل شبيب الكوفَة ثانيةً، فقتلَ عتاب بن ورقاء[7] الرياحى (ت، ٧٧هـ/ ٦٩٦م)، فقال يزيد بن حبناء[8]:

---

(١) هي زوجة شبيب. ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ٤١٠؛ ابن خلكان، وفيات، ٢/ ٤٥٤.
(٢) عمران بن حطان السدوسي من شعراء الخوارج (ت، ٨٤هـ/ ٧٣٠م). ترجمته: الجاحظ: البيان، ١/ ٤٧؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٨/ ٥٠.
(٣) شعر الخوارج، ١٦٦. ينظر: ما قاله عتاب أصيلة الشيباني، ١٨٢-١٨٣.
وحول غزالة ينظر: ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٤؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٤٥٤.
وحول ما قاله مصقلة بن عتبان الشيباني ينظر: المسعودى: مروج، ٣/ ١٩٣.
وما قاله ايمن بن خريم: ديوانه، ٤٣.
(٤) خليقات، عوض محمد: نشأة الحركة الأباضية (مطابع دار الشعب، عَمّان، ١٩٧٨م)، ٧٣.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٤١.
(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٥٧-٢٦٧.
(٧) نسبه عند ابن الكلبى: مهرة، ٢١٧.
(٨) يزيد بن حبنءا بن عمرو. ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ١/ ٢٢٠.

ونجى ابن ورقاءَ الرياحى سابحٌ　　　شديدُ مَناطِ القصرين عثمثمِ[1]

فقال أحد الخوارج:

ألوَت بعتّابٍ شوارد خيلنا　　　ثم أنثنت لكتائِبِ الحجاجِ[2]

ووقع الاختلاف بين الأزارقة أصحابَ قطرى بن الفجاءَة، فخالفه بعضهم واعتزله، وبايعَ عبدربه الكبير[3]، وأقام بعضهم على بيعة قطرى. فنهض إليهم المُهلب، فقاتلوه قتالًا شديدًا، فلما اشتد الحصار على قَطرى حاول الهرب[4]، فقال له أحد أصحابه:

فَمت قطرى إن فى الموتِ راحةً　　　وأنت لديهِ لا محالة صائِرُ[5]

وقال كعب بن معدان الأشقرى مشيرًا إلى أيام المهلب:

حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد　　　شُبت لنا ولهم نارٌ لها شَرَرُ[6]

وعن أيام المهلب فى قتالِ الخوارج فى سابور[7]، قال مجاهد بن عظيم التميمى:

إنما تطمع الأزارق فى الحر　　　بِ إذا لم يكن قتالَ حبيب

فإذا وُلى القتالَ حبيبٌ　　　فلهم عند ذاكَ كِنه نحيب

---

(١) شعر الخوارج، ٨٤. ينظر: ما قاله عبدالواحد الأزدي في هزيمة سبب في السبخة، ١٨٤.

(٢) الأبيات لحبيب بن خدرة الهلالي مولاهم ينظر تمامها. شعر الخوارج، ٢١٠-٢١١؛ ديوان الخوارج: ٤١.

(٣) ترجمته: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٠١.

(٤) نفسه، ٦/ ٣٠٠-٣٠٤.

(٥) هو حصين بن حفصة السعدي، شعر الخوارج، ١٠٤. ينظر: تمام القصيدة وينظر: قول عبيدة بن هلال اليشكري في عبد ربه الكبير، ٩٨ وأحد الأزارفة، ١٣٤.

(٦) شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٣٩٨. للمزيد، ٣٩٦، ٤١٣.

(٧) شاه بور، قرب شيرا. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٦٧ (سابور).

سَـل لعمـورِ القـنا غـداةَ كـنا الـ ـمهـرة والـسِّنان مـنه خـضيب[1]

وفى ذلك يقول المغيرة بن حبناء:

إن المهلـــب فـــى الأيـــام فـــضله علـــى مـــنازل أقـــوام إذا ذكـــروا[2]

وكان المهلب يعلم جُنده تَعليمًا حرفيًا صارمًا، حتى أن المغيرة بن حبناء حاوره بعد أن انتهى من إحدى خطبه شعرًا، فقال:

يعلمـــنا المهلَّـــبُ كـــلَّ يـــومٍ قِـــتالَ القـــومِ تَعلـــيم الكِـــتابِ
ويلبـــسنا الـــسِّلاح إذا أمـــنَّا لـــنحذقَ لبـــسَهُ والـــنقع كـــابِ
وعـــابَ حياتـــنا بـــالجبن حتـــى كـــأن حياتـــنا ديـــن المُعـــابِ
ويجـــزى المحـــسنين بمـــا أتـــوه ويعفـــى المذنـــبين مـــع العـــتابِ
ويـــضرب دونـــنا بالـــسيف صَـــلتاً ويـــضرب كـــلَّ مطـــرِّدِ الكعـــابِ[3]

وحاصر سفيان بن الأبرد الكلبى[4] فى سنة (٧٧هـ/ ٦٩٦م)[5] الخوارج من أصحاب عبيدة بن هلال، فأمر سفيان مناديه فنادى فيهم: أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن، فقال عبيدة:

لعمـــرى لقـــد قـــام الأَصـــمُ بخطـــبةٍ لـذى الـشَّك منها فى الصُّدورِ غَليلُ
لعَمـرى لـئن أعطـيت سُـفيانَ بَيعتـى وفارقـــت دينـــى إننـــى لجَهـــولُ[6]

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٣٧. ينظر: ما قاله عمرو لاقنافي شعر الخوارج، ٨٨، ١٣٥.
(٢) شعره، شعراء أمويون، ٣/ ٧٨.
(٣) شعراء أمويون، ٣/ ٨٠-٨١.
(٤) من بني حارثة بن جناب من كلب. ينظر: ابن حزم: جمهرة، ٤٥٧.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١١.
(٦) شعر الخوارج، ١٠٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١١. ينظر الأبيات (١-٨).

وفيها تقاعس أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد[1] (ت، ٨٧هـ/ ٧٠٥م) عن الجهاد فكتب أهل خراسان إلى الحجاج:

أحجاج بن يوسف أنتَ راعٍ　　وراعى القوم يحفظ ما أضاعُوا
وإنا معشر من جَذم قَيسٍ　　لنا فى الناسِ مكرمة وباعُ[2]

ولما أحرق أميَة السفن قال أحد أصحابه:

تركت أمرك من جبنٍ ومن خَوَرٍ　　وجئتنا حُمُقًا يا ألامَ العَربِ
لما رأيتَ جبالَ السُّغد مُعرضَةً　　ولَيتَ موسى ونوحًا عُكوةَ الذَنَبِ[3]

وعبر أمية نهر بلخ[4]. فقال عبدالرحمن بن خالد المخزومى[5]:

ألا أبلغ أمية أن سيُجزى　　ثوابَ الشَّرِ إن له ثوابا[6]

وفى سنة (٧٨هـ/ ٦٩٧م)[7] كان هلاكَ شبيب وقطرى وعبيدة بن هلال وعبد ربه الكبير من زعماء الخوارج، وكان قطرى يرتجز يوم قتل شبيب ويقول:

أنا أبو نعامَة الشيخ الهبَلّ　　أنا الذى وُلدت فى أُخرى الإبل[8]

وهو حين يوثق الحدث فى شعره يكشف عن صورة واضحة لحقيقة قلبه وعقله، فهو صدى لعقيدة الخوارج، فى مجابهة الموت ومقارعة الخصوم، فرثاهم الأصم الضّبى[9] فقال:

---

(١) أموي النسب. ترجمته: ابن حيان: الثقات، ٤/ ٤٠؛ ابن حجر: تهذيب، ١/ ٣٢٥.
(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٧/ ١٦.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١٣.
(٤) مدينة مشهورة بخراسان. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٧٩ (بَلخ).
(٥) عبدالرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة. الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١٧.
(٦) نفسه.
(٧) الطبرى: تاريخ، ح٦/ ٣١٨.
(٨) شعر الخوارج. ص١٢١.
(٩) هو قيس بن عبدالله، أحد بني عبدمناة بن بكر بن سعد بن ضبة، شاعر كان حرُوريًا. ترجمته: الآمدى: المؤتلف، ٥٢.

ذكرتُ الشّراة الصالحينَ وقَد فنوا ... وذكرَّني أهلَ القُرانِ السذوّرُ
بقومِسَ فارفضت من العين عَبرةً ... يجودُ بها رَيعانها المتحدرُ
فقلت لأصحابى قفوا حين أشرفوا ... قليلًا لكى نَبقى وقوفًا وننظرُ
إلى بلدِ الشارين أضحت عظامُهُم ... تضمَّنها من أرضِ قومسَ أَقصُرُ[1]

وغزا شريح بن هانى الحارثي[2] (ت، ٧٩هـ/ ٦٩٨م) سجستان فى سنة (٧٩ هـ/ ٦٩٨م)[3] فكان يرتجز ويقول:

أصبحتُ ذا بث أقاسى الكِبَرا ... قَد عِشتُ بين المشركينَ أعصَرا
ثُمَّتَ أدركتُ النبى المُنذِرا ... وبعدَهُ صِدِّيقَهُ وعُمرا
ويومَ مهرانَ ويمَ تُستَرَا ... والجَمعَ فى صفينهم والنهرا
وباجُمراتٍ مع المُشقرًا ... هيهات ما أطولَ هَذا عُمُرا[4]

ذهب سيل الجحاف بالحُجَّاج بمكةَ سنة (٨٠هـ/ ٦٩٩م)[5] فى يوم الاثنين، فقال الراجز:

لم تَر عينى مِثلَ يوم الاثنينِ ... أكثرَ محزونًا وأبكى للعينْ
وخرج المخبَّات يسعينْ ... ظواهرًا فى جبلين يَرقينْ
وذهب السيلُ بأهل المصرينْ[6]

---

(١) شعر الخوارج، ١٢٧؛ ينظر حول أحداث الجوع في هذه السنة ما قاله أعشى همدان في ديوانه، ٣١٧.
(٢) شريح بن هاني بن فريد الحارثي، أبو المقدام. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٤/ ٣٥٣؛ ابن جر: تهذيب، ٤/ ٢٩٠.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٢٢.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٤٥١.
(٥) سمى بذلك لأنه ذهب بكثير من الحاج وأمتعتهم ورحالهم. ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ٣٥٧.
(٦) نفسه، ٣٥٧.

وفى سنة (٨١هـ/ ٧٠٠م)(١) قتل بحير بن ورقاء الصُّريمى بخراسان، وكان الأبناء توعوده، فقال:

توَعَّدنـــى الأبـــناء جهلًـــا كأنمـــا ... يرون فِنائى مُقِفرًا من بنى كعب(٢)

فحضَّ عليه عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد، أحد بنى عوف بن سعد من الأبناء رجلًا من آل بكير، فقال:

فلو كنتَ من عوفِ بن سعد ذُؤابةً ... تـــركتَ بَحـــيرًا فـــى دَمٍ مُتَرقـــرق

فقـــل لـــبحَيرٍ نم ولا تخـــشَ ثائِـــرًا ... بعـــوفٍ فعـــوفٌ أهـــل شـــاةٍ حَـــبَلَّقِ

- - - - - - - - - - - - - ... - - - - - - - - - - - -

فلـــو كـــان بكـــر بـــارزًا فـــى أداتِـــهِ ... وذى العرش لَـم يُقدم عليه بحيرُ(٣)

وفى سنة (٨١هـ/ ٧٠٠م)(٤) خالف عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث(٥) (ت، ٨٤هـ/ ٧٠٣م) الحجاج ومن معه من جند العراق، فتمثل حين سار:

خلـــعَ الملـــوكَ وســـارَ تحـــتَ لـــوائِهِ ... شَـــجرُ العُـــراءِ عراعـــر الأقـــوامِ

وأغـــرُّ مِـــن ولَـــدِ الأرقـــامِ ماجـــدٍ ... صـــلتُ الجـــبينِ مُعـــوَّدُ الإقـــدامِ(٦)

فأخذ يستميل عُبَّادَ أهلِ الكوفةِ وقُرائهم حتى خرجوا معه وآتيهم الناس، ثم انقاد إلى طاعته أهل البصرة فبايعوه على حرب الحجاج وخلع عبدالملك(٧). فلما بلغ الحجاج ذلك كتب إلى عبد الملك يسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه، متمثلًا بقوله:

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣١.

(٢) نفسه، ٦/ ٣٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٤٥٧.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣١. ينظر ما قاله أحد الأبناء: ٦/ ٣٣٤.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٤.

(٥) من كندة خالف الحجاج فقتل. ترجمته: الذهبي، العبر: ١/ ٧٤؛ ابن حجر: تهذيب: ٦/ ٢٣.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ الدينورى: الخبار، ٣١٧؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٣١.

(٧) ينظر: الدينورى: الأخبار، ٣١٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤١؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٣١؛ الأصفهانى: الأغاني، ٦/ ٤٦.

سائِل مجاور جَرمٍ هل جنيتُ لهم ... حَربًا تُفرِّقُ بين الحيرةِ والخُلُطِ
وهل سَموتُ بجرَّارٍ لَهُ لجَبٌ ... جَمٌّ الصَّواهلِ بين الجمِّ والفُرُطِ
وهل تركتُ نساءَ الحى ضاحيةً ... فى سَاحةِ الدارِ يستوقِدْنَ بالغُبطِ[1]

فكتب إليه عبدالملك كتابًا وجعل فى طيه جوابًا لابن الأشعث:

ما بللُ مَن أسعى لأجبُرَ عَظمهُ ... حِفاظًا وينوى من سَفاهةٍ كَسري
أظنُّ خُطوبَ الدَّهرِ بينى وبينهم ... ستحملُهُم منى على مَركبٍ وعرِ
وإنِّى وإيّاهم كَمن نَبَّهَ القَطا ... ولو لم تَنبَّهْ باتت الطَّير تَسرِي
أناةً وحلمًا وانتظارًا بهم غَدا ... فما أنا بالوانى ولا الضَّرِعِ الغُمرِ[2]

وخرج ابن الأشعث من سجستان إلى العراق كان بين يديه أعشى همدان[3] يرتجز:

شَطَّت نَوى مَن دارُهُ بالإيوانْ ... إيوانُ كِسرى ذى القِرى والرَّيحانْ
فالبند ينجينِ إلى طرداستانْ ... فالجسرِ فالكوفة فالغريَّانْ
من عاشقٍ أضحى بزابُلستان ... إن ثَقيفاً منهم الكّذابان
كَذابُها الماضى وكذابٌ ثانْ ... أمكن ربى من ثقيف هَمدان[4]

إذ يوثق هذا الرجزك الغطريف (عبدالرحمن) وقبائل قحطان وبنى معد بن عدنان ومذحج وهمدان، ويهدد الحجاج وابن مروان. ويدعو الأخنس بن غياث[5] بن الأشعث بالأزهر حينما يخاطب الحجاج بقوله:

---

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ المبرد: الكامل، ١/ ١٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٨.
(٢) المبرد: الكامل، ١/ ١٦١.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٧.
(٤) ديوانه، ٣٤١-٣٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٧. وينظر: رجز ابنة سهم بن غالب الهجيمي حيث وصف عبدالرحمن بالمنصور. البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٣٤.
(٥) أحد بني صعب بن وهب من نزار، شاعر فارس. ترجمته: الآمدي، المؤتلف، ٣٠.

أَلَـم تَـر أن الأزهـرَ بـن محمَّـدٍ		لمـا عـاقَ مـن المحلِّـينَ مانِـعُ
رآهـم أناسًـا يـنطقونَ عـن الـهَـوى		بَـديعًا ومـا فـى المحكمـاتِ بدائِـعُ[1]

وفى سنة (٨٢هـ/ ٧٠١م)[2] كانت وقعة الزاوية[3] بين الحجاجج وابن الأشعث، وفيه قتل الطفيل بن عامر بن واثله[4] ت، ٨٢هـ/ ٧٠١م)، وقد كان وهو بفارس يقبل مع عبدالرحمن من كَرمان[5] الحجاج:

ألا أبلـغ الحجـاجَ أن قـد أظلَّـهُ		عـذابٌ بأيـدى المؤمـنينَ مُـصيبُ
مَتـى نَهـبِط المِصرين يَهـرُب مُحمَّـدٌ		ولـيس بمُنجـى ابـن اللعينِ مُصيبُ[6]

وأصيب الحَريش بن هلال السَّعدى، وكان يقاتل قتالًا شديدًا ويرتجز:

أنـا الحَـريش وابـو قُدامَـه		أضـربُ بالـسيف مقـبلَ الهامَـهْ
أشـجع مـن ذى لِـبدٍ ضـرغامَه[7]

وخرج أَبو جلدة اليشكرى[8] بين الصَّفين وهو يقول:

تـركناهُمُ صَـحنَ العـراقِ وناقلـت		نـبأ الأعوجـيَات الطِّـوالِ الـشَّرامِحُ
فقـل للحَـواريَّاتِ يـبكن غيرنـا		ولا تبكـنا إلا الكِـلابُ الـنوابِحُ[9]

---

(١) نفسه.
(٢) ابن خياط، تاريخ، ١/ ٢٨٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤٢.
(٣) موضع قرب البصرة كما في ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢١٨ (الزاوية).
(٤) أحد بني كنانة بن خزيمة بن مدركة. ترجمته: الآمدى: المؤتلف، ٢١٨؛ ابن الكلبى: جمهرة، ١٤٦.
(٥) ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٥٤ (مكران).
(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤٣. ينظر ما قاله أبو حراية عن ابن الأشعث. البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٣٥.
(٧) البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٥٠-٣٥١. وينظر: رثاء حميدة بنت زياد لأبيها، الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤٤.
(٨) أبو جلدة بن عبيدة بن منقد، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج. ينظر: الأصفهانى: الأغاني، ١١/ ٢٩١.
(٩) شعره، شعراء أمويون، ٤/ ٣٣٧.

وقال أبو الطفيل[1] (ت، ١٠٠هـ/٧١٨م) يرثى ابنه وقد قتل مع ابن الأشعث:

وسار من أرضِ خاقانَ التى غَلَبت ... أبناء فارِسَ فى أرجائِها غَلَبا
حتى وردتَ حياضَ الموتِ فانكشفت ... عنكَ الكتائِبُ لا تُخفى لها عَقِبا
ومن سَجستانَ أسبابٌ تزينّها ... لكَ المنّيةُ حِينًا كان مُجتنَبا[2]

كان البَراء بن قَبيصة بن ابى عقيل مع الحجاج فانهزم، فقال الحجاج لا آمنته إلا أن أضربه ضربة بالسيف، فقال:

أخوف بالحجاجِ يومًا ومن يكن ... طريدةُ ليث العراقينِ يغَرَقِ[3]

وصبر آل سعيد بن العاصِ مع الحجاج فقال عبيد بن موقف كاتب الحجاج ومولاه:

لعمرى لَقد فرَّ البراء وابن عمهِ ... وفرت قريشٌ غيرَ آل سعيدِ[4]

وقال العجاج يمدح الحجاج ويعرض بأصحاب ابن الأشعث:

فوجدوا الحجاجَ يأبى الهضَّا
لا فانيًا ولا حديثًا غَضّا
ومن صريح الأكرمين مَحضا[5]

---

(١) عامر بن وثالة بن عبدالله الكناني شاعر أموي مقل. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ح١٥/ ١١٤؛ البغدادى: خزانة، ٣/ ٤١.

(٢) أبو الطفيل، عامل بن واثلة الكناني (ت، ١٠٠هـ/٧١٨م): ديوانه، تحقيق. الطيب العشاش (مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٢٧.

(٣) البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٧.

(٤) يعني مصعب بن عبدالله بن عقيل. نفسه، ١١/ ٣٤٧.

(٥) ديوانه، ٩١. ينظر: أيضًا رائيته، ٣٩٢ وما بعد. ونونية الفرزدق في ديوانه، ٢/ ٣٢٨.

وفى سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م)[١] كانت وقعة دير الجماجم[٢]، فقاتله فيها سفيان بن الأبرد الكلبى، فقال أعشى همدان وكان مع ابن الأشعث:

وكــرت لعيــنا خــيل سُــفيان كَــرَّةً بفرســـانِها والـــسَّمهرى مَقـــصدا
وسُـــفيان يهـــديها كـــأنَّ لـــواءَه من الطَّعنِ سِندٌ باتَ بالصِّبغ مُجسدًا[٣]

توثق هذه القصيدة سير المعركة بوضوح تام فتعبر عن أثر الشعر فى طبيعة الحدث التاريخى، فالشاعر يصف طبيعة هزيمة العراقيين وتشتت جموعهم، وكيف كان الحجاج يكافحهم حيث يقول:

فمـا لـبث الحجـاج أن سـلَّ سـيفه علـيـــنا فـــولى جمعـــنا وتـــبددا
ومـــا زاحـــفَ الحجـــاج إلا رأيـــتَهُ مُعانًـــــا مُلقًـــــى مُعـــــوَّدًا[٤]

ويبدو أن الأعشى قالها بعد هزيمة ابن الأشعث وانتصار جيش الحجاج؛ لأن فيها إطراء لشجاعة الحجاج كمحاولة لكسب وده وتخليص رقبته من سيفه، ولكنه لم يفلح.

وقال أحد الشعراء:

إن يهلـك الحجـاج فالمـصرُ مـصرُنا وإلّـــا فمـــثوانا بديـــر الجمـــاجمِ[٥]

وقال آخر:

ضـــربًا يُـــزيل الهَـــامَ عـــن مقـــيلهِ ويـــذهلُ الخلـــيلَ عـــن خلـــيلةِ[٦]

---

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٤ وفيه (سنة ٨٢)؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥٧.

(٢) بظاهر الكوفة، والجمجمة: القدح من الخشب، وسمي بذلك لأنه كان يعمل فيه الأقداح من الخشب. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٥٠٣-٥٠٤ (دير الجماجم).

(٣) ديوانه، ٣٢١.

(٤) ديوانه، ٣٢٠.

(٥) البكرى: معجم ما استعجم، ٢/ ٥٧٤. والأبيات للضحاك اليربوعي.

(٦) المسعودى: مروج، ٣/ ١٣٣. ينظر في هذا المكان ما قاله النابغة الجعدي.

وحذرت ليلى الأخيلية[١] (ت، ٨٠هـ/ ٧٠٠م) عبد الرحمن بن الأشعث من محاربة الحجاج فقالت:

فدونكها فَذُق كأسًا قتولاً | على طَعمين: ممقورٍ وسُمٍّ[٢]

وأخفق ابن الأشعث فى ثورته بعد أن انتبهت الترك ما كان بيد العرب الذين معه، فضَلَّ نفسه فى الطريق[٣]. فكَانت هزيمته القاتلة فى مسكن سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م)[٤] تمهيدًا لمقتله فى سنة (٨٥هـ/ ٧٠٤م) حين جىء برأسه إلى الحجاج فقال:

أبى حينه والموت إلا تَهوُّرا | فصادَفَهُ عبَلُ الذراعِ شَتيمُ
كريُه المحيا باسِلٌ ذو عزيمَةٍ | فَروسٌ لأعناقِ الكُماةِ أزيمُ[٥]

وحين أُرسل رأس ابن الأشعث إلى عبدالملك، قال متمثّلًا:

أرادت عِرارًا بالهوان ومن يُرد | لعَمرى عِرارًا بالهَوانِ فقد ظلم[٦]

أتى الحجاج بأعشى همدان، فقال: إيه يا عدو الله! أنشدنى قولك: "بين الأشج وبين قيس"[٧]، أنفِذ بيتك، قال: بل أنشدك ما قلت لك؛ قال: بل أنشدنى هذه؛ فأنشده داليته التى يقول فى مطلعها:

أبى الله إلا أَن يُتمم نُورَه | ويُطفئ نورَ الفاسقين فَيَخْمُدا[٨]

---

(١) ليلى بنت الأخيل من عقيل بن كعب، شاعرة إسلامية أموية صاحبة توبة الحمير.
ترجمتها: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٦٠؛ الأصفهانى: الأغاني، ١١/ ١٩٤.

(٢) ليلى الأخيلية (ت، ٨٠هـ/ ٧٠م): ديوانها، تحقيق خليل العطية وإبراهيم العطية (دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ١٦٦.

(٣) أبو عبيدة: النقائض، ١/ ٤١٣.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٦٦، ٣٨٩.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٩.

(٦) المبرد: الكامل، ١/ ١٦٠.

(٧) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٧٥-٣٧٦.

(٨) ديوانه: ٣٢٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٧٦.

حتى أكملها، فقال: أهل الشام: أحسن، اصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إنا لسنا نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف إلا يكون ظهر وظفر، وتحريضًا علينا، وليس عن هذا سألناك، أنفذ لنا قولك:

بين الأشج وبين قيس باذخ

فأنفذها، فلما قال:

بَخْ بَخْ لوالدِهِ وللمَولودِ

قال الحجاج: لا والله لا تبخبخ بعدها لأحدٍ أبدًا، فقدمه فضرب عنقه[1].

وكان الأعشى هجا الحجاج فى عدة قصائد، منها قوله:

مَن مُبلغ الحجاجَ أنى قد نَدبت إليه حَربا
حربًا مذكرَة عَوانا تتركُ الشُّبان شُهبا
وصفقتُ فى كفٍّ امرئ جُلدٍ إذا ما الأمرُ عَبّا
لابن الأشج قريع كندة لا أبين فيه عَتبا
أنتَ الرئيسُ ابن الرئيس وانتَ على القوم لعبا
نبئت حجاجًا بن يوسف خَرَّ من زلقٍ فتبًّا[2]

مما يجعل هذه الثورة ذات نزوع طبقى ودينى نتيجة شدة وطأة الحجاج على أشراف أهل الكوفة، إذ أنف أشراف القبائل من معاملة

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٧٨. والشعر للأعشى، ديوانه، ٢٣٢. ينظر موقف آخر للأعشى عند الأصفهانى: الأغاني، ٦/ ٥٨ وديوانه، ٣٤٢.

(٢) ديوانه، ٣١١-٣١٢.

الحجـاج الجـارحـة، وهـو ممثـل سلطان الدولة، وهو ما يعكسه شعر أعشى همدان[١].

وحين رأى عبدالملك من الحجاج إسرافًا فى قتل الأسرى كتب إليه فى أسفل كتابه:

إذا أنـتَ لم تـترك أمـورًا كـرهتها وتطلـب رضـائى بالـذى أنـا طالِـبه

فى سبعة ابيات، فأجابه الحجاج فى أسفل كتابه فى سبعة أبيات أيضًا:

إذا انــا لم أتــبع رضــاك وأتقــى إذاكَ فيومــى لا تــزولُ كواكَــبهُ[٢]

وغزا المفضل[٣] بن المهلب بن ابى صفرة (ت، ١٠٢هـ/ ٧٢٠م) سنة (٨٥هـ/ ٧٠٤م)[٤] خراسان فقال كعب بن معدان الأشقرى:

ترى ذا الغنى والفقر من كل مَعشرٍ عـصائِبَ شتّـى ينـتوُون المفـضّلا[٥]

وفى سنة (٨٥هـ/ ٧٠٤م)[٦] أراد عبدالملك خلعَ أخيه عبدالعزيز، فنهى عن ذلك، فلما توفى بمصر فى جمادى الأولى من هذه السنة، وكان الحجاج زين لعبد الملك بيعة الوليد فأوفد وفدًا عليهم عمران[٧] بن عصام العنزى، فقال:

أمــيرَ المؤمــنين إلــيك نُهــدى علــى الــناى التحـيةَ والــسَّلامَا

---

(١) فلهوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ترجمة محمد عبدالهادي أبو زيد، مراجعة حسين مؤنس (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م)، ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) المسعودى: مروج، ٣/ ١٣٤-١٣٥؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٣٥-٣٦.

(٣) الأزدي، أبو غسان، اشترك مع أخيه يزيد في ثورته. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٧/ ٤٩٦؛ ابن حجر: تهذيب، ١٠/ ٢٤٦.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٩٧.

(٥) شعراء أمويون، ٢/ ٤١٤. ينظر إشادته بيزيد بن المهلب في غزو قلعة (باذغيس): ٢/ ٤١٦.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٢-٤١٣.

(٧) القاص الشاعر. ترجمته: ابن حجر: تهذيب، ٨/ ١١٩.

أجبنـى فـى بنـيك يكُـن جوابـى لهــم عاديــةً ولـــنا قـــواما
فلـــو ان الولـــيدَ أُطـــاعُ فـــيه جَعلــتَ لــه الخِلافــةَ والــذِّماما[1]

وبعد أن فرغ الشاعر من إنشاد قصيدته، قال له عبدالملك: يا عمران، إنه عبدالعزيز، قال: احتل له يا أمير المؤمنين[2]. وهذا ما يشكك بنوايا عبدالملك نحو أخيه حين تمثل فقال:

يــا أيهــا المتمنــى أن تكــون فتــىً مثل ابن ليلى لقد خلّى لك السبلا
إن تَرَحلِ العيس كى تسعى مساعيه يشفِقْ عليكَ وتعمل دون ما عملا[3]

وكان نابغة[4] بنى شيبان (ت، ١٢٥هـ/ ٧٤٢م) منقطعًا على عبدالملك مداحًا له، فدخل إليه فى يوم حفل والناس حواليه وولده قدامه، فأنشده:

لابـــنكَ أولى بمُلـــكِ والـــدِهِ ونجــمُ مــن قــد عــصاك مُطــرَّحُ
داود عـــدل فـــاحكُم بـــسيرتِهِ ثــم ابــنُ حــربٍ فــإنَّهم نَــصحوا[5]

فتبسم عبدالملك ولم يتكلم فى ذلك بإنذار ولا دفع؛ فعلم الناس أن رأيه خلع عبدالعزيز[6].

ولعل ذلك حصل بتوجيه من عبدالملك كما فعل مسكين الدارمى حينما أشار إلى تولية يزيد بن معاوية، ثم أضاف إليها سيرة داود بتأثير نصارنيته، وما يؤكده قول

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٣؛ ابن كثير: البداية؛ ٩/ ٥٩.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٤.
(٣) الخارجي، محمد بن بشير: شعره، تح: محمد خير البقاعي (درا قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ١٠٣.
(٤) عبدالله بن المخارق بن سليم الشيباني. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ١٠٤؛ الآمدى: المؤتلف، ٢٩٤.
(٥) النابغة الشيباني، عبدالله بن المخارق (ت، ١٢٥هـ/ ٧٤٢م): ديوانه: تحقيق عبدالكريم إبراهيم يعقوب (وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٧م)، ٢٢٣-٢٢٤ مع اختلاف الترتيب.
(٦) الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ١٠٦.

عبد العزيز: لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلًا ضيقًا فأوردها موردًا خطراً[١].

وهو ما يعكس طبيعة التأسى عليه عند الفرزدق فى قوله:

إن ابـن ليلـى بـأرض النـيل أدركـه   وهـم سـراع إلى معـروفه، القـدر[٢]

مما يشير إلى اثرِ عبد العزيز فى نشاط الشعرِ بمصر، فبمجرد أن مات خمد هذا النشاط الطارئ[٣].

وفى هذه السنة بايع عبدالملك لابنيه: الوليد، ثم من بعده لسليمان، وجعلهما وليى عهد المسلمين، وكتب بيعته لهما إلى البلدان[٤]. وقال حين كتب إلى الوليد بوصيته، منها قوله:

أنفـوا الـضغائنَ عـنكُم وعلـيكم   عـند المغـيبِ وفـى حـضورِ المـشهدِ
فـصلاحُ ذات الـبينِ طـول بقـائِكم   إن مُـدَّ فـى عُمـرى وإن لم يُمـدَدِ
فلمـثلِ ريـب الدَّهـرِ ألّـفَ بيـنكم   بتواصـلٍ وتـراحمٍ وتـودُدِ
حتـى تلـين جلـودكم وقلـوبكم   بمـسَّودٍ مـنكم وغيـر مـسوَّدِ
إن القـداحَ إذا اجـتمعنَ فَـرامها   بالكَـسرِ ذو حَـنَقٍ وبطـشٍ بالـيَّدِ
عـزت فلـم تكسر، وإن هـى بـددت   والـوهن والتكـسير للمـبدد[٥]

وفى سنة (٦٨هـ/ ٧٠٥م)[٦] كان هلاك عبدالملك بن مروان، إذ دخل عليه الوليد فجعل يبكى عليه. وقال: كيف أصبح أمير المؤمنين؟ فقال عبدالملك:

ومـشتغل عـنا يـريد بـنا الـرَّدى   ومـستعبراتٍ والعـيون سـواجِمُ

---

(١) نفسه.

(٢) ديوانه، ١/ ١٨٦.

(٣) ضيف، العصر الإسلامى: ص١٦٧.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٦.

(٥) المسعودى: مروج، ٣/ ١٦٦.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٩٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٨.

أشار بالمصراع الأول إلى الوليد، وأشار بالمصراع الثانى إلى نسائه، وهن المستعبرات، وقيل إنه قال:

كـم عائـدٍ رَجـلا ولـيس يعـوده ... إلا لينظـرَ هـل يـراه يَمـوتُ[1]

ورثاه أحد الشعراء فقال:

سقاك ابن مروانَ من الغيثِ مُسبلُ ... أجَـشٌ سَـمَاحى يجـودُ ويهطـلُ

فمـا فـى حَـياةٍ بعـد مـوتِك رغـبةٌ ... لحـرٌ وإن كُـنّا الولـيدَ نُـؤمِلُ[2]

لقد كان عهد عبدالملك بن مروان من العهود التى شهدت أحداثًا سياسية مهمة أثبت من خلالها على حنكة سياسية ومقدرة ناجحة فاستطاع تثبيت أركان دولته، وتلازم ذلك مع طول مدة حكمه، فاهتم الشعر والشعراء وتفاعل معهم، فكان يرى فى مدح كعب بن معدان الأشقرى للمهلب بن أبى صفرة[3] وولده أنموذجًا من تلاحم الشعر مع الأحداث والشخصيات.

(١) المسعودى: مروج، ٣/ ١٦٠.

(٢) البلاذرى: أنساب، ١١/ ٢٦٥.

(٣) المرزبانى: معجم الشعراء، ٢٣٦.

الفصل الرابع

المروانيون المتوسطون

(٨٦-١٠٥ هـ/ ٧٠٥-٧٢٣م)

الوليد بن عبدالملك بن مروان[1] (٨٦-٩٦هـ/ ٧١٤م)

استقرت أركان الدولة فى أواخر أيام عبدالملك بن مروان لما حققه من نجاح فى القضاء على الحركات المناوئة للسلطة الأموية لنجاحه أيضًا فى اختيار ولاة اثبتوا كفاءة عالية فى إدارة الأمصار بما يخدم التوجهات المركزية للخليفة. ولقد أثمرت هذه الجهود عن ظهور حالة من الاستقررا والهدوء النسبيين أيام الوليد بن عبدالملك فكان أول من بايعه بالخلافة هو عبدالله بن هَمَّام السلولى فقال:

الله أعطـــاكَ التـــى لا فـــوقَها ... وقـــد أرَادَ الملحـــدون عَـــوقَها
عَـــنكَ ويأبـــى الله إلاّ ســـوقَها ... إلـــيكَ حتـــى قَلّـــدوكَ طـــوقَها[2]

فكان لهذا أثره فى تثبيت الموقف السياسى، ومنه قول السلولى الذى كان توطئة لحدث تاريخى مهم غدا بمرور الزمن جزءًا من مسيرة الدولة وتقاليدها السياسية، فلا غرو أن يسهم الشعر فى نشرِ الأحداث وترسيخها فى أذهانِ الناسِ، انتقالها بين الأمصار.

ودخل على الوليد لما بويع بالخلافة يحيى بن أبى حفصة[3] فهنأه وعزاه وأنشده:

إنَّ المـــنايا لا تغـــادر واحـــدًا ... يمـــشى ببـــزَّتهِ ولا ذا جُـــنَّهْ
لـــو كـــانَ خلـــقٌ للمـــنايا مُفلـــتًا ... كـــانَ الخلـــيفةُ مُفلـــتًا منهـــنَّهْ
بكـــت المـــنايا يـــومَ مـــات وإنّمـــا ... بكَـــت المنابـــرُ فقَـــد فارســـنَّهْ

(١) ترجمته: الذهبى: سير، ٤/ ٣٤٧؛ الكتبى: فوات، ٤/ ٢٤٥.
(٢) ما تبقى من شعره، ١٩٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٢٣.
(٣) من موالي يل مروان جد الشاعر مروان بن أبي حفصة. ترجمته الأصفهانى: الأغاني، ١٠/ ٧٤.

لمـــا عَلاهُـــن الولـــيد خلـــيفةً قُلـــنَ ابـــنَهُ ونظـــيره فـــسكَنَّهْ
لـــو غـــيرهُ قَـــرعَ المنابـــرَ بعـــدَه لنكـــرنَه فطـــرحَنَهُ عنهـــنَّهْ[1]

يبدو أَنَّ الشعراء العرب قد أَلِفوا شعر التعزية المشفوعة بالتهنئة الذى بدا مع تَولى يزيد بن معاوية نتيجة رسوخ نظام الحكم الوراثى فضلًا عن كونه يجمع بين الحزن والفرح فيشير إلى غروب مرحلة وبدء مرحلة جديدة من خلال تولى الخليفة الجديد، وهو ما يبدو أيضًا على قصيدة عدى بن الرِّقاع العاملي:

وقَـــضى لـــك الله الخلافـــةَ بعـــدهَ وقـــضاءُ ربِّـــكَ نافِـــذٌ مفعـــولُ
فـــإذا لبيـــتك حـــين عُـــدَّ عمـــادُهُ عَـرَضٌ يـزيدُ علـى البـيوتِ وطُـولُ
بمجامـــعِ المـــصرين حـــيثُ تَلاقـــيا فَـــرعٌ مجامِـــعٌ شـــعبتيهِ أَصـــيلُ
إنَّ الخلافـــةَ لم يكُـــن ليطـــيقها إلا امـــروٌ للمُعـــضلاتِ حُمـــولُ[2]

فأشار إلى حقه الدينى فى تولى الخلافة وكفاءته فى إدارتها، فجمع بين الحق الإلهى وبين أهليته لها.

فى سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م)[3] تولى قتيبة بن مسلم الباهلي[4] إقليم خرسان من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى بعد أن عزل يزيد بن المهلب بن أَبى صفره[5]، فظهرت تأثيرات هذا الإجراء عند الشعراء، فقال الفرزدق:

بكـت جـزعًا مـروًا خراسـان إذ رأت بهـــا باهِلـــيًا بعـــد آل المهلـــبِ
تـــبدلت الظِّربـــى القـــصائد أنـــوفها بكـلِّ فنيقٍ يـرتدى السيف مصعب[6]

---

(١) نفسه، ١٠/ ٧٨.
(٢) شعره، ٢٠٨-٢٠٩، ينظر، ٢٢٠-٢٢١.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٤٢-٤٢٦.
(٤) ولي خراسان وأقام بها ١٣ سنة حتى قتل سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م). ترجمته. ابن خلكان: وفيات، ٤/ ٨٦، الذهبى: سير، ٤/ ٤١٠.
(٥) توفي سنة (١٠٢هـ/ ٧٢٠م). ترجمته: ابن خلكان: وفيات، ٦/ ٢٨٧؛ الذهبى: سير، ٤/ ٥٠٣.
(٦) ديوانه، ١/ ٤٢.

ثم إن السلوُلى ذهب أكثر من ذلك عندما فاضَلَ بين يزيد وقتيبة فى قوله:

أقُتيبُ قَد قلنا غداة أتيتنا بَدلٌ لعمرك من يزيد أعورُ
إنَّ المهلبَ لم يكُنِ كأبيكمُ هيهاتَ شأنكمُ أرقُّ وأحقَرُ
شَتَّان مِن بالصنجِ أدرك والذى بالسَّيفِ ضَمَّر والحروبِ تَسعَّرُ
حولانِ باهِلة الأُلى فى ملكهم ماتَ النَدى فيهم وعاشَ المُنكَرُ[1]

يبدو أنَّ الحجاج شعر بوجود خطر عليه من ولاية يزيد من المهلب بن أبى صفرة بعد أن اشتدت شوكته وعلت مكانته ومال الناس إليه ومنهم الشعراء ولذلك أقدم على عزله، بعد أن تفاقم أمر قبيلته الأَزد، وهو ما ولد ردةَ فعلٍ واضحة من إجراء الحجاج هذا حتى أن السلولى تعرض لباهلة وقتيبة وكأنه يستجيب لنوازع الحجاج العميقة فى داخل نفسه.

وفى سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م)[2] غزا قتيبة بيكند[3]، فقال الكميت بن زَيد الأَسدى[4]:

ويومَ بِيكَند لا تُحصى عجائِبُهُ وما بُخاراء مما أخطأ العَدَدُ
سُئِلتَ فلم تَمنع ولم تُعط نائِلاً فسيَّانَ لا ذَمٌّ عليك ولا حمدُ[5]

جمع الشاعر شجاعة قتيبة وشجاعته، فرسخ بشعره الحدث وقرنه بنفسه فأَسهم

(١) ما تبقى من شعره، ٢٢١.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٠٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٢٩.

(٣) بيكند: بكسر الباء وفتح الكاف، بلدة بين بخارى وجيحون. ياقوت: معجم البلدان ١/ ٥٣٣ (بيكند).

(٤) الكميت بن زيد بن الأخنس من بني أسَد، شاعر أموي كوفي (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٤م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٨٥؛ الآمدى: المؤتلف، ٢٥٧.

(٥) الأَسدي، الكميت بن زيد (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٤م): شعره، تحقيق داود سلوم، القسم الأَول (مطبعة النعمان – النجف، الناشر مكتبة الأندلس، بغداد ١٩٦٩م)، ١٥٤-١٥٥؛ البيت الأَول عند الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٣٢.

فى انتشار أخبار الانتصارات، وللوقوف بوجه شعراء الأَزد الذين صاحبوا آل المهلب من أَمثال ثابت قطنة وكعب بن معدان الأَشقرى؛ فقد هجا ثابت قطنة قتيبة فقال:

توافيت متَيمٌ فى الطِّعانِ وعرَّدَت بهيلَةُ لما عاينت معشرًا غُلبًا
كماةٌ كُفاة يرهب الناسُ حدهم إِذا مشَوا فى الحربِ تحسبهم نكبا
تُسامون كَعبًا فى العُلا وكلابُها وهيهات أن تلقوا كِلابًا ولا كَعب[1]

كما عرض كعبُ بن معدان الأشقرى بالحجاج ملمحًا على يزيد بن المهلب فقال:

إن ابن يوسف غَرَّهُ فى غزوكم خفضُ المقام بجانب الأَمصارِ
لو شاهدَ السُّفين حيث تَلاقيا ضاقَت عليه رَحيبة الأَقطارِ
من أَرض سابورِ الجنود وخيلُنا مثل القداحِ بريتَها بشفارِ
من كلٌ خنديذٍ يُرى بلبانهِ وقعَ الظُّباةِ مع القَنا الخِطارِ
لرأى معاودَة الرباعِ غَنيمةً أزمانَ كل محالفَ الأَقتارِ
فَدَّع الحروبَ لشيبها وشبابِها وعليكَ كلَّ غريرةٍ معطار[2]

شكل تولى قتيبة تحولًا فى صراعات القبائل وولائها للحجاج، فقد كانت قبائل الأَزد اليمانية تدين بولائها للتيار اليمين، وكان شعراؤها يتعصبون فى مدائحهم لولاة وكبار الرجال اليمنيين، سواء فى تضخيمهم لفروسيتهم، أمْ توليهم لمنجزاتهم[3].

---

(١) شعره، ٣٥؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٤/ ٣٥٧، ٢٧٤.

(٢) شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٤١٠-٤١١.

(٣) عطوان، حسين: الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي (مكتبة المحتسب بعمان، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م)، ١٩٧.

وفى سنة (٨٩هـ/ ٧٠٧م)[١] نزل قتيبة خرقانه[٢] فقاتل يومين وليلتين، فقال نهار بن توسعة[٣]:

وباتت لهم منا بخرقانَ ليلةً ... وليتنا كانت بخرقان أطْوَلا[٤]

لقد أثبت الشعر فى هذا الاتجاه أسماء المناطق الجغرافية وحدد الإقامة فيها من قبل المقاتلين وما فى ذلك من فائدة كبيرة من قبل المقاتلين وما فى ذلك من فائدة كبيرة فى حفظ الحدث التاريخى.

وفى سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨م)[٥] نقض نيزك زعيم السُّغد الصلح الذى تم مع المسلمين فغزاه قتيبة، فقال ثابت قطنة:

ولا تحسبنَّ الغدرَ حزمًا فربما ... ترقَت به الأقدام يومًا فزلت[٦]

وفى هذه الأثناء هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه فى السجن مع آخرين فلحقوا بسليمان بن عبدالملك (ت، ٩٦هـ/ ٧١٤م) مستجيرين به من الحجاج بن يوسف والوليد بن عبدالملك، فقال الفرزدق:

لم أر كالرَّهطِ الذين تتابعُوا ... على الجذع والحراس غير نيامِ

مضوا وهم مُتيقنون بأنهم ... إلى قدر آجالهم وحمامِ

وما منهم ألا يخفض جأشَه ... إليه بقلبٍ صارمٍ وحُسامِ[٧]

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٣٩.

(٢) بلدة قرب بخاري. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٦٠ (خرقانة).

(٣) نهارين توسعة بن/ بي عتبان، من شعراء بكر بن وائل بخراسان (ت، ٨٣هـ/ ٧٠٢م) ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والعشارء، ٣/ ٤٤٨؛ الأمدى: المؤتلف، ٢٩٦.

(٤) نهار بن توسعة (ت، بعد ١٢٠هـ/ ٧٣٧م): شعره، جمع وتحقيق د. خليل إبراهيم العطية، مجلة المورد، المجلد (٤) العدد (٤). بغداد، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥)، ١٠١، الطبرى: تاريخ؛ ٦/ ٣٤٩.

(٥) ٢٢ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٤٥.

(٦) شعره، ٣٧.

(٧) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٤٩.

كان ليزيد بن المهلب مكانة خاصة فى نفوس الشعراء، فحين قبض عليه الحجاج وأودعه السجن وولى قتيبة مكانُه رأى بعضهم أن فى ذلك تقييدًا للسماحة والجود[1]، والشجاعة، وأن خراسان بادت وصاح ذوو الحاجات: اين يزيد[2]؟ ولذا مدح الفرزدق سليمان لما أجارهم فقال:

لعزرى لقد أوفى وزادَ وفاؤه ... على كل جارٍ، جار آل المهلبِ
أمر لهم حَبلًا، فلما ارتقوا به ... أتى دونه بدَرءٍ ومَنكبِ
وقال لهم: حُلّوا الرحالَ، فإنَّكم ... هربتم، فألقوها إلى خيرِ مَهربِ[3]

يشير هذا الشعر إلى هروب آل المهلب والكيفية التى هربوا بها، وكان ثمة موافقة مسبقة من سليمان بهروبهم، ولكن الشاعر وظف طريقة الهروب بالجبال وجعل ذلك متوافقًا مع شفاعة ولى العهد لهم من الوليد والحجاج، وكان دليلهم رجل من قبيلة كلب اليمانية، اسمه عبدالجبار بن يزيد[4] الذى كان ينشد فى مسيرهم:

ألا جعل الله الأخلاء كلهم ... فداء على ما كان لابن المهلب
لنعم الفتى يا معشر الأزد أسعفت ... ركابكم بالوهب شرقى منقب
تمدلن يمينًا عنهم زمل عارلج ... وذات يمين القوم إعلام غرب
فلا تصبح بعد خمس ركابنا ... سليمان من أهل اللوى تتأوب
تقر قرار الشمس مما وراءنا ... وتذهب فى داج من الليل عيهب
بقوم هم كانوا الملوك هديتهم ... بظلماء لم يبصر بها ضوء كوكب

---

(١) ديوانه، ٢/ ٢٦٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٤٩.

(٢) زياد الأعجم، زياد بن جابر (ت، ١٣٢هـ/ ٧٤٩م): شعره. تحقيق يوسف حسين (دار المسيرة، بيروت) الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ١٠٧.

(٣) ديوانه، ١/ ١٩.

(٤) عبدالجبار بن يزيد بن الربعة الكلبي. ينظر: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٥٠.

ولا قمـــر إلا ضـــئيلًا كأنـــه ... سوار حناه صائغ السور مذهب[1]

فأشار هذا الشعر إلى مسيرتهم، حتى إن الطبرى استدل على أن دليلَهم كان من أشرافِ العرب من البيت الأول[2]. ويبدو أن سليمان كان يميل إلى القبائل اليمانية مثل كلب والأزد، فى حين كان الوليد يميل إلى القبائل القيسية مما أسهم فى تململ هذا الصراع من جديد فى خراسان فانبرى شعراء الأزد ينالون من قتيبة ويشيدون بآل المهلب[3].

وفى سنة (٩١هـ/ ٧٠٨م)[4] قتل قتيبة بن مسلم نيزك، فقال المغيرة بن حبناء:

لعَمرى لـنعمت غـزوة الجـندِ عـزوةً ... قـضت نحـبَها مـن نيـزكٍ وتعلّـتِ[5]

فلما أرسل قتيبة رأس نيزك مع مجفَن بن جَزء الكِلابى، قال سوار بن زَهدم الجَرمى[6]:

أقـــول لمِجفَـــن ســـنيحٌ ... وآخـرُ بـارحٌ مِـن عَـن يمينـى
وقَـد جعلـت بَوائِـقُ مـن أمـورٍ ... تـرفَّع حـولَه وتكـفُ دونـى
نـشدتُكَ هـل يَـسرك أن سـرجى ... وسَـرجك فـوقَ أبغُـل بـاذينِ[7]

وأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله الباهلى رهينَة لملك الجوزجان[8]، فقتله أهلها، فقتل قتيبة الرهن الذين كانوا عند[9]، نهار بن توسعة لتقية:

(١) نفسه.
(٢) نفسه.
(٣) ينظر: العبود، نافع توفيق: آل المهلب بن ابي صفرة ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري (مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٩م)، ٧٨.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٥٨.
(٥) نفسه. وهو غير مذكور في مجموع شعره.
(٦) نفسه، ٦/ ٤٥٩.
(٧) نفسه.
(٨) كورة واسعة من كور بلخ بخراسان. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ١٨٢ (جوزجان).
(٩) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٦٠.

أراكَ اللهُ فـــى الأتـــراكِ حكمـــا　　كَحُكْـــمٍ فـــى قُـــريظةَ والنَّـــضيرِ
قـــضاء مِـــن قُتيـــبةَ غـــيرُ جـــور　　بـــه يُـــشفى الغَلـــيلُ مـــن الـــصُّدورِ
فـــإن يـــرَ نيـــزكٌ خـــزيًا وذلا　　فكم فى الحربِ حمقَ مِن أميرا[1]

وقال المغيرة بن حبناء يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك ووصول ابن أخى نيزك، شقران:

أبلِـغ أبـا حفـصٍ قتيـبةَ مِلحتـى　　واقـرأ علـيه تحيتـى وسـلامِي
يـا سـيفُ أبلغهـا فـإن ثـناءَها　　حـسنٌ وإنَّـكِ شـاهِدٌ لمقامـي
يـسمو فَتَتَـضعُ الـرجالُ إذا اسَـما　　لقُتيـبةَ الحامـى حِمـى الإسـلامِ

إلى أن يقول

وبهـنَّ أنـزلَ نَيـزكًا مـن شـاهق　　والكـرزِ حـيَثُ يَـروم كُـلُّ مَـرامِ
وأخـاه شـقرانا سُـقيت بكأسِـهِ　　وَسَـقيتَ كأسـهُما أخـا بـناذامِ[2]

وثـق الشـاعر الحـدث وأسمـاء الشخصيـات التى شـاركـت بـه، وكـان المغيرة بـن حبـناء التيمـى من الشـعراء الفرسـان الذين واكبـوا الأحـداث فى خـراسان أيام المهلب مما يجعـل لشعـره وشعـرنها ريـن توسعـة البكـرى وثابـت قطنـة العتـكى الأزدى وكعـب بـن مـعدان الأشقـرى وحـاجب بن ذبيان التيميم.. وغيرهـم الـذين صـاحبـوا صراعـات الـعرب المسلمـين ضـد الترك فى خـراسان أهمية تاريخية لها اثرها فى توثيـق الأحـداث وكشـف الملابسـات التى رافقتـها. فكـان وصف نهار بن توسعة لموقـف قتيبة مع نيزك بأنه يشبه موقف النبى صلى الله عليه وسلم مع يهود قريظة والنضـير دعمًا لمـوقف قتيـبة، فقـد تشكـك الناس حتى

---

(١) شعره، ٩٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٦٠.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٦٠-٤٦١. والأبيات غير مذكور في مجموع شعره.

قالوا: "غدر قتيبة بنيزك[١] وتوجس الحجاج خيفة منه فقال: "بعثت قتيبة فتى غِرا فمازدته ذراعًا إلا زادنى باعا[٢]. فكان ذلك دفاعًا عن موقف قتيبة الذى تعرض للنقد بسبب صراعات القبائل وميل بعضها نحو آل المهلب على الرغم من حراجة موقف العرب المسلمين فى صراعهم المستديم مع أهالى تلك المناطق، ونيزك أحد قادتها الموتورين فليس من المستغرب أن يحاول استغلال الفرص لصالحه، وقد عرف عنه نكث المواعيد ونقض العهود، ولعل قتيبة شعر بخطره فتخلص منه فى الوقت المناسب؛ لذا خوف خصومهم حساده الحجاج من جموح طموحه وضخموا له موقفه مع نيزك، حتى أن الحجاج تمنى على قتيبة أن يرسل برأس نيزك مع ولد مسلم[٣] وكأنه يرى فى إجراء قتيبة انتقامًا وتقليلًا من شأنه، مع أن لكل موقف ظروفه التى تحتم عليه الإجراء المناسب. وكأن حفن بن جزء الكلابى يجيب الحجاج على تشككه حين تمنى العودة إلى الصين[٤]؛ لإحساسه بأن جهود قتيبة فى القضاء على نيزك لم تلق ما تستحق من الاهتمام فقد كان نيزك حجر عثرة بوجه توسع الفتوحات الإسلامية فى تلك الأصقاع البعيدة.

استمرت جهود قتيبة فى فتح مواقع جديدة لاستكمال جهود الوليد بن عبدالملك فى توسيع رقعة الدولة والإسهام فى نشر الدين الإسلامى بعد أن خمدت الاضطرابات والفتن على يد أبيه عبدالملك، ففى سنة (٩٣هـ/ ٧١١م)[٥] دخل قتيبة مدينةِ فيل[٦]، فقال كعب بن معدان الأشقرى:

رَمتك فِيل بما فيها وما ظلمَت ... ورامَها قبلكَ الفجفاحة الصلفُ

(١) نفسه، ٦/ ٤٥٩.

(٢) نفسه، ٦/ ٤٥٩-٤٦٠.

(٣) نفسه، ٦/ ٤٥٩.

(٤) نفسه، ٦/ ٤٥٩.

(٥) البلاذرى: فتوح، ٤١٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٧١.

(٦) مدينة ولاية خورازم. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٦ "فيل".

لا تُجزِئُ الثغر خوار القناة ولا ... هُشٌّ المكاسِرِ والقلب الذى يَجِفُ
هل تذكرون لَيالى الترك تَقتلهُم ... ما دونَ كازه والفجفاجُ مُلتحفُ
لم يركبوا الخيلَ إلا بعدما كبروا ... هم ثقال على أكتافِها عُنُفُ
إنى رأيت أبا حفصٍ تفضُّلُهُ ... أيامُهُ ومساعى الناس تختلِفُ
قيس صريح وبعض الناس مجمعه ... قرىً وريفٌ فمنسوبٌ ومقترفُ
لو كنت طاوعتَ أهلَ العجزِ ما ... سبعينَ ألفًا وعَز السُّغد مؤتَنِفُ
وفى سَمرقند أخرى أنت قاسمها ... لئن تخر عن حوبائِكَ التلَفُ[1]

يبدو شعر كعب الأشقرى صورة حية للأحداث حين حفظ أسماء الأماكن وعدد أفراد الجيش، ولكنه لم يكن متحمسًا حماسة كافية لقتيبة لميله على آل المهلب سبب أزديتهما، وهو ما ساقه إلى التصريح بقيسية قتيبة، حتى أن الطبرين رأى أن كعبًا قد روى البيت الثامن روايتين، الأولى: "ويمؤ السُّغد"، والثانية "وعزّ السُغد"[2].

واستمرت جهود قتيبة فى الفتح حتى استطاع فتح سمرقند[3] فصالح أهل السغد[4] فقال نهار بن توسعة:

وما كان مذ كنا ولا كانَ قبلنَا ... ولا هو فيما بعَدنا كابن مسلمِ
أعمَّ لأهلِ التُركِ قَتلًا بسيفهِ ... وأكثر فينا مَقسِمًا بعدَ مَقسمِ[5]

وكان قتيبة يؤنب نهار بن توسعة البكرى لرثائه المهلب بن أَبى صفرة وكيف قرن غزوه بالغنى وأن الندى والجود ماتا بعد المهلب[6]. بينما كان كعب الأشقرى الذى

---

(١) شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٤١٣-٤١٤؛ الطبرى: تارخي، ٦/ ٤٧١.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٧٢.
(٣) وهي قصبة السغد. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٤٦ (سمرقند).
(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٧٩.
(٥) شعرهن ١٠٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٧٩.
(٦) نهار بن توسعة: شعره، ٩٦.

ينتسب إلى الأَزد قبيلة المهلب يلمح إلى تفاقم أمر قتيبة ويحذر منه بصورة غير مباشرة، وهو يشير إلى جهوده فى فتح سمرقند، فيقول:

كُلُّ يومٍ يحوى قُتيبة نَهبًا ... يزيدُ الأموالَ مالًا حديدًا

بأهلى قد ألبس التاجُ حتى ... شابَ منه مفارقُ كُنَّ سُودًا

دَوَّخ السُّغد بالكتائِب حتى ... تركَ السغدَ بالقراءِ قُعُودًا

فَوليدٌ يبكى لفقدِ أبيه ... وابٌ مُوجعٌ يُبكِّى الوليدا

كلما حَلَّ بلدةً أو أتاها ... تركَت خليلُهُ بها أخدودًا[1]

فاستطاع الشعراء توثيق جهود قتيبة فى سمرقند فى تثبيت الوجود العربى الإسلامى واستمرار حركة الفتوح، فكان مثار اهتمام الشعراء، وتوجس الحجاج، ولعل الأشقرى كان يبغى هدفًا خفيًا حين شبهه بالملك المتوج.

وفى سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م)[2] غزا قتيبة حتى بلغ خُجَندَه[3]. فقال كيان وائل يذكر قتالهم:

فَسَلِ الفوارسِ فى خُجَنْـ ... ـدَةَ تحتَ مُرهفة العَوالي

هل كنتُ أجمعهُمُ إذا ... هُمِمُوا وأُقدِمُ فى قتالي

أم كنتُ أضرب هامة الـ ... ـعاتى وأصبر للعوالي

هذا وأنتَ قَريعُ قيـ ... ـسٍ كُلِّها ضَخمُ النِّضوالِ

وفضلت قَيسًا فى النَّدى ... وأَبوكَ فى الحِججَ الخوالي

ولقد تبيَّن عَدلك حكـ ... ـمِكَ فيهم فى كُلِّ مالِ

---

(١) الأشقرى: شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٣٩٣-٣٩٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٨٠.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٨٣.

(٣) بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيمون. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٤٧ "خجندة".

تَمــــت مـــــــروءتكُم ونــــــا غـــى عِـــزكُم غُلـــبَ الجِـــبالِ[1]

يكشف الشعر عن حدث دخول الجيش الإسلامى لهذه البلدة، وانتصاره فيها، ثم يحاول الشاعر أنَ يجعل من انتساب قتيبة لقبائل قيس موضوعًا للمديح، ويكشف عن ولاء قبائل قيس له حين وصفه بسيد قيس فى الندى، وبأن حكمه حكم عدل فى توزيع العطاء وعُدَّ ذلك من باب مروءته التامة وعزه العالي؛ لهذا تعد القصائد التى صاحبت حركات الفتوح وثائق مؤثرة فى تدوين الأحدَاث لأنها انطلقت من رحم الوقائع ومشاعر المشاركين فيها.

وفى سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م)[2] غزا قتيبة أرضَ الصين فسار الغزو عليهم هبيرة بن المُشمرج، فحلف قتيبة أن لا ينصرف حتى يطأ أرضهم، ويختم ملوكهم ويُعطى الجزية، فبعث وفدًا إلى الصين، فقال سوادة بن عبدالله السلولى:

لا عـيبَ فـى الـوفدِ الـذين بعثـتُهم للــصِّين أن ســلكوا طــريقَ المــنهجِ
كسروا الجفون على القَذى خوف الردى حاشــا الكــريم هــبيرة بــن مُــشَمَرج
لم يـرضَ غـير الختمِ فـى أعـناقهم ورهـــائِنٍ دُفعـــت بحمـــلِ سَـــمرَّجِ
أدى رســـالتَك التـــى اســـترعيتُه وأتـاكَ مـن حَـنثِ الـيمينِ بمخـرجِ[3]

فلما تعذر على قتيبة ما كان يريده من بلاد الصين أوفدَ هبيرةُ إلى الوليدين عبدالملك، فمات بقرية من فارس، فرثاه سواده[4]، فقال:

للهِ قَـــبر هُـــبيرة بـــن مُـــشمرَجِ مــاذا تَــضمَّنَ مــن نَــدىً وجمــالِ!
وبديهـــةٍ يعـــيا بهـــا أنـــباؤُها عـــندَ احـــتفالِ مَـــشاهدِ الأقَـــوالِ
كــان الــربيع إذا الــسُنون تــتابعَت واللــيثَ عــندَ تكعكــعِ الأبطــالِ

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٨٤.
(٢) نفسه، ٦/ ٥٠٣.
(٣) نفسه، ٦/ ٥٠٣.
(٤) نفسه.

فسقَت بقرية حيثُ أمس قبُره غُرٌّ يَرحنُ بِسبلٍ هَطَّالِ[1]

يتصل الحدث بالمكان اتصالًا مباشرًا فيعبر الشعر عنهما خير تعبير من خلال الصلة الحَميمةِ بين الحدث التاريخى وأصدائه فى الشعر مما يمنح شعر الفرسان أهمية خاصة.

وفى سنة (٩٣هـ/ ٧١١م)[2] ولى الحجاج محمد بن القاسم بن عقيل الثقفي[3]، وهو ابن سبع عشرة سنة، فافتتح الديبل[4]، فقال الشاعر:

إن الشجاعةَ والمساحةَ والندى لمحمد بن القاسم بن محمدِ
قادَ الجيوش لسبعَ عشرةَ حجةً يا قُربَ ذلِك سُؤددًا من مَولدِ[5]

كان ظهور هذا القائد الشاب مثار انتباه الشعراء فمدحه عدد منهم منوهين بخصائله، ولعل قُربَ نسبه من الحاج كان وراءَ اكتشاف قدراته القيادية مما أسهم فى شيوع ذكره فى الأمصار، فغدا الشعر وثيقة ناطقة فى وصف قدراته الشخصية.

غزا طارق بن زياد[6] الأندلس[7] فى اثنى عشر ألفًا وفتحها فى سنة (٩٢هـ/ ٧١٠م)[8]، قال:

---

(١) نفسه.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٠٨.

(٣) ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٥٠؛ ابن حزم: جمهرة، ٢٦٨.

(٤) مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند. ياقوت: معجم البلدان، ٤٩٢/ ٢ "الديبل".

(٥) الشعر منسوب لزياد الأعجم: شعره، ٩٨-٩٩. ورحزة بيض: البلاذرى: فتوح، ٤٢٨ وغير منسوب فى: ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٠٨، ابن قتيبة: عيون: ١/ ٣٣٢.

(٦) مولى موسى بن نصير والي إفريقيا والمغرب. ترجمته: الضبي، أحمد بين يحيى بن أحمد بن عميرة "ت، ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م" بغية الملتمس في تاريخ الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن اليوسفي "دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧"، ١٥ الذهبى: سير، ٥/ ٥٠٠.

(٧) أرض على البحر تواجه المغرب وما حولها. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٢٦٢ "الأندلس".

(٨) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٠٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٦٨.

ركبنا سفينًا بالمجاز مقبَّرا	عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوسًا وأموالًا وأهلا بجنَّةٍ	إذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا
ولسنا نبالى كيف سالت نفوسُنا	إذا نحنُ أدركنا الذى كان أجدرا(١)

يصف هذا الشعر طريقة وصول الجيش فى السفن وما كان يبغيه أفراده من هذا الفتح، وهو الفوز بالجنة مما يبين أن الروح الإسلامية كانت مصاحبة لحركات الفتح فى الأندلس وغيرها، ولم تكن الغاية المادية أو التوسعية هى الطاغية، فقد كان الفاتحون يرون ذلك واجبا دينيًا، فكانوا لا يبالون إذا سالت نفوسهم بعد أن أدركوا هدفهم وأدوا واجبهم فى الجهاد.

وفى سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م)(٢) قتل الحجاج سعيد بن جبير(٣)، وكان الحجاج جعله على عطاء الجند حين وجه عبدالرحمن بن محمد الأضعث إلى رُتبيل، فلما خلع عبدالرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلعه معه، فلما هزم عبدالرحمن وهرب إلى بلاد رتبيل هرب سعيد، فقال جرير:

يا رب ناكث بيعتين تركتَهُ | وخضابَ لحيته دَمُ الأوداجِ
إن العدو إِذا رموكَ رميتهم | بذُرا عَماية أو بهضبِ سُواجِ(٤)

وكان الحجاج قال لسعيد قبل أن يقتله: "يا سعيد، ألم اقدم مكة فقتلت ابن الزبير، ثم أخذت بيعة أهلها، وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبدالملك! قال: بلى، قال: ثم قدمت الكوفة واليًا على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة، فأخذت

---

(١) المقرى: أحمد بن محمد التلمساني (ت، ١٠٤١هـ/ ١٦٣١): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، الجزء الأول (دار صادر، بيروت، ١٣٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ٢٦٥.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٨٧-٤٩٠.

(٣) سعيد بن جبير بن هشام (ت، ٩٤هـ/ ٧١٢م). ترجمة: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢٥٦؛ الذهبي، سير، ٤/ ٣٢١.

(٤) ديوانه، ١/ ١٣٨؛ الطبري، ٦/ ٤٩٠. البيت الأول.

بيعتك له ثانية! قال: بلى، قال: فنكثت بيعتين لأمير المؤمنين، وتفى بواحدة للحائك! ابن الحائك! اضربا عنقه"[١].

وفى سنة (٩٥هـ/ ٧١٢م)[٢] توفى الحجاج بن يوسف الثقفى فرثاه الفرزدق بقوله:

ابكِ على الحجاجِ عَولكَ مادجا ليلٌ بظلمته ولاحَ نهارُ
إن القبائلَ من نِزارٍ أصبحت وقلوبُها، جَزعًا عليك، حرار[٣]

حاول الفرزدق أن يوازن بين أهيمة إدارة الحجاج لجزء مهم من الدولة الأموية وبين حزم آل مروان وإدارتهم لدفة لحكم؛ فكان يعرض به بعد موته حيث لا شفيع إلا الله فيشيد بولاة الأمر ليضع من أهمية الحجاج فقد كان الفرزدق مدح آل المهلب حيث هربوا من سجن الحجاج، فقال:

فإن يكن الحجاج مات فلم تمت فُروم أبى العاصى الكرام الغَطارِفِ
ولم يعدموا من آل مروان حَيَّةً تمام بدور، وجهه غير كاسفِ[٤]

يبدو الفرزدق كالمتشفى بموت الحجاج، مع أنه يرثيه، وكأنه يتذكر مشاعر الحجاج حين حضرته الوفاة وأيقن أن لا مهرب من الموت، وهو يقول:

إن ذنبى وزن السموات والأر ض وظنى بخالقى أن يُحابى[٥]

فكان كتابه على الوليد بن عبدالملك بأبيات يطلب فيها منه أن يذكره ذكرًا محببًا[٦]، مما له أثره فى كشف نوازع النفس البشرية وتجردها من المعاصى وإحساس

(١) الطبري، تاريخ، ٦/ ٤٩٠.
(٢) ابن خياط: تاريخن ١/ ٣١٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٩٣.
(٣) ديوانه، ١/ ٢٩٥.
(٤) نفسه، ٢/ ٧.
(٥) القالى: النودر، ملحق بكتاب الأمالي، ص١٧٢. وينظر: تمام الأبيات.
(٦) نفسه.

الحجاج بالإحباط من صدمة النهاية المحتومة. ولكنه لم يكن متهالِكًا من شدة الشعور بالذنب، بل بدا شخصية قوية قادرة على مواجهة الموقف وهى تطمع فى دوام الذكر واستمرار الدعاء وغفران الذنوب.

كان الحجاج قد رغَّب الوليد بخلع أخيهِ سليمان وتولية ابنه عبدالعزيز[١]، فلما مات الحجاج أراد الوليد أن يبايع لابنه وخلع أخيهِ فأبى سليمان وذلك سنة (٩٦ هـ/ ٧١٤م)[٢] فقال جرير:

لــــو بايعـــــوك ولى عهــــدٍ   لقـــامَ القـــسط واعـــتدل البـــناءُ[٣]

فكان شعر جرير وسيلة إعلامية تُهيئ الأذهان لا تخاذ قرار جديد، لأَن الشعر له أَثره فى توجيه مشاعر الناس وتحسين صوره أولياء الأمور فى نظرهم، لذا كان النابغة الشيبانى واضح الموقف، وهوى يشيد بتولية عبدالعزيز حين يقول:

نحـو عبدالعزيـز مـا تطعـم الـنو   م ومـــنها بعـــدَ الـــرَّواحِ الـــبُلَوُرُ
وهـــو الـــثالث الخلـــيفة للــــ   ـــه إمامًـــا للمؤمـــنين أمـــيرُ[٤]

جعـل النابغـة الـترغيـب بتـوليـة عبـد العـزيز بن الوليد مناسبة للإشادة بأجداده، انسجامًا مع توجه الوليد فى التقليل من سليمـان الذى وصف بأنه طصاحب نطاح وطعام"[٥] فبدا أثر الشعر واضحًا فى تهيئة الأسباب والظروف لاتخاذ القرار.

وفـى سنـة (٩٦هـ/ ٧١٤م)[٦] كـانـت وفـاة الوليـد بـن عبد الملك، فقال جرير يرثيه:

---

(١) هو عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك. ترجمة: الذهبى: سير، ٥/ ١٤٨.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٩٩.
(٣) ديوانه، ٢/ ٦٦٨. ينرظ: رثاء جرير لعبدالعزيز، ٢/ ٢٩٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٠٦-٥٠٧.
(٤) ديوانه، ٢٤٨-٢٤٩.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٩٧.
(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣١٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٩٥.

إن الخيفةَ أضحى قد وارت ضَمائله | غَبراء مُلحِجة في جولها زَوُر
أمسى بَنوه وقد حلت مصيبتُهم | مثلَ النجومِ هوى من بينها القمرُ
كانوا شهودًا فلم يدفع منيتَه | عبدالعزيز ولا وَرح ولا عُمُر[1]

يلمح جرير إلى محاولة توليه عبدالعزيز بن الوليد، وهو فى معرض الحديث عن رحيل الوليد الذى أصبح فى موقف لا يدفعه عنه شفيع أو قريب، وهى دعوة خفيفة إلى سلوك سَبيل العدل والبحث فى أحوال الرعية، فقد كان جرير يتوجس خيفة من الصراعات السياسية، نتيجة متغيراتها السريعة، فكان تشبيهه الوليد بالقمر الذى هوى لا يحمل بعدًا سياسيًا واضحًا، وكأنه يفعل ذلك من باب أدَاء الواجب حسب، لأنه كان يخشى غضب سليمان لترغيبه فى خلعه.

كانت أيام الوليد ثمرة جناها غرس أيام أبيه عبدالملك، فقد كانت مرحلة تمرس فى السياسة وإدارة الأقاليم، بعد استقرار حكم آل مروان ورسوخ تقاليد تنظيم الدولة وبروز ثوابت خاصة تؤهلها لأن منشىء حضارة متميزة مما يسود العالم من تدهور.

سليمان بن عبدالملك بن مروان[2] (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٤-٧١٧م).

كان سليمان مهددًا بالتنازل عن الخلافة، لكن وفاة الوليد غير المتوقعة حسمت الأمر، ودفعت به من العزلة بعيدًا عن العاصمة دمشق إلى كرسى الخلافة، فكانت أولى إجراءاته الانتقام من حَسَّن لأخيه خلعه وتولية ابنه عبدالعزيز، وكان الحجاج وقتيبة ممن بايع على خلعه، فأمَا الحجاج فمات، وأمَّا قتيبة فاضطر إلى الخروج[3] عليه.

وكان جرير ممن حرض الوليد على خلع سليمان وتولية ابنه عبدالعزيز، مما سبب

(١) ديوانه، ١/ ٢٤٢؛ الطبري، ٦/ ٤٩٨.
(٢) ترجمة: ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٤٢، الذهبى: العبر، ١/ ٨٨-٨٩.
(٣) ينظر: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٠٦-٥٠٧.

له إِحراجًا فى علاقته بالخلافة؛ لذا اعتنم خصمه الفرزدق الفرصة فى الإِشادة بسليمان وتذكيره بما فعله خصمه جرير، وهذا ما منح الشعر أهمية واضحة فى مجريات الأَحداث إِذ قال الفرزدق:

تـركتُ بنـى حـرب وكانـوا أئمـةً ... ومـروان لا آتـيـة، والمخبَّـرا
أبـاك، وقـد كـان الولـيد أرادَنـى ... لـيفعل خـيرًا أو لـيُؤمِن أوَجَـرَا
فمـا كانـت نفـسى لأرحـل طائعًـا ... إلى الـشام حتـى كـنت أنـت المؤَمَّـرا
فلمـا أتانـى أنهـا ثبـتت لَـهُ ... بأوتـادِ قـدم مِـنْ أُمـية، أزهـرا[١]

ويحاول الشاعرأَن يوثق الحدث ويشير بطرف خفى على من أشار على الوليد بتوليه ابنه عبدالعزيز وخلع سليمان، إذ يغمز جريرًا بذلك، "فهاج الهجاء بينه وبين جرير"[٢] مما يشير إلى أثر الوضع السياسى فى انتعاش النقائض وتنافس الشعراء فى التقرب من الخلفاء، ولعلَّ تفضيل سليمان لشعر نصيب على الفرزدق كان نوعًا من الاستثارة وكسب المؤيدين وإثارة المعارك الشعرية حول الخليفة نفسه، إذ قال نصيب للخليفة معرضًا بقدرة الفرزدق: "ألا أنشدك على روية ما يقصر عنه"[٣]. وذلك لضرورة التزام شاعر النقيضة بالموضوع والوزن والقافية "التى بنى عليها الشاعر الأولَ قصيدته فنقض المعنى يتم بالقلب أو المقابلة والتكذيب والتوجيه"[٤].

حين استقر المقام بالخليفة سليمان بن عبدالملك أَشفق قتيبة بن مسلم الباهلى منه "لأنه كان يسعى فى بيعة عبدالعزيز بن الوليد مع الحجاج، وخاف أن يولى سليمان يزيد بن المهلب خراسان"[٥]. فلما حصل ذلك أصبح قتيبة مضطرًا إلى خلع سليمان، فدعا الناس إلى ذلك[٦] وكتب إلى سليمان:

---

(١) ديوانه، ١/ ١٩٧. ينظر أيضًا، ٢/ ٧٥-٧٦.
(٢) المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٣٨.
(٣) الزجاجى: الأمالي، ٤٧.
(٤) حمودى: النقائض في العصر الأموي، ٥.
(٥) الطبرى: تاريخ: ٦/ ٥٠٧.
(٦) نفسه، ٦/ ٥٠٩.

رماني سليمان بأمر أظنه ... سيحمله مني على شر مركبِ

رماني بجبارِ العراق ومن لَهُ ... على كل حي حدٌّ نابٍ ومخلبِ[1]

فشعر قتيبة بحراجة موقفه وأصبح يعول على العصبية القبلية، ولكنه ركب مركبًا صعبًا ولعل الذى قاده إليه الصراع الخفى بينه وبين الحجاج إذ كان تأييده لخلع سليمان محالة لغلق الحجج التى كان يبتغيها الحجاج لخلعه بعد أن توضحت قدراته القيادية، لذا عبر هذا الشعر عن حقيقة الحدث وحراجة الموقف، كما يبدو من دعوة الحصين بن المنذر[2] (ت، ٩٧هـ/ ٧١٥م) له بالهرب:

أقتيبُ قد كسبت يداكَ خطيئة ... فاهرب قتيبةَ أين منه المهربُ

فلا أنت أحقر والذى انا عنده ... فى عينهِ من بقةٍ تتذبب[3]

وكان الصراع القبلى بين الأزد الذين يميلُون إلى آل المهلب وبين قتيبة وأنصاره سببًا فى فشل قتيبة، فضلًا عن قوة الدولة الأموية وولاء القبائل لها، فقد حذر الشاعر نهار بن توسعة قتيبة من الأزد حين خاطبه قائلًا:

تنمر وشمر قتيبَ بن مسلم ... فإن تميمًا طالِم وابن ظالِمِ

ولا تأمنن الثائرين ولا تنمْ ... فإن أخا الهيجاء ليس بنائِمِ

ولا تثقْن بالأزدِ فالغدرُ منهم ... ويكر فمنهم مُستحلُ المحارمِ

ولانى لأخشى يا قتيب عَليْكم ... معرةَ يوم مِثل يوم ابن خازِمِ[4]

---

(١) البلاذرى: أنساب مخطوط المكتبة السليمانية؛ Suleymaniey Kutphan nesi. تحت رقم (٥٩٨) إهداء: الدكتور عبدالأمير دكسن على المجمع العلمي العراقي تحت رقم (٧١٢ق) في ٢٩/ ٩/ ١٩٨٦، ورقة ١٧٣؛ ابن أعثم: الفتوح، (٧/ ٥٥)؛ المرزباني: معجم الشعراء، ٢١٢.

(٢) هو الحضين بن المنذر بن الحارث الرقاشي. ترجمة: ابن حبان: الثقات؛ ٤/ ١٩؛ ابن حجر، تهذيب، ٢ / ٣٤٠.

(٣) البلاذرى: أنساب (مخطوط)، ورقة ١٧٣؛ ينظر الرواية الثانية للأبيات: ابن أعثم: الفتوح، ٧/ ٢٥٤ -٢٥٥.

(٤) شعره، ١٠١.

يوثق هذا الشعر خروج قتيبة، وحذره من أعدائه بنى تميم والأزد ويذكره بخروج عبدالله بن خازم الذى ولى خراسان فقتله بنو تميم سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)(١) وفعلًا تفرقت القبائل حول تأييد خروج قتيبة وفشل فى السيطرة عليها وإرغام وكيع بن حسان بن قيس الغدانى التميمى(٢) على نصره والذى قال حين قتل قتيبة:

أنا ابن خندف تنمينى قبائلُها ... للصالحاتِ وعمى قيسُ عيلانا

ثم أخذ بلحيته وقال:

شيخٌ إذ أحمّل مكروهَةً ... شَدَّ الشَّراسيفَ لها والحَريم(٣)

يشير وكيع إلى قبائل قيس وصلتها بالصراع القبلى القائم. وهو ما توقعه نهار بن توسعة فى غدر بين تميم وانحيازهم للأمويين وقبائل قيس، وبهذا أسهم الشعر فى حفظ الحدث التاريخى حيث أشار فيها إلى صراع قبيلة باهلة مع غدانة التميمية، فقال:

وكنا يُنكى من الباهلى ... فهذا الغُدانى شرٌّ وشرّ(٤)

وفى سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م)(٥) كان مقتل قتيبة بن مسلم، وهى سنة تولى سليمان الخلافة؛ فكان للشعر أثره فى الدعوة إلى التزام وحدة الجماعة ونبذ الفرقة، فقد جعل الفرزدق ما فعله وكيع بن حسان جهادًا من أجل نصرة الدين حين قال:

سيجزى وكيعًا بالجماعة إذ دعا ... إليها بسيفٍ صَارِمٍ وَسِنانِ

---

(١) أبو عبيدة: النقائض، ١/ ٣٧٢.

(٢) ترجمته: ابن الكلبى: جمهرة، ٢٢٠؛ وكذلك ضمن ترجمة قتيبة عند ابن خلكان: وفيات، ٤/ ٨٧-٨٨.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥١٧-٥١٨.

(٤) نهار بن توسعة؛ شعره، ٩٩؛ أبو عبيدة: بالنقائض، ١/ ٣٦٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥١٩. وينظر ما قاله حصين بن بدر في قتلِ وكيع بن حسان ٦/ ٥١٧.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣١٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥١٦.

خَبيرٌ بأعمالِ الرجالِ كما جَرَى ... بـبَدرٍ وباليرموكِ فى جنانِ[1]

لعل قَرابة الفرزدق لوكيع فى تميميتهما كانت سببًا فى تشفى الفرزدق بمقتل قتيبة، وخيبة أمل جرير فى تأييده تولى عبدالعزيز بن الوليد؛ لأن الفرزدق كان غير ميالٍ إلى الحجاج لذا جاء شعره عن مقتل قتيبة مؤثر فى توثيق الحدث وفاعلًا فى توضيح الملابسات وانتصار لمقتل ابن خازم قبلَه بسيوف بنى تميم حيث يقول:

فإن تكُ قيس فى قتيبة أُغضبت ... فلا عَطست إلا بأجدَع راغمِ

وما كان إلّا باهليًا مُجدّعًا، ... طَغى فسقيناه بكأسِ ابن خازمِ

لقد شهدت قيس فما كان نصرُها ... قتيبةَ إلا عضَّها بالأباهِمِ

أتغضبُ إن أُذنا قتيبةَ حُزّنا ... جِهارًا ولم تغَضب ليومِ ابن خازم[2]

وكان تعصب قبائل قحطان ضد خروج قتيبة عاملًا مهما يكشف عن أَبعاد الصراع القبلى المستعر فى إقليم خراسان حتى أن الشعراء تناقلوا ذلك وأشادوا بما قامت به القبائل القحطانية فى نصرة الدولة الأموية ومصارع خصومها، وهو ما دلت عليه قصيدة الطرماح بن حكيم[3] (ت، نحو ١٢٥هـ/ ٧٤٢م) حيث يقول:

قوم هم قتلوا قتيبة عنوةً ... والخيل جانحة عليها العِشَيرُ

إلى أن يقول:

والأزد تعلم ما يقال ضحى غَدٍ ... تحت اللواءِ، فستجدُّ وتصبرُ

قحطانُ تضربُ رأسَ كل متوجٍ ... وعلى بصائرها، وإذ لا تَبصرُ

---

(١) ديوانه، ٢/ ٣٣٢. ينظر مدح الفرزدق لسليمان وهجاءه لجرير وقبائل قيس، ١/ ٣٠٧.

(٢) ديوانه، ٢/ ٣١١؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٢٠.

(٣) من طيء من فحول الشعراء، خارجي من الشراة الأزارقة. ترجمة ابن قتيبة الشعر والشعراء، ٢/ ٤٩٨؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٢/ ١٣.

فـى عـزنا انتـصَر النبـى محمـدٌ، وبـنا تثـبتَ فـى دمـشق المنـبرُ[1]

يشير هذا إلى أهمية قبائل قحطان فى نصر الأمويين وقدرتها على مواجهة خصومها، وهو شعر يجمع بين تلبية رغبة الخلفاء ومدحهم، والتعريض بخصومهم، ولكن العصبية القبيلة، وبالذات تفاخر القبائل القحطانية فى عم الحكم الأموى كان واضحًا بسبب ما فاتها من طلب الخلافة وفشل محاولات الخروج وقصورها عن بلوغ مطامحها، ولأن غالبية سكان تلك الأصقاع البعيدة عن العاصمة من غير العرب، فإن كل محاولة خروج تتعرض لضغط متباين من مؤيدى الخلافة ورغبة بعض زعماء أهل البلاد بالتمرد على القبائل العربية المستوطنة وزعمائها، لذا فشل عبدالله بن خازم ويزيد ابن المهلب وقتيبة بن مسلم فى محاولاتهم فى التصدى إلى تيارين مناهضين فى آن واحد. وقد أنتج الصراع القبلى ردوَد أسف واضحة على مقتل قتيبة حتى قال أحد أبناء قبيلته يرثيه ويشيد بشجاعته، وهو عبدالرحمن بن جمانة الباهلى[2].

كـأن أبَـا حفـصٍ قتيبـة لم يَـسر بجـيش إلى جـيش ولم يَعـلُ منـبرا
ولم تخفِـق الـرياتُ والقـوم حـولَه وقـوفًا ولم يَـشهد لـه النـاسُ عسكرًا
دعـته المـنايا فاسـتحاب لـربهِ وراح إلى الجـناتِ عَفًّـا مُطهًّـرًا
فمـا رُزئَ الإسـلامُ بعـد محمـدٍ بمـثلِ أبـى حَفـص فبكـيّه عبهـرًا[3]

فقد كان لقتيبة صدى فى نفوس مؤيديه، إذ كان خروجه خطأ فادحًا أدى إلى

(١) الطرماح بن حيم الطائي (ت، ١٢٥هـ/ ٧٤٢م): يوانه، تحقيق عزة حسن (وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، مطبعة إحياء التراث القجيم، دشمق، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ٢٥١-٢٥٢؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٢١.

(٢) عبدالرحمن بن جمانة بن عصيم، أحد بني طريف بن خلف في محارب بن خَصفة. الآمدى: المؤتلف، ١٠٨.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٢؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٣/ ٢٧٣، ابن كثير: البداية ٩/ ١٦٨. ينظر أيضًا. رثاء فضالة بن عبدالله الغنوي لقتيبة، المزرباني: معجم العشارء، ١٧٧. وهو رثاء يحمل المعاني ذاتها مع اختلاف في بعض الألفاظ ولاقافية. ينظر ما قاله الشاعر نهار بن توسعة؛ شعره، ٩٧.

الإسراع فى نهايته، ولعل من أسبابه ميله إلى المغامرة وحب الظهور، وهو ما دعا قائل هذا الشعر إلى وصفه بأوصافِ الفرسان، حتى أنه صف مصرعة بأنه كان استجابة لدعوة المنايا، وبأنه يلج إلى الجنات مطهرًا حتى أن مصيبة قتله كانت خسارة للمسلمين بعد مصيبتهم بموت النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك فعل فضالة بن عبدالله الغنوى[1] فى رثائه له مفتخرًا:

وإنـــا لـــنهُدى للمــولك رؤوســـنا ... وقـد علمـوا أن الملـوك بهـا تُغلِـى[2]

فجعل حمل رأسه فخرًا لباهلة، فهذا الأصم بن الحجاج يرى بأن باهلة تقود تميمًا والوالى ومذجًا والأزد وعبدالقيس وبكر. وأن مقتل قتيبة هوقضاء أجل ومدة تناهت، ولولا المنايا لفتحوا حصن ذى القرنين، فقد أباحوا مدن الشرك حتى جاوزت قطب الأرض عند مطلع الفجر، وفى الشعر عَتب على سليمان وتذكير بما أدت باهلة من فعال لدولة بنى أمية:

تقـــود تمـــيمًا والمـــوالى ومَـــذحِجا ... وازدَ وعـبد القيـس والحـى مـن بكـرِ
سليمان كم من عسكرٍ قد حوت لكم ... أسِـــنتنا والمقـــرباتُ بـــنا تجـــري[3]

لعله يشير إلى قتادة قتيبة وأبيه مسلم للكتائب ومناصرته الدولة الأموية وهى إشارة واضحة على فخره على قبيلة تميم وقبائل اليمن التى أسهمت فى القضاء على طموح قتيبة ومحاولاته الاستقلال بتلك الأصقاع البعيدة عن مراكز الدولة.

وفى سنة (٩٧هـ/ ٧١٥م)[4] ولى سليمان أمر خرَاج العراق لصالح بن عبد الرحمن[5] مولى بنى تميم، فحمل محمد بن القاسم الثقفى مقيدًا فحبسه بواسط، فقال:

---

(١) ترجمة: الرزبانى: معجم الشعراء، ١٧٧.
(٢) نفسه، ١٧٧.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٢١. ينظر هجاءه للفرزدق وذكره لقتيبة عند الآمدى: المؤتلف، ٥٣.
(٤) البلاذرى: فتوح، ٤٢٨؛ الطبرى: تاريخ، ٥٢٣.
(٥) ترجمة: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٥٣.

فلــئن ثــويت بواســط وبأرضِــها ... رهــنَ الحديــدِ مكــبلًا مغلــولا

فلــربَّ فتــيةٍ فــارس قــد رعــتها ... ولــربَّ قَــرنٍ قَــد تــركتُ قَتــيلا[1]

يعد هذان البيتان من باب الفخر الذاتى الذى يشير إلى بلاء محمد بن القاسم فى حروبه، ثم جرى التنكيل به من قبل سليمان لأنه من رجال الحجاج وأحد أبناء ثقيف لأن الحجاج آزر على خلع سليمان من ولاية العهد، فجاء تذكيره ببلائه تذكيرًا لأهمية ما فعله إبان قيادته للجيوش. ومع ذلك يظل مثل هذا الشعر مرتبطًا بفحوى الأحداث المتعلقة بالأشخاص أكثر من تعلقهِ بالأحداث التاريخية الكبرى.

وشخص يزيد بن المهلب (ت، ١٠٢هـ/ ٧٢٠م) إلى خراسان أميرًا عليها فى سنة (٩٧هـ/ ٧١٥م)[2] فادنى أهل الشام وقومًا من خراسان، فقال نهار بن توسعه:

ومــا كــنا نُــؤملُ مــن أمــيرٍ ... كمــا كــنا نــؤمل مــن يــزيدِ

فأخطــأ ظَنّــنا فــيه وقــدِمًا ... زَهــيدنا فــى معاشــرةِ الــزَّهيدِ

فمَهلًــا يــا يــزيد أنِــب إليــنا ... وعــدنا مــن معاشــرةِ العبــيدِ[3]

يتضمن هذا الشعر قيام بعض الولاة وخصوصًا فى الأمصار البعيدة بكسب ولاء القبائل والأشخاص القادرين على مديد العون والقوة للوالى وحماية إمارته من الصراعات والاضطرابات الجانبية؛ لهذا عمد يزيد بن المهلب إلى استمالة أهل الشام ممن يضمرون ولاءهم للأمويين وبعض أهل خراسان الذين بحاجة إلى من يؤلف قلوبهم مع الجيش الإسلامى الفاتح؛ وذلك لكسب ولائهم وإبعادهم عن التفكير بشق عصا الطاعة. وهى سياسة لها أبعادها المستقبلية فى استقرار الوضع عسكريًا وأمنيًا فى الوقت الذى يطالب الشاعر بالمساواة والإنصاف فى العطاء بين الرعية. فكان هذا الشعر من باب العتاب لا من

---

(١) شعره، شعراء ثقيف، ٢٧٦؛ البلاذرى: فتوح، ٤٢٨.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٢٨.

(٣) نهار بن توسعة: شعره، ٥/ ٩٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٢٨. ينظر مدح السلولي له أيضًا، ٦/ ٥٢٩.

باب الهجاء[1]. وإن كان ابن المهلب تصرف بهذا الشكل نتيجة ما لاقاه فى إمارته السابقة.

وبعد تولية يزيد بن المهلب ولاية خراسان غزا إقليم جرجان[2] فخرج يرتاد مكانًا يدخل منه على القوم، فلم يشعر بشيء حتى هجم عليه جماعة من الترك فقاتلهم، فلم يظفروا منهم بشيء[3] فقال سفيان بن صفوان الخشعمى:

لــولا ابــن جاريــة الأغــرُّ جبيــنُه ... لــسُقيتَ كأسًــا مُــرة المتجــرَّعِ

وحمَــاك فــى فرســانه وخُـيُولِهِ ... حتــى وَردتَ المــاء غــير مُتعــتعِ[4]

يوثق الشعر الحدث التاريخى ويشير إلى من شارك فيه، فهو ينبثق من حرارة الموقف ولحظة انبثاق الحدث ومن ساهم فيه.

وفى سنة (٩٨هـ/ ٧١٦م)[5] وجه سليمان بن عبدالملك أخاه مسلمة[6] بن عبد الملك (ت، نحو ١٢٠هـ/ ٧٣٧م) إلى القسطنطينية فأقام بها، فقال الشاعر:

يــا أيُّهــا الخلــيفة المهــدى ... خلــيفة سُــمى بالــنبي

لــيأخذ الــولى بالــولى ... وهــدم الــديماس والمنــسي

وأمــن الــشرقى والغربــى[7]

يبدو أن عزم سليمان على إدامة قوة الدولة فى مجابهة أعدائه التقليديين وعدم دفعهم نحو الإحساس بفتور الخليفة الجديد عن توجيه الحملات كان وراء هذه

---

(١) عطوان: الشعر العربي بخراسان، ٢٨١.

(٢) مدينة مشهورة عظيمة في خراسان. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ١١٩ "جرجان".

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٣٣-٥٣٤.

(٤) نفسه.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٢٠، ابن قتيبة: المعارف، ٣٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٣٠.

(٦) قائد أموي مشهور له مكانة مرموقة: ترجمة: ابن حبان: الثقات، ٧/ ٤٩٠؛ الذهبى: سير، ٥/ ٢٤١.

(٧) ابن قتيبة: المعارف، ٣٦٠.

الحملة يحدوه أمل كبير فى توسيع رقعة الدولة وإنعاش وقتها ولفت انتباه المسلمين إلى ضرورة التركيز على الجهاد؛ لأن ذلك يقلل من الخلافات الداخلية ويشل صراعات القوى القبلية داخليًا ويدفعها إلى التفكير فى استثمار الفتوح فى توظيف قواها الذاتية إلى جانب قوة الدولة المركزية، وهو ما تحقق فى محاصرة عاصمة الروم وفتح بعض الأَماكن والقصبات.

وفى سنة (٩٩هـ/ ٧١٧م)[١] حج سليمان بن عبدالملك قبل وفاته، وحج الشعراء معه، فلما كان بالمدينة راجعًا تلقوه بنحو أربعمائة أسير من الروم، وكان الروم قد تعرضوا لبعض الثغور، وكان بنو عيسى أخوال سليمان قد كادوا للفرزدق مكيدة، فعيروه بنبو سيفه، فقال:

أيعجب الناس أن أضحكت خيرهم ... خليفة الله يستسقى به المطرُ
فما نبا السيف من جُبن ولا دهَشٍ ... عند الإمام ولكن أُخر القدر[٢]

كما أشار إلى نبو سيف ورقاء بن زهير العبسى[٣]، وما قاله ورقاء فى هذا الموقف:

إن يك سيف خان أو قدرٌ أبى ... وتأخير نفسٍ حتفها غير شاهدِ
فسيفُ بنى عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدى ورقاء عن رأسِ خالدِ[٤]

يتزامن هذا الشعر مع غزو الجيش الإسلامى لبلاد الروم ويكشف عن انتصارهم وجلبهم الأسرى، كما يشير إلى علاقة الخليفة سليمان بأخواله بنى عبس وما كان له من أثر فاعل فى سياسة الخليفة تجاه القبائل.

---

(١) أبو عبيدة: النقائض، ١/ ٣٨٤؛ الطبري، تاريخ، ٦/ ٥٤٦-٥٤٨.

(٢) ديوانه، ١/ ٢١٩؛ الطبرى: تاريخ، ٥٤٨.

(٣) هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي، الذي ضرب خالد بن جعفر بن كلاب. الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٤٨.

(٤) ديوانه، ١/ ١٥٧؛ أبو عبيدة: النقائض، ١/ ٣٨٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٤٨.

وعند وفاة الخليفة سليمان بن عبدالملك سنة (٩٩هـ/ ٧١٧م)[(١)] قيل فيه رثاء كثير، ومنه قول بعض كُتَّابه:

وما سالم عما قليلٌ بسالِمٍ ... وإن كثرت أحراسهُ وكتائِبُه
ومن يك فا يأسٍ شديدٍ ومنعةٍ ... فعمَّا قليلٌ يهجرُ الباب حاجِبُه
ويصبح بعد الحجبِ للناس مقصيًا ... رهينةَ بيتٍ لم تُسترْ جوانِبُه
فما كان إلا الدفن حتى تفرقت ... إلى غيرهِ أحراسه ومواكِبُه
وأصبح مسرورًا به كُلُّ كاشحٍ ... وأسلمَهُ أحبابه وأقارِبُهُ
فنفسَك اكسبها السعادة جاهدًا ... فكل امرئ رهنٌ بما هو كاسِبُه[(٢)]

تحمل هذه الأبيات تعريضًا مبطنًا ضد السلطة، أو ضد شخص الخليفة سليمان بن عبدالملك لأخذ العبرة من الموت، ولعل كتمان أمر ولاية العهد من بعده وعدم الإفصاح عنها إلا بعد حين، ثم اتضاح توليتها لغير بنى عبدالملك كان وراء ذلك. فحين شعر سليمان بدنو نهايته، أوصى وصية تحافظ على استمرار الخلافة فى آل مروان، وتفتح أفقًا واسعًا نحو العدالة بعد أن بحث عن شخص مؤهل لتحمل أعباء الخلافة من ابنائه وابناء أخيه الوليد، فقد كانت مدة خلافته القصيرة ثلاث سنين، إذ كانت محاولة الوليد أخذ البيعة لابنه سببًا فى إجراء تغييرات محدودة فى إدراة الدولة، وفى سياستها تجاه القبائل، فقد كان إشفاق بعض الولاة وتوجسهم من سليمان لأنه كان ذا وطأةٍ على خصومه؛ لذا أشار بعض الولاة على الوليد بتوليه ابنه، فلما تولى سليمان آثر العديد من الشعراء والولاة البقاء فى الظل مما أحدث انكماشًا نسبيًا فى أثر الشعر فى الأحداث مدة طويلة.

عمر بن عبدالعزيز بن مروان[(٣)] (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م):

يعد تولى عمر بن عبدالعزيز للخلافة نقلة نوعية كبيرة فى السياسة العامة للدولة الأموية لما كان يتصف به من زهد وعدل واحترام للمال العام

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٢٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٤٦؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٨١.
(٢) المسعودى: مروج، ٣/ ١٨١.
(٣) ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٥/ ٣٣٠، ابن الجوزي، عبدالرحمن (ت، ٥٩٧هـ/ ١١٩٩م): سيرة عمر بن عبدالعزيز، تصحيح محب الدين الخطيب (مطبعة المؤيد، القاهرة، دون تاريخ)، ٣٢.

والعناية بالعطاء وابتعاد عن المباهاة، وقد بدأ برد المظالم عن الناس "وبدأ ببنى أمية"[(١)] فشعر الجميع بأنه لا يحابى أحدًا فى إحقاق الحق. حتى قال فيه حمزة بيض[(٢)]:

حـــاز الخلافـــة والـــدك كلاهُمـــا   مـن بـين سـخطةِ سـاخطٍ أو طائـعِ
أبـــواك ثـــم أخـــوك أصـــبح ثالـــثًا   وعلـى جبينـك نـور ملـك الـرابعِ[(٣)]

وامتدحه الشعراء وقارنوه بعمر بن الخطاب كما قال عويف القوافى:

قـبر سـليمان الـذى مـن عَقّـهُ   وجحـد الخـير الـذى يَقّـهُ
فـى المـسلمين جلّـه ودِقّـهُ   فـارقَ فـى الجحـود مِـنه صِـدْقَهُ
يـا عُمـرَ الخـير المُلقّـى وَفقَـهُ   سُـميت بالفـاروق فافـرق فَـرقَهُ
وارزق عـيالَ المـسلمين رِزقَـه   واقـصُد علـى الجـودِ ولا تَـوقَهُ[(٤)]

لقيت دعوات طلب العدل بين الناس صدى واسعًا بين الشعراء وعامة الناس حتى قيل إن عمر قال:

قَـد جـاءَ شُـغلٌ شـاغِلٌ   وعـدلت عـن طـرقِ السـّلامةِ
ذهـبَ الفـراغُ فـلا فُـرا   غَ إلى يـوم القـيامةِ[(٥)]

فقد اختط لنفسه سبيلًا جديدًا فى سياسة الملك، وفى الابتعاد عن هيبة السلطان، فحين خطب الناس، قيل له: لو تحولت إلى حجرة سليمان، تمثل فقال:

فولا التُّقى ثم النهى خشية الردى   لعاصيتُ فى حبِّ الصِّبى كل زاجرِ

---

(١) الدينورى: الأخبار، ٣٣١.

(٢) شاعر أموي، كوفي النشأة خليع ماجن (ت، ١١٦هـ/ ٧٣٤م). ترجمته: الجاحظ: البيان، ١/ ٢٦٩، الكتبى: فوات، ١/ ٣٩٥.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٤٦.

(٤) شعره، شعراء أمويون، ٣/ ١٥٠.

(٥) ابن كثير: البداية، ٩/ ١٩٨.

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى   لَـهُ صَبوةً أُخرى الليالى الغوابرِ(1)

فقد بدأ حياته زاهدًا عازفًا عن ماديات الحياة، فأكد على احترام الصحابة جميعًا والخلفاء الراشدين منهم لأنهم أساسُ الدين وأعمدة البناء الإدارى للدولة العربية الإسلامية، فأمر بعدم شتم على بن ابى طالب "وكتب ذلك إلى الآفاق"(2). من أجل وحدة المسلمين والابتعاد عن الفرقة، وصيانة العقيدة من النزعات الجانبية التى تؤثر فيها، فقال كثير بن عبدالرحمن:

وليتَ فَلم تشتُم عليًّا ولم تُخفو   بَريًا ولَم تَقَل إشارةَ مُجرمِ

وأظهرتَ نورَ الحقِ فاشتد نورُه   على كل لبس بارقِ الحقِ مظلِمِ(3)

فأثمرت سياسته هذه عن فتح قنوات الحوار فيما بين الجماعات المناوئة للسلطة الأَموية، ومنهم الخوارج حيث كتب إليه عمرو بن دكينة(4) بقوله:

قُل للمُولى على الإسلام مؤتنِفًا   وقَد يرى أنَّه رثُّ القوى واهِ

أزرى به مَعشرٌ غَذُّوه ماكَلَةً   بنخوةِ العزِّ والإنزافِ والباهِ

أنا شرينا بدين الله أنفُسَنا   نبغى بذاكَ إليه أعظَمَ الجاهِ

ننهى بحد السيف عن سَرفٍ   كفى بذاكَ لهم من زجرٍ ناهِ

فإنِن قصدتَ سبيلَ الحق يا عمرُ   آخاكَ فى الله أمثالى وأشباهي

---

(1) ابن عسد، الطبقات، ٥/ ٣٤٠، الديبورى: الأخبار، ٣٣١؛ ابن الجوزى: سيرة عمر، ٥، ابن كثير: البداية: ٩/ ١٩٨.

(2) اليعقوبى: تاريخ، ٥/ ٣٠.

(3) ديوانه، ٣٣٤. ينظر: لاميته، ١٨٢؛ اليعقوبي، تاريخ، ٥/ ٣٠، الأصفهانى: الأغاني، ٩/ ٢٥٠. ينظر: جرير: جيوانه، ٢٥/ ٧٣٧ حيث يشير إلى طرح مكس العشور.

(4) الربعي الخارجي من الشراة. ترجمته: ابن الجراح: من اسمه عمرو، ١١٩؛ المرزباني: معجم الشعراء، ٥٤.

وإنْ لحقتَ بقومٍ كنت واحدهم ... فـي جَوْرِ سيرتهم فالحُكم للهِ[1]

يبدو أَن عمر كان ميالًا للحوار والإِقناع لإِعادة الخوارج إِلى إِجماع المسلمين، فكان الشعر صورة حية لها أثرها فى تسجيل هذه الرغبة لدى عمر التى تعبر عن روح التفانى من أَجل وحدة المسلمين والعقيدة ونبذ الحروب والصراعات وسياسة القَسر، مما يكشف عن استمرار قوة الدين وتدفق روحية المسلمين الحيوية من خلال استلهام سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين بعيدًا عن مغريات السلطة، فكانت إجابة عمر شافية للنفوس والمشاعر.

يا أيُّها الرجل المهدى نصيحتَهُ ... إن المحاسِنَ والتفويقَ باللهِ
إن كان أمرٌ من السلطان تنكره ... فما عُرا الدين والإسلام بالواهِي
هذا الكتابُ كتابُ اللهِ تقرؤه ... مُصَدِّق الوحى فينا آمرٌ ناهِي
إذ أنهانا وقفنا عند ناجزَةٍ ... بعونِ ربّى على طوعٍ وإكراهِ
فقد يزلّ الذى يبغى الهدى رَهَقًا ... عند السويةِ وهو العالمُ الداهِي
المُلكُ يا عمرُو مُلكُ اللهِ خالقِنا ... والحُكمُ يا عمرُو مردودٌ إلى الله[2]

فأتاه فبايعه ولم يخرج عليه[3]. وهو ما يشير إلى سعة أفق الخليفة وإحكامه إلى العدل بين الرعية، وترفعه عن المطامع الشخصية، وإيثاره لوحدة الصف، فكان سمح الخلق مرضى السيرة، وهو ما يكشف عنه كعب بن معدان الأَشقرى فى قوله:

إن كنتَ تحفظ ما يليكَ فإنّما ... عمالُ أَرضكَ بالبلادِ ذِئابُ
لن يستجيبوا للذى تدعو لَهُ ... حتى تُجلَّد بالسّيوفِ رِقابُ
بأكفُ مُنصلتين أهل بصائرٍ ... فى وقعهِنّ مزاجرٌ وعقابُ

---

(١) شعر الخوارج، ١٩٣/ ١٩٤؛ ابن الجراح: من اسمه عمرو، ١١٩؛ المرزباني. معجم الشعراء، ٥٤-٥٥، ابن الجوزى: سيرة عمر، ٢٩٩.

(٢) ابن الجراح: من اسمه عمرو، ١٢٠؛ ابن الجوزى: سيرة عمر، ٢٢٩-٢٣٠.

(٣) نفسه.

هـلا قـريشٌ ذكـرت بـثغُورها حِـزمٌ وأحـلامٌ هـناك رغـابُ
لـولا قـريش نـصرُها ودفاعهـا ألفـيتُ مـنقطِعًا بـى الأَسـباب[1]

مما يعنى أن قنوات الحوار كانت بين الخليفة والآخرين متصلة، وللشعر نصيب فى تسجيل بعض الأَحداث المتعلقة بهذه الدعوة الحميمة نحو الصفاء والأُخوة الإسلامية، ولكن ذلك لم يوقف من تمرد بعض فِرق الخوارج فقد خرج شَوذب وسامه بسطام اليشكرى[2] سنة (١٠٠هـ/ ٧١٨م)[3] فخاطب رجلٌ من الخوارج هلالَ[4] بن أَحوز:

خـرجتُ إلى الـشراةِ وأنـتَ حـربُ لقـد غـرَّرت يـا ابـن أبـى هـلالِ
وإنـا مَعـشر قَـتلوا عَلـيًا وعـباد بـن أخـضرَ فـى الـضُّلالِ
وإن بـصرتنى لمـا تـبدَّل وإن الـدِّينَ ديـنُ أبـى بـلالِ[5]

تبرز هنا عقيدة الخوارج الشراة الذين خرجوا فى خلافة على بن أبى طالب لاعترافهم الصريح بقتله، وإيمانهم بعقيدة أبى بلال أحد زعمائهم، مما يجعل من شعرهم الصَّدى المعبر عن جوهر عقيدتهم، واستمرارهم فى قناعتهم على الرغم من جهود عمر بن عبدالعزيز فى إقناعهم للعودة إلى صفوف جماعة المسلمين من أجل وحدة الصف ووحدة العقيدة الإسلامية.

واتجه عمر أيضًا إلى فتح الحوار مع المرجئة[6]، فنجح فى إقناع أحد زعمائهم، وهو عون بن عبدالله ابن عتبة الهذلى[7] الذى قال:

---

(١) شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٣٨٠؛ الجاحظ: البيان، ٣/ ٣٩٥.
(٢) ترجمته: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٥٥، ٥٧٥.
(٣) نفسه، ٦/ ٥٥٥.
(٤) هلال بن أحوز بن محرز المازني أخو سلم بن أحوز، نسبه: ابن حزم: جمهرة، ٢١١.
(٥) شعر الخوارج، ١٩٤.
(٦) وهم اثنا عشر فرقة، وهي مأخوذة من الإرجاء، أي إرجاء أمر من سفكوا الدماء إلى يوم القيامة. الأشعري، علي بن إسماعيل (ت، ٣٣٥هـ/ ٨٣٤م): مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، الجزء الأول (دار الحداثة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ١٩٧.
(٧) توفي بحدود سنة (١٢٠هـ/ ٧٣٧م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٢٦٣، ابن الجوزى: صفة، ٣/ ١٠٠.

وأوّلُ ما نفارقُ غيرَ شكٍّ   نفارق ما يقولُ الموجِئونا
وقالوا مؤمِن من أهلِ جَورٍ   وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا مؤمن دَمُه حَلالٌ   وقد حَرُمَت دماءُ المسلمينا[١]

فلزم عمر فصار ذا منزلة عنده[٢]. ولهم يقول أحد الشعراء:

إذا المُرجى سَرَّكَ أن تراهُ   يموتُ بدائِهِ من قبلِ موتِهِ[٣]

وهذه الدعوة إلى الحوار شغلت الخليفة عن استقبال الشعراء والاستفادة من الشعر فى دعم سياسته، فحين حاول جرير الدخول عليه ولم يفلح قال:

لا يا أيُّها القارئُ المُرخى عمامَته   هذا زمانُك إنى قد مَضى زمني
أبلِغ خليفَتنا أمّا كُنتَ لاقيه   إنى لدى البابِ كالمَشدودِ فى قَرَنِ[٤]

فأشار إلى أن زمن عمر هو زمن القراء الذين يتميزون بإرخاء العمامة[٥]، ولعلهم كانوا يتوافدون إليه للحوار معه.

وفى سنة (١٠١هـ/ ٧١٩م)[٦] توفى عمر بن عبدالعزيز، فرثاه الشعراء مشيدين بعدله وحسن سيرته وزهده حتى قيل إنه سمع صوتًا يقول:

عنَّا جَزاك مليكُ الناسِ صالحةً   فى جَنَّةِ الخُلدِ والفردوس يا عمرُ
أنتَ الذى لا نرى عَدلًا نُسرُّ بهِ   مِن بعدهِ ما جرت شَمسٌ ولا قَمرُ[٧]

---

(١) الجاحظ: البيان، ١/ ٣٢٨-٣٢٩.
(٢) نفسه، ٣/ ٣٥٠ ابن الجوزى: سيرة عمر، ٦٧، ١٦٦.
(٣) الجاحظ: البيان، ٣/ ٣٥٠.
(٤) ديوانه، ٢/ ٧٣٨؛ ابن عبد ربه: العقد، ١/ ٢٨٤.
(٥) سيجري تناول موضوع الإرجاء في حوادث سنة ١٠٢هـ.
(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٢٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٦٥.
(٧) ابن الجوزى: سير عمر، ٤٥.

وقال محارب بن دثار[1]:

لو أعظمَ الموتُ خلقًا أضن يواقِعَهُ ... لعدلِهِ لم يُصبكَ الموتُ يا عمرُ
كَم! مِن شَريعةِ حقٍّ قد نَعشتَ لهم ... كادضت تموتُ وأخرى مِنك تُنتظرُ
يا لهفَ نفسي ولهفَ الواجدين معي ... على العُدلِ التى تغتالُها الحُفَر[2]

مما يكشف عن شيوع الرِّضا بين العناصر المناوئة للحكم الأموى عن سيرة عمر، فالخارجي يصفه بالعدل، وكثير بن عبدالرحمن ذو الميول العلوية يصفه بناصر المظلوم، فيقول:

لقد كنتَ للمظلومِ عِزًّا وناصرًا ... إذا ما تعيا فى الأمُورِ حُصونِها
كما كان حِصنًا لا يُرامُ مُمنَّعًا ... بأشبالِ أسد لا يرام عرينُها
وليتَ فما شانتكَ فينا ولاية ... ولا أنت فيها كنتَ مِمَنْ يَشينُها[3]

يبدو أن مدة خلافة عمر بن عبدالعزيز القصيرة لم تذهب هدرًا، فقد كانت جهوده واضحة فى إعادة التوازن المطلوب فى سياسة العدل وإنصاف المظلومين لإحداث شيء من التوازن بين الحاكم والمحكوم حتى حامت الشكوك حول موته فقيل إنهم دسوا "إليه من سقاه سمًا، فلم يلبث... حتى مات"[4].

ولعل هذا الإِحساس كان وراء نزعة الأسف واللوعة، والبكاء على العدل المفقود الذى أعقَب موته، كما فى قول جرير:

تنعى النُعاة أميرَ المؤمنين لنا ... يا خيرَ من حجَّ بيتَ الله واعتمَرا

---

(١) محارب بن دثار السدوسي، الكوفي، ثقة (ت، ١١٦هـ/ ٧٤٣م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤٥٢؛ الذهبى: العبر، ١/ ١١١.

(٢) ديوان الخوارج، ١٩١.

(٣) ديوانه، ١٧٧. ينظر: تمام القصيدة، ٧٨.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٥٦.

حملت أمرًا عظيمًا فاصطبرت له وقمتَ فيه بأمرِ اللهِ يا عُمرا[1]

فإذا كان الصبر على المكاره من خصائص الزهاد، فإن عُمرَ أَصبحَ رمزًا للعدل والفضيلة حتى وُصِفَ بالتفرد والإيمان، وقِوام الدين، كما يرى ذلك أحد الشعراء:

أقول ما نَعى الناعون لى عُمرًا لا يبعدَنَّ قِوامُ العَدلِ والدِّينِ

وقد غادَرَ القومُ باللّحدِ الذى لحدوا بديرِ سَمعانَ قسطاس الموازينِ[2]

بوفاة عمر بن عبدالعزيز أسدل الستار على سيرة زاهد كانت أيام حكمه حافلة بالسلاح والتقوى والتواضع، فكانت على قلتها مثار اهتمام الباحثين والشعراء حتى اليوم، لأنه استطاع أن يضع لنفسه أسسًا اسسها بنفسه على نفسه وغيره واستطاع التقيد بها، كى يقتدى به الآخرون، ودليله إلى ذلك هو العدل والإحسان وإعطاء كل ذى حق حقه لصيانة النفس والآخرين والدولة من إِغراءات الطمع والسلطان، فاستحق دوام الذكر وحسن السيرة ورفعة المقام حيًا وميتًا.

يزيد بن عبدالملك بن مروان[3] (١٠١-١٠٥هـ/ ٧١٩-٧٢٣م):

شهدت الأوضاع العامة فى الدولة الأموية أيام عمر بن عبدالعزيز هدوءًا نسبيًا، ولكنه لم يستمر طويلًا إذ جاء بن عبدالملك إلى الحكم فانتهج نهجًا سياسيًا مخالِفًا لما كان عليه حيث العودة إلى الاتجاه الذى سار عليه الخلفاء الأمويون السابقون، فشمّر عن ساعد الجد والقوة فأكمل مطاردة اتباع (شوذب) بسطام اليشكرى، فقال أبو ثعلبة، أيوب بن خولى يرثى هدبة اليشكرى، ومن قتل معه، وكان فيهم أبو شبيل، مقاتل بن شيبان[4]:

---

(١) ديوانه، ٢/ ٧٣٦.

(٢) الطبري، تاريخ، ٦/ ٥٧٢؛ ينظر: رثاء محمد بن خالد بن الوليد بن عقبة بن ابي معيط لعُمر. المرزباني: معجم الشعراء، ٣٤٥.

(٣) ترجمته: الهبى: سير، ٥/ ١٠٥؛ الكتبى: فوات، ٤/ ٣٢٢.

(٤) أيوب بن خولي، هدبة اليشكري هو عم بسطام اليشكري، ومقاتل بن شيبان من رجال الخوارج. أما تميم بن الحباب السُلمي فهو من زعماء قبيلة قيس. ينظر: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٧٦.

تـركت تمـيمًا بـن الحُـبابُ ملحـبًّا ... تبكـــى علـــيه عِرسُـــهُ وقـــرائِبُهُ
وقـد أسـلمت قـيس تمـيمًا ومالِكًـا ... كمـا أسـلمَ الـشحاج أمـسِ أقارِبُـهُ
وأقـبل مـن حَـرَّان يحمـلُ رابـةً ... يغالـــب أمـــرَ الله واللهُ غالِـــبُهُ
فإن يك خِلى هدبةُ اليوم قد مضى ... فإنـــى بـــآلاءِ الفتـــى أنـــا نادِبُـــه
فيا هدبُ للهيجاءِ، ويا هُدب للنَدى ... ويـا هـدبُ للخَـصمِ الألَـدِّ يحارِبُـهُ
ويا هـدبُ كم من مُلحمٍ قد أجبته ... وقـــد أسـلمَتْهُ للـرماحِ جوالِـبُه
وكـان أبـو شـيبان خـيرَ مقاتـلٍ ... يـرجُّ ويَخـشى بأسَـهُ مـن يحارِبُـهُ
ففـازَ ولاقـى الله بـالخير كلّـه ... وخدَّمـه بالـسفرِ فـى الله ضـارِبُهُ
تـزوَّد مـن دنـياه دِرعًـا ومِغفـرًا ... وَعَبـضبًا حـسامًا لم تَحـنهُ مَـضارِبُهُ
وأجـرَد محـبوك الـسَّراةِ كأنَّـهُ ... إذا انقضَّ وفى الريشِ حُجنٌ مخالِبُهُ(١)

وثق هذا الشعر أسماء الشخصيات التى نالها القتل، فأشار إلى الصراع الدائر بين الخوارج ودولة الخلافة، وإلى تميم بن الحُباب الذى انتدب لحرب بسطام اليشكرى، المعروف بـ(شوذب) كما أشار شاعر الخوارج:

تـركتُ تمـيمُ بـن الحُـباب مجـدَلا ... نقيـضةِ تامـراه قلـيلًا عـوايدُه
يـنادى سُـليمًا وهـم سمـوعها ... وقـد اسلمته إذ دعاهـا حواشِـدُه(٢)

فوثق شعر الخوارج من قُتل من مناوئيهم، مثلما وثق من قتل منهم، فقد قتل الربان بن عبدالله اليشكرى، فقال أخوه شمر بن عبدالله يرثيه وبعض فوارس شيبان:

ولقَـد فُجعـت بـسادةٍ وفـوارسٍ ... للحـرب سُـعرٍ مـن بنـى شـيبانِ

---

(١) شعر الخوارج، ١٩٧-١٩٨؛ ديوان الخوارج، ٢٩-٣٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٧٦؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٢/ ٢٧٦.
(٢) البلاذرى: أنساب (مخطوط)، ورقة ١٩٨.

أعــناقهم ريــبُ الــزمانِ فَغَــالَهمُ | وتــركتُ فــردًا غــيرَ ذى إخــوانِ
كَمـدًا تجلجَـلُ فـى فـؤادِى حَسرةً | كالـنارِ مــن وَجــدٍ علــى الـرَّيانِ
وفــوارسٍ باعــوا الإِلــهَ نفوسَــهُم | مــن يَـشكُرٍ عـندَ الوَعـى فرسـانِ[1]

تشير هذه الأبيات إلى أن غالبية من شارك فى هذه الوقعة كان من بنى يشكر، وشيبان، وما يعنيه ذلك من أثر واضح للنزعة القبلية فى حركة الخوارج:

ودخل مقتل بسطام اليشكرى (شوذب) ضمن الاتجاه الذى عزم يزيد بن عبدالملك على تحقيقه وهو القضاء على مناوئى الدولة، ومنهم الخوارج، وبذلك جاءرثاؤه ومن قتل معه من قبل حسان بن جعدة الذى قال:

يـا عَينُ أذرى دموعًا مِنك تـسجَامًا | وابكـى صـحابَةَ بِـسطَامٍ وبِـسطامَا
فلَـن تَـرى أبـدًا مـا عِـبتَ مـثلَهُمُ | أتقـى وأكمـلَ فـى الأَحـلامِ أحلامَـا
بِـسيِّهم قَـد تاسـوا عِـند شِـدَّتهم | ولم يُـريدُوا عـن الأَعـداءِ إحجامـا
حتى مَضوا للذى كانوا لهُ خرجوا | فأورثــونا مــناراتٍ وأعلامَــا
إنـى لأعلَـم أن قـد أنـزلوا غُـرفًا | مــن الجِـنانِ ونالــوا ثُـمَّ خُـدَّامَا
أسـقى الإلـه بِـلادًا كـان مـصرَعُهم | فـيها سَحَابًا مـن الوَسمـى سَجَّامَا[2]

يعبر اهتمام الخوارج بشخصية بسطام اليشكرى (شوذب) عن اهتمامهم بشخصية القائد، أو الإمام ينظرهم، لأنه يشكل رأس الحربة فى الصراع بينهم وبين جيش الدولة الأموية. وهو اهتمام يعبر عن وقوف قوادهم أو فرسانهم فى مقدمة الجيش حين القتال، لذا أسهم الشعر فى توثيق الأحداث التى شاركوا فيها وفى حفظِ أسماء قادتهم الذين باعوا الدنيا بالآخرة، مما يلفت النظر إلى أن ظاهرة

---

(١) شعر الخوارج، ١٩٩-٢٠٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٧٧.
(٢) شعر الخوارج، ١٩٥؛ البلاذرى: أنساب (مخطوط)، ورقة ٦٩ (البيت الأول)؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٧٧-٥٧٨.

شعر الخوارج هى ظاهرة غير عادية، وأن وصول شعر الخوارج عبر المصادر التاريخية يدل بلا شك على أن المؤرخ العربى الإسلامى كان موضوعيًا حين ذكر أحداث وشعر الخوارج على الرغم من احتمال ضياع الكثير منه بسبب تحرج روايته من قبل معاصريهم.

وفى سنة (١٠١هـ/ ٧١٩م)[١] استطاع يزيد بن المهلب الهرب من سجن الخلافة الأموية، فكان دليلُه نحوَ العراق هردان العُليمي[٢] الذى قال حين أخطأ به الطريق:

وسَوّأ ظني بالأخلاءِ إنني ... وجدتُ يزيدًا دون ما كانَ يزعمُ
فظنٌّ رويدًا بالصديقِ ولا تكن ... بما عِنده مستيقنًا سوف تَعلمُ[٣]

ووصف شاعر آخر توجه يزيد بن المهلب نحو البصرة فقال:

وسار ابنُ المهلب لم يُعرّج ... وعرَّس ذو القَطيفةِ من كنانَهْ
وياسَرَ والتَياسُرُ كان حَزمًا ... ويلم يقرَب قصور القطقطانه[٤]

وظهر للشعراء أثر واضح فى الأَحداث التى لازمت تمرد يزيد بن المهلب على سلطة الدولة، ويمكن إدراك ذلك من خلال الشعر الذى صدر عنهم، فهذا يزيد بن الحكم[٥] الثقفى يدعو ابنَ المهلب إلى عدم التراجع ويتنبأ بزوال ملك بنى مروان فيقول:

أبا خالِدٍ قد هجِت حربًا مريرةً ... وقد شَمَّرتْ حربٌ عَوانٌ فشَمِّرِ

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٦٤.

(٢) هردان بن عمرو من بني عليم بن حناب من كلب، شاعر دمشقي. المرزبانى: معجم الشعراء، ٤٧٠.

(٣) نفسه. ينظر: شاهدًا آخر في الصفحة نفسها.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٧٩.

(٥) يزيد بن الحكم بن عثمان بن العاص الثقفي، شارع أموي معروف، مقل (ت، ١٠٥هـ/ ٧٢٣م). ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ١٢/ ٢٨٩؛ البكرى: سمط، ١/ ٢٣٨.

فإن بنى مروان قد زالَ مُلكُهم ... فإنْ كنتَ لم تَشعُر بذلِكَ فاشعُرِ
فَمُت ماجِدًا أو عِش كَريمًا فإن تَمُتْ ... وسيفُك مشهورٌ بكفِّكَ تُعذَرِ[1]

ينسجم هذا النداء مع أخلاق ومبادئ الفروسية التى آمن بها يزيد بن المهلب وتميزه بالسخاء والجو، فقد كان "يعطى من أتاه من الناس، فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة"[2]. فى حين كان عدى بن أرطأة[3] "لا يعطى إلّا درهمين، ويقول: لا يحل لى أن أعطيكم من بيت المال درهمًا إلا بأمر يزيد بن عبدالملك، ولكن تبلغوا بهذا حتى يأتى الأمر فى ذلك"[4]. مما أسخط الناس وألّبَ الشعراء عليه، فكان الفرزدق يشير إلى دراهمه موثقًا الحدث فيقول:

أظنُّ رجالَ الدرهَمينِ تسوقُهُم ... إلى قَدرٍ، آجالُهم ومصارعُ
وأحَزمُهم من قرَّ فى قَعرِ بيتهِ ... وأيقَنَ أن العزَم للابُدَّ واقِعُ[5]

يبدو الفرزدق ميلاً نحو ابن المهلب، فقد كان يعرض بعدى بن أرطأة ويشيد بشخصية يزيد بن المهلب فيصفه بطويل السرى، وللع لأخلاق الفرسان وإعداق الأموال والتاريخ الطويل فى الفتح له ولأبيه أثرًا فى إطراء الفرزدق له وذم عدى بن أرطأة:

قُل لعَدى جاءَ من كُنتَ تبتغى ... إليكَ، فلا تَحفِل بدَور الدَّارهِمِ
أتاك امرؤٌ لم تخدِم القومَ أمُّهُ، ... طويلُ السُّرى ألفيتَهُ غير نائِمِ[6]

إن تعدد حركات التمرد على الخلافة، واتساع رقعة الدولة الأموية وتولية أكثر

(١) شعره، شعراء أمويون، ٣/ ٢٦١؛ شعراء ثقيف، ١٨٦؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٢/ ٢٩٣.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٨٠.
(٣) عدي بن أرطاة الفزاري (ت، ١٠٢هـ/ ٧٢٠م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٢٧١؛ الذهبى: العبر، ١/ ٩٣.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٨٠-٥٨١.
(٥) ديوانه، ١/ ٤٢١؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٨١.
(٦) ديوانه، ٢/ ٢٦١.

من ولى عهد فى آن واحد كانت أسبابا موضوعية فى إضعاف السلطة الأموية، فهذا أحد شعراء الأَزد ثابت قطنة يحرض يزيد بن المهلب على استمرار تمرده ويشيد بشجاعة أبيه، ولثابت صحبة طويلة مع آل المهلب، فضلًا عن صلة النسب معهم فظل يتابع أحداثهم دون توجس من غضب الخلفاء الأمويين مما يعنى أن قبضة الخليفة الأموى القوية انتابها الضعف، فقال ثابت قطنة:

إن امــرءًا حــدبت ربــيعة حــولَه ... والحــى مــن يَمــنٍ وهــاب كــؤودا
لِـضعيفٌ مـا ضـمّت جـوانُح صـدره ... إن لم يكُــفٌ إلى الجــنودِ جــنودًا
أيــزيدُ كُــن فــى الحــربِ إِذ هيجــتها ... كأبــيك لا رِعــشًا ولا رعديــدا[١]

فأعجب يزيد بن المهلب برأى ثابت قطنة، وأمر بإجابته مع حراجة موقفه حى رأى رأنه غافل عما هم فيه، فقال: "لعمرى لأطيعنه، وسيرى ما يكون"[٢]. وهو ما يكشف عن التسرع وعدم الركون إلى الموقف العسكرى الصائب والظروف المحيطة به، لهذا رأى فيه الشعراء الفارس القادر على إصلاح ما تصدع، فلما حمل أصحاب يزيد بن المهلب فى المِربد[٣]، قال الفرزدق:

تفــرَّقت الحمــراءُ إذ صــاحَ دارسٌ ... ولم يصبروا تحتَ السيوفِ الصوارمِ
جــزى الله قَيــسًا عــن عُــدى مَلامــةً ... ألا صــبروا حتــى تكــونَ ملاحِــم[٤]

ثم حشد يزيد بن عبدالملك جهوده لكسب ولاء الشعراء وتأليبهم ضد آل المهلب لغرض شن حملة إعلامية واسعة النطاق قوية التأثير فى الأحداث والمشاعر لما يمتلكه آل المهلب من مكانة خاصة فى نفوس الشعراء لإغداقهم الأموال عليهم،

---

(١) شعره، ٤١؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٤/ ٢٦٠.
(٢) الأصفهانى: الأغاني، ١٤/ ٢٦١.
(٣) موضع في البصرة مشهور فيه سوق يتبارى فيه الشعراء. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٩٧-٩٨ (المِربد).
(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٨١.

فأسهم هؤلاء الشعراء فى تويه انتباه الناس وحشد الجهود العسكرية فى دعم ثورتهم. فلما مدح الفرزدق يزيدَ بن عبدالملك وصف يزيد بن المهلب بالأزدى المغرور مما يكشف عن أثر الشعر فى الصراع بين دولة الخلافة والمتمردين عليها، فكان الفرزدق يشير فى الوقت نفسه إلى أحقية قريش بالخلافة، لأن الله فضلها بالنبوة، وكان يرى فى شجاعة ابن المهلب شخصية قيادية متفردة، ويرى فى عدى بن أرطأة ومن معه من قيس والحمراء الذين يشكلون جيش الخلافة اهتزازًا فى المعنويات وقصورًا فى القدرات القيادية، إذ يقول:

أكرم قومًا وأوفى عند مضلعةٍ ... لِمُثقَلٍ من دماءِ القومِ مبهورِ
إلّا قريشًا، فإن الله فضّلَها ... مع النبوّةِ بالإسلامِ والخيرِ
مِن آل حَربٍ، وفى الأعياص ... هُم ورّثوكَ بِناءَ عالِى السُّورِ
حَربٍ ومروان جدّاكَ اللّذا لَهُما ... من الروابى عظيماتِ الجماهيرِ
ترى وجوه بنى مروان تحسبُها ... عندَ اللّقاءِ، مُشوفاتِ الدنانيرِ

إلى أنْ يقول:

لقد عجبتُ من الأزدى جاء بِهِ ... يقودُهُ للمنايا حينُ مَغرورِ(١)

وإن كان هذا الشعر لا يتضمن هجاءً أو سبًا يتعرض لأخلاقية ابن المهلب، فقد أحجم الشعراء عن هجاء يزيد بن المهلب، إلا الأحوص فإنه عرض به، فقال:

وما زالَ ينوى الغدْرَ والنَكث راكبًا ... لعمياء حتى استَكَ منه المسامَعُ
وحتى أبيدَ الجَمع منهُ فأصبحوا ... كبعَضِ الأُلى كانت تُصيبُ القوارعُ
فأضحوا بنهرى بابلٍ ورؤوسُهُم ... تخُبُّ بها فيما هناك الخَوامِعُ(٢)

---

(١) ديوانه، ١/ ٢١٥. ينظر: ١/ ٢٧١، ٢/ ٢٥٢.
(٢) شعره، ١٤٩.

فزاد الهجاء من قوة الحملة الإعلامية ضد يزيد بن المهلب، لأنَّ العربَ تضع للمعاييرِ الأخلاقيةِ والإنسانيةِ مكانةً خاصة. ثم إن الخروج على الدولة فى نظر بعض الشعراء يعد نقضًا للإجماع العام، ومنهم جرير عندما قال:

آل المهلب فرّطوا فى دينهم ... وطغوا كما فعلت ثمودٌ فبادوا[١]

وقال أيضًا:

يا ابن المهلب إن الناسَ قد علموا ... أن الخلافةَ للشُّمِّ المغاويرِ
لا تحسبنَّ مِراس الحرب إذ خطرت ... أكلَ القُبابِ وأدَم الرغيف للصبرِ
خليفةُ الله إنى قد جعلتُ لكم ... غُرًّا سَوابِقَ من نسجى وتحبيرِي
لا يُنكرُ الناسَ قِدمًا أن تعرَفَهم ... سَبقًا إذا بلغوا نحز المضاميرِ
زانَ المنابِرَ واختالَت بمنتحبٍ ... مُثبَّتٍ بكتابِ اللهِ منصورِ[٢]

يبدو أن جريرًا حاول التعويض عن موقفه المتضامن مع الحجاج وابن المهلب فى الدعوة إلى انتزاع ولاية العهد من سليمان، فظل يراقب الموقف حتى انجلى لصالح يزيد بن عبدالملك فعبر عن ذلك فى ثلاث قصائد تنحاز إلى دولة الخلافة ضد محاولات الخروج ضدها[٣].

وفى سنة (١٠٢هـ/ ٧٢٠م)[٤] بدأت المناوشات بين جيش يزيد بن المهلب بقيادة ابنه عبدالملك والجيش الأموى بقيادة مسلمة بن عبدالملك والعباس[٥] بن الوليد بن عبدالملك، فانهزم عبدالملك أمام الجيش الأموى وقتل المنتوف من بكر بن وائل، مولى لهم، فقال الفرزدق يحرض بكر بن وائل:

---

(١) ديوانه، ٢/ ٦٤٧.
(٢) نفسه، ١/ ١٤٨.
(٣) نفسه، ١/ ١٦٨-١٧٦.
(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩٠-٥٩١.
(٥) ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ١٠٤.

تُبكى على المنتوفِ بكر بن وائلٍ		وتنهى عن ابنى مِسمَعٍ من بكاهُما
قتيلَين تجتاز الرياحُ عليهما،		مُجاور نهرى واسطٍ جَسداهُما
ولو أصبحا من غيرِ بكر بن وائلٍ		لكان على الجانى ثقيلًا دِماهُما
غُلامان نالا مِثلَ ما نالَ مِسمَعٌ،		وما صلَت عند النّباتِ لحاهُما
ولو كانَ حيًّا مالك وابن مالكٍ،		لقد أوقدا نارينِ عالٍ سنَاهُما
ولو غيرُ أيدى الأزدِ نالت ذُرَاهما،		ولكِن بأيدى الأزدِ حُزّت طُلاهُما[1]

حدد شعر الفرزدق من قتل فى هذه المعركة، وهو توثيق لجوانب من الحدث التاريخى الذى وثقه جانب ابن المهلب من خلال إجابة الجعد بن درهم، مولى همدان فى نقضه لقصيدة الفرزدق حين قال الجعد:

نُبكّى على المنتوفِ فى نصرِ قومِهِ		ولسنا نُبكّى الشائِدينِ أباهُما
أرادَ فَناءَ الحَى بكر بن وائلٍ		فعزُّ تميم لو أُصيبَ فِناهُما
فلا لقِيا رَوحا من اللهِ ساعةً		ولا رَقأت عَينًا شَجى بكاهُما
أفى الغِشّ نبكى إن بكينا عليهما		وَقَد لقيا بالغِشّ فينا رَدَهما[2]

ثم حدثت بعد ذلك موقعة العَقر[3] وما حصل فيها من مساجلات فى القتال بين الجيشين، ومن ثم مقتل عدى بن أرطأة، فلقى هذا الحدث صدى خفيًا فى نفس الشاعر الأزدى أحد أنصار آل المهلب ثابت قطنة، فقال:

ما سرنى قتل الفزارى وابنه		عدى ولا أحببتُ قتلَ ابن مسمعِ

---

(١) ديوانه، ٢/ ٢٠٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩١. وابنا مسمع: مالك وعبدالملك قتلهما معاوية بن يزيد بن المهلب. ينظر: أيضًا داليته التي حرض بها مسلمة بن عبدالملك حين سار لقتال ابن المهلب، ١/ ١٧١. ميميته، ١/ ٢٥٢.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩١؛ ابن كثير: البداية، ٩/ ٢٢٠.

(٣) العَقر: عقر بابل قرب كربلاء، ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ١٣٦ (العَقر).

ولكـــنها كانـــت مُعـــاوى زلّـــةً وَضَعت بها أمرى على غيرِ مَوضعِ[1]

فيشير على مقتل ابن مسمع وعدى بن أَرطاة الفزارى وابنه، وغلى معاوية بن يزيد بن المهلب مما يجعل لهذين البيتين أثَرهُما فى تدوين الحدث لحفظه أسماء من شارك فيه. ولعل فى ما قاله العباس بن الوليد بن عبدالملك وهو على مقدمة الجيش الأموى يوم العَقر المحمل بالعتاب واللوم المبطن ما يكشف عن خلاف خفى وإحساس بالقلق من الوضع الذى يهدد الدولة بالانكسار، فقد كان العباس يتوجس مما حوله ويشعر بأنه مستهدفٌ فى مقدمةِ جيش عانى الكثير من أجل أن يثبت أركان هذه الدولة، فضلًا عن إحساسه بالإخفاق لحرمانه من تسنم الخلافة، وهو هاجس يشاطره فيه مسلمة بن عبدالملك، فقد كان العباس يقول:

ألا تقنـــى الحـــياءَ أبـــا ســـعيدٍ وتَقـــصُر عـــن مُلاحاتـــى وعذِلـــي
فلـــولا أن أصـــلَكَ حـــينَ تُمنَـــى وفـــرعَكَ كـــان مـــن فرعِـــى وأصـــلِي
وإنـــى إن رميـــتك هِـــضت عُظمـــى ونالتنـــــى إذْ نالـــــتك نبلِـــــي
لقـــد أنكرتنـــى إنكـــارَ خَـــوفٍ يـــضمُّ حـــشاكَ مـــن شـــربٍ وأكـــلِ
كقـــولِ المـــرءِ عَمـــرو مـــن القوافـــى لقـــيسٍ حـــين خالَـــفَ كـــل عـــدلِ
عَذيـــرى مـــن خلـــيلٍ مـــن مُـــرادٍ أثـــريدُ حِـــباءَهُ ويـــريدُ قَتلِـــي[2]

وفى سنة (١٠٢هـ/ ٧٢٠)[3]، احتدم القتال بين الجانبين فقتل يزيد بن المهلب، فأخذ ثابت قطنة يعرض بأهل العراق الذين خذلوا ابن المهلب وتركوه للأسنة، فوصفهم بالجحود لأنهم أَخذوا نواله وفروا بعيدًا عنه، وكأنه يوحى إلى أن ما أصابه كان بسبب نكوصهم وتخليفهم عنه، فيقول:

كـــلُّ القـــبائلِ بايعـــوكَ علـــى الـــذى تَدعـــو إلـــيه وتابعـــوا وســـاروا

(١) شعره، ٥١؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦٠٠.
(٢) المرزبانى: معجم الشعراء، ١٠٤.
(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩٧.

حتى إذا اختلَفت القَنا وجعلتَهم نصبَ الأسنَّة أسلموك وطَاروا

أن يقتلوكَ فإن قتلكَ لم يكن عارًا عليك، وبعضُ قتلٍ عارُ

شهدتك من يَمنٍ عصائب ضيّعت ونأى الذين لهم يُصابُ الثأرُ

ولَقَد بسطت لهم يَمينك بالندّى مثلَ الفراتِ تمدُّهُ الأَنهارُ[1]

أما المفضل بن المهلب بن أبى صفرة[2] فإنه يصف ما حصل فى هذه الموقعة، فيرى أن الدَّم يطهر من العثرات والذنوب، وكأنه شعر بأن مقتل أخيه يزيد بن المهلب كان خلاصًا من الذل والتبعية الذى أفضى إلى الخسران، فكان الإحساس بالوجع وثيقة لما بداخل النفس البشرية من مشاعر ترى فى الموت خلاصًا ومنقذًا، ثم يذكر من لقى حتفه من آل المهلب من أمثال محمد وحبيب، فيقول المفضل:

أرى الشمسَ ينفى الهمَّ عنى طلوعُها ويأوى إلى الهمَّ حين تغيبُ

هل الموت أن وُجدنا بسفكِ دمائِنا مطهرّنا من عَثرةٍ وذنوب

وما هى إلا وَسنة تورِثُ السَّنا لعقبكَ ما حَنّت دوائم نِيبُ

وما خيرُ عيشٍ بعد فقد محمدٍ وفقد يزيد والحَرون حبيبُ[3]

جمع هذا الصوت القريب من يزيد بن المهلب بين الإحساس الذاتى بالفجيعة، وبين الشعور الإنسانى فى الاحتفال بملامح البطولة والفروسية والاستعداد لمواجهة الموت بكل جرأة وكأنه النتيجة الحتمية أو الثمن المدفوع سلفًا للخصال الحميدة التى يخوض غمار الحرب من أجل تحقيق وجودها، بما يجعل من الموت الأسطُورة التى تعوض عن الإِخفاق فى تحقيق الأَهَداف. والمفضل فارس من فرسان المهالبة الذين حفظت الأحداث قدرتهم على المواجهة عندما يتعامل مع الموقف بطريقة ندية تكشف عن خفايا الخيبة وانتصار البطولة فى آن واحد.

---

(١) شعره، ٢٩٧.

(٢) ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ٢٩٧.

(٣) نفسه.

وعلى الطرف الآخر من جانبى الصراع يقف أحد أقارب قاتل ابن المهلب، وهو المسيب بن رفل الكلبي[1] مفتخرًا بما فعلت قبيلة كلب أحد بطون قضاعة اليمانية، فيقول:

فتلنا يزيدَ بن المهلب بعدما تمنتم أن يَغلِب الحقَّ باطِلُهُ
وما كان منكم فى العِراق منافقٌ عن الدين إلّا من قضاعةَ قاتِلُهُ
تجلله قَحلٌ بأبيضَ صارمٍ حُسامٍ جلا عن شفرتيهِ صيا قِلُهُ[2]

يخفى هذا الشعر صراعًا قبليًا خفيًا بين قضاعة اليمانية التى قامت حكم بنى مروان ودافعت عنه، واستطاع أحد فرسانها القضاء على هزه عنيفة أصابت العراق فى معركة دبر الجماجم، فيصف من يناوئ الدولة بالمنافقين وكأنه يثأر لنفسه وقبيلته من تفاقم نفوذ الأزد فى الدولة الأمَوية منذ عهد سليمان بن عبدالملك، فضلًا عن وجود علاقة وثيقة بين الأزد وبعض حركات الخوارج، فى حين يرى شاعر آخر أن يزيد بن المهلب يفوق الملوك، فلا غرو أن يقول فيه القطامى الكلبى[3]:

لعلَّ عينى أن ترى يَزيدا
يقود جيشًا جحفلًا رشيدا
تسمعُ للأرضِ به وئيدا
لا بَرِمًا هَدًّا ولا حَسودا
ترى ذوى التاج له سُجودًا[4]

---

(١) من بني زهير بن جناب الكلبي. ترجمته: الأصفهاني، الأغاني، ١٨/ ٣١٣؛ لمرزبانى: معجم العشارء، ٣٠٠.

(٢) الأصفهانى: الأغاني، ١٨/ ٣١٣. وهو يشير إلى قاتل المهلب وهو القَحل بن عياش بن شمر بن ابي شرحيل أحد بني زهير بن جناب الكلبي.

(٣) هو الحصين بن حمال بن حبيب، أحد بني عبد ود بن عوف بن كنانة، وهو أبو الشرقي بن القطامي، شاعر محسن. تجرمته: الآمدى: المؤتلف، ٢٥١.

(٤) نفسه، ٢٥١-٢٥٢.

يبدو أن الشاعر كان منحازًا إلى يزيد بن المهلب، ولعل أخلاق الفرسان وكثرة إغداقه الأموال على الشعراء ونزعة الوفاء هى التى قادته إلى هذا الإطراء؛ كما فى قول حاجب بن ذبيان[1]، أحد شعراء بنى تميم فى خراسان:

لعمرى لقد خاضَت مُعيط دماءَنا — بأسيافنا حتى انتهى بهمُ الوحلُ
وما حمل الأقوامُ أعظم من دمٍ — حرامٍ ولا ذَحلٍ إذا التُمسَ النَّحلُ
حَقَنتم دماءَ المُصلتين عليكُم — وجُرَّ على فُرسانِ شيعتكَ القتلُ
وقى بهمُ العُريانُ فُرسانَ قومِهِ — فيا عجبًا أين الأمانةُ والعَدلُ؟[2]

فاسهم الشعر فى الصراع بين الدولة الأموية وآل المهلب الخارجين عن سطلتها وقوتها، فعبر خيرَ تعبيرٍ عن صراعات القِوى، فتمثل الأَحداث وكشف عن جوانب واضحة من تصاعد قوة تأثير الشعر وانحياز الكثير من الشعراء وتعاطفهم مع يزيد بن المهلب، فهذا الطرماح بن حيم يرثيه فيقول:

لحى الله قومًا اسلموا يوم بابلٍ — أيا خالد تحتَ السيوفِ البَوارقِ
فتى كان عند الموتِ اكرمَ منهم — حفاظًا، وأعَطى للجياد السَّوابقِ
واغير عند المحصناتِ إذ بدَت — براهُنَّ، واستعجلن شَدَّ النطائِقِ
فقائِلةٌ تَنعى يزيدَ وقائلٌ: — سَقى الله جزلَ السَّبب عَف الخلائِقِ
فلما نَعى الناعى يزيدَ تَزلزلتْ — بنا الأرضُ وارتجت بمثلِ الصَّواعِقِ[3]

وسخر مناصرو الدولة الأموية شعرَهم فى مدحِ يزيد بن عبدالملك وتهنئته بالانتصار على خصم قوي؛ كما فعل النابغة الشيبانى إذ قال:

فَضضَت كتائبِ الأزدَى فَذًا — بكبشِكَ وهو بغيتُه اللقاءُ

---

(١) أحد بني مازن من تميم. ترجمته: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩٩؛ ابن حزم: جمهرة، ٢١١.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩٩.
(٣) ديوانه، ٣٣٧-٣٣٩، ينظر أيضًا: هجاءه للفرزدق وتميًا وتعريضه بمسلمة بن عبدالملك في قتل يزيد بن المهلب، ٤٦٠-٤٦١.

وعادتُـــــه إذا لاقـــــى كِباشًـــــا فـــناطحهُن قَـــتلٌ واحـــتواءُ[1]

بينما حاول كثير بن عبدالرحمن مزجَ المديحِ بالشفاعة لآل المهلب عند يزيد بن عبدالملك، وهو موقف يجمع بين ميل كثير للعلويين واضطراره لمجاراة الأمويين بحثًا عن النوال، وخشيته من السلطة حيث قال:

تشوّف من صوت العِدى كلما دَعا تــشوّف جـيداءَ المقلّــد مُغــيبِ
تُــبارى خَــراجيجًا عِــتاقًا كأنّهــا شرائحُ معطوفٍ من القُضَبِ مُصحَبِ
إذا مــا بلغــنا الجهــدَ مــنّا توعــبت وضــيعُ زمــامٍ كالحــبابِ المــسيَّبِ
اضــرَّبها عَلَــقُ الــسُّرى كــل لــيلةٍ إليكَ فآسادى ضحى كل صهيبِ[2]

كما شارك الرُّجاز فى دعم موقف مسلمة بن عبدالملك فنال من مديحهم وحثهم له فى ضرب الخارجين عن وحدة الدولة، حتى أن رؤية بن العجاج[3] عرض بيزيد بن المهلب وحرض مسلمة ومدحه فقال:

مَـــسلَمة القائـــد وهـــو ســـامِ
كالـبدر أجلـى عـن دُجـى الغـيامِ

إلى أن يقول:

رِاســى المَراســى خالــدُ الــدُّعامِ
أعجــسُ آبــاءً علــى المَرامــي
يَبقــى بقــاءَ الجــبلِ الــدُّلامِ

---

(١) ديوانه، ١٢٥، ١١٠-١١١.

(٢) ديوانه، ٣٥١؛ ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٣٤، ينظر: ما قال الأعشى التغلبي في مسلمة بن عبدالملك: الآمدى: المؤتلف، ٢٠.

(٣) رؤبة بن عبدالله بن رؤبة، وعبدالله هو العجاج من شعراء تميم (ت، ١٤٥هـ/ ٧٦٢م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٩٥، ياقوت: معجم الأدباء، ١١/ ١٤٩.

مـــن مـــضرَ الحمـــراءِ فـــى قمقـــامِ
يَـــزيدُ لـــو سَـــقت بنـــى خُمـــامِ
وســـقت ألفـــى ســـاحرٍ آثـــامِ
لاقـــيت نجمًـــا نكـــدَ الـــنِجامِ[1]

ومع أن الرجز كان محدودًا فى تأثيرهِ إلا أَنّ العجاج وابنه رؤبة وأبا نخيلة[2] من شعراء الرجز الذين ساهموا فى مواكبة الصراعات وكانت أَصواتهم مسموعة، فهذا أبو نخيلة يقول:

مَلَـــمَ يـــا مَـــسلَمَةَ الحـــروبِ
أنـــت المـــصفىّ مـــن أذى العـــيوبِ
مـــصاصَة مـــن كـــرمٍ وطـــيبِ
لـــولا ثقـــاف لـــيس بالتدبـــيبِ
تقـــرى بـــهِ عـــضن حُجـــب القلـــوبِ
لامـــست الأمـــة شـــاء الـــذيبِ[3]

مما يعنى دخول فن الرجز الشعرى ميدان الأحداث واستطاعته أن يمد التاريخ بنصوص واكبت حركة مَسلمة فى حربه ضد يزيد بن المهلب وأنصاره. وطلب مَسلمة أهل المهلب فى قندابيل فبعث هلال بن أحوز المازنى فأنشده كُثِير بن عبدالرحمن قصيدته السابقة الذكر، فقال يزيد بن عبدالملك: "لا كانت بك الرحمن

---

(١) رؤبة بن العجاج (ت، ١٤٥هـ/ ٧٦٢م): ديوانه، ضمن مجموع أشعار العرب باعتناء وليم بن الورد البُرسي (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م)، ١٤٦-١٤٧.

(٢) هو أبو الجنيد يعمر بن حزن بن زائدة، أحد بني حمان بن كعب بن سعد، كني بأبي نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة، شاعر أموي عباسي راجز محسن (ت، ١٤٥هـ/ ٧٦٢م). ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٢٠/ ٣٦١؛ السيوطي: شرح، ٢/ ٧٣٥.

(٣) أبو نخيلة، يعمر بن حزن بن زائدة (ت، ١٤٥هـ/ ٧٦٢م): شعره، تحقيق عباس توفيق، مجلة المورد، المجلد (السابع عشر)، العدد (الثالث عشر)، (بغداد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ٣٥١.

لا سبيل إلى ذلك، من كان له قبل إلى المهلب دم فليقم، فدفعهم إليهم حتى قتل نحوًا من ثمانين"[1]. فقال حاجب بن ذبيان المازنى:

لقد قَرِدَت بقندابيل عينى، وساغ لى الشّرابُ على الغليلِ
غداةَ بنو المهلّبِ من أسيرٍ يُقادُ به ومُستَلَبٍ قتيلِ[2]

يقترن الحدث بالمكان، كما ارتبط بابن أحوز الذى تصدى لآل المهلب، وهو ذو صلة بعدى بن أَرطاة، لأن الشاعر من بنى تميم الذين كانوا يشعرون بأن قبيلةَ الأَزد تنافسهم فى الوقوف بمواجهة الأحداث، كما يبدو من قول جرير:

أخاف على نفسى ابن أحوز إذ شَفى وأبلى بلاءً ذا حُجول مُشهَّدًا
شفيت من الآثارِ خَولةَ بعدما دعت لَهفها واستعجلت أن تَخمَّرا
الاربُّ ساهى الطّرف من آلِ مازن إذا شمّرت عن ساقِها الحربُ شَمَّرا
أتنسونَ شَدَّاتِ ابنِ أحوزَ أنّها جَلَت كُلَّ وجهٍ من معدٍّ فأسفَرا
وأدركَ ثارَ المِسمَعين بسيفهِ واغضِبَ فى شأنِ الخيارِ فنكّرا
جعلت بقبرٍ للخيارِ ومالِك وقبر عَدِّى فى المقابرِ أقبَرا[3]

يبدو أَن شعراء تميم رأوا فى هلال بن أحوز أحد رجال بنى تميم نصيرًا قويًا لهم فى مقارعة قبيلة الأَزد التى يشعرون بنوع من الانحياز ضدها، فأسهم الصراع القبلى فى كسب شعراء بنى تميم ضد يزيد بن المهلب وقبيلته التى كان لها مواقف عدائية ضد تميم وحلفائها بكر بن وائل فى ولاية عدى بن أَرطاة الفزارى على البصرة حين قدمها يزيد بن المهلب ساخطًا على يزيد بن عبدالملك[4]، حيث يقول ذو الرمة:

---

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٤٣٤.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٠٤ (قندابيل). وهي قصبة لولاية يقال لها النُّدهة.

(٣) ديوانه، ١/ ٤٦٩-٤٧٠. ينظر أيضًا: ١/ ٤٧٥، ١/ ١٨٠-١٨١، ٢/ ٢٢٦-٢٢٧.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٧٨-٥٨٠.

رفعتَ مجدَ تميم يا هلالُ لها ... رفع الطِّرافِ على العَلياءِ بالعَمدِ
حتى نساء تميم وهى نائية ... بُقلَةِ الحزنِ فالصَّمّا فالعَقَدِ
لو يستطعنَ إذا نابَتْكَ نائبة ... وقتنبك الموت بالآباءِ والوَلَدِ
تمنَت الأزدُ إذ غَبَّت أُمورهم ... أن المهلَّبَ لم يُولَد ولم يَلِدِ
كانوا ذوى عَدَدٍ دثرٍ وعائرةٍ ... من السِّلاح وأبطالًا ذوى يَلَدِ
فما تركت لهم من عينٍ باقية ... إلا الأراملُ وأيتامُ من أحدِ
بالسِّند إذ جمعنا تكسو جماجمهم ... بيضًا تُداوى من الصوارتِ والصيدِ
ردت على مضر الحمراءِ شدَّتُنا ... أو تارها بين أطرافِ القنا القَصدِ
والحى بكرٍ على ما كان عندَها ... من القطيعةِ والخذلانِ والحسَدِ
جئنا بأثارهم أسرى مقرنة ... حتى دفعنا إليهم رُمَّةَ القُودِ
فى طحمة فى تميم لَم يُصكُ بها ... رُكبًا ثَبيرٍ لا مسى مائِلَ السَّندِ
لولا النبوة أعطوه بنى رجلٍ ... حبلَ المقادة فى بحرٍ ولا بَلَدِ(١)

دفع فخر ذى الرمة بقبيلته تميم نحو المبالغة حتى أنه رأى فيها معدن القيادة والملك لولا النبوة التى خُصت بها قريش، فقد تحوّل مدحه إلى هلال بن حوز وصراعه من ابن المهلب إلى كشف لنزوع شخصى يرى فى النفس قوة، وفى القبيلة سخموًا، ثم غدا تعصبًا واضحًا ينجلى عن صراع خفى بين قبائل مضر وقبائل اليمن، وهذا ما فعله شاعر تميمى آخر هو الفرزدق الذى يقول:

أحلَّ هُريم يوم بابلَ بالقَنا ... نذور نساءٍ من تميمٍ فحلَّتِ
فأصبحنَ لا يشرين نفسًا بنفسهِ ... من الناسِ، إن عنه المينةُ زَلَّتِ
يكون إمامَ الخيلِ أولَ طاعنٍ، ... ويضربُ أُخراها، إذا هى وَلَّتِ

(١) ديوانه، ١٤٧-١٤٩.

عـــشيةَ لا يـــدرى يـــزيدُ أينتحـــى   على السيفِ أم يعطى يَدًا حين شَلَّت؟[1]

يشير إلى الموقعة التى قتل فيها يزيد بن المهلب حيث تشفى بنو تميم بالأزد الذين قاتلوهم عندما غلب يزيد على البصرة، فبعث الخليفة يزيد بن عبدالملك بجيش قوامه ثمانون ألفًا، كما فى قول الفرزدق:

أتـــاك ابـــن مـــروان يقـــودُ جـــنودَهُ   ثمـــانين ألفـــا، خـــيلُها قـــد أظلَّـــتِ

فلـم يُغـنِ مـا خندقَت حـولَكَ نقـرةً   مـن البيضِ مـن أغمادِهـا حين سُلَّتِ

كـــأنَّ رؤوسَ خُطـــبانُ حـــنظلٍ   تَحِـــزُّ أكـــتافهم حـــينَ وَلَّـــتِ

أتـتكَ جـنود الـشَّام تخفـق فـوقها   لهـا خِـرقٌ كـالطيرِ حـين استقَلَّتِ

تخـــبرك الكُهـــان أنّـــك نـــاقِصٌ   مدشقَ التى كانت إذا الحرب حَرَّت[2]

وفى الطرف الآخر انحاز شعراء الأزد إلى يزيد بن المهلب، فقال نهار بن توسعة من بكر بن وائل يرثى يزيدًا ويعرض بقتيبة الذى خلفه على خراسان، لأن بكرًا كانوا حلفاء للأزد[3]، فقال نهار:

كانـــت خراســـان أرضًـــا إذ يـــزيدُ بهـــا   وكـــلُّ بـــابٍ مـــن الخـــيراتِ مفـــتوحُ

فاســـتبدلت قَتيـــبًا جَعـــدًا أنامِلُـــه   كأنمـــا وجهُـــهُ بالخـــلِّ منـــضوحُ

هَـبت شِـمالًا حـريفًا أسـقطت ورقًـا   واصـفَّر بالقـاعِ بعـد الخـضرةِ الـشيحُ

فارحـل هُـديت، ولا تجعـل غنيمتَـنا   ثلجًـــا تـــصفقه بالترمـــذ الـــريحُ

إن الـــشتاء عـــدولا نقابلـــهُ   فارحل هُديت وثوبُ الدّفءِ مطروحُ[4]

---

(١) ديوانه، ١/ ١١١. وهريم هو ابن أبي طمحة المجاشعي الذي ذكره الطبرى: تاريخ، ٦/ ٩٥٠.

(٢) نفسه: ١/ ١١١-١١٢. ينظر: فائيته التي مدح بها هلال بن أحوز، ٢/ ٢١٢. فاقيته التي قالها حين لحق مسلمة بـ (قندابيل) لقتال آل مهلب، ٢/ ٣٦.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٧٨-٥٨٠؛ عطوان: الشعر العربي بخراسان، ٢٨٤.

(٤) شعره، ٩٧؛ الآمدى: المؤتلف، ٢٩٦. البيتان الأول والثاني فقط.

وهـذا ما يشير إلى أن ولاءات الشعر خضعت لظروف وعلاقات قبلية، فقد كان ولاى ثـابـت قطنـة لآل المهلـب ولاءً قبـليًا لأنه أزدى، لذا رثى يزيد بن المهلب فقال:

ألا يـــا هِـــندُ طـــالَ علـــى ليلـــى وعــــادَ قــــصيرُه لـــيلًا تمامَـــا
كأنـــى حـــين حَلَّقـــت الثُّـــريا سُـقيتُ لعـابَ أسـودَ أو سَـماما
أمـــرُّ علـــى حُلـــوَ العَـــيشِ يَـــومٌ مـــن الأيـــامِ شَـــيَّبنى غُلامَـــا
مُـصاب بنـى أبيكَ وغبتُ عـنهم فلـم أشـهدهُم ومـضوا كِـراما
فـــلا واللهِ لا أنـــسى يـــزيدًا ولا القتلـى التـى قُـتلت حَـرامًا
فعلـــى أن أَبُـــوءَ بأخـــيك يَـــومًا يَـــزيدًا أو أبـــوء بـــهِ هِـــشامًا
وعلـــى أن أقـــودَ الخـــيلَ شُـــعثًا شـــوارِبَ ضُـــمَّرًا تُقُـــصُّ الأكامَـــا
فأصـــبحُهُن حِمـــيرَ مـــن قـــريبٍ وعَكًّـــا أو أَرُعْ بهمـــا جـــذامًا
ونـــسقى مـــذحجًا والحـــى كَلـــبًا مـــن الـــذّيفانِ أنفاسًـــا قَـــوامًا
عـــشائرنا التـــى تبغـــى علينـــا تَجـــر بـــنا زَكـــا عامًـــا بِعامـــا
ولـــولاهم ومـــا جلـــبوا علينـــا لأَســبحَ وَســطَنا ملكًــا هُمامــا[1]

تبدو الروح القبلية فى مراثى ثابت قطنة لابن المهلب واضحة، وطلبه بثأره من يزيد بن عبدالملك أو هشام مشيرًا إلى فكرة (البوء)[2]، أى رجع أو ألج أو أرجأ، معرضًا بالقبائل اليمانية التى ساندت الأمويين من أمثال: حِمير، ومذجج: وكلب. وقد قاده انحيازه نحو يزيد بن المهلب إلى تبنى فكرة (الإِرجاء) أى التأخير، لأن المُرجئة يقولون بتأخير صاحب الكبيرة على القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار[3]، وذلك من خلال دفاعه عن فكرة

(١) شعره، ٦٠. ينظر مِيِنيته التي رثى بها ابن المهلب، ٥٧-٥٩.
(٢) ابن منظور: لسان، ١/ ٢٨٣ (بوأ).
(٣) الشهرستانى: الملل، ١/ ٢٢٣.

إرجاء عقوبة الخارجين عن سلطان الدولة وإجماع السواد الأعظم، فرأى فى شخصية يزيد بن المهلب وسيلة لبث أفكاره وتوكيدها، حيث يقول ثابت قطنة:

أيـــا خالـــدٍ زدتَ الحـــياةَ محـــبةً   إلى النـاسِ إن كـنت الأمـيرَ المـتوّجا
وحـقٌّ لهـم أن يـرغبوا فـى حـياتهم   وبابُـك المفـتوحُ لِمـن خـافَ أو رَجـا
يــزيد الــذى يجـرو نــداك تفـصلا   وتؤمن ذا الأجرام إن كنتَ مُحرجا[1]

وكان بعض المرجئة قاتلوا مع جيش ابن المهلب[2]، فلعل ثابتَ قطنةٍ تأثر بهم، فقد كانت له قصيدة تعدُّ وثيقةً مهمةً من وثائقِ الإرجاء التى يقول فيها:

يـا هـندُ إنـى أظـنُّ العـيشَ قـد نفـدا   ولا أرى الأمـــر إلا مُدبـــرا نَكِـــدا
إنـــى رهيـــنةُ يـــومٍ لـــست ســـابقَه   ألا يكـــن يومـــنا هـــذا فقـــد أفِـــدا
بايَعـــتُ ربـــى بـــيعًا إن وفـــيتُ بـــهِ   جـاورتُ قَتلـى كِـرامًا جاوروا أُحُـدا
يـــا هـــندُ فاســـتمعى لى أن ســـيرتنا   أن نَعـــبد الله لا نُـــشرك بـــهِ أحـــدا
نُجـرى الأمـورَ إذا كانـت مـشبهةً   ونـصدِقُ القـول فـيمن جارَ أو عَـندا
المـسلمون علـى الإسـلام كلّهـم   والمـشركون اشـتوا ديـنهم قِـددا
ولا أرى أن ذنـــبًا بالـــغٌ أحـــدًا   مِ النـاس شِركًا إذا ما وحدوا الصَّدما
لا نـــسفك الـــدَّمَ إلا أن يُـــرادَ بـــنا   سـفكَ الـدماءِ طـريقًا واحِـدًا جُـدُدا
مَـن يَـتقِ الله فـى الدنـيا فـإن لـه   أجـرًا التقـى إذا وفـى الحـسابَ غَـدا
ومـا قـضى الله مـن أمـرٍ فلـيس لـه   ردٌّ وما يُقـضَ مـن شيءٍ يكُـن رشـدا
كُـلُّ الخـوارجِ مُخـخطٍ فـى مقالـتِه   ولـــو تَعـــبَّد فـــيما قـــالَ واجـــتهدا

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩٩.
(٢) شعره، ٣٩-٤٠، الأصفهانى: الأغاني، ١٤/ ٢٥٤.

أمـــا علـــى وعـــثمانُ فإنهمــــا عَـبدان لم يَـشركا بـالله مُـذ عَـبدا

وكــان بيــنهما شَـغبٌ وقــد شــهدا شَـقَّ العـصا ، ويعـينِ الله مـا شَـهِدا

يُجــزى علــى وعــثمانُ بــسعيهما ولـــستُ أدرى بحـــقّ آيـــةً وَرَدا

الله يعلـــمُ مـــاذا يحـــضران بـــهِ وكــلُّ عــبدٍ سـيلقى اللهُ منفَــرِدا[(١)]

جـالس ثـابـت قطنـة "قومًا من المرجئة كانوا يجتمعون فتجادلوا بخراسان، فمال إلى قول المرجئة وأحبـه، فلما اجتمعـوا بعـد ذلـك أنشدهم قصيدة قالها فى الإِرجاء"[(٢)]، والتى تشير إلى فكرة تأجيل الحساب إلى يـوم القيامة. فكانت وثيقة لعقيدة الإرجاء فى الكشف عن جوانب مهمة من أفكـارهـم لأن المـرجئـة يـرجئون الحكم على الأعمال[(٣)]، مما يجعل الشعر سجلًا يحفظ الوقائع والعقائد والأفكـار، وديـوانًا يحتوى بين دفتيه مادة غنية بالأحداث، وغزيرة بمشاعر الإنسان وأحاسيسه التى يمكن أن تعبر عن واقعة السياسى والاجتماعى وظروفه الاقتصادية ومعتقده الدينى، فكان ثابت قطنة شاعر المرجئة[(٤)] فى هذه القصيدة مما يجعل شعره فى يزيد بن المهلب ذا أثر فاعل فى كشف جوانب مهمة من عقيدة الإرجاء التى نمت فى هذه المرحلة بعيدًا عن توجيهات الدولة الأموية التى كانت ترى فى فكر الخوارج وتطلعاتهم خطرًا على كيانها وعلى وحدتها، فقد أشار هذا الشعر إلى عقيدة راسخة ونزوع قبلى معارض وبحث مستديم عن المنفعة فى ظل يل مهلب الأزديين، أو عن الحرية التامة البعيدة عن التقّيد بالسياسة العامة، أو ما يسمى بالتحليق خارج السِّرب.

---

(١) الأَصفهاني. الأغاني، ٤/ ٢٥٣.

(٢) ينظر: ضيف، شوقى: التطور والتجديد في الشعر الأموي (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، دون تاريخ)، ٧٦.

(٣) ثابت قطنة: شعره، ٢١. ينظر: تفاصيل شرح القصيدة: أمين، أحمد فجر الإِسلام (لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٦٤م)، ٢٨١-٢٨٢.

(٤) السميدع بن واهب بن سوارين بن زهدم البصري. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٨/ ٣٠٣؛ ابن حجر: تهذيب، ٤/ ٢١٠.

ووقف الفرزدق ضد المرجئة، وبالذات السَّميدع[1]، ووصفه بالحرورى والمارق، فقال:

فِدىً لرؤوس من تَميمٍ تتابعوا　　إلى الشامِ لم يرضوا بحكم السَّميدعِ
أحُكمَ حروري من الدينِ مارقٍ　　أضلَّ وأغوى منِ حمارٍ مُجدَّعِ[2]

بينما وقف أحد الخوارج، وهو محارب بن دثار (ت، ١١٦هـ/ ٧٤٣م) مدافعًا عن فكرة الإرجاء موضحًا عقيدتها مما يكشف عن اللقاء الفكرى بينه وبين ثابت قطنة فى قصيدته الآنفة الذكر حيث يقول محارب:

يُعيب على أقوام سفاها　　بأنْ أُرجى أبا حَسَنٍ عليًّا
إرجائى أبا حسَنٍ صواب　　عن العُمرينِ بَرًّا أو شَقيًّا
فإن قَدمت قومًا قال قومٌ　　أسأتَ وكنت كَذابًا رديًا
إذا أيقنت أن الله ربِّى　　وأرسلَ أحمدًا حقًّا نبيًّا
وأنَّ الرُّسلَ قد بُعثوا بحقٍّ　　وأنَّ الله كانَ لَهُم وَليًّا
فليس على فى الإِرجاءِ بأسُ　　ولا لَبسٌ وليس أخاف شيًّا[3]

مما يُنَبِىء عن شيوع فكرة الإرجاء ووجود من يدعو لها من الخوارج، فكانت عقيدة غايتها تثبيط همم الجند الذين يحاربون من يخرج عن سلطة الدولة، لأنهم يعتقدون بإرجاء عقوبة من يخرج عن الإجماع إلى يوم القيامة.

ومن الملاحظ أن مناصرى الأمويين حاولوا أن يوجدوا علاقة بين تمرد يزيد بن المهلب والحرورية كما قال العجاج، أحد شعراء تميم، مخاطبًا مسلمة بن عبدالملك فى قتاله ليزيد بن المهلب:

---

(١) ديوانه، ١/ ٤٠٩. وهو يشير إلى هريم المجاشعي الذي كره الفتنة ولحق بالشام.
(٢) ديوان الخوارج، ١٩١-١٩٢.
(٣) ديوانه، ٤٦٧؛ والرجز منسوب أيضًا لرؤبة بن العجاج. ديوانه، ٦٢.

قَـد فـرَّق الـناسُ، ومـا عَيـيتُ

مـن أيـن آتـى الأمـرَ إذ أُتـيتُ

رهـنَ الحـروريّينَ قـد صُـريتُ

صَـمّاءَ صُـمٌ طيرُهـا سُـكوتُ[1]

والمعروف أنه لا صلة بين ابن المهلب والحروريين وإن حاولت بعض عناصرهم بث افكارها فى صفوف أنصاره، لأنه انطلق من موقف آنى أملته نزعته الاستقلالية فى إدارة أمور ولايته، واستمرار الحروب والمنازعات مع السُّغد، فصارت الحرب بالنسبة له عملًا يوميًا كما هو الحال عند أبيه. ويبدو أنه شاع نوع من الاعتقاد لدى عامة الناس بأن كل من يخرج عن حظيرة الدولة وسيادتها لابد وأن ينتمى من قريب أو بعيد إلى إحدى فرق الخوارج. فهذا رؤبة يمدح مسلمة بن عبدالملك فيصف حربه أنها ضد القدريين[2]، فيقول:

فقلـتُ والمملـى حَفـيظُ الكُـتّابْ

والقَدريَـونَ بقـولِ مُـرتابْ

والقدريـون بحـبلٍ جَـذابْ

يقـدرِ المُعلـينَ دِلاءَ الأكـرابْ

سـيعرفونَ الحـقَّ عـندَ المـيجابْ

دَعهـم سَيلقون، أعـدَّ الحُسَّابْ[3]

لعله يشير إلى قولهم الذى ساقوه بأن "الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع الأمة عن بكرة

(١) ديوانه، ٤٦٧؛ والرجز منسوب أيضًا لرؤية بن العجاج. ديوانه، ٦٣

(٢) وهم أتباع معبد بن خالد الجهني الذين قالوا في القدر والاستطاعة. البغدادى: الفرق، ١٨.

(٣) ديوانه، ٦.

أبيهم"[١]. فوصف قولهم بالمرتاب، لأَنهم يقولون ما يصعب تحقيقه من الناحية العملية.

وفى سنة (١٠٢هـ/ ٧٢٠م)[٢] غزا المسلمون السُّغد والترك، وكان ثابت قطنة على ميسرة الجيش فى واقعة قَصر الجاهلى، فقال:

فَـدت نفـسى فـوارسٍ مـن تمـيمٍ ... غَـداةَ الـرَّوعِ فـى ضَـنْكِ المقـامِ
فَـدت نفـسى فوارسًـا اكتفونـى ... علـى الأعـداءِ فـى رَهَـجِ القـتامِ
بقـصرِ الباهلـى وقـد رأونـى ... أُحامـى حـيث ظَـنَّ بـهِ المحامـي
بـسيفى بعـد حطـم الـرمحَ قـدمًا ... أذ ودهـم بـذى شـطب حـسامِ
أكـرُّ علـيهم الـيحموم كَـرًّا ... كَكَـرِّش الـشَّرب آنـية المُـدامِ
أكـرُّ بـهِ لـدى الغمـرات حتـى ... تَجلَّـت لا يـضيقُ بهـا مقامـي
فلـولا الله لـيس لـهُ شَـريكٌ ... وضـربى قَـونَس الملـكِ الهمـامِ
إذن لـسعت نـساءُ بنـى دِثـارٍ ... أمـامَ الـترك باديـةَ الخَـدَامِ
فمَـن مـثل المُـسيبِ فـى تمـيمٍ ... أبـى بِـشرٍ كقادمـةِ الحمـامِ[٣]

وثق هذا الشعر الواقعة الحربية التى دارت مع السُّغد والأتراك فى قصر الباهلى واسم مَلك السغد ومن قتله وبلاء المسيب بن بشر الرياحى فى هذه الواقعة وحماسة المقاتلين حتى لا تصبح نساء بنى دثار سبايا عند الأتراكِ. فهو شعر يواكب الحدثَ ويحفظه وينطلق من مدياته المكانية والنفسية ومن جوهر حركة الصراعات وبواعثها ونتائجها.

---

(١) الشهرستانى: الملل، ١/ ٣٦-٣٧.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦٠٧-٦١٠. لعله يشير إلى قصر قتيبة بن مسلم الباهلي.
(٣) شعره، ٥٥-٦٥؛ الطبري/ : تاريخ، ٦/ ٦١١. ينظر في هذا المكان ما قاله جرير عن المسيب.

ثم قطع سعيد خُذينة[1] نهر بَلخ[2] وغزا السغد بعد أن نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين، وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا فغنموا وسبوا رد ذرارى السبى وعاقب السرية[3]. فقال الشاعر:

وأنتَ لِمن عاديتَ عِرسٌ خَفيةٌ ونتَ علينا كالحسامِ المُهنَّد
فللهِ دُرٌّ السُّغد لما تحزَّبوا ويا عجبًا من كيدِكَ المترددِ![4]

يبدو أن الاتجاه العام الذى صار عند الناس فى أقاليم المشرق هو احترام السياسية التى تعتمد على الحزم والقوة لأنها الوسيلة الفعالة فى رد هجمات الجماعات غير المسلمة فى المناطق الحدودية المتاخمة للدولة الإسلامية كالسغد والترك، ولذلك استاء الناس من سياسة اللين التى ظهرت عند سعيد بن عبدالعزيز مما دفع بعض الشعراء إلى هجائه ووصفه بأوصاف النساء، فقال إسماعيل[5]:

زَعَمت خُذَينة أننى مِلطٌ لخُذينة المرآة والمشيطُ
ومجامِرٌ ومكاحِلٌ جُعلَت ومعازِفٌ وبخدِّها نُقطُ[6]

يعبر هذا الشعر عن حاجة الدولة والمجتمع إلى ولاة أشداء من أمثال المهلب وابنه يزيد وقتيبة بن مسلم ومسلمة بن عبدالملك... وغيرهم، فيكون من الراجح أنَ سعيد بن عبدالعزيز قد مثل سياسة جديدة أرادها الخليفة يزيد بن عبدالملك تقوم

---

(١) هو سعيد بن عبدالعزيز بن الحراث بن الحكم بن ابي العاص الأموي، والي خراسان لمسلمة عبدالملك لقب بـ (خذينة) لأنه كان رجلا لينا سهلا متنعمًا، وقيل لأنه لم يطاوع اليمانية فضعفوه. ترجمته: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦٠٥، ابن حزم: جمهرة، ١٠٩.

(٢) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٧٩ (بلخ).

(٣) الطبري، تاريخ، ٦/ ٦١٢، ٦١٤.

(٤) نفسه، ٦/ ٦١٤. ينظر: البيت الثاني برواية أخرى عند البالذرى: أنساب، ٥/ ١٦١.

(٥) لعله إسماعيل بن يسار مولى بني تميم من قريش. ترجمته: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، باعتناء يوسف فإن اس، الجزء التاسع (دار نشر فزانز شتاينر بفيسبادن، مطابع دار صادر، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ٢٤١.

(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٦٢، الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦١٤.

على اللين مع الجماعات الحدوية ومحاولة إقناعهم الدخول فى الإسلام عن طريق الإقناع وتوفير ما هو أفضل مما هم فيه بدلا من الاستمرار فى منهج العنف والقتال معهم.

وكان من نتائج سياسة اللين هذه أن جرى عزل مسلمة بن عبدالملك عن العراق وخراسان، وتولية عمر بن هبيرة[1] مكانه، ثم عزل ابن هبيرة بعد ذلك[2]، فقال الفرزدق:

مـضت لمـسلمةَ الـركابُ مُـودَّعا،	فأرعــى فــزارة، لا هــناكَ المَــرتَعُ
ولَقَــد علمِــتُ ولــين فَـزَارةُ أُمِـرَّتْ	أن سَوف تطمَعُ فـى الإمارةِ أشجعُ
إن القــيامةَ قَــد دَنــت أشــراطُها،	حتــى أُمــيةُ عــن فِـزارَة تَنــزُعُ[3]

يبدو أن الصراع القبلى بين تميم وفزارة، وما كان بين عدى بن أرطاة الفزارى والى البصرة حين غلب عليها يزيد بن المهلب وبين بنى تميم، كان سببا فى شعر الفرزدق هذا، فكان له أثَره فى نكبة ابن هبيرة الفزارى، إذ أَنَّ الموازنة بين القبائل تعرض بعض الأحيان إلى نوع من الاختلال نتيجة اختلاف ميول الخلفاء الأمويين نحو القبائل بتأثير الخؤولة؛ لهذا ظل صراع القبائل اليمانية والقيسية قائمًا، فكان أحد أسباب ضعف إدارة الدولة وتعرضها لنكسات وصراعات ولحركات الخروج المستمرة.

وفى سنة (١٠٣هـ/ ٧٢١م)[4] عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة واستعمل سعيد[5] بن عمرو بن الأَسود الحرشى، فقال نهار بن توسعة:

فمَــــن ذا مــــبلغٌ فتــيان قومِــى	بــأنَّ النَّــبلَ ريــشَت كــلَّ ريــشِ

---

(١) عمر بن هبيرة بن معية بن سكين الفزاري (ت، ١٠٧هـ/ ٧٢٥م). ترجمته: الذهبي. سير، ٤/ ٥٦٢.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦١٦.
(٣) ديوانه، ١/ ٤٠٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦١٦ مع اختلاف الرواية.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦١٩.
(٥) أحد بني عامر بن صعصعة. نفسه، ٦/ ٦١٩.

بـــأن اللهَ أبـــدلَ مـــن سَـــعيدٍ		سَـعيدا إلّـا المُخـنَّثَ مـن قـريشِ[1]

وقال شاعر يصفه أيضًا:

تَـــبدَّ لـــنا سَـعيدا مِـــن سَـــعيدٍ		لجَـــدِّ الـــسُّوءِ والقَـــدرِ المُـــتاحِ[2]

فلما قجدم الحرشى خطب الجند وأنشدهم:

فلَــــستُ لعامـــرٍ إن لم تَرونـــى		أمـــامَ الخَـيلِ أطعـــنُ بالعَوالـــي
فأضـــرِب هامـــةَ الجـبَّارِ مـــنهم		يعـضَبِ الحـدِّ حُـودِثَ بالـصِّقالِ
فمـــا أنـــا فـــى الحُـــربِ بمُـــستَكينٍ		ولا أخـــشى مـــصاوَلَةِ الـــرِّجالِ
إذا خطـرت أمامـــى حَـــى كَعـــبٍ		وزافَـــت كالجِـــبالِ بَـــنو هِـــلالِ[3]

إنّه يشير إلى أنَّ سياسته ستكون باستخدام الشدة من أجلِ حماية ثغور الدولة فى بلاد السغد، إذ استمرت جهود الحرشى فى ملاحقتهم، فغزَاهم فى سنة (١٠٤هـ ٧٢٢م)[4] فقتل بعض دهاقينهم، فقال ثابت قطنة:

أقـــرَّ العـــينَ مَـــصرعُ كـــار ذنـــح		وكَـــشكيرَ وملاقـــى يُـــبادث
ودُيوشـــتى وملاقـــى خِلَـــنج		بحـصن خُجـندَ إذ دُمـروا فـبادوا[5]

يوثق البيتان أسماءَ رجالٍ قُتلوا من السُّغدِ فى أحد حصونهم، فكان الشعر سجلاً يحفظ الحدث التاريخى، كما تحفظه الكتابةُ النثرية. فلما قتلَ سعيدٌ الحرشى أحدَ الدهاقنة وصلبَه فى الميدان[6]، قال الراجز:

---

(١) شعره، ٩٩-١٠٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦١٩.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦١٩.
(٣) نفسه، ٦/ ٦٢١.
(٤) نفسه، ٧/ ١٠.
(٥) شعره، ٤٤؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٠ مع اختلاف الرواية.
(٦) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٢.

إذا سعيدٌ سارَ فى الأحماسِ فى رَهجٍ يَاخذُ بالأنفاسِ
دارت على التُّرك أَمَرُّ الكاسِ وطارَتْ التُّرك على الأحلاسِ
ولوّا فِرارًا عُطَّلَ القِياسِ[1]

يوضح هذا الرجز وضع العدو الذى حاربه الحرشى، فيكشف عن أسلوب جيد فى مواجهة الخصم حيث الاعتماد على الشدة التى تسببت فى هزيمة العدو، بما يبرز وجود متغيرات جديدة فى كيفية التعامل مع السُّغد بعد توفر القناعة بأن سياسة اللين لا تؤدى إلى حمايةِ ثغور الدولة. ومع ذلك جرى عزل الحرشى وإيداعه السجن وتولية مسلم بن سعيد بن اسلم بن زرعة الكلابي[2] على خراسان[3]. وهو الآخر كالحرشى من القبائل القيسية، مما يعنى أن القبائل اليمانية بخراسان بدأت تفقد نفوذها وسلطانها، لذا قال أحد الشعراء يواسيه:

تَصبَّر أبا يحيى فقد كُنتَ - علمنا صَبورًا ونَهّاضًا بثِقلِ المغارمِ[4]

وحين زيد فى قيوده تمثل فقال:

فإما تثقفونى فاقتلونى فَمَنْ أَثقَفْ فليسَ إلى خلودِ
هُمُ الأعداءُ إن شَهدوا ولو غابوا أولو الأَحقَادِ والأَكبادِ سُودِ
أريغونى إراغتكُم فإنّى وحذفةَ كالشَّجا تحتَ الوريدِ[5]

جرى تمثل هذه الأَبيات من باب الحكمة.

كان عهد يزيد بن عبد الملك على الرغم من شبابه عهد خمول وانكماش، وظهور بعض الاضطرابات، ففيه بدأت بوادر الدعوة العباسية فى سنة (١٠٠هـ/

(١) نفسه.
(٢) ينظر: أخباره: نفسه، ٧/ ١٨.
(٣) نفسه، ٥/ ١٥.
(٤) نفسه، ٧/ ١٦ والشعر لأذينة بن كليب أو كُليب بن أذينة.
(٥) نفسه، ٦/ ١٩.

٧١٨م)[١] التى تعاظم أمرها فى خراسان فى سنة (١٠٢هـ/ ٧٢٠م)[٢] نتيجة ميله نحو اللهو[٣] ومحاولة تنحية أخيه هشام بن عبدالملك (ت، ١٢٥هـ/ ٧٤٢م) من ولاية العهد مما فتَ فى عَضد وحدة الأسرة الأموية، وذلك عندما كتب إليه بقوله: "أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بلغه أنّك استبطأت حياته وتمنيت وفاته ورمت الخلافة، وكتب فى آخره:

تَمنّى رجالٌ أن أموتَ وإن أمُتْ — فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوَحدِ
وقد علموا لو ينفعُ العلم عنَدهم — مَتى مُتُ ما الباغى عَلى بمخلَّدِ
منيتُه تجرى لوقتٍ حَتفهِ — يصادِفُه يومًا على غيرِ موعدِ
فقل للذى يبقى خلاف الذى مَضى — تَهيأ لأخرى مثلها وكأنْ قَد[٤]

وفى سنة (١٠٥هـ/ ٧٢٣م)[٥] توفى يزيد بن عبدالملك فكانت وفاته مفاجأة زعزعت كيان الدولة، ودفعت بخليفته على اتخاذ إجراءات جديدة لتبدأ مرحلة مشحونة بالأحداث الجسام والصراعات المحتدمة، مما يعنى أن عهد يزيد كان عهد قلق وخمول أخذ يسرى فى جسد الدولة صاحبه نفوذ قوىً عديدة تتهيأ لصراعات محتدمة ومطامع كبيرة ستظهر تدريجيًا على سطح الأحداث بوضوح.

(١) نفسه، ٦/ ٥٦٢.
(٢) نفسه، ٦/ ٦١٦.
(٣) نفسه، ٦/ ٢٢-٢٤.
(٤) ابن كثير: البداية، ٩/ ٢٣٢.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢١.

الفصل الخامس

المروانيون المتأخرون

(١٠٥-١٣٢هـ/ ٧٢٣-٧٤٩م)

هشام عبدالملك بن مروان[1] (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م):

أحدثت محاولات الوليد بن عبدالملك فى إزاحة أخيه سليمان عن ولاية العهد، ومحاولات يزيد ابن عبدالملك فى إزاحة أخيه هشام عن تولى الخلافة وحرمانه من ولاية العهد، شرخًا فى وحدة الأُسرة الأموية الحاكمة، فانسحب تأثير ذلك على المنهج السياسى الذى اتبعه هشام بن عبدالملك عندما تولى الخلافة فى تعامله السلبى مع الولاة الذين كان لهم الأثر الكبير فى تثبيت ركائز النظام السياسى للأمويين السابقين له.

ويبدو أن هذا التأثير كان أحدَ العوامل الفاعلة فى ظهور مرحلة العدّ التنازلى لقوة الخلافة، ولم تنجح معها حالة الاستقرار النسبى الذى شهدته أيام هشام فى إضعاف تأثير هذا العامل.

ففى سنة (١٠٥هـ/ ٧٢٣م)[2] أقدم هشام على عزل عمر بن هبيرة عن العراق والمشرق وولى مكانه خالد بن عبدالله القسرى[3] (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٣م) والذى عرف عنه بأنّه كان شديدًا، فهجاه الفرزدق فقال:

سلوا خالدًا، لا أكرم الله خالدًا: متى وليت قَسرٌ قريشًا تدينُها

أقبلَ رسول الله أمْ بعد عهده، فتلك قريش قد أغثّ سمينُها

---

(١) ولد هشام سنة (١٩٩هـ/ ٧٣٧م). ترجمته: ابن عساكر: تاريخ، ٦٧/ ٨٣؛ الذهبى: سير، ٥/ ٣١٥.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٤٩ وفيه سنة (١٠٦هـ/ ٧٢٤م)؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٦.

(٣) خالد بن عبدالله بن يزيد بن اسد بن كُرز البجلي القسري (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٣م): ترجمته: البخاري، محمد بن إسماعيل (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): التاريخ الكبير، الجزء الثاني – القسم الأول (حيدر آباد الدين، الطبعة الأولى، ١٣٦٣هـ). ١٤٥؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٢٢٦.

رجونا هُداه، لا هدى الله خالدًا فما أمُّهُ بالأمِّ يُهدى جنينُها[1]

أما جرير فقد مال إلى ابن هبيرة لصلات طيبة بينهما ولذلك قال فيه:

إذا أولى النجوم بَدت فغارَت وقلت: أنى من الليلِ انتصافُ
حسبت النوم طار مع الثريا وغَلُظَ الفراشُ ولا اللُّحافُ
أبا حفصٍ مخافة كل ظلمٍ عليكَ وكيف يهيجُ من يخافُ
وأدعو الله فيكَ وأن يُجلّى عمايَة ما يُزايلُها انكشافُ
وإن يجدوكَ إذ هزوك صَلتًا عَفيفًا من سجيتكَ العَفافُ[2]

وشهدت سنة (١٠٦هـ/ ٧٢٤م)[3] صراعًا داميًا بين القبائل اليمانية والقيسية، فالتقى الطرفان المتصارعان فى يوم البَرُوقان[4]، فقال نصر بن سيّار[5]:

أرى العينَ لجت فى ابتدار وما الذى يردُّ عليها بالدموعِ ابتدارُها!
فما أنا بالوانى إذا الحرب شمّرت تَحرَّق فى شَطرِ الخميسينِ نارُها
ولكننى أدعو لها خِندفَ التى تطّلعُ بالعبءِ الثقيلِ فِقارُها
وقد جريتُ يومَ البَرُوقانِ وقعةً لخِندِفَ إذ حانَت وآنَ بوارُها
أتتْ لقيسٍ فى بجيلةَ وقعةً وقَد كانَ قبلَ اليومِ طالَ انتظارُها[6]

وقال أحدُ الشعراء يذكر يوم البَرُوقان:

---

(١) ديوانه، ١/ ٣٠١. ينظر: رثاء أبي العطاء السندي لعمر بن هبيرة. أبو تمام: ديوان الحماسة، ٢٢٦.
(٢) ديوانه، ٢/ ٧٩٩.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٠-٣١.
(٤) بلدة من نواحي بلخ. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٠٥ (بَرُوفان).
(٥) نصر بن سيّار بن رافع الكناني (ت، ١٣١هـ/ ٧٤٨م). ترجمته: الجهشيارى: الوزراء، ٦٦؛ الذهبي، سير، ٥/ ٤٦٣.
(٦) نصر بن سيّار الكناني (ت، ١٣١هـ/ ٧٤٨م): ديوانه، تحقيق عبدالله الخطيب (مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٢م)، ٣٦؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣١-٣٣.

أتانـــى ورَحلـــى بالمديـــنةِ وقعـــةً لآلِ تمـــيمِ أرجفـــت كـــلَّ مُـــرجفِ
تظـلُّ عـيونُ البُـرشِ بكـر بـن وائـلٍ إذا ذُكِـرَت قتلـى البَـرُوقانِ تـذوف
هـمُ أسلموا للموتِ عَمرو بن مسلمٍ وولـــوا شِـــلالًا والأَسِـــنةُ تـــرعف
وكانـت مِن الفتيانِ فى الحربِ عادةً ولم يـصبروا عـندَ القَـنا المتقـصِّف[1]

شكل هذا التناحر القبلى خطرًا كبيرًا على وحدة الدولة ووحدة المسلمين بخراسان، إذ نقلت القبائل العربية صراعاتها إلى خراسان وأسهم الولاة فى تنميتها، فإذا جاء والٍ يمانى التفت القبائل اليمانية حوله ونصرته وقوَّت موقفه وشدَّت من ساعده. أما إذا جاء والٍ قيسى فتلتف حوله القبائل القيسية، مما هيأ للقائمين على نشر الدعوة العباسية إمكانية الاستفادة من هذا الظرف للسعى الحثيث على جمع قواها وحشد طاقاتها. فكان الشعر صورة ناطقة للأحداث، ووثيقة حية لقراءة تاريخ هذه المرحلة، فقد اقترن شعر نصر بن سيّار بالأحداث وواكبها ليدوّن الكثير منها بعد أن انتشرت الصراعات بين بطون القبائل ودفعتها نحو التناحر، فقد مال بنو قتيبة الباهلى إلى تغلب "فقالوا: إنّا من تغلب، فكرِهتْ بكر أن يكونوا من تغلب فتكثر تغلب، فقال رجل منهم:

زعمـــت قتيـــبة أنّهـــا مـــن وائـــلٍ نـسبٌ بعـيد يـا قتيـبةُ فاصـعدي[2]

لذا كان الشعر صدى مباشرًا للأحداث، فقد أشار إلى قتال عمرو بن مسلم[3] مع نصر بن سيار فى وقعة البروقان وغلى استفحال الصراع القبلى حيث برزت الكثير من الثارات القديمة التى أعطت نتائج سلبية فى وحدة المجتمع العربى الإسلامى فى تلك البقاع والثغور.

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢ والشعر لبيان العنبري.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٠.
(٣) ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٧/ ٢٢٩. ابن حجر: تهذيب، ٨/ ٩٢.

وفى سنة (١٩٧هـ/ ٧٢٥م)[١] غزا أسد بن عبدالله القسري[٢] الغُور[٣]، فعمد أهلها إِلى أثقالهم فصيّروها فى كهفٍ ليس إِليه طريق فأمر أسد باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال، ودلاها بالسلاسل، فاستخرجوا ما قدروا عليه. فقال ثابت قطنة:

أرى أسَدًا تَضمَّنَ مفظِعاتٍ ... تهيَّبها الملوكُ ذوو الحجابِ
سما بالخيلِ فى أكنافِ مروٍ ... وتوفرُهُنَّ بين هَلا وهابِ
إلى غورين حيث حوى إذب ... وصك بالسيوف وبالحرابِ
هَدانا الله بالقَتلى تَراها ... مُصلَّبةً بأفواهِ الشِّعابِ
ملاحمُ لم تدَعْ لسراةِ كَلْبٍ ... مهاترةً ولا لبني كِلابِ
فاوردوها النهابَ وآب منها ... بأفضلِ ما يُصابُ مِن النهابِ
وكان إذا أناخَ بدارِ قومٍ ... أراها المخزيات مِن العَذابِ
ألمَ يَزر الجبالَ جبالَ مُلْعٍ ... تُرى من دونِها قِطعُ السّحابِ
بأرعنَ لم يَدع لهمُ شَريدًا ... وعاقبَها الُمِضُّ من العِقابِ[٤]

كان ثابت قطنة شاعر الأزد والمقدم عند المهلب وابنه يزيد، فلما ولى أَسد القسرى خراسان استرد مكانته، وأصبح خليفته حين خرج إلى الترك[٥]، فجاء شعره شاهدًا على الأحداث ومؤثرًا فى تدوينها لأنه ينطلق من صميمها.

وحاول أسد أن يديم قوة الجيش فأقدم على نهج إسكان المقاتلين فى المناطق المفتوحة. وقد ذكر الطبرى هذا المنهج بشكل واضح عندما قال: "فاقطع كل من كان بالبَرْقان مسكنًا بقدر مسكنه، ولمن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنًا، وأراد أن

(١) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٥١ وفيه سنة ١٠٨ هـ؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤٠-٤١.
(٢) هو أخو خالد القسري. ترجمته: الذهبى: العبر، ١/ ١٠١؛ ابن حجر: تهذيب، ١/ ٢٢٨.
(٣) جبال ولاية بين هراة وغزنة. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢١٨ (غور).
(٤) شعره، ٣١-٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤١.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٨.

ينزلهم على الأَخماس، فقيل لهم: إنّهم يتعصبون، فخلط بينهم"[1]. فقال أبو البريد البكرى[2] فيما بناه أسد بمدينة بلخ:

شَعفَت فؤادك فالهوى لكَ شاعِفُ ... وئمٌ على طفلٍ بَحوملَ عاطِفُ
ترعى البَربرَ بجانبى مُتهَدِلٍ ... ريَّان لا يَعشُو إليه آلِفُ
بمحاضِرٍ من مُنحنىً عطفَت لهُ ... بَقَرٌ تَرجَّحُ زانُهنَّ رَوادِفُ
إن المباركةَ التى أحصنتَها ... عُصِمَ الذَّلِيلُ بها وقرَّ الخائِفُ
فاراكَ فيها ما رأى من صالحٍ ... فتحًا وأبوابُ السماءِ رواعِفُ
فمضى لكَ الاسمُ الذى يَرضى بهِ ... عنكَ البصيرُ بما نويتَ اللاطِفُ
يا خيرَ ملكٍ ساسَ أمرَ رعيةٍ ... إنى على صدقِ اليمينِ لحالِفُ[3]

ينطلق شعر أبى البريد البكرى من الظروف والأجواء التى تفجرت بها الأَحداث فيقف بموازاة الحدث ليمنحه قوة التأثير والمصداقية، كما يفسر واقعًا معاشًا يتجاور فيه العرب. وفى سنة (١٠٩هـ/ ٧٢٥م)[4] غزا أَسد القسرى غُورين[5]، فقال ثابت قطنة:

أرى أسدًا فى الحراب إذا نزلَت بهِ ... وقارع أهلِ الحرب فاز وأوجَبا
تناول أرض الشبل، خاقانُ ردءَه ... فحرَّق ما استَعصى عليه وخرَّبا
أتتك وفودُ التركِ ما بينَ كابلٍ ... وغُورين إذ لم يهربوا منك مَهربا
فما يغمر الأعداءَ عن ليثٍ غابةٍ ... أبَى ضارياتٍ حَوشوه مُعقبا
أزبَ كأن الوَرسَ فوق ذراعِهِ ... كَريه المُحيًا قد أسنَّ وجرَّبا

(١) نفسه، ٧/ ٤١.
(٢) أحد بني علباء بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، شاعر أهل المشرق. نفسه، ٧/ ٤٧.
(٣) نفسه، ٧/ ٤١-٤٢.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤٦.
(٥) غُورين أرض في بلاد السغد. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢١٨ (غُورين).

أَلم يكُ فى الحصنِ المبارك عصمة　　لجِندك إذ هابَ الجبانَ وأرهَبَا
بنى لكَ عبدالله حصنًا ورثته　　قديمًا إذا عُدَّ القديمُ وأنجبَا[١]

يشير إلى قدرات أسد القسرى القيادية، وإلى صدّه لخاقان الترك وإخضاعه لأَهل كابُل وغُورين، لأنَّ هذا الشعر صاحب الغزو وانطلق من خلال ظروفه، فكان صورةً حية للأَجواء التى يعيش فيها الجند ومدى علاقتهم بالولاية الذين يقودونهم فى تلك الثغور التى شهدت تفاقم أمر العصبية القبلية بحيث اصبحت تشكل خطرًا على وحدة القبائل العربية ضد أعدائها، فهذا أبو البريد البكرى يعطى صورة حية لما كان بين بكرٍ والأزد فيقول:

إن تنقضِ الأزدُ حِلفًا كان أَّكدهُ　　فى سالِف الدَّهرِ عبَّادُ ومسعودُ
ومالكٌ وسويدٌ أكداه معًا　　لَّما تجرَّد فيها أى تجريدُ
حتى تنادوا أتاكَ الله ضاحيةً　　وفى الجُلود من الإيقاع تقصيدُ[٢]

ويروى أن أَبا البريد قال:

الأزدُ إخوتنا وهم حُلفاؤنا　　ما بيننا نكثٌ ولا تبديل[٣]

فكان من نتيجة هذا التناحر القبلى أن توسعت شقة الخلافات وازدادت بوضوح حينما أصبحت سلوكًا مؤثرًا فى سياسة الولاة، ومنهم أسد القسرى الذى "تعصب حتى أفسد الناس... وتعصب على نصر بن سيار ونفر معه من مضر فضربهم بالسِّياط"[٤]. فثارت العصبية بين تميم وبجيلة والأزد، فقال عَرفجة التميمى[٥]:

---

(١) شعره، ٣٦؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤٦-٤٧.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤٧.
(٣) نفسه.
(٤) نفسه.
(٥) من بني دارم، نفسه، ٧/ ٤٨، ٦٦.

فكـيفَ وأنـصارُ الخليفة كلـهم عَـناهُ واعـداءُ الخليفة تطلـقُ
بكيتُ ولم أملك دموعـي وحـقَّ لى ونصرٌ شهابُ الحربِ فى الغلِّ موثقُ[1]

فاستغل كل والٍ سطلته لتعذيب خصومه واتهمهم بالوثوب عليه، مما قوض ركائز مهمة تستند إليها الدولة، ففسدت سياسة أسد القسرى، فرأى الخليفة أن يعزله[2]، لأن إجراءاته المتعصبة ألبتْ عليه نصر بن سيّار ومن حالف قبيلته كنانة، فقال نصر:

بَعـثت بالعقـابِ مـن غـير ذَنـبٍ فـى كـتاب تلـوُم أم تمـيمِ
إن يكُـن مُـوثقًا أسـيرًا لـديهم فـى هُمـومٍ وكُـربةٍ وسـهومِ
رهـن قَـسرٍ فمـا ودتُ بـلاءً كأسـارِ الكِـرامِ عـند اللئـيمِ
أَبلِـغ المُـدَّعِينَ قَـسرًا وقَـسرًا أهـلُ عـود القَـناةِ ذات الوُصـومِ
هَـل فطُـمتم عـن الخـيانةِ والغَـدْ رِ أَمْ أَنـتم كالحاكِـر المُـستديمِ[3]

فقد كان نصر بن سيار لا يرى أنه مذنب أمام الخليفة أو أمام القانون، وإنّما يرى بأنه رَهينٌ عند قبيلة قَسر، قبيلة أسد التى لم تجد إلّا أسر الكرام، فعّد ذلك من الغدر الذى أوغر الصراع بين قبيلتى تميم وفسر من جهة، وبين الأزد وقسر من جهة أخرى، مما دفع الفرزدق إلى التعرض لخالدِ القسرى، لأنه استغل سلطته لمعاقبة خصومه القبليين، فقال الفرزدق:

أخالـدًا لـولا الـدين لم تُعـطَ طاعـةً ولـولا بـنو مـروانَ لم تُوثِقـوا نَـصَرا
إذًا وجـدتم دون شـدّ وثاقَـهِ بنـى الحـربِ لا كـشفَ اللقـاءِ ولا
مـصاليتَ أَبطالًـا إذا الحـربُ شمّرت مَـروها بأَطـرافِ القَـنا دِررًا غُـزَرا

(١) نفسه، ٧/ ٤٨-٤٩.
(٢) نفسه.
(٣) ديوانه، ٤٦؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤٩.

ألا يــا بنــى مــروان! مــثل بلائِــنا إذا لَـم يُصب من كانَ يُنعمُهُ شُكرا[١]

يبدو أن سياسة خالد القسرى أحدثت رد فعل شديد، وكشفت عن صراعات كانت كامنة تحت الرّماد، فكشفت عن نفوذ قبيلتى تميم والأزد فى خراسان ومقاومتهما لأى تغيير فى موازين القوى؛ لذا كان من الأفضل أن يتصرف بحذر شديد ويبتعِدُ عن إثارة النعرات ويجلأ إلى وحدة الصف لتعزيز قوة وسيادة سلطة الخلافة فى هذه الأقاليم البعيدة عن مركز الدولة وعاصمتها دمشق، فحين استعمل أسد القسرى عيسى بن شداد البُرجمى ووجهه إلى ثابت قطنة غضب ثابت وهجا أسدًا[٢] فقال:

أرى كــل قــومٍ يعــرفونَ أبــاهم وأبــو بجــيلة بيــنهم يــتذبذَبُ
إنــى وحــدتُ أبــى أبــاك ولا تكــن إلــبًا علــى مــع العَــدوِّ تجلّــبُ
أرمــى بــسهمى مَــن رمــاك بــسهمهِ وعــدو مــن عاديــتَ غــيرَ مكــذَّب
أســد بــن عــبدالله جلــلَ عفــوه أهـلَ الذنوبِ فكيف مَن لم يذنبِ!
أجعلتنــى للبُرجمــى حقيــبةً والبُرجمــى هــو اللئــيم المحقَــبِ
عــبدٌ إذا اســتبق الكــرامُ رأيــتَه يأتــى سُــكينًا حامِلًــا فــى المــوكبِ
إنــى أعــوذ بقــبرِ كَــرزٍ أن أرى تَــبَعًا لعــبدٍ مــن تمــيمٍ مُحقــبِ[٣]

جاءت قصيدة ثابت قطنة هذه بمثابة رسالة فى الإمارة غايتها النصح، فبعد أن عرضٍ ينسب اسد القسرى، أشار إلى سوء إدارته وسياسته للناس، فراح يذكره بوحدة النسب العربى وبضرورة أن يرمى الاثنان عدوًا مشتركًا يتربص بهما، لا أن يجعل منه أداة بيد شخص آخر، ثم انتقل إلى الانتقاص من البُرجمى ونسبه، فأثار عليه ثابت قطنة الذى استبشر به أول الأمر ورأى فيه تعويضًا عن حُظوته عند

(١) ديوانه، ١/ ٢٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤٩ البيتان الأول والثاني.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٥١.
(٣) شعره، ٣٣؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٥١.

المهالبة؛ لهذا كان نتيجة هذه السياسة عزل أسد، واستعمال أشرس بن عبدالله السُّلمي[١] الذى تولى صغير الأمور وكبيرها بنفسه، فلما قدم خراسان كبَّر الناس فرحًا به[٢]، فقال رجل:

لقد سمعَ الرحمن تكبير أُمَّةٍ — غَداةَ أتاها من سُليم إمامُها
إمامُ هُدى قَوَّى لهم أمرهم بهِ — وكانت عِجافًا ما تَمخُّ عظامُها[٣]

مما يشير إلى تنكر القبائل للولاة الذين يثيرون العصبية بينها، لذا استبشروا بأشرس السلمى إحساسًا منهم بعدالتِه، ولكن القبائل اليمانية بقيت توجس من احتمال تفاقم الأمر بسبب انتماء أشرس إلى قبائل قيس، فقال يحيى بن حَضين[٤]:

لقد ضاع جيش كان جَغر أميرهم — فَهل من تلافٍ قبل دوسِ القبائلِ!
فإن صُرفَت عنهم به فلَعلَّهُ — وألا يكونوا من أحاديثِ قائِلِ[٥]

وفى سنة (١١٠هـ/ ٧٢٨م)[٦] قادت بعض إجراءات أشرس إلى حبس ثابت قطنة، فحين قدم نصر بن سار واليًا قال ثابت يشير إلى بلاء نصر فى مقارعة الترك:

نُقارع التركَ ما تنفك نائِحةً — منا ومنهم ذى نجدةٍ شارِى
إن كان ظنى بنصرٍ صادقًا أبدًا — فيما أُدبر من نقضى وإمرارِى
لا يصرف الجند حتى يستضيءَ بهم — نهبًا عظيمًا ويحوى مُلك جبارِ

---

(١) هو من بني مُطاعن بن ظفر بن الحاث بن بُهثة. ابن حزم: جمهرة، ٢٦٣.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٥١-٥٢.
(٣) نفسه، ٢/ ٥٢.
(٤) يحيى بن الحُضين بن المنذر بن الحارث الشيباني. ينظر ابن الكبى: جمهرة، ٤٩٤؛ ابن حزم: جمهرة، ٣١٧.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٥٢-٥٣.
(٦) نفسه، ٧/ ٥٦.

إلى أن يقول:

لذاكــر مــنك أمــرًا قــد سـبقت بــهِ ... مــن كــان قــبلكَ يــا نــصرُ بــن سـيارِ
ناضلتَ عنى نضالَ الحرِّ إذ قصرت ... دونـى العـشيرةُ واستبطأت أنـصارِى
وصــار كــل صــديقٍ كــنت آمِلُــه ... إلـبًا علـىَّ ورث الحـبلُ مـن جـارِى
ومــا تلبـست بالأمـرِ الـذى وقعـوا ... بــهِ علــى ولا دنــسّتُ أطمــارِى
ولا عــصيتُ إمامًــا كــان طاعــتُهُ ... حقًّــا علــى ولا فارقــتُ مِــن عَــار[1]

ونتيجة لهذه الصراعات وتذبذب إجراءات الوُلاة أصبح التُرك أكثر إصرارًا على المقاومة، وصارت بعض الغارات تعود مهزومة حتى قال بعض الشعراء:

خابَت سـرية مـسعود ومــا غَـنِمَت ... إلا أفــانينَ مــن شــدٍّ وتقــريبِ
حَلُّـوا بـأرضٍ قفـارٍ لا أنـيسَ بهـا ... وهُـنَّ بالـسَّفحِ أمـثالُ اليعاسـيبِ[2]

مما شجع أهل كَرْدَر[3] على الرِّدة بعد أن أعانهم الترك، فوجه أشرس إليهم ألف رجل، فساروا إليهم فهزموهم[4]. فقال عرفجة الدارمى[5]:

نحـن كفيـنا أهــلَ مــرو وغيرهُــم ... ونحـنُ نَفينا التُّـركَ عـن أهـلِ كَـردرِ
فـإن تجعَلـوا مـا قَـد غنمـنا لغيرنـا ... فَقَـد يُظلـم المَـرءُ الكـريمَ فيـصبرُ[6]

فعاد التوازن بين الطرفين، إذ وقف الشعر بجانب الحدث ليسهم فى حفظه ويكشف عن دفاع الجيش الإسلامى عن ثغور الدولة، فكان بعض الشعراء من الجند يسجل تلك الأحداث شعرًا لتصبح جزءًا من تفاصيل الخبر التاريخى الذى

(١) شعره، ٤٧-٤٨؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٥٦-٥٧.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٥٧.
(٣) بالفتح، ناحية من نواحي خوارزم. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٥٠ (كَرْدَر).
(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٦٦.
(٥) وورد باسم عرفجة التميمي. نفسه، ٧/ ٤٨.
(٦) نفسه، ٧/ ٦٦.

يواكب صفحات المعارك بين الطرفين مما يثير الخبر التاريخى ويمده بتفاصيل مضافة مشحونة بالصدق ومفعمة بالواقعية، لأنّ الشعر ينطلق من حركة الحياة الإنسانية ومن هواجس وأحاسيس النفس البشرية وهى تتفاعل مع محيطها الخارجى.

واستمرت المناوشات مع قبائل الترك.التى تمكنت من قتل الجراح بن عبدالله الحكمى[١] فى سنة (١١٢هـ/ ٧٣٠م)[٢]، فقال الفرزدق:

ألا أيُّها القومُ الذين أتاهُم، غداةَ ثوى الجَراحُ، إحدى العظائِمِ
إِلى مَن يُلوّى بعدَهُ الهام، إِذْ ثوى حيًا الناسَ، والقَرمُ الذى للمَرجِمِ
رفيقُ نبى اللهِ فى الغرفةِ التى إِليها انتهى من عيشهِ كلُّ ناعِمِ
وماتَ معَ الجرَاح من يحشدُ القِرى، ومن يضربُ الأبطَالَ فوق الجماجِمِ
فما تركَ الجَراح، إذ مات، بعدَهُ مجيرًا على الأَيّامِ ذات الجرائِمِ[٣]

يشير الفرزدق إلى مقتل الجراح بن عبدالله الحَكمى فى مواجهتِهِ مع الترك من اللان ببلنجر[٤]، فيصفه برفيق نبى الله صلى الله عليه وسلم وبأنّه يضرب الأبطال فوق الجماجم، فقد كان لهذا الحدث صدى مؤثرًا فى أوساط العاصمة؛ ذلك أن شدة الصراعات القبلية أَدتْ تدريجيًا إلى تراخى قوة المسلمين فى الأقاليم البعيدة، فأدى ذلك إلى تصاعد شوكة الترك فى بلاد الخزر، وازدياد الإصابات بين قادة الجيش وفرسانه، وكان الشعر يعبر عن علاقة وطيدة بينه وبين الحدث التاريخى، فقد أدى رثاء الفرزدق للحَكمى بقصيدتين إلى ترسيخ هذا الحدث والتأثير فيه، لما يتمتع به الحكمى من مكانة مهمة لها وقعها المؤثر على مسامع الخليفة هشام بن عبدالملك،

---

(١) أبو عقبة، ولي البصرة في عهد الوليد بن عبدالملك، (ت، ١١٢هـ/ ٧٣٠م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٤/ ١١٢؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٩٥.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٥٥؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٧٠.

(٣) ديوانه، ٢/ ٢٣٨. ينظر أيضًا مرثيته الميمية، ٢/ ٢٥١.

(٤) مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٨٩ (بلنجر).

فكان رثاء الفرزدق تنبيهًا له بتفاقم الأمر؛ لذلك عزم الخليفة على تقوية الجيش فى هذه المناطق فأرسل الجُنيد بن عبد الرحمن[١] الذى استبك مع الترك فى وقعة الشِّعب[٢]، والتى قتل فيها سورة بن الحر التميمي[٣] والذى كان لمقتله وقعٌ مؤلم فى نفس الخليفة هشام لأنه دلل على تراجع قوة الجيش أمام الهجمات التركية المعادية. وفى حينها حاول الجنيد أن يقلل من أهمية تلك الهجمات أمام الخليفة عندما أخبره بأن "سورة بن الحُرّ خرج يتصيَّد مع أصحاب له فهجم عليهم الترك، فأصيبوا"[٤]. وكأن الجنيد حاول فى ذلك أن يغطى على ضعف إدارته لهذا الإقليم، ومع ذلك فإن هشامًا لم يقتنع بما أجابه به الجنيد، فدعا الشاعر نهار بن توسعة إلى دمشق وسأله عن الموضع، فأخبره بما شَهِد[٥]، وفى طريقه إلى دمشق قال ابن توسعة:

لعمــرُكَ مــا حابيتنــى إذ بعثتَنــى	ولكــنما عرَّضــتنى للمــتألِفِ
دعــوتَ لهــا قــومًا فهابــوا ركــوبَها	وكــنتَ أمــرأ كابــة للمخــاوِفِ
فأيقــنت إن لم يَدفــع الله أننــى	طعــامُ ســباعٍ أو لطــيرٍ عوائِــفِ
قَــرينُ عَــراكٍ وهــو أيــسر هالِــكٍ	علــيك وقــد زملــته بــصحائِفِ
فإنــى وإن آثــرت مــنه قَــرابةٍ	لأعظــم حظًــا فــى حِباءِ الخلائِــفِ
علــى عهــدِ عــثمان وقَــد نــاو قــبله	وكمــنا أولى جُــدٍ تَلــيد وطــارفِ[٦]

مما يعنى احتدام المعارك، وازدياد شوكة الترك حتى أن أحد الفرسان خاطب الخليفة هشام بن عبدالملك فقال:

---

(١) من مرة بن غطفان، ولي خراسان والسند لهشام (ت، ١١٦هـ/ ٧٣٣م). ترجمته: ابن حزم: جمهرة، ٢٥٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٢/ ١٤٠.

(٢) يسمى شعب عصام في جبال قرب بلخ. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٣٤٧ (شعب خُر).

(٣) سورة بن الحر بن نافع بن ثعلبة بن سيف بن أبان بن دارم، قتل بسمر قند. ابن الكلبى: جمهرة، ٢٠٩.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨٠.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٥٨؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٧١-٧٩.

(٦) شعره، ١٠٠-١٠١؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٧٩.

اذكر يتامى بأرض التُرك ضائعةً هَزلى كأنهم فى الحائطِ الحَجَلُ

وارحم، وإلا فَهبَها أمةً دَمِرت لا أنفسٌ بقيت فيها ولا ثقَلُ

لا تأملنَّ بقاءَ الدهرِ بعد هَم والمرء ما عاشَ ممدوُد له الأملُ

لاقوا كتائبَ من خاقانَ مُعلِمَةً عنهم يُضيقُ فضاءُ السَّهلِ والجبلُ

لما رأوهم قليلًا لا صَريخَ لهم مَدُّوا بأيديهم للهِ وابتهلوا

وبايعوا ربَّ موسى بيعةً صدقَت ما فى قُلوبِهم شَكٌّ ولا دَغَلُ[1]

فالشاعر يشير على قلة عدد جند المسلمين واندفاع جند الترك، مما يكشف عنه تفاقم الأمر، فكان نتيجة ذلك إحساسهم بالخذلان واليأس. ولعل أحد أسباب ذلك هو الفرقة وحسد بعضهم البعض، حتى راح الشاعر يعوّض بقيادة الخليفة ويعده مسؤولًا عن ذلك، كما صَرَّحَ نصر بن سيار بما يخامر نفس الجنيد نحوه من حسد؛ لأنه لم يشكر لنصر بلاءه فى هذه الظروف العصيبة، فقال نصر:

إن تحسدونى على حسنِ البلاءِ لكم يومًا، فمثل بلائى جرَّلى الحسَدَا

يأبى الإلهُ الذى أعلى بقدرته كَعبى عليكم وأعطى فوقكم عَضُدا

أرمى العِداةَ بأفراسٍ مُكلَّمةٍ حتى اتخذنَ على حُسَّادِهِنّ يَدًا

وضربى الترك عنكم يومَ فرقكُمُ بالسيفِ فى الشِّعب حتى جاوزَ السَّنَدا[2]

فقد كان نصر بن سيار يشكو غُبن الجنيد وحسده، مما جعل إحساس نصر صورة صادقة لحركة الأحداث نتيجة تفاقم الصراعات القبلية مع تهاون الوالى وتصاعد قوة العدو، فقال نصر أيضًا:

من ذا الذى منكم فى الشِّعب إذ وردوا لم يتخذ حومةَ الأثقالِ معتمدا!

فما حفظتم من الله الوصاة ولا أنتم بصبر طلبتم حسن ما وعدا

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨١ والشعر لابن السجف.

(٢) ديوانه، ٣٢-٣٣؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨٠.

ولا نَهاكم عن التَّوثابِ فى عَتبٍ إلا العبيد بضربٍ يكسر العَمَدا
هلا شكرتم دفاعى عن جُنيدِكُمُ وقع القنا وشهاب الحرب قد وَقدا[1]

إن تغافلهم عن فروسية نَصر بن سيار أثارت ابن عرس العبدى[2] الذى مدح ابن سيار وذم الجنيد، وقد تضمن هذا المديح إشادة بانتسابه إلى نزار مما يشير إلى أثر الصراع القبلى فى تراجع قوة العرب فى مواجهة جيش الترك:

يا نصرُ أنتَ فتى نِزارٍ كُلِّها فلكَ المآثِرُ والفَعالُ الأرفعُ
فَرَّجت عن كلِّ القبائلِ كُربَةً بالشِّعب حتى تخاضعوا وتضعضعوا
يوَم الجُنيدِ إذ القنا متشاجر والنحر دامٍ والخوافِقُ تَلمَعُ
مازلتَ ترميهم بنفسٍ حُرَّةٍ حتى تفرَّج جمعُهم وتصدَّعوا
فالناسُ كلُّ الناسِ بعدها عتقاؤكُم ولكَ المكارِمُ والمعالى أجمَعُ[3]

وسرد فارسان شاركا فى هذه الوقعة تفاصيلها، فكان شعرهما صورة حية لما أصاب المسلمين من جرح عميق، وما آلت إليه الأمور من ارتباكٍ لعل أحد أسبابه سوء إدارة الجنيد، وصراعات القبائل، وتقاعس بعضها عن نصرة قوادها الذين ينتسبون إلى قبائل لا تمت بصلة النسب إليهم، مما جعل الجنيد يبدو غير قادر على إدارة الوقائع، كما هو واضح فى هذا الشعر:

تذكرتِ هندًا فى بلادٍ غريبةٍ فيالَكَ شَوقًا، هل لشملِك مجمَعُ!
تذكرتُها والشاشُ بينى وبينَها وَشِعبُ عِصامٍ والمنايا تَطَّلَعُ
بلادٌ بها خاقانُ جمٌّ زحوفُهُ ونيلان فى سبعينَ ألفًا مقنَّعُ
إذا دبَّ خاقانُ وسارَت جنوُده أتتنا المنايا عند ذلك شُرَّعُ

(١) ديوانه، ٣٣؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨٤.
(٢) اسمه خالد بن المعارك، أحد بني غنم بن وديعة بن لكيز. الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨٦.
(٣) نفسه، ٧/ ٨٥.

هنالك – هندٌ – ما لنا النصف منهمُ وما إن لنا يا هنْد فى القومِ مَطمَعُ
ألا رُبَّ خَودٍ خَذْلةٍ قد رأيتُها يسوق بها جَهمٌ من السُّغدِ أسمَعُ
أُحامى عليها حين ولّى خليلُها تُنادى إليها المسلمينَ فتسمَعُ
تنادى بأعلى صوتِها صَفَّ قومِها ألا رجلٌ منكم يَغارُ فيَرجعُ!
ألا رجلٌ منكم كريمٌ يَردُّنى يَرى الموتَ فى بعضِ المواطِن يَنفعُ!
فما جاوبوها غيرَ أنَّ نصيفَها يكَفُّ الفتى بين البرازيقِ أشنَعُ
إلى الله أشكو نَبوةً فى قلوبِها ورُعبًا مِلاً أجوافِها يَتوسَعُ
فمن مُبلغٌ عنى ألوكًا صحيفةً إلى خالدٍ من قبلِ أن نتوزَّعُ
بأن بقايانا وأن أميرنا إذا عَددناهُ الذَّليلَ الموقَّعُ[1]

يدين الشاعر أميره وولاة الأمر معه الذين أطعموهم إلى خاقان الترك وجنده، فراح يكشف عن يأسه وإحساسه بالرعب، مما يجعل هذه القصيدة وثيقة تاريخية لحالة التداعى التى شهدها الوضع العسكرى فى بلاد السغد، وانعكاس هذا الوضع على الجوانب النفسية والاجتماعية والإدارية عند المسلمين، حتى تكاثرت صيحات الإدانة لقيادة الجُنيد كما فعل ابن عرس إذ قال:

اينَ حُماة الحربِ من معشرٍ كانوا حمالَ المَنسرِ الحاردِ!
بادوا بآجالٍ توافروا لَها والعاثرِ المُمَهلِ كالبائِدِ
فالعين تجرى دمعها مُسبلا مالدموعِ العينِ من ذائِدِ
انظر ترى للميتِ من رَجعةً أم هل فى الدهرِ من خالِدِ!
كنا قديمًا يُتقى بأسُنا وندرأ الصادر بالواردِ
حتى مُنينا بالذى شامَنا من بعدِ عزٍّ ناصرٍ آئدِ[2]

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨٥ والشعر للشرعبي الطائي.
(٢) نفسه، ٧/ ٨٦.

ثم يصفه بأنه كعاقرِ الناقة التى فتق فَتقًا لا يلتئم، لأنه تركَ جنده كالأجزاء المعطوبة يقسمها الجازر للناهدِ[1]، وكل يترقب الأسياف وهى تزيل ما بين العضد والساعد حتى تساقطت الهامات من وقعها، فى حرب صعبة مريرة عصفت بالقائم والقاعد؛ فأضحت سمرقند[2] أحدوثة الغائب والشاهد. ويصف الشاعر المعركة بواقعية لأنه شاهد تفاصيلها، وتجرع مرارة الخذلان وشعر بعظم الموقع وجسامة الحدث؛ فكان شعره نفثةً حيةً التحمت بالجرح فجاست فيه الأعماق الغائرة الدامية، فتراه ينشد متأملًا ما جرى بهذا الشعب حين يقول:

وكم ثوى فى الشعْب من حازمٍ ... جَلدِ القُوى ذى مِرَّةٍ ماجدِ
يستنجِدُ الخَطبَ ويَغشى الوغَى ... لا هائبٍ غُسٍّ ولا ناكدِ
ليتكَ يومَ الشِّعب فى حُفرةٍ ... مرموسَةٍ بالمدَرِ الجامِدِ
تلعبُ بكَ الحربُ وأبناؤها ... لعبَ صقورٍ بقطًا واردِ
طار لها قلبُك من خِيفَةٍ ... ما قلبكَ الطائِرُ بالعائدِ
لا تحسبنَّ الحربَ يومَ الضُحى ... كشَرِبكَ المُزّاءَ بالبارِدِ
أبغضتُ من عينِك تبريجَها ... وصورةً فى جَسدٍ فاسدِ
جُنيد ما عصبك منسوبةٌ ... نَبعًا ولا جَدجُك بالصَّاعِدِ
خمسونَ ألفًا قُتلوا ضيعَةً ... وأنتَ منهم دعوَةَ الناشِد
لا تضمرِنَّ الحربَ من قابلٍ ... ما أنت فى العَدوَةِ بالحامِد
قَلَّدتُه طَوقًا على نحرِهِ ... طوقَ الحَمام الغردِ الغاردِ
قصيدةً حبَّرهَا شاعِرٌ ... تَسعى بها البُردُ إلى خالِدِ[3]

---

(١) نفسه.
(٢) هي قصبة السعد. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٤٦ (سمرقند).
(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨٧.

فالوقع النفسى واضح على هواجس الجند حتى أن الشاعر وثّق عددَ مَنْ قُتِل فَعدَهم خمسين الفًا، ورأى أن سبب مقتلهم هو سوء إدارة المعركة من قبل الجُنيد فى حين يقف التاريخ صامتًا أمام هذا العدد من القتلى، بينما تنطلق هذه القصيدة من صميم الحدثِ نفسه، من شهقات الموتى وصرخات الجرحى بعيدًا عن المداهنة والمراءة والهجاء، فهى توثيقٌ ملازم ومواكب للحدث لكل ما فيه من هواجس ومخاوف؛ لذا كان الشاعر صادقًا فى تمثل الحدث وعرضه ثم بيان تفاصيله التى كشفت عن وثيقة تاريخية كتبت الحدث شعرًا، فكانت هذه القصيدة من نمط الشعر التاريخى الذى لا يقل أهمية عن الوثيقة النثرية فى رصدها للحركة والأبعاد الوقعة وملابسات إدارتها، وسوء تقدير الموقف من قبل القائد الميدانى الذى آثر تقليل رد الفعل المباشر بحثًا عن فرصة قادمة تغير اتجاهات الموقف، لقد كانت القصيدة وثيقة بكل معنى الكلمة.

وبعد وفاة الجُنيد فى سنة (١١٦هـ/ ٧٣٤م)[١] على الأكثر فى مرضه، قال أبو الجويرية، عيسى ابن عصمة[٢] يرثيه:

هلــك الجـود والجنـيد جمـيعًا ... فعلــى الجـود والجُنيد الســلامُ

أصـبحا ثـاويين فـى أرض مَـروٍ ... مـا تَغـنَّت علـى الغصون الحَمـامُ

كنــتما نـــزهةَ الكــرام فَلمـــا ... مُـتَّ مـاتَ النّدى ومـاتَ الكِـرامُ[٣]

وخلـع عـاصـم بـن عبدالله[٤] فى سنة (١١٧هـ/ ٧٣٥م)[٥] الحارث بن سريج[٦] فكانت الحرب بينهمـا، فعـزل الخليـفة عاصمًا عـن خـراسـان وضمها إلى

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٩٣.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، ٧/ ٩٤.

(٤) هو عاصم بن سليمان بن عبدالله بن شراحيل اليشكري. نفسه: ٧/ ١٠٣.

(٥) نفسه: ٧/ ٩٥، ٩٩.

(٦) الحارث بن سريج بن يزيد التميمي (ت، ١٢٨هـ/ ٧٤٥م). ترجمته: ابن الكلبى: جمهرة، ٢٠٤؛ ابن حبان: الثقات، ٨/ ١٨٣.

خالد بن عبدالله القسرى فولاها خالد أخاه أسد بن عبدالله، فقال عاصم بعد أن حبسه أسد:

تُخاصمنى بُجيلة ثم تقضى ... على بها لبئس الحُكْمُ ذاكَا
إذا ما كان خصمُك يا ابن عمروٍ ... هو القاضى الذى يقضى عَلاكا
وحسبُكَ من بَلاءٍ أنْ تُولى ... قضاءً فى أمورِكَ من دَهاكَا[1]

وبعث الكميت بهذا الشعر حين سمع بقدوم أسد القسرى إلى مرو[2]:

ألا أبلِغ جماعةَ أهلِ مَروٍ ... على ما كانَ ناءٍ وبُعدِ
رسالة ناصِحٍ يهدى سَلامًا ... ويأمرُ فى الذى ركبُوا بجِدٍّ
وأبلغ حارثًا عنا اعتذارًا ... إليه بأنَّ مَن قِبلى بجُهدِ
ولولا ذاك قد زارتك خيلٌ ... من المصرين بالفرسانِ تُردِى
فلا تَهِنوا ولا تَرضوا بخسفٍ ... ولا يَغُرركُمُ أسدٌ بعهدِ
وكونوا كالبَغايا إن خُدِعتُم ... وإن أقررتُمُ ضَيمًا لِوَغدِ
وإلا فارفعوا الراياتِ سُودًا ... على أهلِ الضَّلالةِ والتعدِى
فكيفَ وأنتم سبعونَ ألفًا ... رماكُم خالدٌ بشبيهِ قِردِ[3]

فأقبل الحارث بن سُريج على مرو فسوّد راياته[4] حارجًا عن طاعة الخليفة، والكميت يرى بأن زوال ملك الأمويين قريب، فكانت رسالته الشعرية هذه تحصى عدد العرب فى خراسان بسعين ألفًا وتؤلبهم للثورة على الحكم الأموى، فكانت دعوة لإثارة الفتنة بعد أن اصبح الوضع الأمنى مثار تساؤلات؛ لذا أصبح الخليفة

---

(١) المرزبانى: معجم الشعراء، ١١٨؛ ابن الكلبى: جمهرة، ٣٦٩.
(٢) أشهر مدن خراسان وقصبتها. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ١١٢ (مرو الشاهجان).
(٣) ديوانه، ١/ ١٥٩-١٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٠٠.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٠٠.

قلقًا لأن كل من يَروم الخروج عن دولة الخلافة يجد فى خراسان ملاذًا له نتيجة احتدام الصراعات بين القبائل العربية من جهة، وبين المسلمين والترك من جهة ثانية.

وكان الحارث بن سُريج يرى رأى المُرجئَةِ حين سَوَّدَ راياته[1] فقال فيه نصر بن سيار:

دَع عنكَ دُنيا وأهلًا أنت تارِكُهم ... ما خيرُ دنيا وأهلٍ لا يدومونا
إلّا بقيةَ أيامٍ إلى أجلٍ ... فاطلب من اللهِ أهلًا لا يموتونا
أكثِر تقى اللهِ فى الإسرارِ مجتهدًا ... إن التُقى خيرُهُ ما كان مكنونًا[2]

ثم عرج نحو آرائه فى الإرجاء وقرنها بالشرك والنفاق فقال:

إرجاؤكُم لزكُم والشركَ فى قَرنٍ ... فأنتُم أهلَ إشراكٍ ومُرجونا
لا يُبعدُ الله فى الأجداثِ غيركُمُ ... إذ كانَ دينكُمُ بالشركِ مَقرونا
ألقى به اللهُ رعبًا فى نحورِكُم ... والله يقضى لنا الحُسنى ويُعلينا
كيما تَكون الموالى عند خائفةٍ ... عما تَرومُ به الإسلام والدينا[3]

عمق خروج الحارث بن سُريج روح التمرد على دولة الخلافة حتى قال خلف بن خليفة[4]. فى قصيدة طويلة منها قوله:

جعلنا الخِلافةَ فى أهلِها ... إذا اصطرعَ الناسُ فيها اصطراعَا
نضَصرنا أميةَ بالمشرفى ... إذا انخلعَ المُلكُ عنها انخلاعَا
ومنا الذى شدَّ أهلَ العِراقِ ... ولو غابَ يحيى عن الثَّغرِ ضاعَا

---

(١) نفسه.

(٢) ديوانه، ٤٦؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٠٠.

(٣) ديوانه، ٤٩؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٠١.

(٤) هو خلف بن خليفة البكري الأقطع (ت، ١٢٥هـ/ ٦٩٥م). ينظر: الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٠٢.

علـى ابـن سُـريجٍ نَقـضنا الأُمـورَ   وَقـد كـان أحكَمهـا مـا اسـتطاعَا[1]

تشير هذه القصيدة الطويلة إلى التحولات التى حدثت اتجاه القبائل وانحراف الخلفاء الأمويين عن قبائل اليمين وإبعادهم لبعضها عن مراكز القوى المؤثرة فى إدارة الدولة، والتى كان لها أثرها فى تثبيت دعائم الخلافة فى عهد مروان بن الحكم وابنه عبدالملك، فاصبح هذا التغيير مثار توجس وكشف لحسابات قديمة، ففى عهده انكسرت شوكة القبائل اليمانية بالعراق وخراسان بعد تولى خالد القسرى بينما ارتفعت منزلة الأزد فى عهد سليمان، وتعاظم نفوذ قيس فى عهد يزيد بن عبدالملك[2]، ويشير هذا الشعر إلى إسناد وائل للسياسة الأمويين عبر تساؤل إنكارى عن كيفية وقوف هذه السياسة مكتوفة الأيدى بشأن قتل سادات بكر بن وائل، وهى من القبائل القيسية بعد تولى القسرى خراسان وهو من قبيلة بجيلة اليمانية، كما فى قول خلف بن خليفة.

ولـولا فَتـى وائـلٍ لم يكـنْ   لينـضجَ فـيها رئـيسٌ كُـراعا
فَقُـل لأمـيَّةَ تَرعـى لـنا   أيـادِى لم نُجـزَها واصـطِناعَا
أتلـهينَ عـن قـتلِ ساداتِنا   ونأبـى لحقِـكَ إلا اتـباعَا
أمِـن لَـم يُـبِعْكَ مـن المُـشترين   كآخـرَ صـادَفَ سُـوقًا فـباعَا!
أبـى ابـنُ حـضينٍ لمـا تَـصنعـ   ـينَ إلّـا إضـطلاعًا وإلا اتّـباعا
ولـو يـأمَنُ الحـارثُ الـوائلينَ   لـراعك فـى بعضِ مَن كـانَ راعَا[3]

يشير إلى رفض يحيى بن حضين مجاراة الحارث بن سُريج فى خلعِ الخليفة، ثم يتساءل كيف تتنكر لهم أمية وتتناسى ولاءهم؟ فراح يطالب أمية بالوفاء لأن بنى وائل هم الذخيرة التى يمكن الاحتفاظ بها، إذ يقول:

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٠٢.
(٢) عطوان: الشعر العربي بخراسان، ٧٦.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٠٢.

فأينَ الوفاءُ لأهلِ الوفاءِ والشُّكرُ أحسنُ مِن أن يُضاعَا!
وأينَ ادخارُ بنى وائلٍ إذا الذخرُ فى الناسِ كانِ ارتجاعَا

إلى أن يقول:

إذا ابن حضينٍ غدا باللِّواء ذكَى وكانت معدٌّ جُداعا[1]

وحين احتدم الصراع وانهزم ابن سُريج، قال رجل من عبدالقيس:

تولت قريشٌ لذةَ العيشِ واتقت بنا كلَّ فَجٍّ من خراسانَ أغبَرا
فليتَ قُريشًا أصبحوا ذاتَ ليلةٍ يعومونَ فى لُجٍّ من البحرِ أخضَرا[2]

وفى سنة (١١٩هـ/ ٧٣٧م)[3] اتفق خاقان الترك مع ابن سُريج لمحاربةِ دولةِ الخلافةِ لناجزهم أسد بن عبدالله القسرى فظفر بهم، فقال الشاعر:

لو سِرتَ فى الأرض تقيس الأرضَا تقيسُ منها طُولَها والعَرْضَا
لم تَلقَ خيرًا مِرَّةً ونَقضا مِن الأميرَ أسدٍ وأمضى
أفضَى إلينا، الخيرُ حينَ أفضى وجَمَعَ الشَّملَ وكانَ رَفَا
ما فاتَهُ خاقانُ إلاّ رَكَا قد فضَّ مِن جُموعِهِ ما فَضًّا
يا بنَ سُريج قَد لَقيت حَمضَا حَمضًا بهِ يُشفى صُداعُ المرضَى[4]

وفى هذا توكيد لوحدة الصفِ وإدانة واضحة للخروج عن حظيرة دولة الخلافة لما تشكله خراسان والثغور البعيدة فيها من خطر محدث يتعاظم تدريجيًا مع تناحر القبائل وتفاقم أمر السغد، لذا أكد الشعر بأن اسدًا كان خير عون لجمع الكلمة،

---

(١) نفسه، ٧/ ١٠٣.
(٢) نفسه، ٧/ ١٠٤.
(٣) نفسه، ٤٧/ ١٢٢-١٢٤.
(٤) نفسه، ٧/ ١٢٤ والشعر لابن السَّجف المجاشعي، لعله كعب بن أوس بن عبدالله من بني أنمار بن الهجيم: ابن الكلبى: جمهرة، ٢٦٧.

ولكن موقفه كان حرجًا حتى يضطره أحيانًا إلى تخفيفِ وقع بعض هزائمِه، وعدم إيصال تفاصيل المعارك بما يمنح الخليفة فرصة كافية لفهم الأحداث فيعرض عليه صورة كاملة جليةِ الأمر، لذا فإنه وقع فى مأزق التضليل حينما أَوفد على أخيه خالد وفدًا، ثم أَوفدهم خالد بدوره إِلى هشام[1]، فقال أَبو الهندى الأسدى[2] لأَسد يذكره بوقعة سان[3]:

أبـا مُـنذرٍ رُمـتَ الأمـورَ فقِـستَها ... وسـاءَلتَ عَـنها كالحـريصِ المُـساومِ
فمـا كـانَ ذو رأى مـن النـاسِ قستهُ ... بــرأيكَ إلا مــثل رأى الــبهائِمِ
أبـا مُـنذرٍ لـولا مـسيرُك لم يكـن ... عِـراق ولا انقـادَت ملـوكُ الأعـاجمِ
ولا حَـجَّ بيت الله – مُذحِجٌ – راكبٌ ... ولا عَمَـرِ الـبطحاء بعـدَ المواسِـمِ
فكَـم مِـن قتـيلٍ بـينَ سـانٍ وجَـزَّةٍ ... كـثيرِ الأيـادى مـن مُلـوكٍ قَمـاقِمِ
تـركتَ بـأرضِ الجـوزَجانِ تَـزورُهُ ... سِـباعٌ وعِقـبان لحـشزٌ الغَلاصِـمِ
وذى سُـوقَة فـيه مـن السـيفِ خُطـة ... بـهِ رَمَـق حامَـت علـيه الَحـوائِمِ
فمـن هـارِب مـنا ومـن دائِـنٍ لـنا ... أسـيرٌ يُقاسـى مـبهَماتِ الأداهِـمِ
فَـدَتْك نفـوسُ مِـن تمـيم وعامـرٍ ... ومـن مـضَر الحمـراءِ عـندَ المـآزِمِ
هـم أطعمـوا خاقـانَ فينا فأَصبحت ... جلائِـبُه تـرجوا احـتواءَ المغـانِمِ[4]

ولا ينسى الشاعر أن يشير إلى أثر تميم وعاد وقائل مضر الحمراء فى تفاقم أمر الترك مما يشير بشكل خفى إِلى سَريان العصبية بين القبائل، ومساندة قبائل قيس لابن سريج وخاقان الترك، فأَصبح هذا الشعر صورة حية لما يجرى من أحداث

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٢٧.
(٢) هو عبدالملك بن عبدالقدوس. وقيل: اسمه غالب بن عبدالقدوس. ترجمته: البكرى: سمط، ١/ ١٦٨.
(٣) من قرى بلخ. كما في ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٧٩ (سان).
(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٢٧.

فأسهم فى توثيقها والتأثير فى مجرياتها، فكشف عن جوانب خفية لم يمنحها المؤرخ التفاصيل المطلوبة بما يكشف عن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فاستطاع الشعر أن يفعل ذلك، فهذا أبو الهندى يتعصب لأسد القسرى على الرغم من إخفاقه فى هذه الوقعة وأكثر ما يقوده إلى ذلك هو تعصب قبلى ضد قبائل قيس التى وقفت مع الخارجين على الخلافة. ومن هنا تغدو للشعر مؤثراته فى تدوين الحدث وكشف الأبعاد السياسية والتاريخية لأجواء الوجود العربى فى إقليم خراسان.

كان لهذا التناحر والصراع نتائج وخيمة فى تشجيع أصحاب البُدع وحركات التمرد التى تهدف إلى تقويض الدولة الأموية، والتى اشتقت بعض عقائدها من ديانات بلاد فارس قبل الفتح الإسلامى من ذلك ما حدث سنة (١١٩هـ/ ٧٣٧م)[١] فى خروج المغيرة بن سعيد[٢] وبيان بن سمعان النهدى[٣]، فكان اصحاب بيان يقولون: "إن الله عز وجل على صورة إنسان، وأنه يهلك كله إلا وجهه"[٤]. وكان المغيرة يؤمن بفكرة التجسيم[٥] هذه، فقتلهما خالد القسرى وأحرقهما، فقال مالك ابن أعين الجهنى[٦]:

ضَربتُ لـه بين الطريقينِ لاحبًا وَطنت عليه الشمسَ فيمَن يطينُها
وألقيتَه فى شبهةٍ حين سالنى كما اشتبَها فى الخطِّ سينٌ وشينُها[٧]

يبدو أن ما بثه المغيرة وبيان من أفكار لقيت استجابة من لدن بعض الناقمين على

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٢٨-١٢٩.
(٢) المغيرة بن سعيد البجلي الكوفي قتله خالد القسري سنة (١١٩هـ/ ٧٣٧م). ترجمته: الأشعرى: مقالات، ١/ ٦٨؛ الذهبى: ميزان، ٤/ ١٦٠.
(٣) بيان بن سمعان النهدي التيمي، قتله خالد القسري سنة (١١٩هـ/ ٧٣٧م). ترجمته: الأشعرى: مقالات، ١/ ٦٦؛ الذهبى: ميزان، ١/ ٣٥٧.
(٤) الأشعرى: مقالات، ١/ ٦٦.
(٥) نفسه، ١/ ٦٨.
(٦) أخباره: الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٢٩.
(٧) نفسه.

الخلافة الأموية وولاتها. فهجا يحيى بن نوفل[1] خالدًا القسرى ووصفه بالجبن حين قال:

تَمنّى الفخرُ فى قيسٍ وقَسر ... كأنّك مِن سَراةِ بنى جريرِ
وأمُّكَ عِلجَةٌ وأبوكَ وغدٌ ... وما الأذنابُ عِدلاً للصُدورِ
جريرٌ من ذى يَمنٍ أصيلٍ ... كريمُ الأصلِ ذو خَطرٍ كبيرِ
وأنت زعمت أنكَ من يزيدٍ ... وقد أُدحِقتُم دحق العبُورِ
وكُنت لدى المغيرةِ عبدَ سَوء ... تبولُ من المخافةِ للزئيرِ
وقُلت لَما أصابك: أطعمونى ... شِرابا ثمَّ بُلتَ على السريرِ
لأعلاجٍ ثمانيةٍ وشيخ ... كبيرِ السِّنِ ليس بذى نَصير[2]

وحين صُلب بيان والمغيرة، قال شاعر:

طارَ التجاورُ من بيانٍ واقِفًا ... ومن المغيرةِ عندَ جسرِ العاشرِ[3]

مما شجع على ظهور العقائد التى تُسيء إلى جوهر الدين الإسلامى والتى تهدم بمعول خفى فى كيانه القوى وحصنه المتين، ففى سنة (١١٩هـ/ ٣٧٣م)[4]. خرج بهلول بن بِشر اليَشكري[5] فى الكوفة فتوجه يريد الشام، فجند له خالد القسرى جندًا من العراق، وجند له عامل الجزيرة جندًا، ووجه إليه هشام جندًا من أهل الشام، فقُتل البَهلول فرثاه الضَّحاك بن قيس[6]:

(١) أخباره: الجاحظ: البيان، ٢/ ٢٦٦؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٢٩.
(٢) الجاحظ: البيان، ٢/ ٢٦٦-٢٦٧ مع اختلاف الراوية؛ البلاذرى: أنساب، ٣/ ٧٧-٧٨ روى بيتين مع شيء من الاختلاف؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٣٠ وهي الرواية المعتمدة.
(٣) البلاذرى: أنساب، ٣/ ٧٨.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٣٠.
(٥) أخباره: نفسه.
(٦) هو الضحاك بن قيس الشيباني قتل سنة (١٢٨هـ/ ٧٤٥م). ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ١٠٠، ٣٦٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٦/ ١٢٤.

بــدلت بعــد أبــى بــشرٍ وصــحبته قــومًا علــى مــع الأَحــزاب أعــوانَا
كــأنهم لم يكونــوا مــن صَــاحبتِنا ولم يكونــوا لــنا بــالأمسِ خُلَّانَــا[1]

دفعت سياسة هشام بن عبدالملك فى تَولية خالد القسرى العراق وأخيه أسد خراسان بقبيلة يشكر ومن والاها من القبائل إلى شق عصا الطاعة عن الدولة الأموية، فقد خرج الصحارى بن شبيب[2] داعيًا الصُّفرية إلى الوثوب فحاول خالد القسرى اغتياله[3] فقال الصحارى يخاطبه:

لم أرد مــــنه الفَريـــــضةَ إلا طمَعًـــا فـــى قـــتلِهِ أن أنـــالا
فـــأريحَ الأرضَ مـــنه ومِمَّـــن عـــاثَ فـيها وعــن الحـقِّ مــالا
كـــلُّ جـــبارٍ عنـــيدٍ أراهُ تـــركَ الحـــقَّ وسَـــنَّ الــضَّلالا
إننـــى شـــارٍ بنفـــسى لربـــى تـــاركٌ قِـــيلًا لَهـــم وقَـــالا
بايـــع أهلَـــى ومـــالى أرجـــو فـــى جـنانِ الخُلــدِ أهلًــا ومــالا[4]

يؤشر هذا الشعر عقيدة الخوارج الشراة وإيمانهم بأن قتل من يرونه ظالمًا يدخلهم الجنة، فالشاعر يتعامل مع عقيدته تعاملًا مباشرًا بعيدًا عن التعقيد مما يكشف عن ضعف إدارة الأمصار لإحساس الأحزاب المعارضة بقدرتها على إعلان آرائها وعلى إثارة الاضطرابات والفتن لإعاقة الدولة عن أداء مهامها وتأليب الآخرين ضدها.

ونتيجة لحالةِ عدم الاستقرار وكثرة محاولات التمرد على السلطة وصراعات القوى والقبائل فيما بينها شعر الخليفة هشام بن عبدالملك بضرورة مواجهة الوضع بحزم، فكانت وفاة أسد بن عبدالله القسرى فى سنة (١٢٠هـ/ ٧٣٧م)[5] مدعاة لحصول متغيرات جديدة فى خراسان، فقال الشاعر يرثيه:

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٣٣.
(٢) هو الصحاري بن شبيب بن يزيد الشيباني. ابن حزم: جمهرة، ٣٢٧.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٣٧-١٣٨.
(٤) شعر الخوارج، ٢٠٠؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٣٨.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٣٩.

نَعى أسد بن عبدالله ناعٍ ... فريعَ القلب للملك المُطاعِ
ببَلخ وافقَ المِقدار يَسرى ... وما لقضاءِ ربكَ من دفاعِ[١]

كانت بَلخ تعيش موقفًا صعبًا بحيث أن وفاة أسد القسرى المفاجئة إثر مرض لم يمهله طويلًا أثارت العرب الذين يقيمون بها، وكأن موته كان كشفًا لما وصلت إليه الأوضاع فى خراسان، كما فى رثاء سليمان قتة، أحد بنى تيم بن مُرّة[٢]، وكان صديقًا لأسد:

سقى الله بَلخًا، سهل بلخٍ وحزنَها ... ومَرَوى خراسانَ السَّحابِ المجمَّمَا
وما بى لِتُسقاهُ ولكن حُفرة ... بها غَيَّبوا شِلوًا كَريمًا وأعظُما
مُراجِم أقوامٍ ومُردى عظيمةٍ ... وطَلاب أوتارٍ عِفَرنًا عثَمثَمَا
لقد كان يعطى السيف فى الروعِ حقهُ ... ويُروى السِنان الزاغى المقَوَّما[٣]

أوحى هذا الوضع إحساسًا بالتمزق الداخلى وبانِ صوت أسد فى هذا الوقت العصيب سيزيد الأمور سوءًا ويجعل الظروف أكثر حراجة، وهو ما كان يتوقعه الخليفة هشام بن عبدالملك حين أخذ على عاتقه اتخاذ مجموعة إجراءات منها عزل خالد بن عبدالله القسرى[٤] الذى أشيع عنه أنّه يزمع خلع الخليفة حتى وجد "بباب هشام يومًا رقعة فيها شعر... فقُرئت عليه"[٥]، وهى للكميت بن زيد الأسدى:

تألق برقٌ عندنا وتقابلَت ... أثافٍ لقدرِ الحربِ أخشى اقتبالَها
فدونَك قِدر الحربِ وهى مُقرَّة ... لكفيّكَ واجعل دون قِدرٍ جعالُها
ولَن تَنتهى أو يبلغ الأمر حَدهُ ... فَنلها برسلٍ قبلَ أن لا تنالها

---

(١) نفسه، ٧/ ١٤١؛ والشعر لابن عرس العيدي.
(٢) وهو مولى لتيم قريش، وقته امه. ابن قتيبة: المعارف، ٤٨٧.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٤١. ينظر: هجاء يحيى بن نوفل لخالد القسري وأخيه أسد حين مات، ٢١٠.
(٤) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٦٤؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٤٧.
(٥) الأصفهانى: الأغاني، ١٦/ ٣٣٩.

فتجَشم منها ما جشمت من التى ... يسَوراءَ هَرَّت نحو حالِك حالَها
تلافَ أمورَ الناسِ قبلَ تفاقُمِ ... بِعَقدِة حزمٍ لا تخافُ انحلالَها
فما أبرمَ الأقوامُ يومًا لحليلةٍ ... من الأمرِ إلا قلَّدوكَ احتيالَها
وقد تُخبرُ الحَربُ العوان بِسِرِّها ... وإن لَم تُبح مَن لا يريدُ سُؤالَها(١)

يحمل هذا الشعر تحذيرًا واضحًا لهشام، وكشفًا لما يمور فى الأعماقِ من صراعات أخذت تظهر على السطح، فكانت هذه الأبيات استشراقًا مستقبليًا للحدث التاريخى وتسجيلًا له قبل حصوله، فاستطاع حدس الشاعر أن يستنطبه ويؤسس عليه نتائج محتملة ستقع على ساحة الواقع مما يجعل للشعر أثره فى الإجراءات التى اتخذها الخليفة فيما بعد، فقد كان لقسوةِ خالد القسرى أثرها الفاعل فى تصاعد رد الفعل المناهض للأمويين، حتى أن إسماعيل بن عمار(٢) قال مخاطبًا الفرزدق:

عجبَ الفرزدقُ من فزارَة أن رأى ... عنها أميةَ بالمشارقِ تنزعُ
فلَقد رأى عَجبًا وأُحدِث بعدَهُ ... أمرٌ تطيرُ له القُلوبُ وتفزَعُ
بكت المنابِرُ من فزارةَ شَجوها ... فالآن من قَسرٍ تضجُّ وتَجزَعُ
فملوكُ خِندفَ أضرعوها للعِدا ... لله در مُلوكنا ما تَصنَعُ
كانوا كَقاذِفةٍ بنيها ضَلَّةً ... سَفَهًا وغيرُهُم تَربُ وتُرضِعُ(٣)

فكان ذلك إنذارًا بضرورة إصلاح الأمور وضرورة توليه ولاة عادلين قادرين على إنصاف الناس بعيدًا عن سياسة القوة؛ لأنّ الظرفَ قد تغير وأصبحت هذه السياسة غير مجدية والأمصار بحاجة إلى ولاة قديرين لهم باع فى الإدارة والإصلاح بحزم ومروءة.

---

(١) ديوانه، ٢/ ٨٦-٨٧؛ الأصفانى: الأغاني، ١٦/ ٣٣٩-٣٤٠.
(٢) إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية كان ينزل الكوفة. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ١١/ ٣٤٤.
(٣) نفسه، ١١/ ٣٥٧.

وفى سنة (١٢٠هـ/ ٧٣٧م)[١] قدم يوسف بن عمر الثقفي[٢] (ت، ١٢٧هـ/ ٧٤٤م) واليًا على العراق، وولى نصر بن سيار خراسان بعد أن أخذت العصبية القبلية تنهش فى استقرار الأوضاع حتى قال رجل من أهل الشام من اليمانيةِ بعد أن قدم نصر بن سيار: "ما رأيت عصيبةً مثل هذه! قال: بلى، التى كانت قبل: فلم يستعمل أربع سنين إلا مُضربًا، وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلها، ووضع الخراج، وأحسن الولاية والجباية"[٣] فقال سَوّار بن الأشعر[٤]:

أضحَت خراسان بُعد الخوفِ آمنةً ... مِن ظُلم كل غُشومِ الحكمِ جَبّارِ
لما أتى يُسفًا أخبارُ ما لِقيت ... اختارُ نصرًا لها ؛ نصرُ بن سيارِ[٥]

كانت هذه الإجراءات محاولة لتهدئة الأوضاع واستدرك الأمر، ولكن الطابع القبلى فى غدارة المصار بقى مستمرًا حتى كره بعض الناس ولاية نصر فرد عليهم بقوله:

أبت لى طاعق وابى بَلائى ... وفوزى حينَ يعترِكُ الخصامُ
وإنّا لا نَضيع لنا مُلمًّا ... ولا حَسَبًا إذا شاعَ الدِّمامُ
ولا تغضى على غدرٍ وإنَّا ... نُقيم على الوفاءِ فلا تُلامُ
خليفتُنا الذى فازَت يداهُ ... بقدحِ الحمدِ والَملكُ الهُمامُ
نَسوسهم بهِ ولنا عليهم ... إذا قلنا مكارِمُهُ جِسَامُ[٦]

فكأنه يعرض دليل عمله فى معالجة الأمور التى تقترن بالدرجة الأساس بطاعة

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٥٨.
(٢) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي. ترجمته: ابن عساكر: تاريخ، دمشق، ٦٩/ ٢٣١؛ ابن خلكان: وفيات: ٦/ ١٠١.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٥٨.
(٤) من بني مازن التميمي ولي شرطة كجستان وتغلب عليها أيام الفتنة. ابن الكلبى: جمهرة، ٢٦٤.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٥٨.
(٦) ديوانه، ٤٢-٤٣؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٥٨.

الخليفة وتنفيذ أوامره واتباع الحِلم والقوة حيثما كان ذلك ضروريًا. وهى سياسة سبق وان انتهاجها معاوية بن أبى سفيان ومن بعده عبدالملك بن مروان؛ بيد أن الظروف تغيرت واصبح العد التنازلى بضعف قوة الدولة واضحًا نتيجة تولى خلفاء شباب لم يتمرسوا فى الإدارة تمرسًا كافيًا، وبروز ظاهرة التنازع على السلطة بين الخليفة وولى العهد فى محاولة الخليفة إزاحة ولى العهد هذا لتولية ابنه.

وفى سنة (١٢١هـ/ ٧٣٨هـ)[١] غزا نصر بن سيار بلاد ما وراء النهر حتى بلغ الشاش[٢] فقتل فارس الترك الأخرم وهزمهم ثم عاد، فقال أبو نميلة، صالح بن الأباد[٣].

كُنّا وأوبةُ نصرٍ عندَ غيبتهِ ... كراقِب النَّوءِ حتى جاده المَطَرُ
أودى بأخرَم منه عارضٌ بَرِدٌ ... مُستَرجِفٌ بمنايا القومِ مُنهَمِرُ[٤]

يكشف البيتان عن مصرع الأخرم وعن الموقف الصعب الذى غدا فيه المسلمون نتيجة شعورهم بالقلق وبحثهم عن انتصار يديم قوتهم وتماسكهم، فكانت قيادة نصر بن سيار جديرة بأن تمنح المسلمين الإحساس بالأمان والقدرة على مواجهة المفاجآت التى قد تحصل.

وفى هذه السنة (١٢١هـ/ ٧٣٨م)[٥] كان بدء ظهور أمر زيد بن علي[٦] (ت، ١٢٢هـ/ ٧٣٩م) على ولاية سيف بن عمر الثقفى فى الكوفة بعد أن شعر بأن الظروف أصبحت مواتية له، فقال:

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٧٥-١٧٦.

(٢) قرية بالري في بلاد ما وراء نهر سيحون. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٣٠٨ (شاش).

(٣) مولى بني عبس. الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٩٦؛ الأصفهانى: مقاتل، ١٥٢ وفيه (أبو ثميلة) لعله تصحيف.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٦٧.

(٥) نفسه، ٧/ ١٦٠.

(٦) هو زيد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٥/ ٣٢٥؛ ابن حبان: الثقات، ٤/ ٢٤٩.

متخـرِّقُ الخُفَّيـن يـشكو الوجـى ... تنكـيه أطـراف مـروٍ حـدادِ
شَـرَّدهُ الخـوف وازرى بـهِ ... كـذاكَ مـن يكـرهُ حـرَّ الجِـلادِ
قَـد كـان فـي المـوتِ لـه راحـة ... والمـوتُ حـتمٌ فـي رِقـابُ العِبادِ[1]

فلما قتل سنة (١٢٢هـ/ ٧٣٩م)[2] أُرسل رأسه مع الحجاج بن القاسم[3]، فقال أبو الجويرية[4]:

قُـلْ لِلـذين انـتهكوا المحـارِمَ ... ورَفعـوا الـشَّمعَ بـصحراءِ سـالِمْ
كـيف وجـدتُم وقعـةَ الأكـارِمِ ... يـا يوسف بـن الحكم بن القاسم![5]

وقال الحُرّ بن يوسف[6]:

وأمتـنا حجـاجَحَ مـن قـريشٍ ... فأمـسى ذكـرهُم كحـديثِ أمـسِ
وكـنا أُسَّ ملكهـم قـديمًا ... وهـل مُلـك يُقـامُ بغـيرِ أسٍّ؟
ضـمّنا مـنهم ثُكَـلاً وحُـزنًا ... ولكـن لا محالـةَ مـن تـأسٍّ[7]

كان مؤيد وزيد من آل بيته قليلين بالمقارنة مع الثورات العلوية الأخرى، مما يعين خضوع هذه الثورة للارتجال وقلة التخطيط وأن الظروف الطارئة أملت عليه وضعًا استثنائيًا، لأنه عوّل على اضطراب الوضع في العراق وخراسان، فكان زيد غريبًا في خروجه حتى تخلى عنه أقرب الناس إليه، كما قال ابنه يحيى بن[8] زيد:

---

(١) الجاحظ: البيان، ١/ ٣١٠؛ اليعقوبى: تاريخ، ٣/ ٦٨ وهي الرواية المعتمدة؛ ابن عبد ربه: العقد، ٥/ ٢١٠؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٣/ ٢٨٧.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٨٠.
(٣) هو الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل نفسه، ٧/ ١٨٧.
(٤) هو من عنزة بن اسد بن بن ربيعة بن نزار. شاعر. الآمدى: المؤتلف، ١٠٨.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٨٧ وفي نسب الحجاج ثمة اختلاف بين البيتين والإشارة التاريخية.
(٦) هو الحُر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص، ولي الموصل. ابن حزم: جمهرة، ١١٠.
(٧) الزبيرى: نسب قريش، ١٦١.
(٨) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ثار على الوليد بن يزيد ولم يعقب. ترجمته: الأصفهانى: مقاتل، ١٥٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٨/ ٤١.

خليلـــى عنّـــى بالمديـــنةِ بَلِّغـــا بنـى هاشـمٍ أهـل النُّهـى والـتجاربِ
فحتـــى متـــى مـــروانَ يقـــتلُ مـــنكم خـــيارَكُم والدهـــر جَـــمٌّ العجائِـــبِ
وحتـى متـى تَرضـون بالخَسفِ منهم وكنـتم أبـاة الخُسفِ عـند الـتجاربِ
ولكـــلِّ قتـــيلٍ معـــشرٌ يطلـــبونه ولـــيسَ لـــزيدٍ بالعـــراقين طالِـــبُ[1]

وكـان أول مـن قتـل مـن أصحـاب زيد القاسم بن كثير[2] فقالت ابنته سكينة ترثيه:

عـــينُ جـــودى لقاســـم بـــن كـــثير بـــدرورٍ مـــن الدّمـــوعِ غَزيـــرِ
أدركـــته ســـيوفُ قـــومٍ لـــئامٍ مـن أولى الـشّركِ والـرَّدى والـشُّرورِ
سَـــوف أبكـــيكَ مـــا تغنّـــى حَمـــام فـوقَ غـصنٍ مـن الغـصونِ نَـضيرِ[3]

وقال الكميت بن زيد يخاطب يوسف بن عمر ويعرض بخالد القسرى:

خرجتُ لهـم تمشى البراحَ ولم تكنْ كَمـن حِـصنهُ فـيه الـرّتاجُ الُمـضبَّبُ
حلفـت بـربٍّ الـناسِ يـا أم خالـدٍ بأمِّــك إذ أصــواتنا الهَــلُ والهــبُ
ولا خِالـــدٌ يـــستطعمُ المـــاءَ قائِمًـــا بَعد لِكَ والدَّاعى إلى الموتِ أقربُ[4]

يظهر هذا الشعر شيئًا ويخفى شيئًا آخر؛ لأن الكميت علوى الهوى، فآثر التعريض بخالد القسرى والإشادة بيوسف بن عمر، ولكنه فى حقيقة الأمر عرّض بالاثنين انتصارًا لزيد فى قوله (والداعى إلى الموت أقربُ) فهو يدعو ليوسف بقرب الموت.

(١) الأشعرى: مقالات، ١/ ١٤٤؛ الزبيرى: نسب قريش، ٦٦ ذكر البيت الأخير فقط.
(٢) القاسم بن كثير بن يحيى بن صالح بن عزيز التَّبعي. ترجمته: الأصفهانى: مقاتل، ١٣٦؛ ابن حبان: الثقات، ٥/ ٣٠٦.
(٣) الأصفهانى: مقاتل، ١٣٧.
(٤) ديوانه، ١/ ٨٥-٨٦.

وجيء براس زيد فصُلب بالمدينة فى سنة (١٢٣هـ/ ٧٤٠م)[١] فوصف الفضل بن العباس[٢] طريقة صلبه، فقال:

غـــدَاة ابـــن النبـــى أبـــو حـــسين ... صـــليبٌ بالكناســـةِ فـــوقَ عـــودِ
يظـــــل عمـــــودُهم ويمـــــسى ... بنفـــسى أعظـــم فـــوقَ العمـــودِ
تَعـــدى الكافـــرُ الجـــبّارُ فـــيه ... فأخـــرجه مـــن القـــبرِ اللحـــيدِ
فظلـــوا ينبـــشونَ أبـــا حـــسينٍ ... خَـــضيبًا بيـــنهم بـــدمٍ جَـــسيدِ
فطـــال بـــه تلعـــبُهم عُـــتوًّا ... ومـا قـدروا علـى الـرُّوحِ الـصَّعيدِ[٣]

يصور هذا الشعر تصويرًا واضحًا كيفية صلب زيد، فهو من الشعر الذى يرسم الحدث ويسهم فى حفظه.

كانت شخصية زيد وثورته مثار صراع خفى بين السلطة ومناوئيها، فقد وقف أحد شعراء الأنصار حين صلب زيد فقال:

ألا يـــا نـــاقِضَ الميـــثا ... ق ابـــشر بالـــذى ســـالكا
نقـــضتَ العهـــد والميـــثا ... قَ قـــديمًا كـــان قـــدمًا كـــا
لقـــد أخلفـــتَ إبلـــيس الـــ ... ذى قـــد كـــانَ مـــنّا كـــا[٤]

فيل له: "ويلك! أتقول هذا لمثل زيد! فقال: إن الأمير غضبان فأردت أن أرضيه[٥]". فرد عليه بعض شعرائهم.

ألا يـــا شـــاعِرَ الـــسوءِ ... لقـــد أصـــبحتَ أفاكـــا

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٨٩.
(٢) هو الفضل بن العباس بن عبدالرحمن بن ربيعة بن الحراث المطلبي. ترجمته: الأصفهانى: مقاتل، ١٤٩؛ المرزبانى: الموشح، ١٧٩ وفيه الفضل بن عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة.
(٣) الأصفهانى: مقاتل، ١٤٩.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٩.
(٥) نفسه.

أَشَتمُ ابن رسولِ اللـه يرضى من تَولاكا
ألا صبحكَ الله بخزى ثم مَسّاكا
ويوم الحَشر لا شكَّ بأنَّ النارَ مَثواكا[1]

ونالت ثورة زيد ترحيبًا من لدن بعض الخوارج على رغم الاختلاف فى وجهات النظر بين الخوارج والعلويين، ولكن الرغبة فى الخروج كانت موضع قبولٍ لدى الخوارج حتى قال حبيب بن خدرة الهلالى[2]:

يا با حسينُ لو شُراةُ عِصابَةٍ صبحوكَ كان لوردهم إصدارُ
إن يقتلوكَ فإن قتلَكَ لم يكن عارًا عليك وربَّ قتلٍ عارُ
يا با حسنُ والجديدُ إلى بِلىً أولاد درزة أسلموكَ وطارُوا[3]

لعل طريقة زيد فى استقبال الموت والثورة هى التى استحسِنها الهلالى. وفى سنة (١٢٢هـ/ ٧٣٩م)[4] وقعت الفتنة عند البربر فبعث هشام بن عبدالملك فى خيل أهل الشام على إفريقية كلثوم ابن عياض القشيرى[5] فقتل، فقال أحد الشعراء:

قتلنا نصفَهم يومَ التقينا وطيَّرَ نفسهم فرقٌ فطارُوا
وقد عَلمَت مَعدٌّ أن قَومى لهم عِدٌّ المكارمِ والفخارُ
وإنَّا - حين تمسى الشولُ - حُدبًا مطاعيم إذا حُبٌّ القتارُ
وأن الخيلَ تعرفنا إذا ما تَطايَر عن قوائِمها الغبارُ

---

(١) نفسه.

(٢) أحد شعراء وخطباء الخوارج. الجاحظ: البيان، ٣/ ٢٦٤؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢٢.

(٣) شعر الخوارج، ٢١٣-٢١٤؛ ديوان الخوارج: ٤٢.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٧٠؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٩١.

(٥) هو كلثوم بن عياض بن وحوح بن قيس بن الأعور بن قشير. ابن حزم: جمهرة، ٢٩٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٣/ ١٦٧.

تقـــودُها إلى الأعـــداءِ حتَّـــى نـــواقِعُهُم، وإن بَعُـــدَ المُغـــارُ[(١)]

يبدو أن الأقاليم البعيدة أصبحت تشهد حركة تململ وتوثب ضد السلطة المركزية نتيجة تفاقم الصراعات القبلية ففى سنة (١٢٤هـ/ ٧٤١م)[(٢)] استغل البربر الظروف فثاروا فى الأندلس، فولى هشام بن عبدالملك على إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي[(٣)]، فبعث أبو الخطار، الحسام بن ضرار الكلبي[(٤)] واليًا على الأندلس، فلما قدمها أدوا إليه الطاعة وأخمد ما فيها من فتن، وأخرج من كان سببها[(٥)]. ولكنه لم يلبث أن تعصب لليمانية وفضلهم على القيسية، فآل الأمر بالحسام بن ضرار إلى الخلع والفرار، وحينما شعر بتغيّر بنى مروان نحو قيس وتنكرهم لبلاء كلب قال الحسام:

أفـادَت بـنو مـروان قيـسًا دماءَنـا وفـى اللهِ إن لم تعدلـوا حكـمُ عـدلُ
كـأنكم لم تـشهدوا مـرجَ راهـطٍ ولم تعلمـوا مـن كـانَ ثَـمَّ لَـهُ الفـضلُ
وقيـــناكم حـــرَّ القَـــنا بـــنحورِنا وليس لكُـم خـيلٌ سِـوانا ولا رَجـلُ
ولمـا رأيـتم واقِـدَ الحَـربِ قـد خَـبا وطـابَ لكـم فـيها المـشاربُ والأكـلُ
تناســـيتم مَـــسعانا وبلاءَنـــا وخامـركم مـن سـوءِ بغـيكم جهـلُ

---

(١) ابن الشجرى: الحماسة، ١/ ١٧٣-١٧٤.
(٢) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٧١.
(٣) حنظلة بن صفوان بن تثويل بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن عرين بن عذرة. ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٧/ ٣٥؛ ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله بن أعين القرش المصري (ت، ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م): فتوح مصر وأخبارها (ليدن، ١٩٢٠م)، ٢٢١.
(٤) هو أحد بني عدي بن جناب من كلب (ت، ١٣٠هـ/ ٧٤٨م). ترجمته: الحميدي، محمد بن فتوح بن عبدالله (ت، ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. تصحيح محمد بن تاويت الطنجي (مكتبة الثقافة الإسلاميت، مطبعة السعادة، القاهرة، دون تاريخ)، ١٨٨؛ الضبى: بغية، ٢٣٧.
(٥) ينظر: الحميدى: جذوة، ١٨٩؛ ابن الآبار، محمد بن عبدالله القضامي (ت، ٣٨هـ/ ١٢٦٠م): الحلة السيراء، تحقيق حسين يونس، الجزء الأول (الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م)، ٦١.

فلا تعجلوا إن دارت الحرب دورةً   وزلّت عن المهواةِ بالقدَمِ النعلُ[1]

تُعبر هذه الأبيات عن تفاقم الصراع بين قبائل اليمن وقيس، ولم يستطع الخليفة أن يتخذ سياسةً متوازنة تجاه القبائل بسبب ميلِ الولاة إلى قبائلهم لاضطرارهم الاعتماد عليها فى تنفيذ سياسة الدولة وبسط نفوذهم لإشاعةِ الأمن والاستقرار، كما فى قول أبى الخطار للصميل بن حاتم الكِلابى[2] رأس المتعصبين ضد اليمانية:

إن ابن بكر كفانى كلَّ معضلةٍ   وحطَّ عن غابى ما كانَ يؤذينى

إذا اتخذت صديقًا أو هممتُ بهِ   اعَمد لذى حَسَبٍ إن شئتَ أو دينِ

ما يقدر الله فى مالى فى ولدى   لابدَّ يدركنى لو كنتُ بالصينِ[3]

وحاول هشام بن عبدالملك قبل وفاته أن يخلع ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبدالملك فقطع عنه الرزق، واسقط أسماء أهله وحرمه، وأصحابه وحرسه من ديوان العطاء[4]. فقال الوليد يعاتبه:

أليس عَظيمًا أن أرى كلَّ واردٍ   حياضَك يومًا صَادرًا بالنوافِلِ

وأرجع مجذوذَ الرَّجاءِ مُصرَّدًا   بتحلئةٍ عن وِردِ تلك المناهِلِ

فأويت مما كنت آمل فيكم   وليس يُلاقى مارجًا كُلُّ آملِ

كَذى قَبضةٍ يومًا على عُرضِ هَبوَةٍ   يَشدُّ عليها كفَّهُ بالأنامِلِ[5]

---

(١) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٢ الأبيات الثلاثة؛ الحميدى: جذوة، ١٨٨-١٨٩؛ ابن الشجرى: الحماسة، ١/ ٩-١٠؛ الضبى: بغية، ٢٣٨؛ البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت، ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م): الحماسة البصرية، تحقيق مختار الدين أحمد؛ الجزء الأول (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ)، ٨١؛ ابن الآبار: الحلة، ١/ ٦٤. وفي بعض الروايات (أفادت بنو مروان).

(٢) هو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي. ترجمته: ابن الآبار: الحلة، ١/ ٦٧.

(٣) ابن الآبار: الحلة، ١/ ٦٦.

(٤) الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ١٠.

(٥) الوليد بن يزيد (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٣م): شعره، جمع وتحقيق حسين عطوان (المطبعة الاقتصادية، مكتبة الأقصى، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م)، ١٠٤.

وحين بلغ الوليد أن هشامًا هم بخعله قال:

خذوا مُلككُمُ لا ثبتَّ اللهُ ملككُم … ثباتًا يُساوى ما حييتُ قبالا
ذرُوا لى سَلمى والطِّلاء وقينةٍ … وكأسًا ألا حَسبى بذلك مالا[1]

لعل نزعة التمرد تمخضت من هذا الإحساس بالنفى والميل نحو العزلة، وإن عتاب الوليد لبعض من سعى فى خلعه من قومه يفند ما جاء بتلك الأبيات ويردُّ على استخفافهم به، وكسرهم لقناته، ووصفه بأنه هائم بالغانيات، كما فى خطاب الوليد لقومه وعتابه لهم:

سَلْ هَمَّ النفسِ عنها … بعَلَنداةٍ عَلاةِ
تتقى الأرضَ وتهوى … بخفافٍ مُدمجاتِ
ذاكَ أم ما بالُ قومى … كَسَروا سِنَّ قَناتى
واستخفوا بى وصاروا … كقرودٍ خاسئات
أصبحَ اليومَ وليدٌ … هائمًا بالغانيات
عنده كأسٌ وإبريقٌ … وراح بالغَلاة
ابعثوا خيلًا لخيلٍ … ورُماةٍ لرُماةٍ[2]

والبيت الأخير يشير إلى جِده، وفروسيته، وأن الصراع هو صراع فرسان وخيل ورماة، مما يزيل الشك الذى حام حول شخصيته العابثة، ويكشف عن جديتها. وهذا ما يرجح محاولة هشام اغتياله[3] لأن هشامًا كان لا يقدم على استلاب ولاية العهد من الوليد، ولا يجرؤ عليه، لأنه كان يخشى عواقبه، وأخطاره، فإن استلاب ولاية العهد يحط من قدر هشام ويزرى به ويؤذن بتصدع بنى أمية وتفسخهم"[4].

---

(١) نفسه، ٩٢. ينظر: وصفه لهشام بأنه يسعى في قطيعته، ١٢٥.
(٢) شعره، ٣٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ٧/ ٩-١٠.
(٣) الأصفهاني: الأغاني، ٧/ ٦٣.
(٤) عطوان، حسين: الوليد بن يزيد "عرض ونقد"، (دار الجيل، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ٣١٠.

بيد أن الصراع أحدث شرخًا فى صميم الأسرة الأموية وأضعف قوة سلطتها المعنوية، وهيأ الظروف المناسبة لسقوطِها أمام خصومها العباسيين، ولعل ما قاله يزيد بن ضَبّه[1] فى شأن هشام وهو يدافع عن الوليد خير شاهد على طبيعة التصدع الذى أخذ يتفشى فى جسد الدولة والأُسرة معًا:

أَلم تَــر أنــــنا لّمـــا وليـــنا ... أمــورًا خُــرّقَت فــوهت سَــدَدنا
رايـنا الفَــتقَ حــين وهــى عليهم ... وكــم مــن مــثِلهِ صــدع رفأنــا
إذا هـــاب الكــريهةَ مــن يَلــيها ... وأعظمهــا الـهـبُوب لـهـا عَمــدنا
وجــــبارٍ تـــــركناه كَلــــيلا ... وقائــــدِ فتــــنةٍ طـــاغٍ أزلـــنا
فـــلا تضنـــسوا مواطنـــنا فإنّـــا ... إذا مــا عــادَ أهــلِ الجُــرمِ عُــدنا
ومــا هيــضت مكاسِــرُ مــن جَــبرنا ... ولا جُبِّــرت مــصيبةُ مــن هَــددنا
ألا مَـــن مُـــبلغ عنـــى هِـــشامًا ... فمـــا مـــنّا الــبلاءُ ولا بَعـــدنا[2]

وحاول الوليد دفع التهمة عنه باتهام مماثل إلى مسلمة بن هشام[3]، المعروف بـ (أبى شاكر)، فقال الوليد:

يأيُّهـــا الـــسائِلُ عـــن ديـنـــنا ... نحــنُ علـــى ديـــنِ أبـــى شـــاكرِ
نـــشربُها صِـــرفًا ومَمـــزوجةً ... بالـــسُّخنِ أحـــيانًا وبالفاتِـــرِ[4]

فأظهر مسلمة بن هشام النُّسك وقَسّم بمكة والمدينة أموالًا[5]، فقال مولى لأهل المدينة:

---

(١) مولى ثقيف، واسم أبيه مقسم، وضبة أمه غلبت على نسبه. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ٩٣.
(٢) شعره، شعراء ثقيف، ٢١٦؛ الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ٩٣.
(٣) مسلمة بن هشام بن عبدالملك. ترجمته: ابن حزم: جمهرة، ٩٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦١/ ٤٨.
(٤) شعره، ٦٦؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢١٠؛ الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ٥.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢١٠؛ الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ٦.

يأيها السائلُ عن ديننا ... نحن على دينِ أبى شاكرِ
الواهبُ البُزلَ بأرسائِها ... ليس بزنديقٍ ولا كافِرِ[1]

ومن الراجح "أن هشامًا كلَّف أحد شعرائه بنقض بيتى الوليد اللذين شهَّر فيهما بمسَلمة، فنقضهما فى رمى الوليد بالإلحاد"[2]. فقد كان هشام يعيب الوليد وينتقصه، وكثر عبثه به وبأصحابه وتقصيره له، حتى قال أحد أصحاب الوليد:

لعلَّ الوليد دنا مُلكه ... فأمسى إليه قد استُجمعا
وكُنا نُؤمّل فى مُلكِه ... كتأميلِ ذى الجدبِ أن يُمرِعا[3]

لكن وفاة هشام بن عبدالملك فى سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م)[4] أحبطت محاولاته إزاحة الوليد من أمامه لتولية ابنه، فلما بلغ الخبر الوليد بن يزيد قال:

هلكَ الأحوالُ المشؤ ... م فقد أرسل المَطَرْ
ومَلكنا من بعدِ ذا ... كَ فقد أورق الشَّجَرْ
فاشكروا اللهَ إنّه ... زائِدٌ كل من شكر[5]

وقال أيضًا:

أنا ابن يزيد بن عبدالملك ... وجدّى مروان لا أم لَكْ
فكيف إذا ما ملكت البلادَ ... وقمت خَطيبًا على منبَركْ
فبَخْ بَخٍ بَخْ لكَ ما أكرمَك ... وبَخْ بَخٍ بَخْ لكَ ما أفخرَكْ[6]

---

(١) نفسها.
(٢) عطوان: الوليد، ٣٠٣.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢١١.
(٤) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٧٢؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٠٠.
(٥) شعره، ٥٥.
(٦) نفسه، ٨٥.

لقد أثبت هشام، على الرغم من كل ما عانته الدولة فى عهده، خلال مدة حكمه الطويلة على قدرة إدارية ناجحة على الرغم من الظروف الصعبة التى واجهته مع قلة الولاة الحازمين فى أيامهِ، مما يعنى تمتعه بقدرة قيادية على إدارة شؤون الدولة ومحاولة إصلاحها.

الوليد بن يزيد بن عبدالملك[(١)] (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٢-٧٤٣م):

عانت الخلافة الأموية فى سنواتها الأخيرة من موضوع ولاية العهد معاناة كبيرة اضعفتها بشكل واضح، وذلك عندما جعلت من يتولى الخلافة بعد محاولة خلعه عنها يتصرف بطريقة لا تضع بالاعتبار المصلحة العامة والمحافظة على وحدة الأسرة الأموية وتماسك المجتمع وسلامة المؤسسات الإدارية للدولة، وإنما تعتمد على الانتقام ممن سعى إلى خلعه على مستوى الأفراد والقبائل غير مكترث بالنتائج السلبية التى ستظهر بعد ذلك.

وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح عندما تولى الوليد بن يزيد الخلافة فى سنة (١٢٥ هـ/ ٧٤٢م)[(٢)] فوقد عليه إبراهيم بن هرمة[(٣)] فقال:

وكانت أمورُ الناسِ منبتةُ القوى ... فشدَّ الوليدُ حينَ قامَ نظامَها
خليفةُ حقٍّ لا خليفَة باطِلٍ ... رمى عن قناةِ الدينِ حتى أقامَها[(٤)]

ومما يشير إلى حالة الانتقام ممن سعى إلى خلع الوليد، قوله:

ليتَ هشامَ عاشَ حتى يَرى ... مِحلبَهُ الأوفرُ قد أُترِعا
كِلنا لَهُ بالصَّاع إذ كالَها ... وما ظلمناهُ بها أصَوعا

---

(١) ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٦/ ٢٣٤؛ الذهبى: سير، ٥/ ٣٧٠.
(٢) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٧٣؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٠٩.
(٣) هو إبراهيم بن علي، وأمه هرمة من شعراء الدولتين الأموية والعباسية (ت، ١٧٦هـ/ ٧٩٢م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٦٣٩؛ ابن المعتز: طبقات، ٢٠.
(٤) إبراهيم بن هرمة (ت، ١٧٦هـ/ ٧٩٢م): ديوانه، تحقيق محمد جبار المعيبد)كطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ٢١١-٢١٢.

وما اتينا ذاك من بدعةٍ أحَلَّه القرآن لى اجمعا[1]

فكان من نتائج محاولة حرمان الوليد بن يزيد من الخلافة أن عقد ولاية العهد لابنيه الحكم وعثمان من بعده وأخذ لهما البيعة الواحد بعد الآخر، فجعل الحكم مقدمًا على عثمان فى سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م)[2] فقال الشاعر:

نبايعُ عثمانَ بعد الولى ـدِ للعهدِ فينا ونرجوُ يَزيدا
كما كان إذ ذاكَ فى ملكِه يَزيدُ يُرجّى لذاكَ الوَليدا
على أنّها شَسعت شسعةً فنحنُ نؤمّلُها أن تَعودا
فإن هى عادت فأرضً القريـ ـبَ عنها لِيؤيسَ منها البَعيدا[3]

يبدو الشاعر غير مقتنع بهذه الطريقة فى تولى الخلافة، وتحمل أبياته رفضًا مبطنًا لهذا التشبث من قبل آل يزيد بن عبدالملك بالخلافة.

وكان من إجراءاته إعادته لأعطيات أهل الحرمين التى منعت بعد خروج زيد بن على، وزاد الناس جميعًا فى العطاء عشرة عشرة[4]. وفى ذلك يقول الوليد بن يزيد:

الا أيُّها الركبُ المُجنُّون أبلغوا سَلامى سُكان البلاد فأسمعوا
وقولا: أتاكُم أشبَه الناسِ سُنةً بوالدِهِ فاستبشروا وتوقعوا
ضَمِنتُ لكم إن لم تصابوا بمهجتى بأن سماءَ الضُّرِّ عنكُم ستُقلِعُ
مُحرّمَكُم ديوانكم وعطاؤكُم بهِ يكتبُ الكُتابُ والكتبُ تُطبَعُ[5]

فكانت إجراءات زيادة العطاء كَسبًا للناس، وخطوة نحو تقليل سخطهم على

---

(١) شعره، ٧٤؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢١٦.
(٢) الطبرى: تعاريخ، ٧/ ٢١٨.
(٣) نفسه، ٧/ ٢١٩.
(٤) نفسه، ٧/ ٢١٧.
(٥) شعره، ٧٧.

الخلفاء، وتخفيفًا لمعاناتهم، وبهذا حقق الوليد نوعًا من الانفراج النفسى الذى لم يدم طويلًا بسبب الصراعات الدائرة داخل الدولة.

وفى سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م)[١] ظهر أمر يحيى بن زيد، فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار الذى كان ينزل به، فقتل يحيى، فقال أحد الشعراء يعرض بنصر:

أليسَ بعينِ اللهِ ما تصنعونَهُ عشيةَ يحيى موثقٌ فى السلاسِلِ
الم تَر لَيثًا ما الذى ختمت بهِ لها الويلُ فى سلطانِها المتزايلِ
لقد كشفت للناسِ ليث عن استِها أخيرًا وصارت شحكةً فى القبائِلِ
كلابٌ عَوت لا قَدَّسَ اللهُ أمرَها فجاءَت بصيدٍ لا يحلُّ لآكلِ[٢]

أصبحت خراسان موطنًا للصراعات والدعوات المناوئة للحكم الأموى، فى الوقت الذى كانت سياسة الوليد بن يزيد تتذبذب بسبب ميله نحو اللهو واللذة والركوب للصيد... وغيرها، مع إفساده على نفسه اليمانية، وهم عظم أهل الشام"[٣] حتى قيل إنه قال: "شعرًا يوبخ به أهل اليمن فى تركهم نصرة خالد بن عبدالله"[٤] وذلك بعد حبس خالد القسرى وإطلاق يد يوسف بن عمر فى تعذيبه، ثم قتله فى سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)[٥] وفى ذلك يقول الوليد:

أَلَم تهتج فتذكَرُ الوصالا وحَبلًا كان متصلا فزالا
بلَى فالدمعُ منك له سجامٌ كماء والُمزن ينسجلُ إِنسجالا
فَدع عنكَ ادكارَكَ آل سُعدى فنحن الأكثرون حسًى ومَالا
ونحن المالكونَ الناسَ قسرًا نَسومُهُم المذَلَةَ والنِكالا

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٢٨؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٢١٢.
(٢) الجاحظ: الحيوان، ٢/ ٢٩١ والأبيات الأخيرة منسوبة لأبي نظلة مع اختلاف الترتيب والرواية؛ الأصفهانى: مقاتل، ١٥٥ والأبيات كاملة.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٣١.
(٤) نفسه، ٧/ ٢٣٤.
(٥) نفسه، ٧/ ٢٥٤.

وطئـــنا الأَشـــعرين بِعـــزٍّ قـــيسٍ فـــيالَكِ وطـــأَةً لَـــن تُـــستقالا !
وهـــذا خالِـــدٌ فيـــنا أســـيرٌ ألا مـــنعوهُ إن كانـــوا رِجـــالا !
عظـــيمُهُ وســـيدُهُم قَـــديمًا جهلـــنا المُخـــزِياتِ لَـــه ظـــلالا
فلـــو كانـــت قـــبائلَ ذاتَ عِـــزٍّ لمـــا ذهـــبت صـــنائِعُهُ ضَـــلالا
ولا تـــركوه مَـــسلوبًا أســـيرًا يُـــسامِرُ مـــن سلاسِـــلنا الـــثِّقالا
وكِـندة والـسُّكونُ فمـا اسـتقالوا ولا بَـرحَت خـيولُهم الـرِّجالا
بهـا سُـمنا البَـرِيَّةَ كُـلَّ خَـسفٍ وهدَّمـنا الـسُّهولَةَ والجِـبالا
ولكـن الوَقائِـعُ ضَعـضعتهمْ وجـذَّتُهم ورَدَّتهُـم شِـلالا
فمـا زالـوا ابـدًا عبـيدًا تَـسُومُهُمُ المَذَلَـةَ والـسِّفالا
فأصـبحتُ الغـداةَ علـى تـاجٍ لِمُلـكِ النـاسِ مـا يَبغـى انـتقالا[1]

ويعتقد بأن "هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يحرض عليه اليمانية"[2]. حتى نسب إلى أحد الكلبين[3]، وهو ما دعا أحد الباحثين إلى القول بأن القصيدة مصنوعة على لسان الوليد وليست له[4]، ذلك لأن القصيدة تبدو من لغتها وروح التذمر والاستنفار الشديد، هى قصيدة تحريض ضد الوليد، وتأليب لمشاعر اليمانية ضده، فقد كان القبض على خالد القسرى وإطلاق يد يوسف بن عمر فى تعذيبه[5]، أشبه بحدوث انقلاب خطير فى سياسة الأمويين التى لَم تَعد تتناسب مع الظروف الصعبة المحيطة بهم بسبب ميل القبائل القيسية (المضرية) إلى خصومهم، فظهر إحساس لدى قبيلة كلب السند القوى للأمويين فى الشام بضرورة الثورة، وهو ما يبتغيه خصومهم فى إبعاد مساندة القبائل اليمانية وعزل الأسرة الأموية

---

(١) شعره، ١٥٤-١٥٥؛ الدينورى: الأخبار، ٣٤٨؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٣٤-٢٣٥.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٣٤.
(٣) البلاذرى: أنساب (مخطوط)، ورقة ٢٠٠.
(٤) عطوان: الوليد، ٣٤٣-٤٣٥.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٤٥.

عنهم ليبقى الأمويون دون سياج منيع يقيهم من غائلة الاقتحام، وهذا ما صرح به عمران بن هلباء الكلبي[1] الذي أجاب الوليد على قصيدته فقال:

قِفِي صدرَ المَطيَّةِ يا حَلالا ... وجذّي حبلَ من قَطَعَ الوِصالا
أَلَم تُحزُنكِ أنَّ ذوي يَمانٍ ... يُرَى من حاذَ قَيلهم جُلالا
جعلنا القبائِلَ من نِزارٍ ... غَداةَ المَرج أيامًا طِوالا
بنا ملكَ المُلك من قريشٍ ... وأودى جُدٌّ من أودى فَزَالا
متى تلقَ السّكونَ وتلق كَلبًا ... بعيسٍ تَخشَ من ملكٍ زوالا
كذاك المرءُ ما لم يُلفَ عَدلا ... يكونُ عليه منطقُهُ وَبَالا
وأعدُّوا آل حِميرَ إذ دُعيتُم ... سيوفَ الهندِ والأسلِ النهالا
وكلُّ مقلّصٍ نهدِ القُصَيرى ... وذا فودَينِ والقُبَّ الجبالا
يّذرن بكلِّ مُعتركٍ قَتيلا ... عليهِ الطيرُ قَد مَذِلَ السُّؤالا
لئن عيرتُمونا ما فَعلنا ... لَقد قُلتُم وجِّدكُمُ مَقالا
لإخوانُ الأشاعثِ قَتَّلوهم ... فما وطِئوا ولا لاقوا نِكالا
وأبناء المهلب نحن صُلنا ... وقائعهم وما صُلتُم مَصالا
وقد كانت جُذام على أخيهم ... ولَخمٌ يقتلونهُمُ شِمالا
هربنا أن نَساعِدَكم عليهم ... وَقد أخطأ مساعِدُكم وَفَالا
فإن عُدتُم فإن لنا سُيوفًا ... صَوارِمَ نَستجدُّ لها الصِّقالا
سنبكي خالِدًا بمُهَّنداتٍ ... ولا تذهب صنائِعُهُ ضَلالا
ألم يَكُ خالدٌ غيثَ اليتامى ... إذا حضروا وكنتَ لهم هُزالا

---

(١) أخباره: نفسه، ٧/ ٣٢٥.

يُكفَّنُ خالدٌ موتى نِزارٍ ... ويُثرى حَيُّهم نَشَبًا ومَالا
لو أنَّ الجائِرينَ عليه كانوا ... بساحةِ قومهِ كانوا نِكالا
سَتَلقى إن بَقيتَ مُسوَّماتٍ ... عَوابِسَ لا يُزايِلِنَ الجِلالا[1]

وبدأ تأثير هذا الشعر عندما "ازداد الناس على الوليد حتفا"[2] لأنه أثار حفيظة القبائل اليمانية وحفزها على الانتفاض ضده، حتى أخذت تَنحسر على سياسة هشام لأن أسلوب النقيضة الذى استخدم فى شعر الكلبى أسهم فى انتشار القصيدة، فضلاً عن كون النقائض فى هذه المرحلة شهدت تطورًا حضاريًا وعقليًا أسهم فى نشوء نوع من "الحوار والجدل والمناظرة فى النِّحل السياسية والعقيدية"[3] نتيجة تفاقم ظاهرة التيارات والفرق والصراعات القبلية التى كان لها الأثر البالغ فى التلاسن الشعرى، كما فى قول حمزة بيض:

وصلت سماءَ الضُّر بعدما ... زعَمت سَماءُ الضُّرّ عنا سَتُقلَعُ
فليتَ هِشامًا كان حيًّا يَسُوسُنا ... وكنا كما كنّا نُرجّى ونَطمَعُ[4]

لعل أحد أسباب سياسة الوليد بهذه تجاه قبائل اليمن هو تنكيله بمن كان يسند هشامًا ويخلص له، مع أن هذا الإخلاص كان تقليدًا مستمرًا لهذه القبائل، لكن تأثير بنى ثقيف أخوال الوليد[5] دفعه إلى التنكر للقبائل اليمانية والعمل على إقصائها بعيدًا عنه مما دفعها على مساندة خصومه ومن يتآمر على قتله حينما أجمعت قضاعة اليمانية على ذلك[6]. لذا كان حنق شعراء اليمن ومن والاهم واضحًا، فهذا حمزة بيض يقول أيضًا:

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢٥-٢٣٦.
(٢) نفسه، ٧/ ٢٣٦.
(٣) ضيف: العصر الإسلامي، ٢٤٢.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٣٦.
(٥) خال الوليد بن يزيد هو يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ابن أخي الحجاج بن يوسف الثقفي. نفسه، ٧/ ٢٢٦.
(٦) نفسه، ٧/ ٢٣٣.

يـا ولـيدَ الخـناِ تـركت الطـريقا | واشـحًا وارتكـبت فجًّـا عَمِـيقا
وتماريـتَ واعـتديتَ وأسـرفتَ | وأغـويتَ وأيـنعتَ فـسوقا
أبـدًا هـاتِ ثـم هـاتِ | وهاتـى حتـى تَخـرَّ صَـعيقا
أنـتَ سـكران لا تفـيق فمـا تـرتقُ | فَـتقًا وقـد فَـتقت فـتوقا[١]

ومن المحتمل أن تأليبه القبائل اليمانية كان دسيسةً من خصومه، ومن ثم كان أحد أسباب التشهير به، والطعن فى سلوكه، واتهامه بالإسراف والفسوق، بهدف تقويض الدولة الأموية، فقد كانت قسوة يوسف بن عمر الثقفى فى تعذيب خالد القسرى مثار استياء متصاعد ضد سياسة الوليد، كما فى قول الشاعر:

ألا أخـبر الـناس نفـسًا ووالـدا | أسيرُ قـريشٍ عـندها فـى السَّلاسلِ
لعمرى، لقـد أعمرتُم السِّجنَ خالدًا | وأوطأتمـوهُ وطـأةَ المـتماثِلِ
فإن تحبسوا القسرى لا تحبسوا اسمه | ولا تحـبسوا معـروفه فـى القـبائلِ[٢]

مما جعل من حبس القسرى قضية قبلية فجرت صراعًا راح يتصاعد ويتفاقم، وليست قضية أموال مستحقة عليه، حتى تطور هذا النزاع إلى العمل جديًا لخلعه، فاجتمع على قتله جماعة من قضاعة واليمانية من أهل دمشق خاصة[٣]. وشاورت اليمانية العباس بن الوليد فى خلع الوليد فقال العباس "يا بنى مروان؛ إنى أظن الله قد اذن فى هلاككم"[٤]. ثم تمثل قائلًا:

إنـى أعـيذكُم بـاللهِ مـن فـتنٍ | مـثل الجـبالِ تـسامى ثـم تـندفِعُ

---

(١) البلاذرى: أنساب (مخطوط)، ورقة ٢٠١.

(٢) الدينورى: الأخبار، ٣٤٧. الأول والثاني مع اختلاف الرواية؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٥٧. الأبيات للأشعث القيني؛ أبو تمام ديوان الحماسة، ٢٦٢ منسوبة لأبي الشعب العبسي؛ التبريزى: شرح، ٢/ ١٩٦؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٢٣٠.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٣٣.

(٤) نفسه، ٧/ ٢٣٩.

إن الـــبريةَ قـــد مَلَّـــت سياســـتكم ... فاستمسكوا بعمـودِ الـدينِ وارتدعـوا
لا تُلحمُّـــن ذئـــاب الـــناسِ أنفـــسكُم ... إن الـذئابَ إذا مـا أُلحمَـتَت رَتعـوا
لا تبقُـــرنَّ بأيـــديكم بطـــونَكم ... فـثَمَّ لا فِديـةٌ تُغنـى ولا جَـزَعُ[1]

يستشرف وينوه هذا الشعر بالحدث التاريخى ويسجل توقع حصوله قبل أوانه، فكان الشعر سَبَّاقًا إلى تحليل المواقف وتحرى الوقوف عند النتائج اليت ستتمخض عنها، فقد اجتمعت القبائل الشامية المناهضة للوليد على خلعه، ومبايعة يزيد بن الوليد بن عبدالملك (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٣م) المعروف بـ (الناقص)، فقال بعض شعرائهم:

فجـاءتُهُمُ أنـصارهم حـين أصـبحوا ... سكاسِـكُها أهـلُ البـيوتِ الـصَّنادِدِ
وكلـــبٌ فجـــاؤوهم بخـيلٍ وعُـدَّةٍ ... مـن البـيضِ والأبـدانِ ثـم الـسَّواعدِ
فأكـرم بهـم أحـياء أنـصارِ سُـنةٍ! ... هـم مَـنعوا حُـرماتِها كُـلَّ جاحـدِ
وجـــاءتهم شـــعبان والأزدُ شُـــرَّعًا ... وعـــبسٌ ولخَـــمٌ بـــين حـــامٍ وذائِـــدِ
وغـسانُ والحـيانِ قـيسٌ وتغلـبٌ ... وأحجَـم عـنها كـل وانٍ وزاهـدِ
فمـــا أصـــبحوا إلا وهُـــمُ ملكِهـــا ... قد استوثقوا من كلِّ عاتٍ ومارِدِ[2]

وحين شعر الوليد بالخطر، بعد اتفاق القبائل مع بنى أمية على خلعه قال:

ما ويحَ جُندى الأُلى خاروا وما نظروا ... فـى غـبِّ عَمـودِ الـدين لـو وقَفـا
ألقـــتها ثـــم شَـــالت عاقِـــدًا أُنُفًـــا ... مـــا نـــتجوها فـــيلقوا تحـــتَها رُبُعـــا
ولا ارتقـوا مـن صـميم المَحضِ آونـةً ... لكـنهم يجتنـبونَ الـصَّابَ والـسَّلَعا
مـا كـنت أجـزعهم من عَرك كلكلها ... حتـى تـدرَّ بخـيعًا أحمـرًا دَفعًـا[3]

---

(١) نفسه: ينظر الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ٧٤؛ ابن كثير: البداية، ١٠/ ٩.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٤٢.
(٣) شعره، ٧٣.

يبدو أن الوليد لم يحسب نتائج استياء قبائل اليمن من سياسته ضد نفوذها، فلما كانت هذه القبائل تتوزع فى بلاد الشام، فإنّها عمدت إلى جمع شملها والاتفاق مع يزيد بن الوليد بن عبدالملك على مبايعته وخلع الوليد، ثم قتله فى جمادى الآخرة سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)[١] فقال أحد شعراء اليمانية، وهو خلف بن خليفة:

لقد سَكَّنت كَلبٌ وأسيافَ مذحَجٍ ... صَدىً كانض يزقو ليلَهُ غيرِ رافِدِ
تركن أميرَ المؤمنينَ بخالِدٍ ... مُكبًّا على خَيشومِهِ غَيرِ ساجِدِ
فإن تقطعوا منا مَناطَ قلادةٍ ... قَطعنا بهِ منكم مَناطَ قلائِدِ
وإن تَشغلُوها عن نِداناَ فإنّنا ... شَغلنا الوليدَ عن غِناءِ الوَلائِدِ
وإن سافر القَسرى سفرةَ هالِكٍ ... فإنّ أبا العباسِ ليسَ بشاهِدِ[٢]

أَما حسان بن جعدة الجعفرى[٣] فكذّب خلف بن خليفة وانتصر لقبائل قيس فقال:

إن امرأ يدعى قتلَ الوليدِ سوى ... أعمامِهِ لمليءُ النفسِ بالكَذبِ
ما كان إلاّ أمرًا حانَت منّيتُهُ ... سارتَ إليه بنو مَروان بالحَربِ[٤]

فى حين يرى مولى لخالد القسرى أَن قيسًا (نزار، مضر) لم تستطع أن تمنع الوليد وتحول دون قتله، مما يمنح هذا الشعر قدرة على تصوير الأحداث وتوثيقها وتسجيل بعض جوانبها السياسية والاجتماعية والنفسية، كما فى هذه الأَبيات:

سائل وليدًا وسائل أهلَ عسكره ... غداةَ صبّحة شَؤبو بشنا البَردُ
هل جاءَ مِن مضرٍ نفسٌ فتمنَعَهُ ... والخيلُ تحت عَجاجِ الموتِ تَطّردُ

---

(١) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٨٠؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٥٢.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٦١؛ ابن عبد ربه: العقد، ٥م١٩٤.
(٣) ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٦/ ٢٢٤.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٦١.

مــن يَهجِــنا جاهِلًــا بالــشِّعر ننقُــضُهُ بالبــيضِ إنّــا بهــا نَهجــو ونفتــئِدُ[1]

ورد أَحد الشعراء مدافعًا عن القيسية، ومعرضًا بخالد القسرى وقومه، وكأن مقتل الوليد كان ثارًا لخالد القسرى، فقال نصر بن سعد الأَنصارى[2]:

أبلــغ يــزيدَ بنــى كــرزٍ مُغَلغَلَــةً أنــى شُــفيتُ بغــيبٍ غــيرَ موتــثورِ
قَطعــتَ أوصــالَ قَــنوُّرٍ علــى خَــنَقٍ بِــصارمٍ مــن سُــيوفِ الهــندِ مَأثــورِ
أَمــست حلائِــلُ قُــنُّور مجدَّعَــةً لِمــصرَعِ العــبدِ قَــنُّورِ بــن قــنورِ
ظَلَّــت كِــلاب دمــشقٍ وهــى تَنهــشُه كــأنَّ أعــضاءَه أعــضاءُ خنزيــرِ
غــادَرن مــنه بقايــا عــندَ مــصرعِهِ أنقاضَ شِلْوٍ على الأطنابِ مجرورِ
حكّمتَ سيفَك مـن خالـدٍ إن كنت إلا بكــلٍّ عظــيمِ الملــك مــشهورِ
أَســعرتُ مُلــكَ نَــزارٍ ثــمَّ رُعــتَهُمُ بالخَــيلِ تَــركُضُ بالــشُّمِّ المَغاويــرِ
مــا كــانَ فــى آل قَــنُّورٍ ولا ولَــدوا عَــدَلًا لــبدرِ سَــمَاءٍ ســاطِعِ الــنُّورِ[3]

وإذا كان هذا الصراع قد أودى بحياة الوليد، فإنه أورث فتنةً طاشَت سهامُها وراحَت تنتشَرُ وتَستَعِرُ لتفتح أُفقًا واسعًا يتجاوز على هيبة الخلافة، فكان أَول خليفة أموى يقتل، إذ لم يتجاسر خليفة أموى على خلع ولى عهده على الرغم منه، حتى قال أَيوب السختيانى[4] (ت، ١٣١هـ/ ٧٤٨م): "ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه"[5]. تخوفًا من الفتنة، فقد كان مقتله بمثابة جرس إنذار بقرب نهاية الدولة الأموية، وكأن الأسرة الأموية بفعلها هذا قد انتحرت سياسيًا حتى تضاءل إيمانها

(١) نفسه.
(٢) ذكره: الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٦١.
(٣) نفسه.
(٤) أبو بكر بن أبي تميمة. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٦/ ٥٣؛ الشيرازي أبو إسحق إبراهيم بن علي (ت، ٤٧٦هـ/ ١٨٣م): طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس (دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ٨٩.
(٥) الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ٨٠.

بحقها بالخلافة، لأن بلاد الشام كانت حجرَ الزاوية فى قوة النظام القائم[1]، أو فى تصدعه.

أما ما قيل عنه من اتهاماتٍ كثيرة أوردتها بعض المصادر، فالراجح فيها أنها قد وضعت عليه بعد مقتله لأسباب عديدة[2]، حتى استبعد ابن تغرى بردى حدوثها[3]، وممن مدحه إسماعيل بن يسار فقال:

إذا عَــدد الــناس المكــارمَ والعُــلا ... فـلا يَفخـرَن يـومًا علـى الغَمـر فاخـرُ

تـراهم خـشوعًا، حـينَ يـبدو مهابَـةً ... كمـا خَـشعت لكِـسرى الأسـاوِرُ[4]

ومن الراجح أن الضعف الذى أصاب الدولة الأموية بعد مقتل الوليد هو الذى حمل بعض الشعراء على النيل من الخلفاء الأمويين ومنهم الوليد، كقول كثير:

قتلـــنا الفاســـقَ المختـــال لمـــا ... أضـــاعَ الحـــقَّ واتـــبعَ الـــضَّلالا

يقـــول لخالـــدٍ إلا حَمَـــتُهُ ... بـــنو قحطـــان إن كانـــوا رِجـــالا

فكـــيف رأى غـــداة عـــدت إلـــيه ... كـــراديسَ يـــشبهها الجِـــبالا

ألا ابلـــغ بنـــى مـــروان عنّـــى ... بـــأن الملـــك قـــد أودى فَـــزالا[5]

---

(١) سركيس، إحسان: الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م)، ١٩٢.

(٢) ينظر ما جاء عند الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ٧١؛ المرتضى، الشريف علي بن الحسين الموسوي (ت، ٤٣٦هـ/ ٩٤٧م): غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بـ (أمالي المرتضى)، القسم الأول (دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)، ١٢٩؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن غري بردي الأتابكي (ت، ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، ٢٩٨.

(٣) النجوم، ١/ ٢٩٨.

(٤) إسماعيل بن يسار (ت، ١٣٠هـ/ ٧٤٧م): شعره، تحقيق ودراسة يوسف حسين بكار (دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ٣٦.

(٥) ديوانه، ٣٦٧؛ الدينوري: الأخبار، ٣٧٦.

يعد شعر كثير بن عبدالرحمن الميال للعلويين فى توجهاته السياسية، هنا، نقضًا لقصيدة الوليد بن يزيد اللاَّمية التى وبخ بها قبائل اليمين لتركها نُصرة خالد القسري؛ وبهذا جمع بين ولائه السياسى للعلويين وبين انتسابه إلى قبيلة خزاعة اليمانية[1]. فهو لا يخفى تذمره من سياسة الوليد ضد اليمانية (بنى قحطان)؛ وكأنه يتشفى بنهايته السريعة، ويستشرف نهاية ملك أسرته، كما استبشر العلويون وتوقعوا ذلك[2]. فى حين رأى المقربون من الوليد أن مقتله كان خَرقًا أليمًا لثنايا الجسد المهيض؛ لأنّهم قتلوا فتى قريش، كما يبدو ذلك فى قول ابن ميادة[3] (ت، ١٤٩هـ/ ٧٦٦م):

ألا لَهفى على المَلكِ المُرجى ... غَداةَ أصابَهُ القدرُ المُتاحُ
ألا أبكى الوليدَ فتى قريشٍ ... وأسمحها إذا عُدَّ السَّماحُ
وأجبرها لذى عظمٍ مهيضٍ ... إذا ضَنَّتْ بدرتِها اللّقاحُ
لقد فَعلت بنو مروانِ فعلا ... وأمرًا ما يَسوغُ به القراحُ
فظَلَّ كأنَّهُ أسدٌ عَفير ... يكسرُ فى مناكبهِ الرّماحُ
فهَلْ لكُم على أمرٍ رشيدٍ ... فتصطلحوا ففى ذاكم صَلاحُ[4]

وبما أن هذا الشعر قيل فى وقت زال مُلك الوليد وقلَّ مناصروه، واجتماع قاتليه وخصومه واستحواذهم على السلطة من بعده، فإنه يحمل الكثير من الصدق ويقترب من الحقيقة فلا يشير إلى هفوات الرجل بقدر دعوته إلى وحدة الصف، لذا كان مقتل الوليد تعبيرًا عن تفاقم صراعات القوى وإيثار

---

(١) ينظر نسبه: الأصفهاني: الأغاني، ٩/ ٣.

(٢) ينظر: الأبيات التي أرسلها الفضل بن عبدالرحمن إلى عبدالله بن الحسن. البلاذري: أنساب، ٣/ ٧٨.

(٣) الرماح بن أبرد المري من غطفان، وميادة أمه، شاعر أموي هَجَاء. ترجمته: ابن المعتز: طبقات، ١٠٦؛ ياقوت: معجم الدباء، ١١/ ١٤٣.

(٤) ابن ميادة، الرماح بن أبرد المري (ت، ١٤٩هـ/ ٧٦٦م): شعره، تحقيق محمد نايف الدليمي (مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٧٠م)، ٣٣.

المصالح الآنية وتفشى المطامع الخاصة وتكالب الخصوم وانتعاش أهلَ الغِرق.

يزيد بن الوليد بن عبدالملك[1] (١٢٦هـ/ ٧٤٣م):

لقد عَبّر مجيء يزيد بن الوليد على الخلافة عن حالة الصراع القبلى التى كانت تدور فى الدولة الأموية والتى ظهرت معالمها على الأشخاص الذين يأتون على الخلافة على الرغم من أنهم كانوا من بيت واحد وهو البيت الأموى، ومع ذلك استطاع التنافس القبلى أن يرسم معالم تأثيره على تفكير الخليفة وبالتالى تحزبه مع هذا الطرف أو ذاك من النزاعات القبلية توهمًا منه بأنّ مثل هذا التحزب سيؤدى إلى تقوية سلطانه فى حين أن أوضاع الدولة الأموية قد شهدت تدهورًا واضحًا؛ وذلك من جراء هذا الاتجاه، وبخاصة فى أقاليم المشرق التى تمت فيها الدعوة العباسية مستغلة هذه الأوضاع أحسن استغلال لإنجاح أهدافها وإسقاط خصومها.

وفى سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)[2]. عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر الثقفى عن العراق، فلما نظر إسماعيل بن عمار إلى عمالهِ يعذبون قال:

أعجّلُ أن أتى أجلى بوقتٍ ... وحسبى بالمجرّحةِ المتانِ
فما عُذرى إذا عَرَّضتُ ظهرى ... لألفٍ من سياطِ الشاهجانِ
تَعَدُّ ليوسفَ عَدًّا صحيحًا ... ويحفظُها عليه الجَالِدان
وأسحَبُ فى سروايلى بقيدٍ ... إلى حسَّانَ معتقلُ اللِّسانِ
فمن قائلٌ بعدًا وسُحقًا ... ومنهم آخرانِ يفديان
كفانى من إمارتِهم عَطائى ... وما أُخديتُ من سبقِ الرِّهانِ

(١) كانت خلافته سنة وثلاثة اشهر، ويعرف بالناقص لنقصه الزيادة التي زادها الوليد بن يزيد في أعطياتهم. ترجمته: ابن حبيب: المحبر، ٣١-٣٢؛ الذهبى: العبر، ١/ ١٢٣.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٧٠.

كفانـــى ذاكَ مـــنهم مـــا بَقيـــنا ... كـأن فـيما مَضى لى قـد كَفانـي[١]

وهذا ما يكشف عن تفاقم الصراع واستخدامه من قبل الخلفاء والولاة وسيلة للتنكيل ببعضهم البعض، فقد تعصَّب يوسف بن عمر ضد اليمانية وألقاهم فى السجون[٢].

وفى سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)[٣]. امتنع نصر بن سيار على منصور بن جمهور[٤] الذى استعمل بدوره المغيرة بن شعبة الجهضمي[٥] على قُهِستان[٦]، فلما قدم دعا الناس إلى البيعة فبايعوه، فقال فى ذلك:

أقـــولُ لنـــصرٍ وبايعـــتُهُ ... علـــى جُـــلِّ بكـــرٍ وأحلافِهـــا
يَـدى لـك راهـنٌ ببكـرِ العـرا ... قِ سـيِّدها وابـنُ وصـافِها
أخـذتُ الوثـيقةَ للمـسلمينَ ... لأهـلِ الـبلاد وألافِهـا
إذا آل يحيـى إلى مـا تـريدُ ... أتـتك الـرِّقال بأخفافِهـا
دعـوُت الجـنودَ إلى بـيعةٍ ... فأنـصفتَها كـلَّ إنـصافِها
وَطَـدتَ خراسـان للمـسلمينَ ... إنَّ الأرضَ هَمَّـت بإجافهـا

إلى أن يقول:

فـنحنُ علـى عهـدِنا نـستديمُ ... قُريـشًا ونَرضـى بأحلافِهـا
سنرضـى بظلِـكَ كـنَّا لَهـا ... وظِلُّـك مـن ظِـلِّ أكـنافِها

(١) الأصفهانى: الأغانى: ١١/ ٣٤٨-٣٤٩.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٧١.
(٣) نفسه، ١/ ٢٧٧-٢٧٨.
(٤) هو منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن العبيد من عذرة الفحطانية. ابن حزم: جمهرة، ٤٥٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٣/ ٢٥.
(٥) أخباره في الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٧٨.
(٦) قوهستان: تعريب كوهستان، تتصل بنواحي هراة كما في ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤١٦ (قوهستان).

لعـــلَ قُريـــشًا إذا ناضَـــلت تُقــرطس فـــى بعـــض أهـــدافِها
وتلـــبسُ أغـــشية بالعـــراقِ رَمَـــت دلـــوَ شـــرقٍ بخُطَّافِهـــا[1]

وفى سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)[2] تولى عبدُالله بن عمر بن عبدالعزيز[3] أمر العراق فكسب إلى نصر بن سيار على خراسان، فخرج عليه جديع بن على الكرمانى[4]، فكانت الفتنة بين القبائل اليمانية والقيسية، فقال الحارث بن عبدالله الجعدى[5] فى ذلك:

أبـــيتُ راعـــى الـــنجومَ مُـــرتفَعًا إذا اســـتقلّت تجـــرى أوائِلُهـــا
مِـــن فتـــنةٍ أصـــبحت مجلّلَـــةً قـــد عـــمَّ أهـــلَ الـــصلاةِ شـــامِلُها
مَـــن بخراســـانَ والعـــراقِ وَمَـــن بالـــشَّامِ كـــلٌّ شَـــجاهُ شـــاغِلُها
فالـــناسُ مـــنها فـــى لـــونِ مَظلمَـــةٍ دهَمـــاءَ ملـــتجَّةٍ غـــياظِلُها

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٧٨-٢٧٩. والقصيدة كما يبدو هي ليست للمغيرة بن شعبة الجهضمي وأن الطبري نسبها خطأً له، وإنما هي لخلف بن خليفة البكري، كما في إشارته لبكر:

يدي لك راهن ببكر العرا ق سيدها وابن وصافها

وهي تقترب من قصيدة خلف بن خليفة العينية وتشير إلى مضمونها والتي قال فيها:

وجعلنا الخلافة في أهلها إذا اصطرع الناس فيها اصطراعا

الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٠٢. وقال الدكتور عطوان عنها: "وتشابه هذه القصيدة في الأغراض المشروحة فيها، والغايات المتوخاة منها، قصيدة خلف بن خليفة البكري"، الشعر العربي بخراسان، ١٣٦. ولم يصرح بما توهمه الطبري في طرقة إيصال اسم الشاعر بصورة مبهمة؛ لأن المغيرة هذا لم يَروَ له شعر. وهذه القصيدة تدلل على وجود ملكة شعرية ودربة كما أن لغتها واسلوبها وطرحها للمعنى هي تمامًا ما ينسجم مع شعر خلف بن خليفة البكري.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٨٥-٢٨٦.

(٣) عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الموي. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٨/ ٣٣٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٣/ ٤١.

(٤) جديع بن علي بن شبيب بن عامر الدوسي رأس الأزد قتل سنة (١٢٩هـ/ ٧٤٦م).

ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ٢/ ٥٠٢-٥٠٣؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): اللباب في تهذيب الأنساب، الجزء الثاني (دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ٩٤.

(٥) الحارث بن عبدالله بن الحشرج بن المغيرة بن الورد الجعدي. الطبرى: تاريخ ٧/ ٢٨٦.

يُمسى السَّفيهُ الذى يُعنِّف بالجهلِ سَواءً فيها وعاقِلُها
والناسُ فى كُربَةٍ يكادُ لَها تَنبِذُ أولادَها حَوامِلُها[1]

فاستطاع نصر بن سيار حبس جديع الكرمانى، ولكنه استطاع الخروج من سجنه[2]، فقال خلف بن خليفة:

أصحروا لِلمَرجِ أجلَى لِلعَمَى فَلَقَدْ أصحرَ أصحاب السَّرَبْ
إنَّ مَرَجَ الأزدِ مَرجٌ واسِعٌ تستوى الأقدامُ فيهِ والرُّكَبْ[3]

ومما زاد من اضطراب الأوضاع أيام الخليفة يزيد بن الوليد هو محاولته أخذ البيعة لأخيه إبراهيم[4]، مما حمل مروان بن محمد بن مروان (ت، ١٣٢هـ/ ٧٤٩م) على إظهارِ الخلافِ عليه وإعلان عصيانه وبالتالى أحدث شرخًا كبيرًا فى وحدةِ البيت الأموى والذى أسهم بشكل واضح فى قرب نهاية الدولة الأموية. لكن وفاة يزيد بن الوليد فى ذى الحجة سنة (١٢٦/ ٧٤٣م)[5] غير المتوقعة تركت أمر الخلاف مفتوحًا والدولة بحاجةٍ إلى رجل قوى ينقذها من حالة التداعى، فلم تستقر الأمور إلى إبراهيم ابن الوليد فكانَ يُسلم عليه بالخلافةِ تارةً، وأخرى بالإمارةِ[6]. حتى قال قائلهم:

نبايعُ إبراهيمَ فى كلِّ جُمعةٍ كم إليكم يَومُ نبايعُ[7]

ويروى:

---

(١) نفسه.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٨٨-٢٩٠.
(٣) نفسه، ٧/ ٢٩٠.
(٤) هو إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم أبي العاص بن أمية. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٦٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٧/ ١٧٥.
(٥) الطبرى: ٧/ ٢٩٨.
(٦) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٩٩: ابن خلكان: وفيات، ١/ ٤٤٣.
(٧) البلاذرى: أنساب (مخطوط)، ١٢٥ والبيت فيه ركة.

يبايعُ إبراهيم في كلِّ جُمعةٍ ألا إنَّ أمرًا أنتَ وإليه ضائِعُ[١]

وكأن الشاعر أحس بالضياع الذى ينتظر الخلافة من صراع دام بغياب الرجل القوى القادر على حسم الموقف، وهذا ما أغرى عبدالله بن معاوية[٢] فخرج بالكوفة سنة (١٢٧هـ/ ٧٤٤م)[٣] فهزمه عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، فقال عبدالله بن معاوية متمثلًا:

تفرقتُ الظِباءُ عن خِداشٍ فما يَدرى خِداشٌ ما يَصيدُ[٤]

فاتجه صوب المدائن وغيرها، فلما خرج إليه عَبيد أهل الكوفة قال أيضًا:

فلا تَركبنَّ الصَّنيعَ الذى تَلُومُ أخاكَ على مثلِهِ

ولا يُعجِبنَّكَ قولُ امرئٍ يخالِفُ ما قالَ فى فعلِهِ[٥]

وعند هذا استطاع مروان بن محمد أن يفرض سيطرته ويتلوى الخلافة فحسم الأمر لصالحه وانقضت مرحلة قلقة متفجرة بالصراعات تنبئ بخطر محدق قادم.

مروان بن محمد بن مروان[٦] (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٤-٧٤٩م):

شهدت بلاد الشام صراعًا واضحًا بين القبائل العربية، فانعكس هذا الصراع على الأشخاص الطامعين بالخلافة، ومنهم مروان بن محمد الذى كان واليًا على

---

(١) الذهبى: سيرة، ٥/ ٣٧٧.

(٢) عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (ت، ١٣١هـ/ ٧٤٨م). ترجمته: ابن حبيب: اسما المقاتلين ٢/ ١٨٩؛ الأصفهانى: مقاتل، ١٦١.

(٣) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٩٤؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٠٣.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٩٤؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٠٣؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٢/ ٢٢٧؛ مقاتل، ١٦٦.

(٥) عبدالله بن معاوية (ت، ١٣١هـ/ ٧٤٨): شعره، جمع عبدالحميد الراضي (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، ٧٥؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٠٣-٢٠٤؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٢/ ١٣١؛ مقاتل، ١٦٣.

(٦) ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٠/ ٢٦٧؛ الذهبى: العبر، ١/ ١٣٧.

أرمينية[1] حيث سعى هو الآخر للاستيلاء على السلطة، فتوجه إلى دمشق فاستولى عليها بعد أن لَقى دَعمًا من بعض أفراد البيت الأموى، ومنهم الحكم بن الوليد بن يزيد[2] الذى قال فى سجنهِ مخاطِبًا مروان بن محمد:

ألا مَــن مــبلغٌ مــروانَ عنــى ... وعمّــى الغَمــر طــالَ بــذا حَنيــنَا
بأنــى قَــد ظُلِمــت وصــارَ قومــى ... علــى قــتلِ الولــيدِ متابعيــنَا
أيهَــبُ كلــبُهم بِدمــى ومــالى ... فــلا غَــثًّا أصــبتُ ولا سَــمينَا
ومــروانُ بــأرضِ بَنــى نــزارٍ ... كَلَــيثِ الغــابِ مُفــترشٌ عَــرِينَا
ألم يَحــزنك قــتلُ فتــىَ قــريشٍ ... وشــقُّهُمُ عَــصى المُــسلِمينَا
ألا فاقــرَ الــسلامَ علــى قــريشٍ ... وقــيسٌ بالجزيــرةِ أجمعيــنَا
وســادَ الــناقِصُ القَــدرى فِيــنا ... والقَــى الحَــربَ بــين بنــى أبِيــنَا
فلــو شَــهِدَ الفــوارسُ مــن سُــليمٍ ... وكَعــبٍ لم أكــنُ لهَــم رَهيــنَا
ولــو شَــهِدَتْ لــيوثُ بنــى تَميــمٍ ... لمــا بعــنا تُــراث بنــى أبيــنَا
أتُــنكَثُ بيعتــى مــن أجــلِ أمــى ... فَقَــد بايعــتُم قَبلــى هَجيــنَا
فلــيتَ خؤولتــى مــن غــير كَلــبٍ ... وكانَــت فــى ولادَةِ آخــرِينَا
فــإن أهلِــك أنــا وولى عهــدى ... فَمَــروان أمــيرُ المؤمنيــنا[3]

تبدو هذه القصيدة صورة حية لواقع يغلى تتناهشه الصراعات القبلية، ويوشك على التشرذم بسبب تفاقم الخلافات، حتى وصل الأمر بالأسرة الأموية نفسها إلى التشتت نتيجة لذلك، وبتأثير تولى الخلافة من أشخاص غير جديرين

(١) اسم لصقع واسع في جهة الشمال. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ١٦٠ (أرمينية).

(٢) الحكم بن الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٦٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٧/ ٥٨.

(٣) ابن قتيبة: المعارف، ٣٦٨؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣١١-٣١٢ وهي الرواية المعتمدة؛ ابن عبد ربه: العقد، ٥/ ١٩٨.

بهـا، فلـم ينجحـوا بالموازنـة بـين القبـائل، لذا كانت القصيدة وثيقة تاريخية لها أثرها في تولي مروان بن محمد، على الرغـم مـن بعـضِ الشكـوك التـي تحوم حولها، إذ تبدو الظلال "على نسبتها كثيفةً قائمةً، فبالرغم من سَذاجةِ الأَبيـات الشعـرية، إلا أَنها يصعـب عـلى الحَكم قولَها في ظلِ ظروفه الحـرجة وهـو بـين الحيـاة والمـوت وقد بلـغ الحَكـم أو لم يبلغـه، كما يصعـب على السُّفيـاني[1] حفـظ هـذا الشـعر وهو مهدد بالموت بالسجن"[2]. وهي شكوك يمكن قبولهـا، بيـد أنها تـحاكـم الموقف على وفق ظروف عصرنا وليس عصرها، فقـد أكـدت القصيـدة حقـًا شرعيًا كان مروان بن محمد بحاجة إليه، ما زالت ـــ عقبـة تحول بينـه وبين الخلافة، وهو في واقع الأمر لا يطالب بغير الخلافة لنفسه لأنه يرى أحقيته بها[3]. فكان من آثار القصيدة مبايعة الناس له بالخلافة واستقرار الأمر له في دمشق، فالتف حوله مناصرو الوليد بن يزيد من القبائل القيسية، بعد أن شعروا بأنه أخذ بنصرتهم واستوفى ثأر الوليد، فقال خال الوليد الشاعر طُريح بن إسماعيل الثقفي[4] (ت، ١٦٥هـ/ ٧٨١م):

تَـسوءَ عِـداكَ فـي سَـدادٍ ونِعمـةٍ   خلافتـنا تِـسعين عامًـا وأشـهرا[5]

لعل هذا البيت وضع بعد زوال حكم الأمويين، لأنّه يحدد مدة حكمهم بتسعين عامًا وأشهر.

وتوقع بعض المناصرين للأمويين مجيئ خليفة قوي يستطيع أن يعيد الأمور إلى

---

(١) إشارة إلى شخصية ابي محمد السفياني الذي شهد أمام مروان بن محمد بأن الحكم بن الوليد وأخاه عثمان جعلا الخلافة لمروان، ثم أنشد الأبيات وقال له: أبسط يدك أبايعك. ينظر: الطبري: تاريخ، ٧ / ٣١١-٣١٢.

(٢) خطاب، محمود شيت: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم فاتح شطر بلاد الروم وشطر أرمينية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٥)، الجزء (الأول)، (بغداد)، ربيع الأول ١٤٠٤هـ/ كانون الثاني ١٩٨٤م)، ٤٨.

(٣) نفسه، ٤٦.

(٤) شاعر أموي عباسي. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٥٦٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ٤/ ٣٠٤.

(٥) شعره، شعراء ثقيف، ٢٣٥؛ ابن عبد ربه: العقد، ١/ ٢٢٣.

سابق عهدها من الاستقرار وخصوصًا وأنه دعا إلى الثأر من قتلة الوليد بن يزيد حتى قال الأشعث بن كبير المرى[1] فى مروان بن محمد:

مَــروان يــا ابــن محمــدٍ أنــتَ الــذى ... أحكَمــتَ أمــركَ أيّمــا إحكــامِ
تأســوا وتجــرحُ مــن تــشَاء وإنّمــا ... كفــاكَ كــفٌ نــدىً وكــفٌ ســهامِ
إن الخلافــةَ حــين تَفقِــدُ أهلَهــا ... لَيــست تقــيمُ بغــيرِ دارِ مُقــامِ
تَأبــى وتَأنــف أن تُــسامَ دنــيّةً ... بــيدِ امــرئ كَــزٌّ الــيدينِ كَهــامِ
قُــتِلَ الولــيدُ فلــم تَــزل مظلــومَةً ... عُطــلا تُــصرَّفُ غــيرِ ذاتِ خِطــامِ
كانــت كــذاكَ بــذاكَ تــسعةَ أشــهر ... حَــيرى تــرَدَّدُ فــى ســوادِ ظِــلامِ
تَعــشُو إلــيكَ وأنــتَ تَعلــم أنَّهــا ... لَيــست قَناصَــتُها لأوَّلِ رامِــي
وإذا صَــفَعَت رؤوس قــومٍ صَــفعةً ... وصــلَت حــرارتَها إلى الأَقــدامِ[2]

يحدد الشاعر زمن الاضطرابات وحاجة الخلافة إلى خليفة قوى بتسعة اشهر، لكن مروان بن محمد لم يكن أول رامٍ، فقد كان يسير سيرًا وئيدًا إليها حتى بلغها، فكانت القصيدة تعبيرًا عن قوة التأثير وصدق التوثيق وحسن التصوير ووضوح الدلالة.

وفى سنة (١٢٧هـ/ ٧٤٤م)[3] خرج سعيد بن بهدل الخيبرى[4] فى مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحَّاك بن قيس الشيبانى (ت، ١٢٨هـ/ ٧٤٤م)، مغتنمًا مقتل الوليد بن يزيد وانشغال مروان ابن محمد بالشام، كما خرج بِسطام البيهسي[5] (ت، ١٢٧

(١) أحد بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن نعيض، شاعر محسن. ترجمته: الآمدى: المؤتلف، ٥٦.
(٢) نفسه.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣١٦.
(٤) خيبري بن عمرو بن النطاح من بني شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. ابن حزم: جمهرة، ٣١٧.
(٥) أخباره في الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣١٦.

هـ/ ٧٤٤م) فى مثل عدتهم من ربيعة وهو مفارق لرأيه، فسار كل واحد منهم إلى صاحبه، فلما تقارب العسكران قال سعيد بن بهدل:

إن يــك بــسطامُ فإنــى الخيــبرى   أضرب السيفِ وأحمى عَسكرِي[(١)]

فلما قتل بسطام، ومات سعيد بالطاعون قال الضحَّاك يرثيه:

سـقى الله يـا خَوصـاء قَـبرًا وحـشوَه   إذا رحــلَ الــشارونَ لم يترحـــلِ
فـيا مُلحِقَ الأرواحِ هـل أنـت مُحقِى   بموتـى مَـضى فـيهم سعيدُ بن بهدلِ[(٢)]

مما يوثق الأحداث والشخصيات ويكشف عن اضطراب الأوضاع، فلما قتل الخوارج عاصم بن عمر بن عبدالعزيز[(٣)] قال أحد الخوارج:

نحــنُ عــبرنا الخــندق المُقعَّــرا
يــوم لقيــناكم وجــزنا العَــسكرا
حتــى قتلــنا عاصــمًا وجَعفــرا
والفاســقَ الــضَّبى لمــا أَدبَــرا
واليَمنــيين ومَــن تَنــزَّرا
لا تحـسبوا ضـربَ الـشُّراة سُـكرا[(٤)]

أسهم الشعر فى توثيق الحدث ومن قتل فى هذه الوقعة، وهزيمة جيش والى العراق عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، فغلب الضحَّاك على الكوفة[(٥)]، فقال عبدالله يرثى أخاه عاصمًا لما قُتِل:

---

(١) نفسه، ٧/ ٣١٦.
(٢) شعر الخوارج، ٢١٦؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣١٧.
(٣) الأموي القرشي قتل سنة (١٢٧هـ/ ٧٤٤م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٨/ ٥٠٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٧/ ١٨٩.
(٤) شعر الخوارج، ٢٣؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣١٩ وفيه الأبيات لأم البرذون الصفرية.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣١٩-٣٢٠.

رَمى غَرضى ريبُ الزَّمانِ فَلَم يَدع		غَداة رَمَى للقَوسِ فى الكفِّ منزعَا
رَمى غَرضى الأقصى فأقصَد عاصِمًا		أخًا كان لى حِرزًا ومأوى ومفزعَا
فإن تكُ أحزانٌ وفائضٌ عَبرةٍ		أذابَت عبيطًا من دمِ الجوفِ مَنقعَا
تَجرّعتُها فى عاصمٍ واحتسيتُها		فأعظَم منها ما احتسَى وتجرَّعَا
فليتَ المنايا كُنَّ خَلّفن عاصِمًا		فعِشنا جميعًا أو ذَهبنَ بنا معَا[1]

مما يشير إلى تردى الأوضاع وتصاعد الصراعات القبلية بين اليمانية والقيسية، فى العراق وكانت خراسان وقتها تغلى لأن "جند أهل اليمن كانوا مع يزيد الناقص تعصبًا على الوليد حيث أسلم خالد بن عبدالله القسرى إلى يوسف بن عمر حتى قتله؛ وكانت القيسية مع مروان، لأنه طلب بدم الوليد – وأخوال الوليد من قيس، ثم من ثقيف"[2]. مما سمح لتصاعد أمر الخوارج فامتلأت قلوب الناس رعبًا حتى أن عبيد الله بن العباس الكِندى[3] بايعَ الضحَّاك بن قيس الشيبانى، فقال أبو العَطاء السِّندى[4] يعيره باتباعِ الضحَّاك وقد قتل أخاه[5].

قل لعبيد اللهِ لو كان جعفرٌ		هو الحى لم يجنحَ وأنتَ قَتيلُ
ولم يتبع المُراق والثأرُ فيهم		وفى كفهِ عَضب الذباب صقيلُ
إلى معشر أرادوا أخاكَ وأكفروا		أباكَ فماذا بعدَ ذاك تقولُ![6]

فرد عليه عبيد الله بن عباس:

(1) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢٠.
(2) نفسه، ٧/ ٣٢١.
(3) أخباره: الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣١٨-٣٢٠.
(4) هو أفح بن يسار، أو مرزوق من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية (ت، نحو ١٨٠هـ/ ٦٩٧م). ترجمته: الأصفهانى: الأغاني ١٧/ ٢٤٥؛ لاسيوطى: شرح، ٢/ ٨٤٠.
(5) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢٠.
(6) أبو العطاء السندي، أفلح بن يسار (ت، نحو ١٨٠هـ/ ٧٩٦م): حياته وشعره، صنعه قاسم راضي مهدي، مجلة المورد المجلد (٩)، العدد الثاني)، (بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ٢٨٦؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢٠-٣٢١.

فلا وصلتك الرحم مِن ذى قَرابةٍ وطالب وترٍ والذَّليلُ ذليلُ
تركت أخا شيبان يسلبُ بَزَّهُ ونجاكَ خَوَّارُ العَنان مَطولُ[١]

ووصف رؤبة بن العجاج أتباع الضحاك الملحدين فقال:

إذ تَبِعَ الضحاك كُلُّ مُلحدِ ونحنُ ضَرّابونَ هامَ العُنَّدِ
فَداكَ منهم كلُّ عَوقٍ أصلَدِ[٢]

كما تضمن رجز رؤبة إشادة بقيادة مروان بن محمد، فى حين وصف لاخوارج بالمفسدين والبغى بالدين، مما يشير إلى تصاعد حملة الرفض ضد حركة الخوارج، ولعل ذلك بسبب تصاعد صراعات القبائل فيما بينها وتسرب الملل إلى نفوس الناس من التناحر الحاصل بين الفرق والقبائل وشعورهم بضرورة وجدود سلطة قوية تحفظ للدلوة استقرارها كى يسود الأمن والعدل؛ لذا قال رؤبة:

فالحمد للهِ على ما وفقا مروان إذ تاقوا الأمورَ التوَّقا
شآميًا باللهِ ثم أعرِقا فاجتمع الأمرُ لَهُ فاستوسَقا
كفا يدانى بينَ مَن تفرَّقَا ما زالَ ينفى المفسدين البُوَّقَا

إلى أن يقول:

فَدَمَّر اللهُ الشُّراة الفُتَّقَا ضَحاكُهم والخيبرى الأفسَقَا
ومن بَغَى فى الدينِ أو تَعَمَّقا وفرَّ مَخذولًا فصارَ عقعَقَا[٣]

وحين التقى جيش منصور بن جمهور فى ستمائة فارس من كلب مع جيش الخوارج، وكان فيهم عبدالملك بن علقمة[٤] فقلته منصور ع[٥]، فقال حبيب بن خدرة:

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢١.
(٢) ديوانه، ١٧٣.
(٣) ديوانه، ١١٤.
(٤) أخباره في الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢٢.
(٥) نفسه.

وقائلــــةٍ ودمـــعُ العـــين يجـــرى ... علـــى روحِ ابـــن علقمـــةَ الـــسَّلامُ
أأدركَـــكَ الحِمـــامُ وانـــتَ ســـار ... وكـــلُّ فَتـــى لمـــصرعِهِ حِمَـــامُ
فـــلا رَعـــشُ الـــيدين ولا هـــدانٌ ... ولا وكَـــلُ اللِّقـــاء ولا كَهَـــامُ
ومـــا قَـــتلَ علـــى شـــارٍ بعـــارٍ ... ولكـــن يُقَـــتلونَ وهُـــم كِـــرامُ
طغـــامُ الـــناسِ لـــيسَ لهُـــم ســـبيلٌ ... شَـــجانِى يـــا بـــنَ علقمـــةَ الطَغـــامُ[١]

يوثق هذا الشعر شخصية عبدالملك بن علقمة الذى قتل فى هذه الوقعة، وهى وقعة قادت الوضع نحو التشتت وكشفت عن تخلخل قوة الدولة حتى فى داخل البيت الأموى نفسه، مما دفع سليمان بن هشام بن عبدالملك[٢] إلى خلع مروان بن محمد ولحق بالضحاك بن قيس الشيبانى زعيم الخوارج، وهو يقول:

أعـــائشُ لـــو أبـــصرتَنا لـــتحَدَّرت ... دُمـــوعك لمـــا خـــفَّ أهـــلُ البـــصائرِ
عَـــشيَّةَ رضـــى واللِّـــواءُ كأنّـــهُ ... إذا زعـــزعتُه الـــريحُ أشـــلاءُ طائِـــرِ[٣]

مما يدلل على تعدد مراكز القوى، وتشتت أهل الرأى، لأن خروج أحد أحفاد الخلفاء الأمويين مع الخوارج يُعدُّ سابقة خطيرة فى مسيرة الدولة والبيت الأموى نفسه أدت على الإسراع بنهايتها، وهذا ما يعكسه قول شُبيل بن عزرة الضَّبيعى[٤]:

ألم تـــر أن الله أظهَـــر ديـــنَهُ ... فَصلَّت قريشٌ خلفَ بكرِ بن وائلِ[٥]

---

(١) شعر الخوارج، ٢٠٦؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢٢.
(٢) سليمان بن هشام بن عبدالملك بن مروان يقال له (أبو الغمر) قتله العباسيون بعد سقوط دمشق سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م). ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٤/ ٢٨٤؛ الذهبى: العبر، ١/ ١٣٤.
(٣) الزبيرى: نسب قريش، ١٦٨.
(٤) من بني ربيعة بن نزار، كان فصيحًا عالمًا شريفًا وأدرك دولة بين العباس، كان يرى رأبى الخوارج. ينظر: ابن دريد: الاشتقاق، ٢/ ٣١٨.
(٥) شعر الخوار، ٢٠٨؛ ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٩٨؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢٧؛ ابن حزم: جمهرة، ٣٢٢.

فاستفحل أَمر الخوارج فى العراق واشتدت شوكتهم يريدون القضاء على خلافة مروان، فالتقى مِلحان بن معروف الشيبانى[١] عامل الضحَّاك على الكوفة وهو فى قِلَّة من الشُّراة مع النضر بن سعيد الحرشى[٢]، فقتل ملحان[٣]، فقال حبيب بن خدرة يرثيه وعبدالملك بن علقمة:

كائنٌ كملحانَ من شارٍ أخى ثِقةٍ ... وابن علقمة المستشهدِ الشّارِى
من صادِقٍ كنت أصغيه مخالَصتى ... فبَاعَ دارى بأعلى صَفقهِ الدَّارِ
إخوأن صِدقٍ أرجيّهم وأخذلُهم ... أشكو إلى الله خذلانى وإخفارِى[٤]

فلما انهزمت الخوارج قال أحد الشعراء:

أرت للمثنَّى يومَ غَزَّةَ حتفَهُ ... وأذرت عُزيرًا بين الجنَادِلِ
وعَمرًا أزارتهُ المنيةَ بَعدما ... أطافَت بمنصورٍ كفاتُ الحبائِلِ[٥]

فوثق هذا الشعر الحدث وحفظ بعض أسماء من قتل من الخوارج، فكان صورة حية لتدوين الحدث، مما يعكس أهمية أثر الشعر فى الصراعات الدائرة بين السلطة المركزية والخوارج حتى مقتل الضحَّاك بن قيس الشيبانى فى سنة (١٢٨هـ/ ٧٤٥م)[٦] فقالت امرأة ترثيه:

مَن لقلبٍ شفهُ الحُزنُ ... أو لنفسٍ ما لها سَكَنُ
ظعن الأبرارُ فارتحلوا ... خيرهُم من معشرٍ ظَعنُوا
معشرٌ قَضوا نُحوبَهم ... كُلّما قَد قَدّموا حَسَنُ

---

(١) ذكره الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢٨.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه والشعر لمسلم حاجب يزيد.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٩٨؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٤٤.

صَبروا عند السيوفِ فلَم ... يَنكلوا عنها، ولا جَبَنُوا
فتيةٌ باعوا نفوسَهُمُ ... لا و - وربِّ الكعبةِ - ما غُبِنُوا
تبعوا مَرضاة ربِّهم ... حينَ مات الدين والسُّنَنُ
فأصابَ القومُ ما طَلَبوا ... مِنّةٌ، ما بعدَها مِنَنُ[1]

مما يعكس عقيدة الخوارج الشراة الذين شروا أنفسهم فراحوا يطلبون الموت، لأنه السبيل إلى النصر، وهذه العقيدة جعلت الجيوش تهابهم والولاة يخشون اندفاعهم، لأنهم كانوا يلعنون من يفر فى المعركة كقول سعيد بن بهدل الخيبرى:

إيهًا بنى شيبان طَعنًا تترى
طعنًا يرى منه القَنا محمدا
يترك ذا الطعن به مزورا
يركبُ ردعا للرَّدى مُقرًّا
فلعنةُ الله على مَن فَرَّا[2]

لكن إحدى نساء الخوارج جزعت من عقيدتهم ودعتهم إلى تركها والعودة إلى صفاء الدين الأول لأن كل دين جاء بعده هو باطل، فقالت:

تركت رمحًا لينًا مَسُّهُ ... وجئتُ رمحًا مِسُّهُ قاتِلُ
شتانَ هذا بدَمٍ سائلٍ ... وذاكَ منه عسلٌ سائِلُ
معطونٌ ذاك منه فى لذَّةٍ ... وأُمُّ مطعونٍ بذا ثاكِلُ
مُرُّوا بنا نرجَعُ إلى ديننا ... فكُلُّ دينٍ غيرَهُ باطِلُ
ومِلَّةُ الضحَّاك متروكةٌ ... لا يجتبيها أحدٌ عاقِلُ[3]

---

(١) ديوان الخوارج، ٢٤٠؛ ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٤٠١-٢٠٤.
(٢) شعر الخوارج، ٢٠٤.
(٣) نفسه، ٢٠٦-٢٠٧.

وعند مقتل الخيبرى ومن معه من أصحاب الضحَّاك قال أحد الشعراء:

هم ضربوا الجنودَ بكُفرٍ توثا ... وهُم نزلوا وقد كُرِهَ الزِّحامُ
سقى بلدًا تضمَّن خَيبريًا ... ومَسكينًا ويعقوب الغمامُ
هم ضربوا على قرعِ المنايا ... ولَم يَقرعهم الجيش اللُّهامُ[1]

فحفظ الشعر أسماء من قتل من الخوارج مع الضحاك.

وخرج الحارث بن سُريح (ت، ١٢٨هـ/ ٧٤٥م) على الوالى الأموى نصر بن سيار فى سنة (١٢٧هـ/ ٧٤٤م)[2] واحتدم القتال بينهما، فقال المنذر الرّقاشى[3]:

ما قاتلَ القومَ منكم غير صاحِبنا ... فى عُصبةٍ قاتلوا صَبرًا فما دُعِروا
هم قاتلوا عِندَ بابِ الحصن ما وَهنوًا ... حتى أتاهُم غِياثُ اللهِ فانتصروا
فقاسِمٌ بعد أمرِ اللهِ أحرَزَها ... وأنت فى مَعزِلٍ عن ذاكَ مقتَصِرُ[4]

ونتيجة لوقوع المعارك بين الطرفين قتل الحارث بن سريج فى سنة (١٢٨هـ/ ٧٤٥م)[5] فقال نصر بن سيار:

يا مَدخلَ الذُّلَّ على قومِهِ ... بُعدًا وسُحقًا لك من هالِك
شُؤمُك أردى مُضرًا كُلَّها ... وغَضٌّ من قومكَ بالحارِكِ
ما كانت الأزدُ وأشياعُها ... تَجمَعُ فى عَمروٍ ولا مالِكِ
ولا بنى سَعدٍ إذا أُلجموا ... كُلَ طِمِير لونُه حالِكِ[6]

---

(١) نفسه، ٢١٧. ينظر الحدث: الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٤٦.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٩٣.

(٣) هو ابن عم يحيى بن الحضين بن المنذر بن الحارث الشيباني، ورقاش أم مالك بن شيبان فسموا بذلك. ينظر: الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٣٤؛ ابن حزم: جمهرة، ٣١٧.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٣٤.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٤٠٤؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٤٢.

(٦) ديوانه، ٣٩؛ ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٤٠٥؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٤٢.

مما يكشف عن تعصب نصر لقيس وعده لهزيمة الحارث بن سريج هزيمة لها مشيرًا إلى صراع القبائل كالأزد وسعد وغيرهما فى تلك الأصقاع البعيدة، فأصبح صراع قيس مع اليمانية قويًا ينذر بالخطر مما له أثره الإيجابى على الدعوة العباسية؛ لذا كان شعراء قيس يتبارون فى التعبير عن إحساسهم بالخيبة مثلما أخذ شعراء آخرون يشيرون على هذه الصراعات، فيتعصب كل منهم على قبيلته، فهذه امرأة ضبيَّة تزوجت مضريًا تقول:

لا بـاركَ اللهُ فـى أنثـى وعـذّبَها ... تـزوجتْ مـضريًّا آخـرَ الدَّهـرِ
أبلِـغ رجـالَ تميـمٍ قـولَ مـوجعَةٍ ... أحللـتموها بـدارِ الـذُّلِّ والفقـرِ
إن أنـتُم لَـم تكـرُّوا بعـد جولـتِكُم ... حتى تُعِيدوا رجالَ الأزدِ فى الظَّهرِ
إنى استحيتُ لكمُ من بَذلِ طاعتِكُمُ ... هـذا المُزونـى يجيـبَكم علـى قَهـرِ[1]

ويعاتب عبادُ بن الحارث[2] نصرَ بن سيار عتابًا مرًا؛ لأَنَّهما مضريان، حتى إنه عد قيادته لقبائل قيس (مضر) مذلة وشقاء، فقد تحول الصراع على تناحر قبلى نتيجة غياب السلطة المركزية القادرة على فرض سيطرتها وتثبيت أركان الأمن وفرض وجودها الفعلى لحفظ مصالح وطمانينة الناس. فقال عباد:

ألا يـا نـصرُ قَـد بَـرِح الخَفـاءُ ... وقـد طـالَ التَّمنِّـى والـرَّجاءُ
وأصـبحت المـزونُ بـأرضِ مَـروٍ ... تُقَـضِّى فـى الحكـومَةِ مـا تـشَاءُ
يجـوزُ قـضاؤها فـى كـلِّ حُكـمٍ ... علـى مُـضَر وإن جـارَ القَـضاءُ
وحِمـيرُ فـى مجالِـسها قُعـودٌ ... تَرقـرقُ فـى رقـابِهمُ الـدِّماءُ
فـإنْ مُـضرٌ بـذا رَضـيَتْ رَذلَـتْ ... فطَـالَ لهـا المَذَلَـةُ والـشَّقاءُ
وإن هـى أعتـبَت فـيها وإلاَّ ... فحـلَّ علـى عـساكرِها العَفـاءُ[3]

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٤٢.
(٢) هو عباد بن الحارث بن سريج التميمى: ينظر: ابن الكبيى: جمهرة، ٢٠٤.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٤٢-٣٤٣.

وقال عباد ايضًا:

ألا يـــا أيُّهـــا المـــرءُ الـــ ـــذى قَـــد شَـــفَّهُ الطَّـــربُ
أفـــقْ ودَعْ الـــذى قـــد كُـــنـ ـــتَ تطلـــبُهُ ونُطّلِـــبُ
فقـــد حـــدثت بحـــضَرتنا أمـــروٌ شـــأنها عَجـــبُ
فجـــازَ الـــصُّفْرُ لَمـــا كـــا نَ ذاكَ ويُهـــرج الـــذَّهَبُ[1]

ويخاطب أبو بكر بن إبراهيم[2] على وعثمان ابنى جديع الكرمانى[3] فيسجل الأحداث مشيرًا إلى مقتل الحارث بن سريج ويمدح ابنى الكرمانى للذين يقودان القبائل اليمانية فى صراعها ضد القبائل القيسية التى يقودها نصر بن سيار:

إنّـــى لمـــرتَحلٌ أريـــدُ بمدحتـــى أخـــوَين فـــوقَ ذُرا الأنـــامِ ذراهُمـــا
ســبقا الجـــيادَ فَلـــم يَـــزالا نَجعَـــةً لا يَعْـدَم الـضَّيفُ الغـريبُ قـراهُما
يَـــستَعليانِ ويجـــريبانِ إلى العُـــلا وَيعِـــيشُ فـــى كنَفَـــيهمَا حـــياهما
أعنـــى عَلـــيًا وأنـــهُ ووزيـــرَهُ عُـــثمانَ لـــيسَ يـــذِلُّ مـــن والأهُمـــا

إلى أن يقول:

وهمـــا أزلا عـــن عـــريكَةٍ ملكـــهِ نـــصرًا ولاقـــى الـــذُّلَ إذ عاداهُمـــا
نفـيًا ابـنَ أقطـعَ بعـدَ قـتلِ حماتـه وتقـــسَّمتَ أســـلابَهُ خَـــيلاهُما
والحـارث بـن سُريج إذ قَصدوا لَـهُ حتـــى تَعـــاورَ رأسَـــهُ ســـيفاهُما
أخـــذا بعفـــوِ أبـــيها فـــى قـــدره إذ عـــز قَـــومُهما ومَـــن والاهمـــا[4]

(١) نفسه، ٧/ ٣٤٣. ينظر: تقريع المفضل بن خالد السلمي، أحد شعراء خراسان وتحذيره من جديع الكرماني لأنه من الأزد. المرزباني: معجم الشعراء، ٢٩٧.

(٢) ذكره الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٤٣.

(٣) قتلهما ابو مسلم، بعد أن أقاما معه ونصراه، وفرقا كلمة العرب بخراسان. ابن حزم: جمهرة ٣٨١.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٤٣-٣٤٤.

ولكن نتيجة الصراع آلت أخيرًا إلى مقتل جديع بن على الكرمانى فى سنة (١٢٩ هـ/ ٧٤٦م)[١] مصلبه، فقال نصر بن سيار يُقرِّع ربيعة:

لعمرى، لقد كانت ربيعةُ ظافَرت ... عُدُوِّى بغدرٍ حين خابَت حُدُودُها

إلى أن يقول:

فأودتُ كرمانيِّها المَوتَ عَنوَةً ... كذاك مَنايا النفس يَدنو بَعيدُها[٢]

وكتب نصر بن سيار ثلاثة عشر بيتًا على رأس الكرمانى حين قتله وارسل رأسه إلى مروان بن محمد، منها:

وقد ذوى الأحساب منهم من اقدمى ... وذا الدَّجلِ حتى عادَ حَربًا يبيدُها
واصلحتُ من ساداتها كُلَّ فاسدٍ ... وأسرعتُ فى خير الذى لا يسودُها
أجاشوا نزار الشَّامِ إنَّ نزارها ... أبوه أباى وهنئ عميدُها
خليفتنا الساعى لنا ببراتِنا ... فطالبتُ أوتار والعِدا ومبيدها
أمروانُ إنى قد مُنيتُ بمعشرٍ ... خوارج سوءٍ ما يَلينُ شديدُها
أجاهدهم فى الله حقًا لأننى ... أؤمل دارًا لا يبيدُ خلودُها
وكَم كم أحاشوا من جنودٍ وأوقدوا ... أشانيب نيرانٍ سريعُ خمودُها[٣]

وفى مثل هذه الأجواء المتصارعة التى عاشتها القبائل العربية فى جهة خراسان والتى قادتها إلى الاقتتال والاضطراب ظهرت بوادر الدعوة العباسية فى هذه الجهات مستغلة مثل هذه الظروف المضطربة لصالحها لإضعاف خصومها الأمويين، فنجح الدعاة العباسيون فى جهات خراسان من خلال عملهم

---

(١) نفسه، ٧/ ٣٦٧.

(٢) ديوانه، ٣٤؛ الدينورى: الأخبار، ٣٦٣.

(٣) الأبيات غير مذكورة في ديوانه استدركها القيسي، وهلال ناجي في المستدرك، ١/ ٣١٨ عن ابن أعثم في الفتوح، ٨/ ١٦٥-١٦٦.

السرى، وعدم كشف أمرهم أمام السلطة الأموية، حتى قال أبو مسلم الخراسانى[1]:

أدركتُ بالحزمِ والكُتمانِ ما عجزَت ... عنْ مُلوكُ بنى مروان إن حَشدُوا[2]

ثم صدرت بعد ذلك توجيهات إبراهيم بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس[3] (ت، ١٣٢هـ/ ٧٤٩م) للدعاة العباسيين فى جهات خراسان بأن يعلنوا عن أمرهم، فقال:

دونك أمرًا قد بَدَت أشراطُه ... إن السبيلَ واضحٌ صِراطُهُ

لم يبقَ إلا السَّيفُ واختراطُهُ[4]

ولما بلغ نصر بن سيار إعلان أمر الدعوة العباسية فى جهته أراد أن يستعطف من كان مع الكرمانى من قبال ربيعة فكتب إليهم:

أبلغ ربيعة فى مَرو وإخوتها ... أن تغضَبوا قبل أن لا ينفعُ الغَضبُ[5]

وقال منقذ بن عبدالله القُريعى[6] مشيرًا إلى خذلان ربيعة وبعض أحياء اليمين:

سائل ربيعةَ والأحياء من يَمَنٍ ... عن حَرينا إنّهم قومٌ بِنا خُبَرُ

ترى فوارسُ سعدٍ غيرَ ناكِلَةٍ ... بيضُ الوجوهِ إذا ما اسودّت الصُورُ

فازوا بخطوتِها عَفوًا وأحرزَها ... منهم بَها ليلُ والأخطار تبتَدِرُ

وكل أيامِنا غُيرا مشهرَةٌ ... إذا تُذكرت الأيامُ والغُرَرُ

---

(١) هو عبدالرحمن بن مسلم قتل أيام المنصور (ت، نحو ١٣٧هـ/ ٧٥٤م). ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٧١/ ٦٧؛ الذهبى: العبر، ١/ ١٤٣.

(٢) البصرى: الحماسة، ١/ ١٠٨. ينظر: تمام البيات.

(٣) المعروف بـ(إبراهيم افمام). ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٧/ ١٤٥.

(٤) المسعودى: مروج، ٣/ ٢٤٤

(٥) ديوانه، ٤٨؛ الدينورى: الأخبار، ٣٦١.

(٦) من شعراء خراسان، له اشعار كثيرة جياد. المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٢٩.

رامت ربيعةُ والأحياءُ من يَمَنٍ　　أن يقهرونا فَهُم باللهِ ما قُهِرُوا[1]

وقال رؤبة بن العجاج يحذر نصر بن سيار من أبى مسلم:

يا نصر إن الحيةَ الأصما　　يَحرُقُ نابًا ويَمُجُّ سُمّا[2]

وحين شعر نصر بالخطر الذى يحدق به كتب إلى مروان بن محمد يكشف له عن جلية الأمر شعرًا، وهو ما عُرف عنه بسرعة البديهة وفصاحة العبارة ووضوح الكلام والقدرة على عرض الحدث شعرًا، فكان شعره سجلًا للأحداث التى عاشها فأسهم فى تدوينها شعرًا، كما فى رسالته هذه:

يا أيُّها الملَك الوانى بنصرتِهِ　　قد آنَ للأمرِ أن يأتيكَ من كَثَبِ

أضحت خرسانُ، قد باضَت　　وفرَّخَت فى نواصيها بلا رَهَبِ

فإنْ يَطِرْنَ ولم يُتَلْ لَهُنَّ بها　　يُلهِبنَ نيرانَ حَربٍ أيَّما لَهَبِ[3]

فلما ابطأ الغوث عن نصر كتب إلى مروان بن محمد يعلمه بالموقف، وقد جعل رسالته هذه شعرًا فقال:

مَن مُبلغٌ عَنّى الإمامَ الذى　　قامَ بأمرٍ بين ساطِعِ

إنّا وما نكتمُ مِن أمرِنا　　كالثَّوارِ إذا قُرِّبَ فى النافِعِ

أو كالتى يحسَبُها أهلُها　　عَذراءَ بِكرًا وهى فى التاسِعِ

إنى نذيرٌ لكَ من دولَةٍ　　قام بها ذو رَحَمٍ قاطِعِ

والثَّوبُ إن أنهجَ فيه البِلَى　　أعيى على ذى الحيلةِ الصانِعِ

كنا نداريها، فقد مُزِقَتْ　　واتَّسع الخَرقُ على الرَّاقِعِ[4]

---

(١) نفسه.

(٢) ديوانه، ١٣٩.

(٣) ديوانه، ٣١؛ الدينورى: الأخبار، ٣٦٠؛ الطبرى: تاريخ: ٧/ ٣٦٩-٣٧٠.

(٤) ديوانه، ٨٣؛ الدينورى: الأخبار، ٣٦٠، في رواية أخرى أن الأبيات أرسلت إلى يزيد بن عمر بن هبيرة. ينظر السمعودى: مروج، ٣/ ٢٤٣؛ ابن كثير: البداية، ١٠/ ٣٣.

فلما اشتد عود أبى مسلم وتفاقم أمره وضاقت الحيلة بنصر بعد هذه الرسائل فى مجابهة الموقف العسير الذى ينتظره والدولة الأموية إثر إظهار الدعوة لإبراهيم بن محمد كتب نصر رسالة من الشعر إلى مروان:

أرى تحتَ الرَّمادِ وميضَ جَمرٍ ... ويُوشِكُ أنْ يكُونَ لهُ ضِرامُ
فإنَّ النارَ بالعُودينِ تُذكَى ... وان الشَّرَّ مبدؤهُ كَلامُ
فإنْ لم يُطفؤها تَجِنْ حرْبًا ... مُشمِّرةً يشيبُ لها الغُلامُ
وقلتُ من التَعجُّبِ ليتَ شِعرى ... أأيقاظٌ أُميَّةَ أم نِيامُ
فإنْ يَقِظَتْ، فذاكَ بقاءُ مُلْكٍ ... وأن رَقَدَت، فانِّى لا أُلامُ
فإن يَكُ أصبحوا، وثَووا نِيامًا ... فَقُل قوموا، فقد حانَ القِيامُ
فِفرِّى عن رحالِكِ ثم قولى ... على الإسلامِ والعُربِ السلامُ(١)

وكان تشخيص نصر لما يحيط بالدولة الأموية من إخطار جليًا، مثلما كان شعره صورة صادقة للأحداث، وتسجيلًا مباشرًا لها، فقد اقترن لديه الشعر بالحدث، فعبر عنه خير تعبير فاستطاع أن يمنحه قوة التأثير وجزالة التعبير وصدق الموقف مع وضوح المعنى وسمو الألفاظ.

كما سرد إبراهيم بن هرمة (ت، ١٥٠هـ/ ٦٧٦م) بدء تاريخ الدولة العباسية فى رثائه لإبراهيم الإمام، منها قوله:

وقد كانَ إبراهيم مولى خَلافةٍ ... بها ضَعفت الرقابُ وذَلَّتِ
وأوصى لعبد الله بعدَهُ ... خَلافة حقٍّ لا أمانى ضَلَّتِ
فَشمَّرْ عبدُاللهِ لما تجرَّدت ... لواقحَ من حَربٍ وحُولٌ فجلَّتِ(٢)

---

(١) ديوانه، ٤٠-٤١؛ ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٤١٩؛ الدينورى: الأخبار، ٣٥٧؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٦٩؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٢٤٠.

(٢) ديوانه، ٧١. ينظر: نونيته في رثاء إبراهيم الإمام ايضًا، ٢٣٧-٢٣٨.

فأثر هذا الشعر تأثيرًا حيًا فى تدوين الأحداثِ وحفظها من خلال ما قاله الشُّعراء الذين واكبوها.

وفى سنة (١٣٠هـ/ ٧٤٨م)[١] وقعت معركة (قُديد)[٢] بين أبى حمزة الخارجى[٣] وأهل المدينة المنورة والتى كان عليها وعلى مكة عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك[٤] من قبل مروان بن محمد، ويبدو أن القتل قد كثر فى أهل المدينة حتى رثاهم بعض أصحابهم فقال:

يا لهف نفسى ولهَفى غير كاذِبَةٍ ... على فَوارِسَ بالبطحاءِ أنجادِ

عَمروٌ وعَمروٌ وعبدالله بَينهُما ... وابناهُما خامِسٌ والحارث السادِ[٥]

ويبدو أيضًا أن عبدالواحد بن سليمان قد انهزم لقول أحد الشعراء:

زارَ الحجيجَ عصابةٌ قد خالفوا ... دينَ الإلهِ ففرَّ عبدالواحِد

ترك الحلائلَ والإمارةَ هارِبًا ... ومضى يُخبِّطُ كالبعيرِ الشَّارِدِ

لو كان والِدُهُ تنَصَّل عِرقُهُ ... لَصَفَت مضاربه بعرقِ الوالِدِ[٦]

مما يشير على قوة المهاجمين من أعوان أَبى حمزة الخارجى وشدة ضربهم أهل المدينة لإرهاب الناس وإباحة السيف فى قريش ومن والاها بالخلافة فقالت نائحتهم:

---

(١) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٤١٣؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٩٣.

(٢) موضع قرب مكة. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٣١٣ (قُديد).

(٣) اسمه يحيى بن المختار. الجاحظ: البيان، ٢/ ١٢٢؛ الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٥٥ وفيه اسمه المختار بن عوف الأزدي.

(٤) عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان قتله صالح بن علي. ترجمته: الزبيرى: نسب قريش ١٦٦.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٧٣٦.

(٦) الزبيرى: نسب قريش، ١٦٦. البيتان الأول والثاني مع اختلاف الرواية منسوبة لأبي الكوسج؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٧٦؛ الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٨٨-١١٩ مع اختلاف الرواية.

مـــا للـــــزمانِ ومالِـــيه أفـــنَت قُديـــد رِجالِـــيهْ

فلأبكـــــــينَّ سَـــــريَرةً ولأبكـــــــينَّ عَلانـــــيْه

ولابكـــــــينَّ إذ خلـــــو تُ مـــع الكِـــلابِ العَاويــــهْ

ولاثـــــنينَّ علـــــى قُديـــــدُ بـــــسوءِ مـــــا أبلانـــــيْه[(١)]

وقال عمرو بن الحصين العنبرى[(٢)] يذكر وقعة قُديد فى قصيدة طويلة، منها:

مـا بـالُ همـك لـيسَ عـنك بعـازبٍ يمـرى سـوابِقَ دمعـكَ المتـساكِبِ

وتبـيتُ تَكتلـئُ الـنجوم بمقلَـةٍ عَـبرى تـسرُّ بكـلِ نجـمٍ دائِـبِ

حيث يصفهم بالجبرية:

أمـرى بـه مـن جمـعِ قومـى مَعـشرًا بُـورًا أُولى جـبريَّةٍ ومعايـــبِ

إلى أن يقول:

سَـائِلْ بـيوم قُديـد عــن وقعاتِهـا تُخـبركَ عــن وقعاتهـا بعجائِـبِ[(٣)]

ومما قاله محمد بن معاذ[(٤)] فيمن أصيب بقُديد:

بعـــدَ رزءٍ أصـــبته بقُديـــد هَدَّركنـى وهـاضَ منـى حناحـى[(٥)]

وقال معدان بن أوس الطائى[(٦)]:

---

(١) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٤١٥؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٩٧؛ الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٢٦ وهي الرواية التامة والمعتمدة.

(٢) الأُباضي الكوفي مولى بني تميم. ينظر: الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٢٦.

(٣) شعر الخوارج، ٢٢٨-٢٣٠؛ ديوان الخوارج، ١٣٨-١٤٠؛ الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٢٦-١٣٠.

(٤) هو محمد بن معاذ بن عبيدالله بن معمر التيمي المدني. ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٤٨.

(٥) ابن بكار: جمهرة، ٢/ ٦٤٩؛ المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٤٨.

(٦) ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٣٦.

ألا هـل أتـى أهـل المدينـة عرضـنا ... خـصالًا مـن المعـروفُ بعـرف حالـها
علـى عامِلـنا والـسيوفُ مـصونةٌ ... بإغمادهـا مازايلـتها نِـصالُها
آتيـنا علـى فِـرتاج سَـمعًا وَطاعـةً ... نـؤدى الـزّكاةَ حتـى حـان عِقالُهـا
ومـن قَـبل مـا صرنا وجـاءَت وفـوُدنا ... إلى فـيد حتـى مـا يُعـدُّ رِجالُهـا[1]

فقد تناحرت القبائل حتى خرجت فزارة لقتال طيء فهزمتها طيء، وذلك لاتخاذ القبائل ضعف السلطة سببًا فى التناحر والعزوف عن أداء الزكاة حتى ثارت الحرب بين أهل الحجاز وقبيلتى طيئ وأسد[2]، فضلًا عن عجز الولاة عن اتخاذ القرارات الحازمة التى تتحسب للمواقف الطارئة التى تعصف بالدولة وتتغلغل فى مفاصلها.

فلما شعر مروان بن محمد بهذا التصدع انتخب من عسكرة أربعة آلاف استعمل عليهم عبدالملك بن محمد بن عطية السَّعدى[3]، فلما بلغ الخبر أبا صخر الهذلى[4] قال:

قُـل للـذين استُـضعِفوا لا تعجلـوا ... أتـاكُم النـصر وجـيشٌ جَحفـلُ
عُـشرونَ ألفًـا كُلُّهـم مُـسربَلُ ... يقـدُمهم جَلـدُ القُـوى مُستبـسِلُ
دُونكُـمُ ذا يَمَـنٍ فأقـبلوا ... وواجهـوا القـومَ ولا تـستَخجِلوا
عَـبدُ الملـيك القُلَّبـى الحـوَّلُ ... أقـسمَ لا يُغلَـى ولا يَـرجَّلُ
حتـى يبـيد الأعـورُ المُـضَلَّلُ ... ويُقـبل الـصَّباحُ والمُفـضَّلُ[5]

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٢٤. ولها رواية أخرى. ينظر: المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٣٦.
(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٢٤.
(٣) أحد بني سعد هوازن. ينظر الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٩٩؛ الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٤٠.
(٤) هو عبدالله بن مسلم بن نهم، شاعر أموي. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ٢٦٨؛ السيوفى: شرح، ١/ ١٦٩.
(٥) الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٤٠-١٤١ والشعر غير مذكور في مجموع شعره.

يريد بالأعور عبدالله بن يحيى[1] زعيم الخوارج، فلما هربوا من المدينة قال أبو البيضاء[2]:

لـــيت مـــروان رآنـــا يـــوم الاثـــنين عـــشيَّهْ
إذ غَـــسلنا العَـــارَ عَـــنَّا وانتـــضَينا المـــشرَّفيه[3]

فلما حوصر الخوارج فى الشِّعب، كانت امرأة أبى حمزة ترتجز:

أنـــا الجُعـــيداءُ وبـــنت الأعلَـــمْ من سالَ عن اسمى فاسمى مريَمْ
بعُـــت سـوِارى بـسيفٍ مخـذَمْ[4]

ثم قتلت وإياه فتفرقت الخوارج[5]، فقال عمرو بن الحصين العنبرى يرثى عبدالله بن يحيى وأبا حمزة بقصيدة طويلة يقول فيها:

وولى حُكْمُهُـــم فجعـــتُ بـــهِ عَمـــرو فواكـــبدى علـــى عمـــروِ
قـــوال محكمـــةٍ وذوفَهـــمٍ عَـــفٍّ الهـــوى متثـــبِّتَ الأمـــرِ
ومـــسَّيبٌ فاذكُـــره وصـــيتَهُ لا تـــنسَ إمـــا كـــنتَ ذا ذِكـــرِ[6]

وذكر محمد بن خالد بن الوليد بن الزبير[7] بعض من قتل فى هذه الوقعة فقال:

ولقـــد أبقـــت الحـــوادث فـــى قلـــبكَ شُـغلاً علـى عقابـيلِ شُـغلِ

---

(١) هو عبدالله بن يحيى الكندي، أحد بني عمرو بن معاوية كان في حضرموت ثم خرج في عهد مروان بن محمد. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ٢٤/ ١١١.
(٢) هو سهل مولى زينب بنت الحكم بن أبي العاصي. نفسه، ٢٤/ ١٤٢.
(٣) نفسه، ٢٣/ ١٤٢.
(٤) نفسه، ٢٣/ ١٤٤.
(٥) نفسه.
(٦) شعر الخوارج، ٢٢٦؛ ديوان الخوارج، ١٤٤؛ الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٥٣.
(٧) يتصل نسبه الزبير بن العوام. ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء، ٣٤٩؛ القفطي، علي بن يوسف (ت، ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م): المحمدون من الشعراء واشعارهم، تحقيق رياض عبدالحميد مراد (مجمع اللغة العربية، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ٤١٣.

بنـــى خالــدٍ توالــوا كِـــراما　　　مــن فتًــى ناشــئ أديــبٍ وكَهــلِ
كافحـوا المـوتَ فـى اللّقـاء وكانـوا　　　أهــلَ بــأسٍ وســابقاتٍ وفــضلِ
وعُلًــى يفــرعُ الــنجومَ ذراهــا　　　ونــدىً فــى المعــصّبين وفِعْــلِ
وقِــرىً دائــم إذ أقحــط القطــ　　　ــرُ، وارث القِـرى علـى الـضّيف
ولقـــد أردت الوقـــيعةَ مِـــنّا　　　فَوارِسًـــا غـــيرَ غُـــزّلِ
حمـــزةَ الماجـــدَ جُدّلـــوه　　　دَارعًـــا ذا حفـــيظةٍ غَـــيرَ وَغـــلِ
وبانــه يــضربُ الفــوارسَ كالــصَّا　　　رِمِ امــسى حــديثَ عَهــدٍ بــصَقْلِ
وابــن عكاشَــةَ الــذى كــان فــيهم　　　لــيثَ خِمِــيسٍ يحَــومُ فــيه بــشِبلِ
والفَتـــى مُـــنذرًا سَـــقوُه المـــنايا　　　باسـلَ الـبأسِ فـى مـصالِيت بُـسلِ[(١)]

ومن قوله فى قصيدة أخرى:

مــا أبــصر الناظــرون مــن سَــلف　　　مِــثل البهالــيل مــن أســدٍ[(٢)]

مما يكشف عن حجم الصراع وقوته، وما نالته قريش من أذى ممن سكن مكة المكرمة والمدينة المنورة، علمًا بأن قريشًا فى الحجاز لا تمثل سلطة الخلافة الأموية، بيد أنهم يمثلون القوة الروحية التى تدعمها بوصفها نظامًا إسلاميًا غدا راسخ التقاليد والأسس، وأصبحت فكرة الإمامة فى قريش عقبة بوجه الطامعين وبالذات الخوارج، لهذا استهدف خروج أبى حمزة وعبدالله بن يحيى هذا الكيان الروحى المتمثل بأحفاد القرشيين وجلهم من المهاجرين وهو صراع قبلى اكتسب صفة دينية وسياسية.

---

(١) بن بكار: جمهرة، ٣٤٢/١-٣٤٣ وهي الرواية التامة؛ المرزباني: معجم الشعراء؛ القفطى: المحمدون، ٤١٣.
(٢) نفسها.

بعد اشتداد شوكة الدعوة العباسية أخذ قُحطبة بن شبيب الطائي[1] (ت، ١٣٢هـ/ ٧٤٨م) يضايق نصر بن سيار فى خراسان، فكتب نصر إلى مروان ويزيد بن عمر بن هبيرة[2] يستمدهما ويسألهما النصرة على عدوه[3]. وكانت رسالته شعرًا جاء فيه:

أبلِغ يَزيدَ وخيرُ القولِ أصدقُهُ ... وقَد تبيَّنتُ الأخيرَ فى الكَذبِ

إنَّ خراسانَ أرضٌ قد رايتُ بها ... بيضًا لو أفرخَ قد حُدّثتَ بالعَجَبِ

فِراخُ عامين إلا أنّها كَبُرتْ ... لّما يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغبِ

فإن يَطِرنَ ولَم يُحتمَلِ لَهُنَّ بِها ... يُلهِبنَ نيرانَ حربٍ أيّما لَهَبِ[4]

فلما كانت سنة (١٣١هـ/ ٧٤٧م)[5] ترك نصر خراسان حتى نزل ساوة[6]، فكتب إلى مروان بن محمد عدة أبيات، منها قوله:

إنّا وما نكتُم من أمرِنا ... كالثّورِ إذ قرِّب للناخِعِ[7]

لكن نصرًا مات كَمدًا من دون أن يتمكن من تغيير أمره وأمر الخلافة شيئًا، فقال أبو العطاء السِّندى يرثيه:

فاضَت دموعى على نَصرٍ وما ظَلَمَتْ ... عينٌ تَفيضُ على نصرِ بن سيارِ

يا نصرُ مَن للقاءِ إن لقَحت ... يا نصرُ بعدكَ أو للضيفِ والجارِ[8]

---

(١) اسمه زياد بن شبيب بن خالد بن معدان، وقحطبة لقب لحق به. ترجمته: ابد دريد: الاشتقاق، ٢/ ٣٩٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٢/ ٢٠١.

(٢) من بني فزارة ولي العراقين لمروان بن محمد. رجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٩/ ١٢٧؛ الذهبى: سير، ٦/ ٢٠٧.

(٣) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٤١٩.

(٤) ديوانه، ٣٠.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤٠٣.

(٦) مدينة بين الري وهمدان. ياقوت/ معجم البلدان، ٣/ ١٧٩ (ساوة).

(٧) ديوانه، ٣٨؛ الدينورى: الأخبار، ٣٦٠؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٢٤٣؛ ابن كثير: البداية، ١٠/ ٣٣.

(٨) شعره، ٢٨٣؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٧/ ٢٥٠؛ البرى: الحماسة، ١/ ٢٥٢.

وتحصن ابن هبيرة بمدينة واسط زمنًا طويلًا حتى قتل فيها فقال أبو العطاء يرثيه:

ألا إن عَيــنًا لم تَجــد يــومَ واســطٍ ... علــيكَ بجــارِي دمعهــا لجمــودُ[١]

وقال منقذ بن عبدالرحمن الهلالى[٢] يرثيه أيضًا:

مــــنعَ العــــزاءُ حــــرارةَ الــــصَّدرِ ... والحــــزن عَقَــــدَ عــــزيمَةُ الــــصَّبرِ[٣]

وخرج على الأمويين أيضًا محمد بن خالد القسرى[٤] وأخذ يدعو إلى بنى هاشم[٥]، فقال على بن سليمان الأزدى[٦]:

يـــا حاديـــنا بالطـــريق قَـــوِّما ... بَعمـــلاتٍ كاقِـــسى رسمَـــا
تـــنجو بأحـــواز الفَـــلاة مُقـــدَما ... إلى امـــرئ أكـــرمَ مـــن تكـــرَّما
محمـــد لّمـــا سَـــما وأقـــدَمَا ... ثـــارَ بكـــوفانَ بهـــا مُعَلَّمـــا
فـــى عُـــصبةٍ تطلُـــبُ أمـــرًا مُـــبرمَا ... حتـــى عَـــلا مِنـــبرَها مُعممًّـــا
أكـــرِم بمـــا فـــازَ لـــهِ وأعظِمَـــا ... إذ كـــان عَـــنها الـــناسُ كُلًّـــا نُـــومًا[٧]

وفى سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٨م)[٨] التقى جيش العباسيين بقيادة عبدالله علي[٩]

---

(١) شعره، ٢٨١؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٥٦؛ المرتضى: المالي، ١/ ٢٢٣ وفيه لمعن بن زائدة.
(٢) ذكره: الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤٥٧.
(٣) نفسه.
(٤) هو محمد بن خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري. ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٥/ ٢٩٠.
(٥) الينورى: الخبار، ٣٦٨-٣٦٩؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤١٧.
(٦) ذكره: الدينورى: الأخبار، ٣٦٩.
(٧) نفسه.
(٨) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٤٢٧-٤٢٨؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤٣٢-٤٣٤.
(٩) عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي عم السفاح دعا لنفسه بعد موته فهزمه جيش ابي مسلم الخراساني، انهدم عليه حبسه سنة (١٤٧هـ/ ٧٦٤م). ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٣/ ٣٨؛ الذهبى: العبر، ١/ ١٥٩.

بجيش مروان بن محمد بموقعة الزاب[1]، فقال رجل من ولد سعيد بن العاصي يُعيّر مروان:

لَـجَّ الفِـرارُ بمـروانَ فقلـتُ لَـهُ ... عـادَ الظلـومُ ظَليمًا هَمُّهُ الهَربُ

أيـنَ الفِـرارُ وتـركُ المُلـكِ إذ ذَهبتْ ... عنكَ الهُوينَى فلا ديـنٌ ولا حَسَبُ

فراشَـةُ الحِلـم فـرعونَ العِقـاب وإن ... تَطلُـب نـداهُ فكـلٌ دونـه كَلِـبُ[2]

فلما رأى مروان أصحابه يتفرقون عنه نزل عن فرسه وأنشأ متمثلًا:

ذُلُّ الحيـاةِ وهـولُ المماتِ ... وكلًّا أراه وخيمًا وبيلا

فـإن كـانَ لابـدَّ مـن مَيتَةٍ ... فسيرى إلى المـوتِ سَيرًا جَميلا[3]

وكان أبو العطاء السندى مع الأمويين فلما رأى ذلك قال:

لعمـرُك إننـى وابـا يـزيدٍ ... لكالسَّاعى إلى وضـحِ السَّرابِ[4]

وحين انهزم جيش مروان بن محمد عند نهر أبى فُطْرُس[5] قال أحد الشعراء يرثى قتلى بنى أمية:

أفَـاضَ المَدامِـعَ قَتلـى كُـدا، ... وقَتلـى بكُـروَةَ لم تُـرمَسِ

وقَتلـى بـوجٍّ وباللّابَتين ... ومـن يثـربَ خيرمـا أنفـس

---

(١) نهر قرب المصول. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٢٣ (الزاب).

(٢) الجاحظ: الحيوان، ١/ ٢٥٦-٢٥٧. وفيه للضحاك بن سعد من همدان؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٤٣. وهي الرواية المعتمدة؛ العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل (ت، نحو ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م): ديوان المعاني، الجزء الأول (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ، ١٩٦.

(٣) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): الإمامة والسياسة، الجزء الأول (شركة البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م)، ١٤٤. والأبيات في رواية أخرى تمثل بها محمد بن مسلمة بن عبدالملك. ينظر: ابن حزم، جمهرة، ١٠٣.

(٤) شعره، ٢٧٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٧/ ٢٤٨؛ الصفدى: الوافي، ٩/ ٣٠٠.

(٥) على بعد اثنى عشر ميلًا من الرملة. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٣١٥ (نهر أبي فطرس).

وبالـــــزَّابين نفـــوس ثـــوت، وأخـــرى بنهـــرِ أبـــى فُطـــرسِ[1]

وحين قتل مروان قال أحد أهل الكوفة:

نــزع الخِلافــةَ مــن بنــى مــروانَ رَبٌّ عــــلا بالطُّـــولِ والإحـــسانِ
مــازال مـــروانُ يقـــرّب خطـــوة ويحـــرقُ الأرضـــينَ بالـــنيرانِ
ويـروغ مـنها فـى الـبلادِ ولم يكُـن قـــدر الإلـــهِ يجـــلُّ عـــن مَـــروانِ
ولقـــد رمـــاهُم صـــالح بفـــوارس شُـــمٌ الأنُـــوفِ معانقـــى الأقَـــرانِ
فاستخرجوه مــن الكنيـسةِ صـاغرًا وتعــــاوروه بذِلَـــــةٍ وهَـــــوّانِ
وأتـــاه للحـــينِ المـــباحِ فَوارسًـــا ألقـــوا الطعـــان ســـاحَةَ المـــيَدانِ
سـاروا بـرأس الرِّجس مروان الـذى فـتكَ الـورى بـالظلمِ والعـدوانِ[2]

يشير هذا الشعر إلى مقتل مروان بن محمد على يد صالح بن علي[3] (ت، ١٥١ هـ/ ٦٧٨م) وكيف كانت نهاية مروان كخليفة ودولة؟ وقد حاول خصومهم النيل منهم وإشاعة أن زوال ملكهم كان بسبب ظلمهم للرعية حتى شبههم إبراهيم بن هرمة بقوم عاد حين قال:

فــلا عَفــا اللهُ عــن مــروانَ مظلمــةً ولا أمـــية بـــئس المجلـــس الـــنادِى
كانـــوا كعـــادٍ فأمـــسى الله أهلكهـــم بمثلِ مـا أهلـك الغـاوينَ مـن عـادِ[4]

وحَرَّض سديف بن ميمون[5] بنى العباس فقال:

---

(١) نفسه، ٥/ ٣-١ (اللابتان).
(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٧/ ١٨٨-١٨٩.
(٣) هو صالح بن علي بن عبدالله بن عباس عم السفاح والمنصور. ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٥/ ٢٣٦؛ الذهبى: العبر، ١/ ١٦٦.
(٤) ديوانه، ١٠٦.
(٥) شاعر مكي قتله المنصور سنة (١٤٧هـ٧٦٤م): ترجمته: ابن المعتز: طبقات، ٣٧؛ الذهبى: ميزان، ٢ / ١٦٥.

كـيف بالعفـو عـنهم وقـديمًا / قـتلوكم وهـتكوا الحُـرماتِ
أيـنَ زيـدٌ وابـنه يحيـى بـن زيـد؟ / يالَهـا مـن مـصيبةٍ وتـراتِ
والإمـام الـذى أُصـيب بحـرّا / ن إمـام الهُـوى ورأس الـثِّقاتِ
قَـتلوا آل أحمـدَ لا عفـا / الـذنب لمـروانَ غافَـر الـسيئاتِ
حـضر الـشرُّ يـا أمـية فانعـى / عـيش ديـنالكِ وئذنـى بالـشَّتاتِ[1]

إذا كان ملك آل مروان قد بدأ عند مروان بن الحكم فإنه انتهى عند مروان بن محمد بن مروان، فكانت دورته بين ثلاثة على أربعة أجيال، كما انتهى ملك آل سفيان عند ثلاثة أجيال فقط، وكان ملك الدولة الأموية بأقل من قرن انطوت بعده صفحات حافلة بالأحداث، كان فيها للشعر أثره الفاعل فى تدوينها، لأنه كان سباقًا على مواكبتها ومنغمرًا فى تفاصيلها انغمارًا شاملًا أعطى ثماره فى حفظ الكثير من الوقائع وكشف جوانبها الغامضة، فكان الشعر سندًا قويًا للتاريخ فى التدوين وفى بعث الجانب الإنسانى وكشف النزعات الذاتية التى تكشف عن تواصل الذات الإنسانية مع الأحداث وتسهم فى تفسيرها.

(١) سديف بن ميمون (ت، ١٤٧هـ/ ٧٦٤م): شعره، تحقيق: رضوان مهدي العبود (مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشراف، ١٩٧٤م)، ١٩.

الخاتمة ونتائج البحث

إذا كان البحث يتكون من مقدمة ثم من فصل تمهيدى عن علاقة الشعر والتاريخ،اربعة فصول أخرى تتبعت مسيرة الزمن فى العصر الأموى طيلة ما يقرب من قرن؛ فإن البحث على وفق ذلك استعرض مسيرة الشعب العربى واثره فى الأحداث التاريخية فى حقبة زمنية طويلة كشفت عن أهمية الشعر لدى العرب من حيث كونه فنًا راقيًا متميزًا ومن حيث كونه أداة إعلامية تسهم فى انتشار الوقائع وحفظ أخبارها، فضلًا عن كونه جوهر ثقافة العرب والعلم المتجدد فى مآثرهم ونفوسهم على مر تلك العصور.

لقد كان العصر الأموى مثار متغيرات جديدة جعلت من الشعر يستعيد مكانته الباهرة فى ظل صراعات ووقائع لم تهدأ ولم تتوقف، كان الشاعر فيها لسان حال قومه أو قبيلته أو فرقته أو حزبه أو لسان حال الدولة وتوجهاتها السياسة.

ولعل أبرز ما كشف عنه البحث هو:

الصلة الحية بين الحدث التأريخى والشعر، والتى تدلل دلالة واضحة على أثر ثقافة العرب وجوهر معرفتهم بما يحيط بهم من ظروف، فالشعر فيض وجدانى يعبر عن انفعال عاطفى فى الحدث ليكشف عن رد فعل الشعور الإنسانى اتجاه الحدث فى حالتى الظفر والأخلاق.

كشفت الدراسة عن استخدام الشعر وسيلة إعلامية لدى كل التيارات، فقد استخدمه الخلفاء الأمويون وأجزلوا العطاء للشعراء على تعليم أبنائهم الأدب حتى ينشأوا نشأة عربية خالصة ترى فى الشعر علمًا متقدمًا من علوم العرب وثقافتها،

وشجعوا الولاة على كسب ولاء الشعراء، وتغاضوا عن زلاتهم وخلافاتهم مع الولاة والأسرة الأموية لكسب ودهم والاستفادة من شعرهم فى رفع شأن الخلفاء والولاة فى نظر الرعية لما للشعر من أثر فاعل فى النفوس، ولما يكنه العرب للشعر والشعراء من اهتمام خاص.

كما كشفت الدراسة عن مواكبة الشعراء للأحداث التاريخية الكبرى وعملهم على وضع بصماتهم فيها، ومشاركة العديد منهم فى الأَحداث، ومقتل البعض منهم دفاعًا عما يحملونه من مواقف مناهضة للوضع القائم وهذا ما يجعل للشعر تعبيرًا عما يجيش فى النفس من مواقف تجاه الأَحداث المصيرية المهمة.

كان الشعر أداة فاعلة فى تأجيج قوة الحدث وتوسيع سعة الخصومات، وإثارة الحماس، وتفاقم الصراعات فهو وسيلة من وسائل الشيوع والانتشار، فكان له أثره فى التعبير عن وجهات نظر حركات التمرد على سلطة الخلافة، مثلما كان وسيلة من وسائل الخلافة فى الرد على خصومها، فضلًا عن مشاركة الشعر فى الصراعات القبلية، فكان لكل قبيلة شعراء يمثلون صوتها ويدافعون عن مصالحها فهم لسان حالها والمتحدثون باسمها لأن شعرهم تتناقله الأفواه فيحفظه الرواة وتتفاخر به القبائل بين أقرانها.

أَسهم الشعر فى زيادة صدى الأَحداث وفى أنتقال اَخبارها بسرعة فائقة لسهولة حفظه وكثرة تداوله لما يمتلكه من رقى لفظى وسمو فى المعانى وجمال فى الإِيقاع بما يؤثر فى نفوس السامعين، فيشعر من يرويه بالمتعة والانتشاء فضلاً عن الحاجة الماسة فى روايته لمن يعنيهم الأَمر.

قرأ الشعر الأَحداث قراءة جديدة مختلفة عما عرضته كتب التاريخ، فكان نمطًا خاصًا ومغريًا فى فهم المواقف والصراعات، لأنه قدم رؤية مشرفة للحضارة العربية من زاوية نظر ثقافية وفكرية لها خصوصيتها فى ملاحقة الأَحداث والتأثير فيها.

عبر الشعر خير تعبير عن الحس العربى المتقدم فى فهم الأَحداث والتأثير فيها، فكان صورة من صور الحفاظ على الهوية القومية التى رعتها الدولة الأَموية رعايةً

متميزة، مثلما عبر عن حضور المعانى الإسلامية التى تغلغلت فى النفوس بوصف العرب حملة الرسالة الإسلامية ومادة الإسلام فكانت اللغة العربية هى لغة الإسلام التى تبَارى الشعراء فى توظيف قدراتها باتجاه صوغ بيانى يرتقى بجوهر البلاغة العربية بعد أن تمثل الشعراء بلاغة القرآن الكريم وبدأو ينطلقون منه نحو آفاق أكثر تعبيرًا وابتكارًا.

كان الشعر لسان حال الفرق والجماعات لأَنَّ دعاتها رأوا فيه خير وسيلة لبث عقائدهم وأفكارهم فكان صداه مؤثرًا فى إيصالها والاحتفاظ بها خلال العصور المتعاقبة.

كشف الشعر عن صراعات الفرق والطوائف والمشاعر الإنسانية والفئات الاجتماعية والأَوضاع الاقتصادية والنفسية داخل المجتمع العربى، وكشف عن استمرار النزعة القبلية وعودة الكثير من الأَعراف والصراعات بين القبائل التى كانت سائدة فى عصر ما قبل الإسلام كالثأرات والولاءات وصراعات القبائل اليمانية والقيسية.

وثق الشعر الأَحداث توثيقًا واضحًا ومعروفًا من خلال ذكر الشعراء لها وللمواقع التى حدثت فيها، فكان خير وسيلة لتحديد المواقع والأَمكنة والبلدان وعلاقة ذلك بأَحداث حصلت فيها.

كشفت الدراسة عن اعتماد كثرة من المؤرخين على الشعر فى تدوين الوقائع التاريخية، فجاءت عنايتهم به من خلال قراءتهم للشعر والاطلاع عليه فأَسهم بشكل واضح فى حفظ الروايات التاريخية.

يقترح الباحث أن يتناول باحثون متخصصون لهم معرفة ودراية فى التاريخ والشعر دراسة العصر العباسى والعصور التى تلته على وفق ما جرى تناوله أو أَفضل منه فى وسائل وأَطاريح تستطيع كشف النقاب عن أَحداث تاريخية مهمة كان للشعر فيها أَثره فى تدوينها وتناولها.

وفى الختام أتمنى أن ينال هذا البحث ما يستحقه والله ولى التوفيق.

جريدة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر المخطوطة:

* البلاذرى، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

٢- أنساب الأشراف (مصورة مكتبة المجمع العلمى العراقى رقم ٧١٢ ق فى ٢٩/ ٩/ ١٩٨٦ عن نسخة المكتبة السليمانية، اسطنبول، تحت رقم ٥٩٨ sule ymaniye suty phanesi) من إهداء الدكتور عبدالأمير دكسن القسم الأول.

ثانيًا: المصادر المطبوعة:

* الآمدى، أبو القاسم الحسن أبن بشر بن يحيى (ت، ٣٧٠هـ/ ٩٨١م):

٣- المؤتلف والمختلف، تحقيق بن العبدالستار أحمد فوق (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

* ابن الابار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعى (ت، ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م):

٤- الحلة السَّيراء، تحقيق حسين مؤنس، جزعان (الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م).

* إبراهيم بن همرة (ت، ١٧٦هـ/ ٧٩٢م):

٥- ديوان إبراهيم بن همرة، تحقيق محمد جبار المعيبد (مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٩٨هـ/ ١٩٦٩م).

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشيبانى الجزرى (ت، ٦٣٠هـ ١٢٣٢م):

٦- أسدُ الغابة فى معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبدالوهاب فايد، الأجزاء ٢-٥ (دار الشعب، القاهرة، دون تاريخ).
٧- الكامل فى التاريخ، الجزء الرابع (دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).
٨- اللباب فى تهذيب الأنساب (دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
* الأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصارى (ت، ١١٠هـ/ ٨٢٨م):
٩- شعر الأحوص الأنارى، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
* الأخطل، غياث بن غوث التغلبى (ت، ٩٢هـ/ ٧١٠م):
١٠- شعر الأخطل، صنعه السكرى برواية محمد بن حبيب، تحقيق فخرى قباوة، جزان (دار الأصمعى، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
* أطراة بن سهية المرى (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م):
١١- شعر أرطاة بن سهية، تحقيق صالح محمد نايف، مجلة المورد المجلد (السابع)، العدد (الأول)، (بغداد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
* ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبى (ت، ١٥١هـ/ ٧٣٣م):
١٢- السيرو المغازى، تحقيق سهيل زكاز (دار الفكر، بيروت، دون تاريخ).
* الأسدى، عبدالله بن الزبير (ت، نحو ٧٥هـ/ ٦٩٤م):
١٣- ديوان عبدالله بن الزبير الأسدى، جمع وتحقيق يحيى الجبورى (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
* الأسدى، الكميت بن زيد (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٤م):
١٤- شعر الكميت بن زيد الأسدى، جمع وتحقيق داود سلوم، القسمان ١-٢ (منشورات مكتبة الأندلس ببغداد، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٩م).
* إسماعيل بن يسار (ت، نحو ١٣٠هـ/ ٧٤٧م):
١٥- شعر إسماعيل بن يسار، تحقيق ودراسة يوسف حسين بكار (دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
* أبو الأسود الدؤلى، ظالم بن عمرو بنس فيان (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م):
١٦- ديوان أبى الأسود الدؤلى، تحقيق محمد حسن يل ياسين (سلسلة نفائس

المخطوطات، مكتبة النهضة، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٤٦م).

* الأشعرى، على بن إسماعيل (ت، ٣٣٠هـ/ ٨٣٤م):

١٧- مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد (دار الحداثة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

* الأشقرى، كعب بن معدان (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م):

١٨- شعر كعب بن معدان الأشقرى، ضمن كتاب: شعراء أمويون، دراسة وتحقيق د. نورى حمودى القيسى، القسم الثالث (مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

* الأصفهانى، أبو الفرج على بن الحسن (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م):

١٩- الأغانى، ٢٣ جزءًا (دار الثقافة، الطبعات الأولى والثالثة والرابعة، بيروت، ٣٩٥-١٣٩٨هـ/ ١٩٧٥-١٩٧٨م).

٢٠- مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ).

* ابن أعثم، أحمد بن أعثم الكفوى (ت، نحو ٣١٤هـ/ ٩٢٦م):

٢١- الفتوح، تحت مراقبة د. محمد عبدالمعيد خان، الأجزاء ١-٦ (مجلس المعارف العثمانية فى الهند، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

* الأعشى، ميمون بن قيس (ت، ٧هـ/ ٦٢٩م):

٢٢- ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق م محمد حسين (مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، دون تاريخ).

* أعشى همدان، أبو مصبح عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث الهمدانى (ت، ٨٣هـ/ ٧٠٢م):

٢٣- ديوان أعشى بن همدان، ملحق بكتاب الصبح المنير فى شعر أبى بصير الأعشى والأعشين الآخرين (مطبعة آدُلف هُلزهوسن، بيانه، ١٩٢٧م).

* الأقيشر الأسدى، المغيرة بن عبدالله بن معرض أو المغيرة بن أسود (ت، ٨٠ هـ على الأرجح/ ٧٠٠م):

٢٤- أخباره وأشعاره، تحقيق الطيب العشاش، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد (الثامن)، (تونس، ١٩٧١م).
* أميَّة بن ابى الصّلت (ت، نحو ٩هـ/ ٦٣٠م):
٢٥- حياته وشعره، دراسة وتحقيق د. بهجة عبدالغفور الحديثى (منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٩١ م).
* أيمن بن خُريم الأَسدى (ت، القرن الأول الهجري/ القرن السابع الميلادي):
٢٦- ديوان أيمن بن خريم، تحقيق الطيب العشاش (مؤسسة المواهب للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).
* البارقى، سُراقة بن مرداس (ت، ٧٩هـ/ ٦٩٨م):
٢٧- ديوان سُراقة الباقى، تحقيق حسين نصار (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م).
* البخارى، محمد بن إسماعيل (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م):
٢٨- التاريخ الكبير، القسم الأول من الجزء الثانى (حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٣هـ).
٢٩- صحيح البخارى، الجزء الثامن (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).
* البصرى، صدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن (ت، ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م):
٣٠- الحماسة البرية، تحقيق مختار الدين أحمد، بزان (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).
* البغدادى، عبدالقادر بن عمر (ت، ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م):
٣١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الأجزاء ١-٥ (دار الكتاب العربى والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٧ -١٩٨٦م):
* البغدادى، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد التميمى (ت، ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م):
٣٢- الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد (مكتبة محمد على صبيح وأولاده، مطبعة المدنى، القاهرة، دون تاريخ).
٣٣- الملل والنحل، تحقيق البير نصرى نادر (دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٦م).

* ابن بكار، الزبير بن بكار (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م):
٣٤- الأخبار الموفقيات، تحقيق د. سامى مكى العانى (رئاسة ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامى، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٧٢م).
٣٥- جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، الجزء الأول (مكتبة دار العروبة، مطبعة المدنى، القاهرة، ١٣٨١هـ).
الجزء الثانى، إشراف حمد الجاسر (دار اليمامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م).
* البكرى، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسى (ت، ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م):
٣٦- التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ).
٣٧- سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى، تحقيق عبدالعزيز الميمنى (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م).
٣٨- معجم ما استعجم فى أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، الجزء الثالث (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٤ هـ/ م).
* البلاذرى، ابو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):
٣٩- أنساب الأشراف، القسم الرابع، الجزء الأول، تحقيق إحسان عباس (النشرات الإسلامية، نشر فرانتس شتابير بفيسبادن، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م).
الجزء الثانى، تحقيق محمد باقر المحمودى (مؤسسة الأعلمى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
الجزء الثالث (دار المعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٤م).
القسم الأول – الجزء الرابع، نشر ماكس شلويسنجر (القدس، ١٩٧١م).
القسم الثانى – الجزء الرابع، تحقيق ماكس شلويسنجر (القدس، ١٩٣٨م).
الجزء الخامس، تحقيق ش. د. غويتن (القدس، ١٩٣٩).
الجزء الحادى عشر، (مطبعة يولس آيل، غريفزولد، ١٨٨٣م).

٤٠- فتوح البلدان، تعليق رضوان محمد رضوان (المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩م).

* التبريزى، أبو زكريا يحيى بن على الشهير بالخطيب (ت، ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م):

٤١- شرح ديوان الحماسة، الجزءان ١-٢ (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).

* ابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (ت، ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

٤٢- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).

* أبو تمام، حبيب بن أوس الطائى (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م):

٤٣- ديوان الحماسة، تحقيق د. عبدالمنعم أحمد صالح (وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث، بغداد، ١٩٨٠م).

* التنوخى، أبو على المحسن بن على (ت، ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م):

٤٤- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجى، الجزء الأول (بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

* ثابت قطنة، ثابت بن كعب بن جابر العتكى (ت، ١١٠هـ/ ٨٢٨م):

٤٥- شعر ثابت قطنة العتكى، جمع وتحقيق ماجد أحمد السامرائى (وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ م).

* الثعالبى، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى (ت، ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م).

٤٦- يتمية الدهر فى محاسن أهل العصر، الجزء الأول (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

* الثقفى، يزيد بن الحكم (ت، ١٠٥هـ/ ٧٢٣م):

٤٧- شعر يزيد بن الحكم الثقفى، شعراء أمويون، القسم الثالث.

* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت، ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):

٤٨- البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الأجزاء ١-٣ (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٧-١٣٦٩هـ/ ١٩٤٨-١٩٤٩م).

٤٩- الحيوان تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الأجزاء ١، ٣، ٧ (مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م).

* ابن الجراح، محمد بن داود (ت، ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م):

٥٠- من اسمه عمرو من الشعراء فى الجاهلية والإسلام، تحقيق محسن غياض عجيل ومصطفى عبداللطيف جياووك (دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة خزانة التراث، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م).

* الجرهمى، عبيد بن شرية (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م):

٥١- أخبار اليمين وأشعارها وأنسابها، ملحق بكتاب التيجان فى ملوك حمير (مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ).

* جرير، جرير بن عطية الخطفى اليربوعى التميمى (ت، ١١٥هـ/ ٧٣٣م):

٥٢- ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه، جنهان (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٩-١٩٧١م).

* الجهشيارى، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت، ٣٣١هـ/ ٩٤٢م):

٥٣- الوزراء والكتاب، حققه مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبدالحفيظ شلبى (مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).

* ابن الجوزى: أبو الفرج عبدالرحمن بن على (ت، ٥٩٧هـ/ ١١٩٩م):

٥٤- سيرة عمر بن عبدالعزيز، تصحيح محب الدين الخطيب (مطبعة المؤيد، القاهرة، دون تاريخ).

٥٥- صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخورى، الجزء الأول (دار الوعى، مطبعة الأصيل، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٣م).

٥٦- المنتظم فى تواريخ الأمم، تحقيق سهيل زكار، الجزء الرابع (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٥١هـ/ ١٩٩٥م).

* ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حيان بن أحبان البستى (ت، ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):

٥٧- الثقات، إدارة شرف الدين أحمد، الأجزاء ١-٨ (مطبعة دائرة المعارف العثمانية فى الهند، حيدر آباد، ١٣٩٥هـ-١٤٠٣هـ/ ١٩٧٥-١٩٨٣م).

* ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادى (ت، ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م):

٥٨- أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ضمن كتاب نوادر المخطوطات، الجزء الثانى (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة الخانجى بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، القاهرة، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤م).

٥٩- الميَّر، رواية ابى سعيد السكرى، تحقيق د. غيلز ليختن شتيتر (المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ).

* ابن حجر، أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

٦٠- الإصابة فى تمييز الصحابة. الجزءان ٢، ٣ (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ).

٦١- تهذيب التهذيب، ١٢ جزءًا (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٦٢- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، الجزء ١٣ (مطبعة عيسى البابى الحلبى وأولاده، القاهرة، ١٩٥٩م).

* ابن أبى الحديد، عز الدين أبو حامد هبة الله بن محمد بن الحسن المدنى (ت، نحو ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

٦٣- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزاء ١-٣ (دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

* ابن حزم، على بن أحمد بن سعيد الأندلسى (ت، ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

٦٤- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (سلسلة ذخائر التراث، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٢م).

* حسان بن ثابت الأنصارى (ت، ٥٤هـ/ ٦٧٣م):

٦٥- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. سيد حنفى حسنين (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م).

* الحميدى، أبو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله (ت، ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م):

٦٦- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، تصحيح محمد بن تاويت الطنجى (نشر مكتبة الثقافة الإسلامية، مطبعة السعادة، القاهرة، دون تاريخ).

* الخارجى، محمد بن بشير (ت، ٢١٠هـ/ ٨٢٥م):

٦٧- شعر محمد بن بشير الخارجي، جمع وتحقيق محمد خير البقاعى (دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

* ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت، ٨٠٨هـ/ ١٤٠٤م):

٦٨- المقدمة (دار القلم، بيروت، دون تاريخ).

* ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

٦٩- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الأجزاء ٢-٦ (دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

* ابن خياط، خليفة بن خياط بن أبى هبيرة العصفرى (ت، ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م):

٧٠- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمرى، جزءان (مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م).

* ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدى (ت، ٣٢١هـ/ ٩٣٣م):

٧١- الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام محمد هارون. جزءان (مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٥م).

* أبو دهبل، وهب بن زمعة الجمحى (ت، نحو ١٢٦هـ/ ٧٤٤م):

٧٢- ديوان أبى دهبل الجمحى، رواية أبى عمرو الشيبانى، تحقيق عبدالعظيم عبدالمحسن (مطبعة القضاء، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

* الدينورى، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت، ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م):

٧٣- الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال (منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى، سلسلة تراثنا، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م).

* الذهبى، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

٧٤- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومأمون صوغارجى وحسين الأسد، الأجزاء ١-٦ (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٧٥- العبر فى خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد سعيد بسيونى زغلول، الأجزاء ١ -٤ (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ).

٧٦- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، تحقيق على محمد البجاوى، الأجزاء ١-٤ (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ).
* ابن أبى ربيعة، عمر بن عبدالله أبى ربيعة المخزومى (ت، ٩٣هـ/ ٧١١م):
٧٧- ديوان عمر بن ابى ربيعة (دار صادر، بيروت، دون تاريخ).
* ابن رشيق، أبو على الحسن بن رشيق القيروانى (ت، ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):
٧٨- العمدة فى محاسن الشعر ونقده، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، الجزء الأول (دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م).
* الرقيات، عبيدالله بن قيس (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٤م):
٧٩- ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم (دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م).
* رؤبة بن العجاج (ت، ١٤٥هـ/ ٧٦٢م):
٨٠- ديوان رؤية بن العجاج، ضمن مجموع أشعار العرب، اعتناء وترتيب وليم بن الورد البرسى (منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩).
* ابن رواحة، عبدالله بن رواحة (ت، ٨هـ/ ٦٢٩م):
٨١- ديوان عبدالله بن رواحة، دراسة وتحقيق وليد قصاب (دار العلوم للطباعة والنشر، مطبعة المتوسط، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
* ابن الزبعرى، عبدالله بن الزبعرى (ت، ١٥هـ/ ٦٣٦م).
٨٢- شعر عبدالله بن الزبعرى، تحقيق يحيى الجبورى (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
* الزبيرى، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب (ت، ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م).
٨٣- نسب قريش، نشر وتصليح أ. ليفى بروفنسال (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م).
* الزجاجى، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق (ت، ٣٤٠هـ/ ٩٥١م):
٨٤- أمالى الزجاجى، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (المؤسسة العربية الحديثة للطبع والتوزيع، مطبعة المدنى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ).
* زفر بن الحارث الكلابى (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٥م):

٨٥- حياته وشعره، تحقيق نورى حمود القيسى، مجلة المجمع العلمى العراقى، المجلد (٣٥)، الجزء (الأول)، (بغداد، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

* زهير بن أبى سلمى (ت، ٦١٥م):

٨٦- ديوان زهير بن أبى سلمى، بشرح ثعلب (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م).

* زياد الأعجم، زياد بن جابر (ت، ١٣٢هـ/ ٧٤٩م):

٨٧- شعر زيادة الأعجم، تحقيق يوسف حسين بكار (دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

* سَديف بن ميمون (ت، ١٤٧هـ/ ٦٧٤م):

٨٨- شعر سديف بن ميمون، تحقيق رضوان مهدى العبود (مطبعة الغرى الحديثة، النجف، ١٩٧٤م).

* ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدى (ت، ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م):

٨٩- الطبقات الكبرى، الأجزاء ٥-٧ (دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧ م).

* ابن سَلّام، محمد بن سلام الجُمحى (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م):

٩٠- طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، سفران (مطبعة المدنى، القاهرة، دون تاريخ).

* السّلولى، عبدالله بن همّام (ت، نحو ١٠٠هـ/ ٧١٨م):

٩١- حياته وما تبقى من شعره، نورى حمودى القيسى، مجلة المجمع العلمى العراقى، المجلد (٢٧)، الجزء (الرابع)، (بغداد، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

* السيد الحميرى، إسماعيل بن محمد بن يزيد (ت، ١٧٣هـ/ ٧٨٩م):

٩٢- ديوان السيد الحميرى، جمع وتحقيق شاكر هادى غضب، (منشورات دار مكتبة الحياة، مطبعة سميا، بيروت، دون تاريخ).

* السيوطى، جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر (ت، ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

٩٣- شرح شواهد المغنى، تصحيح محمد جواد بن التلاميذ، وقف عليه أحمد ظاهر، كوجان، قسمان (لجنة التراث العربى، دمشق، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

٩٤- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، ضبطه جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم

وعلى محمد البجاوى، الجزء الأول (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م).

* ابن الشجرى، هبة الله بن على بن حمزة العلوى (ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م):

٩٥- الحماسة الشجرية، تحقيق عبدالمعين الملوحى وأسماء الحمصى (منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م).

* الشهرستانى، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت، ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):

٩٦- الملل والنحل، تصحيح أحمد فهمى محمد، الجزءان ١-٢ (نشر مكتبة الحسين التجارية، مطبعة حجازى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م).

* الشِّيرازى، أبو إسحاق إبراهيم بن على الشافعى (ت، ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م):

٩٧- طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس (دار الرائد العربى، بيروت، الطبعة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

* الصَّفدى، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

٩٨- الوافى بالوفيات، باعتناء يوسف فان إس، الجزء التاسع (دار نشر فارنس شتايتر بفيسبادن، دار صادر، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

* الضَّبى، أحمد بن يحيى بن عميرة (ت، ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م):

٩٩- بغية المتلمس فى تاريخ الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن السيوفى (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٩٧م).

* ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى (ت، ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م):

١٠٠- عيار الشعر، تحقيق طه الحاجرى ومحمد زغلول سلام (المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٦م).

* الطَّبرى، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ/ ٩٢٣م):

١٠١- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الأجزاء ١-٧ (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م).

١٠٢- جامع البيان فى تفسير القرآن، الجزء السابع (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

* الطِّرماح، الطرماح بن حكيم الطائى (ت، ١٢٥هـ/ ٧٤٢م):

١٠٣- ديوان الطرماح، تحقيق عزة حسن (وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد

القـومـى، مطبـعة مـديـريـة إحـياء التـراث القـديـم، دمشق، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

* أبو الطُّفيل، عامر بن واثلة الكنانى (ت، نحو ١٠٠هـ/ ٧١٨م):

١٠٤- ديوان أبى الطفيل، تحقيق الطيب العشاش (مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

* العاملى، عَدّى بن الرِّقاع العاملى (ت، ٩٥هـ/ ٧١٤م):

١٠٥- ديوان عدى بن الرقاع العاملى، عن ثعلب، تحقيق نورى حمودى القيسى وحاتم صالح الضامن (مطبوعات المجمع العلمى العراقى، بغداد، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م).

* ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمرى القرطبى (ت، ٤٦٣هـ/ ٧٠م):

١٠٦- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة، الجزءان ٢، ٣ (مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ).

* ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين القريشى المصرى (ت، ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م):

١٠٧- فتوح مصر وأخبارها (ليدن، ١٩٢٠م).

* ابن عبد رَبِّه، أحمد به محمد بن ربه الأندلسى (ت، ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م):

١٠٨- العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، الجزءان ١، ٥ (المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م).

* عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب (ت، ١٣١هـ/ ٧٤٨م):

١٠٩- شعر عبدالله بن معاوية، جمع عبدالحميد الراضى (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

* أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى (ت، ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م).

١١٠- نقائض جرير والفرزدق، تحقيق د. اشلى بيفان، جزءان (مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٥م).

* عبدالله بن الأبرص (ت، نحو ٥٥٥م):

١١١- ديوان عبيدالله بن الأبرص، تحقيق تشارلس ليالس (دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
* عبيدالله بن الحر الجعفى (ت، ٦٨هـ/ ٦٨٧م):
١١٢- شعر عبيدالله بن الحر الجعفى، دراسة وتحقيق نورى حمودى القيسى، ضمن كتاب شعراء مويون، القسم الأول (مطابع دار الكتب، جامعة الموصل، الموصل، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).
* العجاج، عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر التميمى (ت، نحو ٩٠هـ/ ٧٠٨م):
١١٣- ديوان العجاج، برواية الأصمعى، تحقيق عزة حسن (مكتبة دار الشروق، بيروت، ١٩٧١م).
* ابن عساكر، على بن الحسن بن هبة الله الشافعى (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٥م):
١١٤- تاريخ دمشق الكبير، تحقيق أبى عبدالله على عاشور الجنبوى، الأجزاء ١٢- ٧١ (دار إحياء التراث العربى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).
* العسكرى، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت، نحو ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م):
١١٥- ديوان المعانى، الجزء الأول (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).
١١٦- كتاب الصناعتين (طبع مصر القاهرة، ١٣٢٠هـ).
* أبو العطاء السِّندى، أَفلح بن يسار •ـ، نحو ١٨٠هـ/ ٧٩٦م):
١١٧- حياته وشعره، صنعه قاسم راضى مهدى، مجلة المورد، المجلد (التاسع)، العدد (الثاني)، (بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
* عثوِّيف القوافى، عويف بن معاوية بن عقبة بن حصين الذبيانى (ت، نحو ١٠٠هـ/ ٧١٨م):
١١٨- شعر عويف القوافى، دراسة وتحقيق نورى حمودى القيسى، ضمن كتاب شعراء أمويون، القسم الثالث.
* الغُدانى، حارثة بن بدر (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٣م):
١١٩- شعر حارثة بن بدر الغدانى، دراسة وتحقيق نورى حمودى القيسى، ضمن

كتاب شعراء أمويون، القسم الثانى، (مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

* ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت، ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م):

١٢٠- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن كلامها، تحقيق مصطفى الشويمى (مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).

* الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة الدارمى التيمى (ت، ١١٥هـ/ ٧٣٣م):

١٢١- ديوان الفرزدق، مجلدان (دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

* القالى، أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادى (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م):

١٢٢- الأمالى، ذيل الأمالى، النوادر، مراجعة محمد جواد الأصمعى، الجزء الأول (دار الكتب العملية، بيروت، دون تاريخ).

* ابن قُتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينورى (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):

١٢٣- الإمامة والسياسية [منسوب]، الجزء الأول (شركة البابى الحلبى وأولاده بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).

١٢٤- الشعر والشعراء، تحقيق إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، قسمان (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

١٢٥- عيون الأخبار، الجزء الأول (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٤م).

١٢٦- غريب الحديث، تحقيق عبدالله الجبورى، الجزء الأول (وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامى، مطبعة العانى، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

١٢٧- المعارف، تحقيق ثروة عكاشة (وزارة الثقافة والإرشاد القومى، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٠م).

* القَرشى، أبو زيد محمد بن الخطاب (القرن الرابع الهجري/ القرن الحادى عشر الميلادي).

١٢٨- جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلامية، تحقيق على محمد البجاوى، قسمان (دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة لجنة البيان العربى، القاهرة، الطبعة الأولى، دون تاريخ).

* القزوينى، زكريا بن محمد بن محمود (ت، ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م):
١٢٩- آثار البلاد وأخبار العباد (دار صادر، بيروت، دون تاريخ).
* القَطّامى، عمر بن شُييم (ت، ١٠١-١٣٠هـ/ ٧٢٠-٧٤٧م):
١٣٠- ديوان القطامى، تحقيق إبراهيم السامرائى وأحمد مطلوب (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م).
* القَعقاع بن عمرو التيمى (ت، نحو ٤٠هـ/ ٦٦٠م):
١٣١- شعر القعقاع، تحقيق نورى حمودى القيسى، ضمن كتاب: شعراء إسلاميون (منشورات مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).
* القِفطى جمال الدين على بن يوسف (ت، ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م):
١٣٢- المحمدون من الشعراء وأشعارهم، تحقيق رياض عبدالحميد مراد (مجمع اللغة العربية، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).
الكُتبى، محمد بن شاكر (ت، ٦٧٤هـ/ ١٣٦٢م):
١٣٣- فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، الأجزاء ١-٤ (دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ).
* ابـن كثيـر، أبـو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى (ت، ٧٤٤هـ/ ١٣٧٢م):
١٣٤- البداية والنهاية، الأجزاء ٨-١٠ (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
١٣٥- تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث (دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م).
* كثير بن عبدالرحمن الخزاعى (ت، ١٠٥هـ/ ٧٢٣م):
١٣٦- ديوان كثير، جمع إحسان عباس (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
* كعب بن مالك الأنصارى (ت، نحو ٤٠هـ/ ٦٦٠م):
١٣٧- ديوان كعب بن مالك الأنصارى، دراسة وتحقيق د. سامى مكى العانى (منشورات مكتبة النهضة، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).
* ابن الكَلبى، هشام بن محمد بن السائب (ت، ٢٠٤هـ/ ٨١٩م):

١٣٨- جمهرة النسب، رواية السكرى عن ابن حبيب، تحقيق ناجى حسن (عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

* الكندى، محمد بن يوسف (ت، ٣٥٠هـ/ ١٩٦١م):

١٣٩- ولاة مصر، تحقيق حسين نصار (دار صادر، بيروت، دون تاريخ).

* ليلى الأخيلية، ليلى بنت الأخيل (ت، ٨٠هـ/ ٧٠٠م):

١٤٠- ديوان ليلى الأخيلية، تحقيق خليل العطية وجليل العطية (دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

* ابن مَاجة، محمد بن يزيد القزوينى (ت، ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م):

١٤١- سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، الجزء الثانى (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ).

* مالِك بن الريب (ت، ٤٤هـ/ ٦٦٦م):

١٤٢- شعر مالك بن الريب، شعراء أمويون، القسم الأول.

* المُبرّد، محمد بن يزيد (ت، ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م):

١٤٣- الكامل فى اللغة والأدب، تحقيق لجنة من المحققين، جزءان (نشر مكتبة المعارف، بيروت، دون تاريخ).

* المخزومى، الحارث بن خالد (ت، ٨٥هـ/ ٧٠٤م):

١٤٤- شعر الحارث بن خالد المخزومى، تحقيق يحيى الجبورى (منشورات مكتبة الأندلس ببغداد، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م).

* المُرتضى، الشريف على بن الحسين الموسوى (ت، ٤٣٦هـ/ ٩٤٧م):

١٤٥- غرر الفوائد ودرر الفرائد، المعروف بأمالى المرتضى، الجزء الأول (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٧٣٧هـ/ ١٩٥٤م).

* المِرزبانى، أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى (ت، ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م):

١٤٦- معجم الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).

١٤٧- الموضح، مآخذ العلماء على الشعراء فى عدة أنواع فى صناعة الشعر، تحقيق على محمد البجاوى (دار نهضة مصر، مطبعة لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٦٥م).
* المسعودى، على بن الحسين بن على (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):
١٤٨- التنبيه والإشراف (دار التراث، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
١٤٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ضبطه يوسف أسعد داغر، الجزء الثالث (دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م).
* مسكين الدارمى، ربيعة بن عامر بن أنيف (ت، ٨٩هـ/ ٧٠٧م):
١٥٠- ديوان مسكين الدارمى، جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية وعبدالله الجبورى (مطبعة البصرى، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م).
* مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (ت، ٢٦١هـ/ ٨٧٤م):
١٥١- صحيح مسلم، الجزء الثانى (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
* معاوية بن أبى سفيان (ت، ٦٠هـ/ ٦٧٩م):
١٥٢- ديوان معاوية بن أبى سفيان، جميع وتحقيق وشرح فاروق أسليم بن أحمد (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م).
١٥٣- طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م).
* المغيرة بن حبناء التميمى (ت، ٩١هـ/ ٧١٠م):
١٥٤- شعر المغيرة بن حبناء، شعراء أمويون، القسم الثالث.
* ابن مُفَرِّغ، يزيد من مفرغ الحميرى (ت، ٦٩هـ/ ٦٨٨م):
١٥٥- ديوان يزيد بن المفرغ الحميرى، جمع وتحقيق عبدالقدوس صالح (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).
* المقدسى، المطهر بن طاهر (ت، ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م):
١٥٦- البدء والتاريخ، المنسوب لأبى زيد البلخى، شرح كلمان هوار، الجزء الثالث (مطبعة برطوند، شارلون - باريس، ١٩٠٣م).
* المقرى، أحمد بن محمد التلمسانيت، ١٤٠١هـ/ ١٦٣١م):

١٥٧- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، الجزء الأول (دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
* ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد الإفريقى (ت، ٧١١هـ/ ١٣١١م):
١٥٨- لسان العرب، تصنيف وإعداد يوسف خياط (دار لسان العرب، بيروت، دون تاريخ).
* المنقرى، نصر بن مزاحم (ت، ٢١٢هـ/ ٨٢٧م):
١٥٩- وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (مكتبة الخانجى، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
* ابن ميادة الرماح بن ابرد المرى (ت،١٤٩ه / ٧٦٦م):
١٦٠- شعر ابن ميادة، جمع وتحقيق محمد نايف الدليمى (مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٧٠م).
* النابغة الشيبانى، عبد الله بن المخارق بن سليم (ت، نحو ١٢٥ه / ٧٢٤م):
١٦١- ديوان النابغة الشيبانى، تحقيق عبد الكريم إبراهيم يعقوب (وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٧م).
* أبو نخيلة أبو الجنيد يعمر بن حزن بن زائدة (ن،١٤٥ه / ٧٦٢م:
١٦٢- شعر أبى نخيلة جمع وتحقيق عباس توفيق، مجلة المورد المجلد(١٧)، العدد (الثالث)، (بغداد،١٣٩٨ه / ١٩٧٨/).
* ابن النديم محمد بن إسحاق الوراق (ت، ٣٨٥ه / ٩٩٥م):
١٦٣- الفهرست (المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، دون تاريخ).
* نصر بن سيار الكناني(ت، ١٣١ه/ ٧٤٨م):
١٦٤- ديوان نصر بن سيار الكنانى، جمع وتحقيق عبد الله الخطيب (مطبعة شفيق،بعداد، ١٩٧٢م).
* نصيب بن رياح(ت، ١٠٨ه/ ٧٢٦م):

١٦٥- شعر نصيب بن رياح، جمع وتقديم داود سلوم (مكتبة الأندلس، مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٨م).

* نهار بن توسعة (ت، بعد ١٢٠ه / ٧٣٧م):

١٦٦- شعر نهار بن توسعة، جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية، مجلة المورد المجلد(الرابع)،العدد (الرابع)، (بغداد١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٥م).

* ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى (ت،٢١٣ه / ٨٢٨م):

١٦٧- السيرة النبوية، ضبط طه عبد الرؤوف سعد، الأجزاء ١-٤(دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م).

* الهدانى، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت،٣٣٤ه / ٩٤٥م):

١٦٨- الإكليل، تحقيق محمد بن على الأكواع، الجزء الثانى (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م). والجزء الثامن، تحقيق نبيه أمين فارس (دار العودة - الكلمة، بيروت، دون تأريخ).

١٦٩- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن على الأكوع (مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

* الوليد بن يزيد بن عبد الملك (ت،١٢٦هـ/ ٧٤٣م):

١٧٠- شعر الوليد بن يزيد، جمع وتحقيق حسين عطون (مكتبة الأقصى، الاقتصادية عمان، الطبعة الأولى، ١٩٧٩).

* ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى (ت، ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

١٧١ - معجم الأدباء، نشره مرجليوث الأجزاء ١١، ١٢، ١٩ (دار إحياء التراث العربى، بيروت، دون تأريخ).

١٧٢- معجم البلدان، الأجزاء ١-٥ (دار إحياء التراث العربى، بيروت، دون تأريخ).

* يزيد بن معاوية بن أبى سفيان (ت،٦٤هـ/ ٦٨٣م):

١٧٣- شعر يزيد بن معاوية، جمع وتحقيق صلاح الدين المنجد (دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م).

* اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م):
١٧٤- تأريخ اليعقوبى، تعليق محمد صالح بحر العلوم، الأجزاء ١-٣ (المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، ١٣٤٨هـ/ ١٩٦٤م).
* ----- مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري/ القرن العاشر الميلادي):
١٧٥- أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده تحقيق د. عبد العزيز الدورى ود. عبد الجبار المطلى (دار الطليعة للطباعة والنشر، مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٧١م).

ثالثا: المراجع الحديثة:

* إبراهيم، طه أحمد:
١٧٦- تأريخ النقد الأدبى عند العرب من العصر الجاهلى حتى القرن الرابع الهجرى (دار الحكمة، بيروت، دون تأريخ)
* أمين، أحمد:
١٧٧- فجر الإسلام (لجنة التأليف والترجمة و النشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٦٤م).
* الجبورى، يحيى:
١٧٨- الإسلام والشعر (مكتبة النهضة، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).
* الحوفى، د.أحمد محمد:
١٧٩- الحياة العربية من الشعر الجاهلى (دار القلم، بيروت الطبعة الخامسة، ١٩٧٢م).
* خليف، د. يوسف:
١٨٠- حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة (دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
* خليفات ، د. عوض محمد:
١٨١- نشأة الحركة الأباضية (مطابع دار الشعب، عمان، ١٩٧٨م) دكسن، د. عبد الأمير عبد حسين:

١٨٢- الخلافة الأموية ٦٥هـ - ٨٦هـ/ ٦٨٤م - ٧٠٥م، دراسة سياسية (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م).
* الدورى، د. عبد العزيز:
١٨٣- بحث فى نشأة علم التأريخ عند العرب (دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م).
١٨٤- التكوين التأريخى للأمة العربية، دراسة فى الهوية والوعى (مركز دراسات الوحدة العربية، دار المستقبل، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م).
* روزنثال، فرانز:
١٨٥- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة د. صالح أحمد العلى، مراجعة (. محمد توفيق حسين مكتبة المثنى ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، نيويورك، ١٩٦٣م).
* سركيس، إحسان:
١٨٦- الظاهرة الأدبية فى صدر الإسلام والدولة الأموية (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م).
* الصواط، عيضة بن عبد الغفور (محقق)
١٨٧- شعراء ثقيف فى العصر الأموى، جمع وتحقيق (منشورات نادى الطائف، مطابع شركة دار القلم للطباعة ولنشر، جدة ، دون تاريخ).
* ضيف د. شوقى:
١٨٨- التصور والتجديد فى الشعر الأموى (مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر القاهرة، الطبعة الرابعة، دون تأريخ).
١٨٩- العصر الإسلامى (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٣م).
* العانى، د. سامى مكى:
١٩٠- الإسلام والشعر (عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠٣ه / ١٩٨٣م).
* عباس، د. إحسان (محقق):
١٩١- شعر الخوارج، جمع وتحقيق (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤م).
* العبود، د. نافع توفيق:

١٩٢- آل المهلب بن ابى صفرة ودورهم فى التأريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجرى مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٩م).
* عطوان، د. حسين:
١٩٣- الشعراء الصعاليك فى العصر الأموى (مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠م).
١٩٤- الشعر العربى بخراسان فى العصر الاموى مكتبة المحتسب بعمان، دار الجيل، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٧٤م)
١٩٥- الوليد بن يزيد، عرض ونقد (دار الجيل، بيروت، ١٤٠١ه / ١٩٨١م).
* على، د. جواد:
١٩٦- المفصل فى تأريخ العرب قبل الإسلام، الجزآن)١،٩(دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م).
* فروخ، عمرك
١٩٧- تأريخ الأدب العربى، الجزء الأول (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م).
* فلهوزن، يوليوس:
١٩٨- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى النهاية الدولة الأموية، ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، مراجعة د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، مراجعة د. حسين مؤنس (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م).
* قاسم، د. عونْ الشريف:
١٩٩- شعر البصرة فى العصر الأموى (دار الثقافة بيروت، ١٣٩٢ه / ١٩٧٢م).
* القيسى، د عون نورى حمودى:
٢٠٠-البطل فى التراث (هيئة كتابة التأريخ، سلسلة الموسوعة التأريخية المسيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى،١٩٨٨م).
٢٠١- الشعر والتاريخ (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠١ه / ١٩٨٠م).
٢٠٢- الفروسية فى الشعر الجاهلى (منشورات مكتبة النهضة، دار التضامن، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ه / ١٩٦٤م).

٢٠٣- المستدرك على صناع الدواوين، تحقيق بالاشتراك مع هلال ناجى، جزآن (عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٩ه/ ١٩٨٨م).
* مصطفى، شاكر:
٢٠٤- التاريخ العربى والمؤرخون، دراسة فى تطور علم التأريخ ومعرفة رجاله فى الإسلام، الجزء الثانى (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م).
* معروف، د نايف محمود (محقق):
٢٠٥- ديوان الخوارج جمع وتحقيق (دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م).
* النص، د. إحسان:
٢٠٦- العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى (دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م).
* نف، ايمرى:
٢٠٧- المؤرخون وروح الشعر، ترجمة د. توفيق إسكندر، مراجعة وتقديم محمد الشفيق غربال (مكتبة الأنجلو المصرية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة- نيويورك، ١٩٦١م).
رابعا- الأطاريح والرسائل الجامعية:
* حمادى، عبد الخضر جاسم:
٢٠٨- الحركة الفكرية فى القرن الأول الهجرى، دراسة فى بدء التدوين، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة المستنصرية، المعهد العالى للدراسات القومية (بغداد، ١٩٨٤م).
* حمودى، جعفر صادق:
٢٠٩- النقائض فى العصر الأموى، دراسة فنية، اطروحة دكتوراه مقدمه إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية بغداد، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
* الطرفى، محمد حسين جاسب:
٢١٠- دور الشعر فى تدوين الأحداث التاريخية خلال القرن الثانى الهجرى فى

العراق، رسالة ماجستير مقدمة إلى المعهد العربى والتراث العلمى للدراسات العليا، قسم التراث الفكرى (بغداد، ١٤١٩هأ/ ١٩٩٩م).

خامسا- الدراسات والبحوث

* حسين، د. عبد الله محمود:

٢١١- تدوين الحروب فى الشعر الجاهلى، مجلة التراث العربى، العدد (٤٨)، السنة (١٢)، (دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

* خطاب، محمود شيت:

٢١٢- مروان ابن محمد بن مروان بن الحكم فاتح شطر بلاد الروم وشطر ارمينية، مجلة المجمع العلمى العراقى، المجلد (٣٥) الجزء (الأول)، (بغداد، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م).

* القيسى د. نورى حمودى:

٢١٣- الأقيشر الأسدى أحباره وأشعاره مجلة الرسالة الإسلامية العدد (٦٥)، السنة (٦) (مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

ABSTRACT

This treatise deals, through introduction and five chapters, with the influence of poetry in political events during the historic period between (40-130 hegira (660-749 ac).

Chapter one covers the relation of poetry with history. The reaming four chapters, deal in an interconnected manner, with the eras of caliphs in a chronicle manner. The treatise arrived at the following conclusions.

There is a living connection between the historic event ad poetry, something denoting the influence of the Arabs, culture and their knowledge of the circumstances surrounding them. Poetry is a sentimental outrlow expressing an emotional interaction with events revealing a human reaction towatds the event during both victory and failure.

The treatise revealed the use by umayyd caliphs of poetry as an information means something that promoted them to give poets gene rosily, and were keen on education their posterity in literature and pure Arab cluture.

The treatise revealed that the poets were closely following great historical events and were keen on leaving their imprivts on such events. Some of them were also keen in actively partaking in some of those events. Therefore it is safely to say that poetry was instrumental in ever-blowing the events widening animosities, "Firing enthusiasm and aggravating conflicts, and in ths way it has its extreme effect in expressing contradictory views on the subject of caliphate and the running of the affairs of the state.

Poetry had had its share in the over- blowing of events and the quick spread of news because of the easiness of memorizing poetry and sublimity of its expressions and meanings and the beauty of its rhythm.

Poetry made a new reading of events different of that of history books assimilating them in a different manner thus giving us a true picture of the advanced Arab feeling as an instrumental of preserving Arab national identity.

Poetry truly expressed the anti-umayyad groups and factions whose propagandist poets found in poetry the best planes to spread their ideologies and thoughts.

Further more poetry clearly registered events when poets mentioned them and their places, thus helped in rehabilitating places and contries and their relations with those events.

Concluding, may almighty god helps me in making this treatise truly expresses replity.

أثر الشعر

في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي